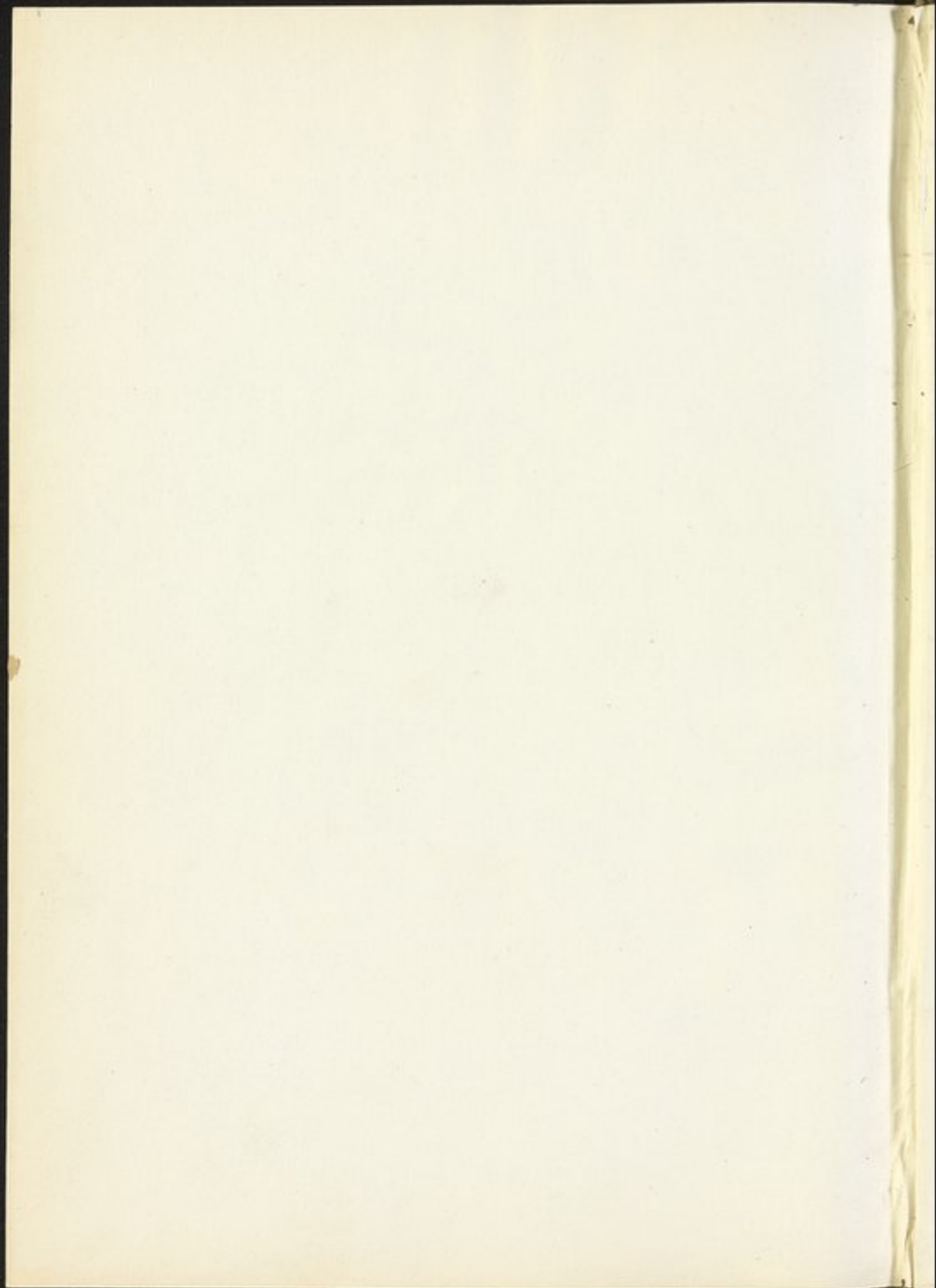


THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY

---

GENERAL LIBRARY



W.A.R. 5484

(vol. 3)

تفسير

# السيارات

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٣٨٥ - ٤٦٠

المجلد الثالث

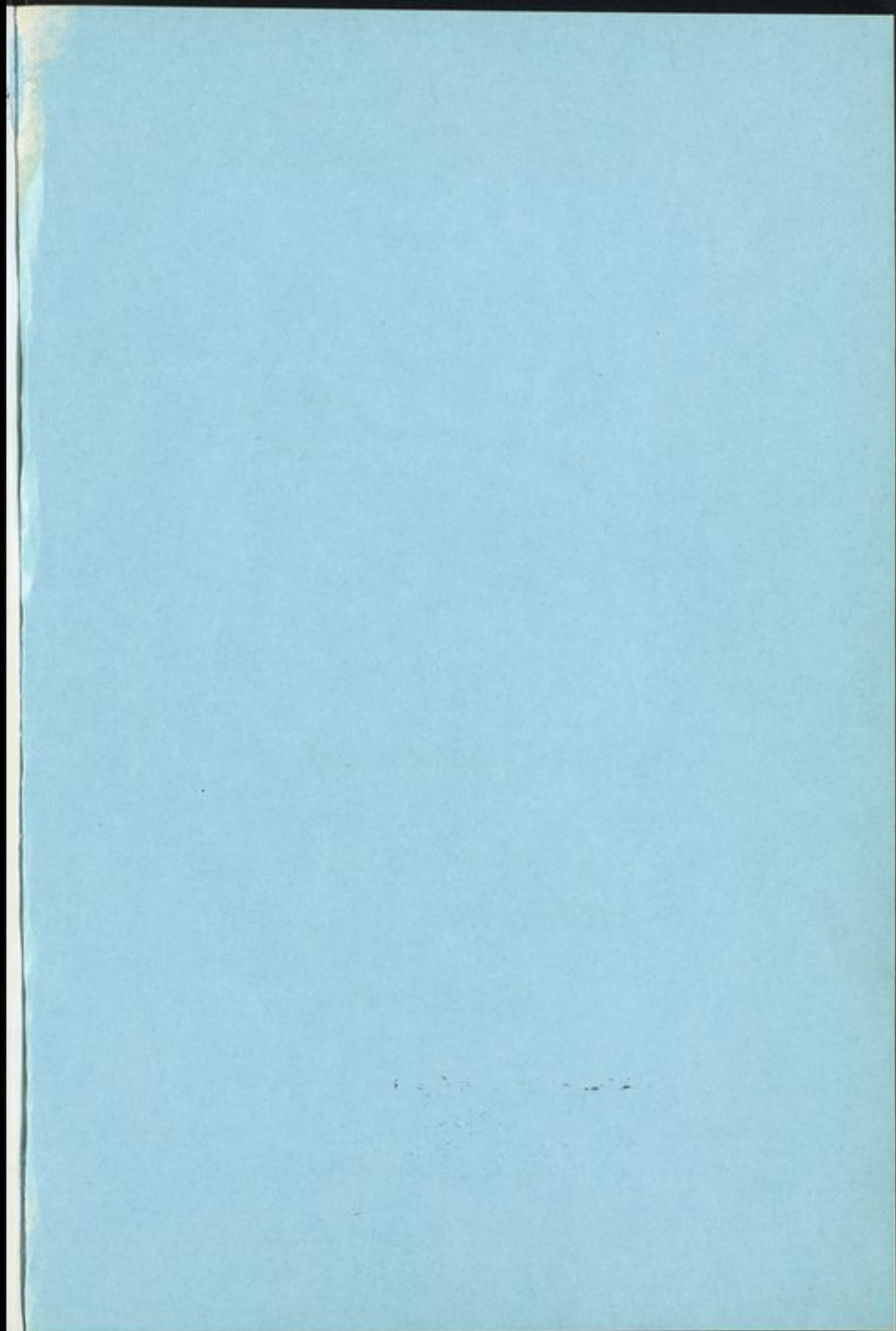
صححه ورتبه وعلو حواشيه ووضع فهارسه  
إخمدشوقى الأمين

مكتبة الأمين

النجف الأشرف



طبعة النعمان - النجف الأشرف



تفسير  
السياسة

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٤٦٠ - ٣٨٥

المجلد الخامس

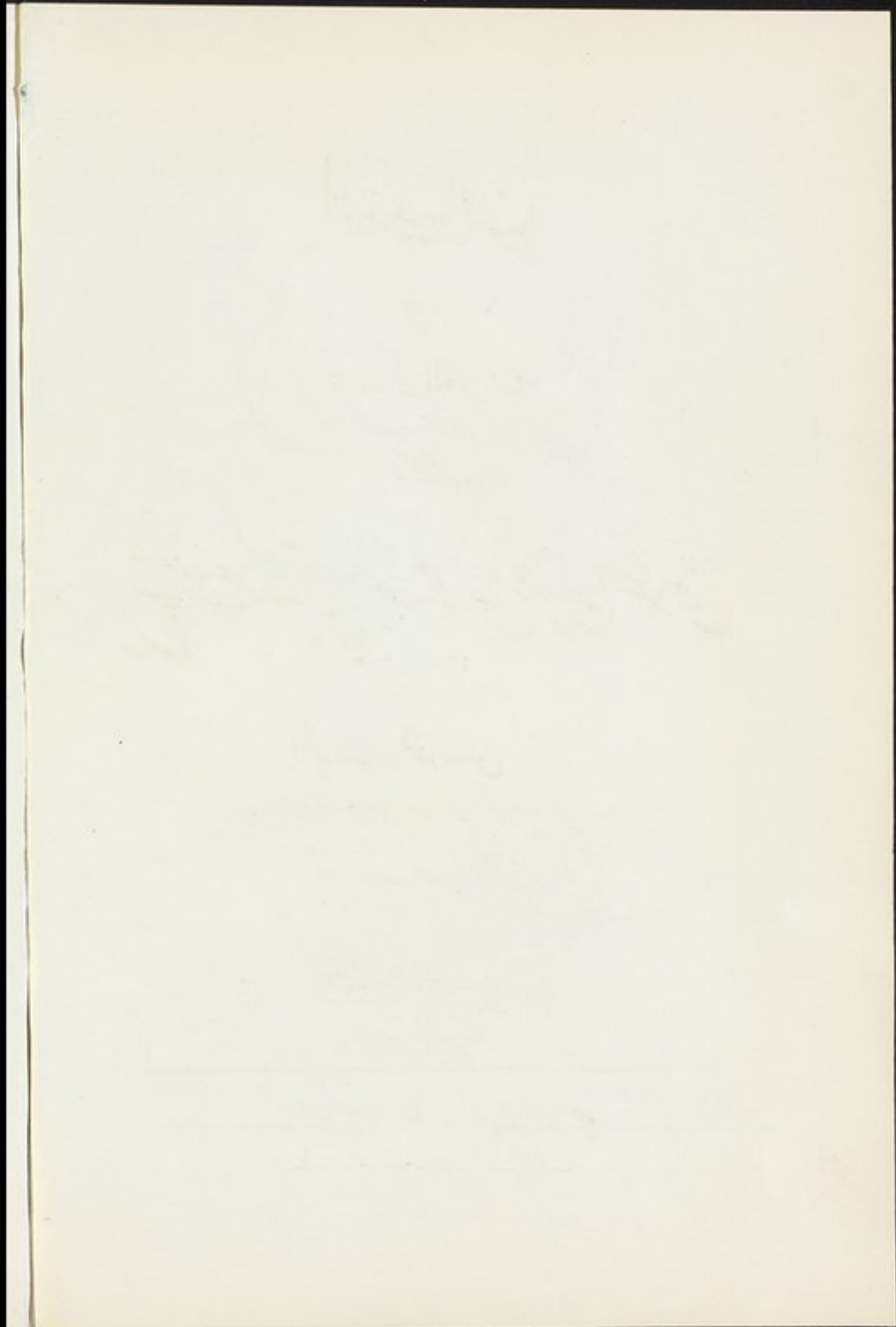
صححه ورتبه وعلو حواشيه ووضع فهرسه  
إخراجه السيد حسين

مكتبة القصير

النجف الأشرف

---

مطبعة النعمان النجف





# التبديان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدّر

السنة ٤٦٠ هـ

صححه ورتبه وعلق حواشيه ووضع فهرسه :

أحمد حبيب قصير العاملي

مكتبة القصير

النجف الأشرف

---

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

BP  
130.4  
T8  
V. 3

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لطاعته والعمل على فهم كتابه وأحكامه . وإني أشكره  
إستتماماً لنعمته ورضاءً بتدبيره وإعترافاً بربوبيته واعتقاداً بحكمته . وصلى الله على محمد  
رسوله الأمين وعلى آله الميامين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .  
وبعد فإني أقدم لآخواني المؤمنين العاملين بأحكام القرآن هذا المجلد الخامس  
من تفسير التبيان . وقد لاقيت من العناء في اخراجه الشيء الكثير .  
واسأله سبحانه ان يوفقنا لإكماله على النهج السليم ، وقد عثرت على مخطوطتين  
ناقصتين احدهما نذهي بانتهاء المجلد الرابع ، والاخرى ترافقنا الى آخر الكتاب  
إلا انها ناقصة بعض الاوراق .

والفت نظر القارىء الى ان العناوين مثل ( اللغة ، الاعراب ، المنى )  
هي من وضعنا . وكذلك ارقام الآي . والله هو الملمم الموفق لاسداد

عَجَلُ حَبِيبٍ قَصِيرٍ

٢٧٧١٥ - ٥٥٥١٦

117  
MAY 17 1973  
PL 480

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا مَنْ قَالَ بِاللَّهِ وَرَوَىٰ نَبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّهُمْ يُتَّقُونَ ﴾ (١٥٧) آية بلا خلاف .

### المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يخاطب الخلق ، ويقول لهم إني رسول الله أرسلني إليكم يعني الى الناس أجمع « الذي له ملك السموات والأرض » يعني ارسلني إليكم الذي له التصرف في السموات والارض من غير دافع ، ولا منازع « لا إله » لا معبود « إلا هو يحيي ويميت فأمنوا بالله » امر من النبي ﴿ ع ﴾ للخلق بأن يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بذبوة « الامي الذي يؤمن » يعني يصدق بالله وكلماته وامرهم بأن يتبعوه ويرجعوا الى طاعته لكي يهتدوا الى الثواب والجنة .

### الاعراب :

وجميعاً نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في « رسول » الا انه لا يتقدم على حرف الاضافة ، لانه قد صار بمنزلة العامل .

### المعنى :

وإنما وصفه بأنه يحيي ويميت لأنه لا يقدر على الاحياء إلا الله ، ولا على

الامانة ايضاً سواء لانه لو قدر احد على الامانة لغدر على الاحياء ، لأن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضده وانما استعمل بمعنى لتهدوا على الرجاء والطمع في الفوز به من العذاب .

### قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

(١٥٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

أخبر الله تعالى ان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون .

قال ابن عباس والسدي : قوم وراه الصين .

وقال ابو جعفر (ع) : هم قوم خلف الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا .

وأنكر الجبائي قول ابن عباس ، وقال شرع موسى (ع) ، منسوخ بشرع

عيسى (ع) وشرع محمد (ص) فلو كانوا باقين لكفروا بنبوة محمد .

وهذا ليس بشيء ، لأنه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم الدعوة من

النبي (ص) فلا يحكم بكفرهم .

وقال الجبائي يحتمل ذلك وجهين :

احدهما - انهم كانوا قوماً متمسكين بالحق في وقت ضلالتهم (١) بقتل انبياءهم

والآخر - انهم الذين آمنوا بالنبي (ص) مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرها .

وتقدير الكلام في معنى الآية اذاً : كان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه

(١) أى في وقت ضلالة قومهم

يعدلون ، قد مدحوا بذلك وعظموها فعلى كل امة ان يكونوا كهذه الامة الكريمة  
في هذا المعنى .

اللغة :

والامة الجماعة التي تؤم اسراً بأن تقصده وتطلبه . وامة محمد (ص) تؤم  
شريعة . وامة موسى وعيسى مثل ذلك .

المعنى :

وليس في الآية ما يدل على ان في كل عصر امة هادية من قوم موسى لأن  
بعد نبوة نبينا (ص) لم يبق احد يجب اتباعه في شرع موسى (ع) وكذلك قوله  
تعالى «ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون» (١) ولا ذلالة في ذلك على ان تلك  
الامة موجودة في كل عصر ، بل لو لم توجد هذه الامة الا في وقت واحد هادية  
بالحق عادلة به صح معنى الآية على ان عندنا في كل عصر لا يخلون من قوم بهـذا  
الوصف وهم حجج الله على خلقه ، المعصومين الذين لا يجوز عليهم الخطأ والزلل ،  
فقد قلنا : بموجب الآية .

وصريح الآية يدل على بطلان قول من قال لا يهدي الى الحق ، الا الله تعالى ،  
لأن الله تعالى بين ان فيمن خلقه امة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وظاهر ذلك الحقيقة  
وصريح الآية بخلاف ما يقوله المخالف ، ولا ينافي ذلك قوله تعالى «من يهد الله  
فهو المهتدي» (٢) لانه يصح اجتماعه مع ذلك والمعنى من يهدي الله الى الجنة فهو  
المهتدي اليها على ان قوله تعالى «من يهدي الله فهو المهتدي» لا يمنع من ان يهديه  
ايضاً غير الله ويهتدي ، لان المتعلق بذلك تعلق بدليل الخطاب . وهو ليس بصحيح

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٧

(١) سورة الأعراف آية ١٨٠

عند اكثر العلماء على ان من هدى غيره الى الحق فانما يهديه بأن ينيبه على الحجج التي نصبها الله على الحق فجاز ان يضاف ذلك الى انه بهداية الله . ومن حمل قوله تعالى « يهدون » على ان المعنى يهتدون فقد غلط ، لان ذلك لا يعرف في اللغة .

### قوله تعالى :

﴿ وَقَطَعْنَا مِائَتِي عَشْرَةَ اَسْبَاطًا اُمَّمًا وَاَوْحَيْنَا اِلَى مُوسَى اِذْ اَسْرَسَتْ قَوْمَهُ اَنْ اَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَاجِرَ فَاَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنْسٍ مَشْرَبُهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلَّوَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلَكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلَمُوْنَ ﴾ (١٥٩) آية بلا خلاف .

### الاعراب :

قد مضى تأويل معنى اكثر هذه الآيات في سورة البقرة ( ١ ) فلا معنى للتطويل بذكر ما مضى وانما نذكر ما لم يذكر هناك : انما انت قوله اثنتي عشرة اسباطاً لان النية التقديم والتأخير والتقدير وقطعناهم امماً اثنتي عشرة اسباطاً ولم يقل سبباً لاحد ثلاثة اشياء :

احدهما - انه بدل ليس بتمييز والمعنى قطعناهم اسباطاً ذكر ذلك الزجاج .  
الثاني - على ان كل قسم اسباط لان الواحد يقال له سبب ، فيجوز على هذا عندي عشرون دراهم على ان كل قسم منها دراهم قال كثير :  
علي والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبب سبب ايمان وبر وسبب عيبته كربلاء (١)  
الثالث - ان يكون اقام الصقة مقام الموصوف . وتقديره اثنتي عشرة  
فرقة اسباطاً .

### اللغة والمعنى :

والسبب: الجماعة التي تجري في الامر بسهولة لاتفاقهم في الكلمة على انه  
مأخوذ من السبوط .

وقيل انه مأخوذ من السبب ضرب من الشجر، فجعل الاب الذي يجمعهم كالشجرة  
التي تنفرع عنها الأغصان الكثيرة .

وقال ابو علي لانهم كانوا بني اثني عشر رجلا من ولد يعقوب .

وقيل انما فرقوا اسباطاً لاختلاف رتبهم .

والانبجاس : خروج الماء البخاري بقلة ، والانبجار خروجه بكثرة ، فكان  
يبثدي . بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة ، فلذلك ذكره ههنا بالانبجاس وفي  
البقرة بالانبجار .

والظلة السترة التي تقي من الشمس ، والأغاب عليها العلو .

فجعل الله عز وجل لهم من الغمام ظلة نكسهم لما احتاجوا الى ذلك في التيه كما  
اعطاهم المن والسلوى . والمن ضرب من الحلاوة يسقط على الشجر . والسلوى طائر  
كاسماني . وانما انت « اثنتا عشرة اسباطاً » مع ان السبب ذكر ، لأحد ثلاثة اشياء :

احدهما - اثنتي عشرة فرقة ثم حذف .

الثاني - وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة ، فحذف على هذا التقدير .

الثالث - ان السبب لما وقع على الأمة أنت ، كما قال الشاعر :

وان كلاباً هذه عشر أبطن وانت برى من قبائلها المشر (١)

وقوله تعالى « وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون » معناه : ما نقصونا شيئاً ولكن نقصوا انفسهم بقول العرب : ظلمت سقائك اذا سقيته قبل ان يخرج زبده ، ويقال : ظلم الوادي اذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله فيما مضى ، قال الفراء وانشدني بعضهم :

يكاد يطلع ظلماً ثم يمنعه عن الشواهد فالوادي به شرق (٢)

ويقال هو أظلم من حية . لانها تأتي جحراً لم تحفره فتسكنه ويقال ما ظلمك ان تفعل كذا أي ما منعك . والارض المظلومة التي لم ينلها المطر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَنْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب ( يفر ) بالياء وضمها ، وفتح الفاء الباقون بالنون وكسر الفاء ، وقرأ اهل المدينة ويعقوب ( خطيئاتكم ) على جمع السلامة ورفع التاء ، وقرأ ابن عامر على التوحيد ورفع التاء ، وقرأ ابو عمرو ( خطاياكم ) بغير همز على جمع التكسير ، الباقون وهم ابن كثير واهل الكوفة ( خطيئاتكم ) على جمع السلامة وكسر التاء

( ٢ ) اللسان ( ظلم )

( ١ ) اللسان ( كلب )



## الحجة :

من قرأ « يغفر » جملة على قوله تعالى « وإذا قيل لهم ادخلوا ، يغفر ، والتي في البقرة ( يغفر ) بالنون ، فالنون هناك أحسن لقوله « وإذا قلنا » وجاز ههنا بالنون كأنه قيل لهم ادخلوا يغفر . أي ان دخلتم غمرونا .  
ومن قرأ تغفر بالتاء المضمومة فلانه اسند اليها خطيئاً تم وهو مؤنث فأنت وبني الفعل للمفعول اشبه بما قبله ، لان قبله واذ قيل .  
ومن قرأ بالنون فلقوله « وستزيد المحسنين » .

## اللغة :

وخطايا جمع خطيئة جمع تكسير ( وخطيئاتكم ) مسكناً لأنه يكثر فيه السكون وسميت القرية قرية لأن الماء يقرى اليها يقال قرئت الماء في الحوض أقربه قريباً إذا جمعت . ويجوز ان يكون مشتقاً من اجتماع الناس اليها .

## المعنى :

وقد مضى تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة ( ١ ) فلا معنى لاعادته .  
وإنما نذكر جل ذلك فنقول :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد ﴿ ص ﴾ يقول اذكر يا محمد اذ قيل لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية وهي بيت المقدس على قول وغيره الجبائي من المفسرين .  
وقال الحسين هي ارض الشام .

وقال قوم غير ذلك . وقد ذكرنا اختلافهم في سورة البقرة ( ٢ ) لأنه كان امرهم بدخولها واخراج من فيها من الكفار وغيرهم ووعدهم ان يوسع عليهم فيها الرزق

ويبيحهم ذلك لياً كلوا من حيث شاؤوا ما يريدون من انواع الاغذية والرزق . وقال لهم : « كلوا من حيث شئتم » على كثرة الرزق والغذاء في هذه القرية وفي كل ناحية منها .

وقوله تعالى : « وادخلوا الباب سجداً » يعني متواضعين وكانوا اسروا بأن يدخلوا باباً منه معيناً في هذا الموضع كانوا فيه - في قول الجبائي . وقال ذلك قبل دخولهم الى بيت المقدس قال ولم يرد ان يدخلوا الباب سجداً منحنين . وقال ابن عباس كان هناك باب ضيق اسروا بان يدخلوه ركعاً فدخلوه على استاهم . وقيل لهم « قولوا حطة » أي مغفرة ، فقالوا حنطة . وذكرنا اختلاف الناس في ذلك .

وقوله « وقولوا حطة » معناه قولوا حط عنا ذنوبنا وهو بمنزلة الاستغفار والتوبة . وقوله « نغفر لكم خطاياكم » جواب الأمر وفيه معنى الجزاء . والتقدير انكم ان فعلتم ذلك غفرنا لكم خطاياكم . وقوله « سنزيد المحسنين » معناه سنزيد المحسنين منكم نعماً وفضلاً في الدنيا والآخرة ، ولا تقتصر لهم على نعم هذه القرية .

### الاعراب :

ورفع حطة على تقدير مسئلتنا حطة ومطلوبنا حطة . وان نصب جاز بمعنى حط عنا حطة .

وقوله سجداً نصب على الحال من دخول الباب . وقال ابو علي ليس بحال لدخول الباب ، لانهم بدلوا في حياة موسى .

### قوله تعالى :

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦١﴾ آية  
بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين اسرهم بدخول القرية متواضعين ، وان يقولوا  
حطة لذنوبنا ، انهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم .

والتبدل تغيير الشيء برفعه الى بدل ، فقال الحسن قالوا حنطة بدل حطة .  
وقال قوم : قالوا قولاً ينافي الاستغفار وبخالف التوبة . وقالوا ما يدل على الاصرار .  
واخبر تعالى انه ارسل عليهم عند ذلك رجزاً وهو المذاب والعقوبة جزاء بما  
كانوا يفعلونه من معاصي الله تعالى ويظلمون بها انفسهم .

واصل الرجز المبل عن الحاق منه الرجاسة وما يعدل به الحمل اذا مال عن خفة  
والرجز عبادة الوثن ، والناقاة الرجزاء التي تميل في احد شقيها لداء يمرض لها في عجزها .

### قوله تعالى :

﴿ وَسئَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ  
فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ  
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبَلَّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٢) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة :

القراء كلهم على فتح الياء في قوله تعالى ﴿ لا يسبتون ﴾ وروي عن الحسن ضمها  
من قال أسبتوا اراد دخلوا في السبت ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت اي  
يقومون بأمره كما يفعل المسلمون يوم الجمعة ومثله أجمعنا اي مرت بنا جمعة ، وجمعنا  
شهدنا الجمعة .

قال الفراء قال لي بعض العرب اترأنا أشهرنا منذ لم نلتق؟ يريد مرئياً شهراً .

المعنى :

امر الله نبيه ﴿ ع ﴾ ان يسأل بني اسرائيل الذين كانوا في وقته عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، وعن سبب هلاكها ، سؤال تقرير وتوبيخ لا سؤال استفهام . كما يقول الرجل لغيره انا فعلت كذا؟ وانت تعلم انك لم تفعل ، وانما تسأله لتقريره وتوبيخه ، فوجه امر النبي ﴿ ع ﴾ ان يسأل اهل الكتاب عن اهل هذه القرية مع ما اخبره الله تعالى بقصتها لتقريرهم تقديم كفرهم وتعلمهم ما لا يعلم الا بكتاب او وحي ، وهو ﴿ ع ﴾ لم يكن ممن قرأ الكتب ، فعملوا بذلك ان ذلك وحي انزل عليه .

اللغة والاعراب والمعنى :

وقوله تعالى ﴿ اذ يعدون في السبت ﴾ معناه اذ يظلمون في السبت ، يقال عدا فلان يعدو عدواناً . وعدا عدواً اذا ظلم .

وقوله تعالى ﴿ اذ تأتيتهم حيتانهم ﴾ في موضع نصب يبعدون . والمعنى سالم اذ عدوا في وقت اتيان الحيتان شرعاً اي ظاهرة والحيتان جمع حوت واكثر ما يسمى العرب السمك بالحيتان والنيقان وكانت الحيتان تأتي ظاهرة فكانوا يجتالون بحبسها يوم السبت ثم يأخذونها في يوم الأحد .  
وقال قوم : جأروا بأخذها يوم السبت .

وقوله تعالى ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ اي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم . وموضع الكاف نصب بقوله : ﴿ نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ اي شددت عليهم المحنة بفسقهم .

قال الزجاج ويحتمل ان يكون ﴿ ويوم يسبتون لا تأتيتهم ﴾ كذلك اي لا تأتيتهم

شرعاً ويكون « كذلك نبلونهم » مستأنفاً . والأول قول أكثر المفسرين .  
والوجه في تشديد المحنة التي هي التكليف ان الله تعالى امر بني اسرائيل  
بامساك السبت والتفرغ فيه للعبادة وان لا يتشاغلوا بشي من امر الدنيا فيه فتهاون (١)  
قوم ممن كان يسكن هذه القرية وهي ايلة في قول قوم من المفسرين . وقال قوم هي  
مدين ، ورويا جميعاً عن ابن عباس ، ولم يقوموا بما (٢) وجب عليهم فشدد الله على من  
احذره ، قال الحسن كانت تشرع على ابراهيم كأنها الكباش البيض فيأخذونها  
وتبعد عنهم في باقي الايام وامرهم ان لا يصطادوه يوم السبت فمكأن ذلك تشديداً  
للتكليف وتغليظاً للمحنة والبلوى وكان ذلك عقوبة على تهاونهم بما اوجب الله عليهم  
نخالفوا فأرسلوا الشباك يوم السبت واخرجوها يوم الاحد .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ  
أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَنَّا نَتَّقُونَ ﴾  
(١٦٣) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة :

قرأ حفص وحده عن عاصم « معذرة » بالنصب . الباقرن بالرفع .  
من رفع فعلى تقدير موعظتنا معذرة الى ربكم . ومن نصب فعلى المصدر ،  
كما يقول القائل لغيره معذرة الى الله واليك من كذا على النصب .

(١) في المطبوعة ( فيها فيه ) بدل ( فتهاون ) .

(٢) ( في المطبوعة ولم يعم بما ) بدل ( ولم يقوموا بما ) .

المعنى :

والمعنى قالوا نمتذر معذرة واعذاراً .

قال ابو زيد عذرتهم اعذره عذراً ومعذرة وعذرى . والتقدير واذكر اذ  
قالت أمة منهم لطائفة منهم لم تعظون قوماً علمتم انهم هالكون في الدنيا ويعذبهم الله  
عذاباً شديداً في الآخرة ، فقالوا في جوابهم وعظناهم اعذاراً الى الله اي نعظهم  
اعتذاراً الى ربكم لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم ولعابهم ايضاً بالوعظ يتقون ويرجعون .  
وفي ذلك دليل على انه يجب النهي عن القبيح وإن علم الناهي ان المنهى  
لا يزجر ولا يقبل ، وان ذلك هو ضد الحكمة والصواب الذي لا يجوز غيره .

واختلفوا في هذه الفرقة التي قالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم ؟ هل كانت من  
الناجية او من الهالكة عن الاعتداء في السبت . ذهب اليه ابن عباس وقال نجت  
الطائفتان من الهلاك الناهية والتي قالت لها لم تعظون ، وبه قال السدي .

وقال قوم الفرقة التي قالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة  
ذهب اليه ابن عباس في رواية اخرى عنه .

وقال قتادة عن ابن عباس هم ثلاث فرق التي وعظت والموعظة فنجت الاولى ،  
وهلكت الثانية ، والله اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا لم تعظون  
واختاره البجائي .

وقال الكلبي : هما فرقتان الواعظة والموعظة .

وقال البجائي لم يريدوا بذلك الا نهيهم اياهم عن ذلك القبيح . وانما قالوا ذلك  
على سبيل الاياس من قبولهم منهم .

وقوله « لم » اصله ( لما ) الا انه حذف الالف مع حرف الجر نحو « عم يتساءلون »  
ولم يقولوا ( عن ما ) .

## قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ  
السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَدِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾  
(١٦٤) آية بلا خلاف .

## القراءة واللغة :

قرأ أبو بكر الا العليمي « بيئس » بفتح الباء وبمدها ياء ساكنة وبمدها همزة  
مفتوحة على وزن فيعل . وروي عنه بكسر الهمزة . وقرأ اهل المدينة والداحوني  
عن هشام بكسر الهاء وبمدها ياء ساكنة من غير همز .  
وقرأ مثل ذلك ابن طامر الا الداخوني عن هشام الا انه همز . الباقون بفتح  
الياء وبمدها همزة مكسورة بمدها ياء ساكنة على وزن فعييل .  
وروى خارجة عن نافع بفتح الباء بمدها ياء بلا همز على وزن فعل .

## اللغة والحجة :

قال ابو زيد : قد بؤس الرجل يبؤس بأساً اذا كان شديد البأس وفي البؤس  
بئس وبيس بيأس بؤساً وبيئساً وبأساً . والبأساء الاسم .  
قال ابو علي من قرأ على وزن فعييل يحتمل امرين :  
احدهما - ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس اذا كان شديد البأس مثل « من  
عذاب شديد » قال ابو محمد الفقهسي :

اشعث غير حسن اللبوس      باق على عيش له بئيس  
اي شديد .

والثاني - ان يكون من عذاب ذي بيئس . فوصفه بالمصدر والمصدر قد يجيء على فمیل مثل نكير ونذير وشحيح وعذير الحي ، والتقدير من عذاب ذي بيئس أي عذاب ذي بؤس .

ومن قرأ بكسر الباء من غير همز فانه جعلها اسماً ، فوصفه به مثل قوله ( ص ) إن الله نهى عن قيل وقال ومثله : منذ شب الى رب . ونظيره من الصفة نقض وبصق . ومن فتح الباء من غير همز فهو ايضاً فعل في الاصل وصف به وابدات الهمزة ياء . وحكى سيديويه انه سمع بعض العرب يقول بيئس فلا يحقق الهمزة ويدع الحرف على الاصل الذي هو فعل كانه يسكن العين كما يسكن عن علم ويقاب الهمزة ياء الا أنه لما اسكنها لم يجز ان يجعلها بين بين فأخلصها ياء .

وقراءة ابن عامر مثل قراءة نافع الا ان ابن عامر حقق الهمزة .

وقراءة ابي بكر على وزن فيعل ، فانه جعله وصفاً كضيغم وحيدر وهذا البناء كثير في الصفة ولا يجوز كسر العين من بيئس لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واوآ مثل سيد وطيب ولم يجيء مثل ضيغم وجاء في المعتل حكى سيديويه عيّن وانشد لرؤبة :

ما بال عيني كالشعيب العيّن (١)

فبينبغي ان يحمل بيئس على الوهم عن رواء عن عامر والاعمش بالكسر وقد انشد بعضهم :

كلاهما كان رديساً بيئساً يضرب في يوم الهياج القونسا (٢)

( ١ ) وقيل قائله الطرماح . اللسان ( عين ) العين - بتشديد الياء : الجديد .

( ٢ ) قائله امرىء القيس بن غابس السكندی . تفسير ابن حبان ٤ : ١٤٣

وتفسير الطبري ١٣ : ٢٠٠



أعلى كل شي قونسه بكسر العين .  
 فمن كسر العين حمله على هذه اللفظة .

المعنى :

أخبر الله تعالى أنه لما ترك أهل هذه القرية الرجوع عن ارتكاب المعصية بصيد السمك يوم السبت بعد أن ذكروهم الواعظون ذلك ولم يفتهموا عن ذلك أنه أنجى الناهين عن ذلك واخذ الذين ظلموا أنفسهم بعذاب شديد جزاء بما كانوا يفسقون ويخرجون عن طاعة الله إلى معصيته .

وروي عن عطاء بن رطل أن رجلاً دخل على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي وقد أتى على هذه الآية إلى آخرها ، فقال ابن عباس قد علمت أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يوافقوا المعصية وهي حالنا .

و« نسوا » في الآية معناه تركوا وبجمل ان يكون تركهم القبول في منزلة من نسي ، ولا يجوز ان يكون المراد النسيان الذي هو السهو لانه ليس من فعلهم فلا يذمون عليه .

وقال الجبائي العذاب الشديد لحقهم قبل ان يمسخوا قرده خاسئين .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

(١٦٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

أخبر الله تعالى عن هؤلاء العصاة الذين عصوا بصيد السمك في السبت ونهوا

فلم ينتهوا ووعظوا فلم يتعظوا وانه انزل عليهم العذاب الشديد ، فلما عتوا عما نهى الله وتمردوا في معصيته مسخهم الله قردة خاسئين .

اللغة :

والعاني الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة . والعتوا الخروج الى الجراءة على أخش الذنوب . وقوله ( خاسئين ) معناه مبعدين من قولهم خسأت الكلب اذا اقصيته خساً اي بعد .

المعنى :

وقال الحسن معناه صاغرين وقال ان اهل المسخ يتناسلون .  
وقال ابن عباس لا يتناسلون . واجاز الزجاج كلا الامرين .  
وسئل ابو مالك اكانت القردة والخنازير قبل ان يمسخوا ، قال : نعم وكانوا فيما خلق الله من الامم .  
وقول ابن عباس اصح ، لان المعلوم ان القردة ليست من ولد آدم كما ان الكلاب ليست من ولد آدم .

قال قتادة : صاروا قردة لها اذنان تماوى بعد ما كانوا نساء ورجالا .  
وقوله تعالى : « كونوا قردة » صيغته صيغة الامر والمراد به الاخبار : من انه جعلهم قردة على وجه يسهل عليه ولم يتعب به ولم ينصب كما قال تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون » (١) . وقال « اثتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائمين » (٢) ولم يكن هناك امر لانه تعالى لا يأمر الممدوم ، وانما هو إخبار عن تسهيل الفعل ، واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمومه فيكون

ذلك بلغ في الآية النزلة بهم لما يدل على وقوع الأول الذي تبعه الثاني ، وليس كذلك اذا قلت ، لما جاء المطر خرج النبات .

وقوله تعالى : « ولو ردوا لعادوا » فلا يقع الرد اصلا .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥) آية بلا خلاف .

### المعنى :

التقدير اذكر يا محمد « إذ تأذن ربك » ومعنى تأذن : اعلم ، والعرب تقول

تعلم ان هذا كذا بمعنى اعلم ، قال زهير :

تعلم ان شر الناس حي ينادي في شعارهم يسار (١)

ويسار اسم عبد . وقال زهير ايضا :

فقلت تعلم ان للصيد غرة والا تضيعه فانك قائله (٢)

وقال الزجاج معنى تأذن تألا ربك ليعمثن .

وقال قوم : معناه امر من اذن يأذن .

وقوله : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قسم من

الله تعالى انه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب اي من يوليهم سوء العذاب .

(١) الاغانى - دار الثقافة بيروت - ١٠ : ٣١٧ . الشعار علامة ينصبونها في سفرهم .

(٢) تفسير القرطبي ٧ : ٣٠٩ . وروايته (تضيعها) بدل (تضيعه) .

قال ابو جعفر (ع) وابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن : اراد به اممة محمد (ص) يأخذون منهم الجزية .

فان قيل فقد جعلوا قردة كيف يبقون الى يوم القيامة ؟

قلنا : ان الذكر لليهود فمنهم من مسخ فجعل منهم القردة والخنازير ومن بقي قم بذل من الله ، فهم اذلاء بالقتل او اذلاء باعطاء الجزية ، فهم في كل مكان اذل اهله لقوله تعالى « ضربت عليهم الذلة اينما تمفؤوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » (١) اي الا ان يعطوا الذمة والمهد .

وفي الآية دليل على أن اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيامة ولا عز لهم ايضاً وقيل في معنى البعث ههنا قولان :

احدهما - الامر والاطلاق .

والآخر - التخلية ، وان وقع على وجه المصيبة ، كما قال تعالى : « إنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » (٢) .

وقوله تعالى : « إن ربك لشديد العقاب » معناه ان ربك يا محمد لسريرهم العقاب لمن يستوجبه على كفره ومصيبته « وانه لغفور رحيم » اي صفوح عن ذنوب من تاب إليه من معاصيه ورجع الى طاعته يستر عليهم بعفوه وبفضله رحمة بهم فلا ينبغي لاحد ان يصر وبأمن عقابه بل ينبغي ان يحوز سرعة عقابة فيبادر إلى التوبة والاستغفار .

### قوله تعالى :

﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الْأَصْلَحُونَ وَمِنْهُمْ دُونُ

ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاكُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٧﴾  
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه قطع بني اسرائيل يعني فرقوم فرقا في الارض « انما » يعني جماعات شتى متفرقين في البلاد ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ، وعلى اي وجه فرقوم ؟ قيل فيه قولان :

احدهما - فرقوم حتى تشتت اسرهم وذهب عزم عقوبة لهم .

الثاني - فرقوم على ما علم انه اصلح لهم في دينهم .

ثم اخبر عنهم فقال : من هؤلاء الصالحون يعني من بني اسرائيل الصالحون وهم الذين يؤمنون بالله ورسوله ، ومنهم دون ذلك يعني دون الصالح ، وإنما وصفهم بذلك لما كانوا عليه قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل ان يبعث قوم فيهم عيسى (ع) .

وقوله : « وبلويناكم بالحسنات والسيئات » معناه اختبرناكم بالرخاء في العيش والحفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق ، وهي الحمضات ويعني بالسيئات الشدائد في الحبس والمصائب في الأُفْس والأموال « لعلمهم يرجعون » اي لكي يرجعوا إلى طاعته وينيبوا إلى إمتثال امره .

فان قيل كيف قال لكي يرجعوا الى الحق وهم لم يكونوا عليه قط ؟!

قلنا عنه جوابان :

احدهما - انهم ما رَوْن على وجوههم الى جهة الباطل فدعوا إلى الرجوع إلى جهة الحق لأن الانصراف عن الباطل رجوع إلى الحق .

الثاني - انهم ولدوا على الفطرة وهي دين الحق الذي يلزمهم الرجوع اليه .

## قوله تعالى :

﴿ نَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ  
عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ  
يَأْخُذْهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا  
الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمُذِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ ﴾ ( ١٦٨ ) آية بلا خلاف .

معنى الآية إن الله اخبر انه خلف بعد القوم الذين كانوا فرقتهم في الارض  
خلف وهم قوم نشؤوا بعدهم من اولادهم ونسلهم .  
اللغة :

يقال للقرن الذي يجي في اثر قرن خلف ، والخلف ما اخلف عليك بدلا مما  
أخذ منك . ويقال في هذا خلف ايضاً . فأما ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك ،  
فهو - بفتح اللام - افصح . قال الفراء يقال اعطاك الله خلفاً مما ذهب لك ، فأنت  
خلف صدق وخلف سوء ، قال الله تعالى « نخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة » (١)  
واكثر ما تجي في المدح - بفتح اللام - وفي الذم بتسكينها - وقد تحرك في الذم  
وتسكن في المدح فمن ذلك في تسكين اللام في المدح قول حسان بن ثابت :

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع ( ٢ )

ويقال خلف اللبن اذا حمض من طول تركه في السقاء حتى يفسد . فالرجل الفاسق

(١) سورة مريم آية ٥٩

(٢) ديوانه الفصيحة : ٨ . واللسان ( خلف ) وتفسير القرطبي ٧ : ٣١ وغيرها كثير

مشبه به ، ومنه خلوف فم الصائم وهو تغيره . واما بتسكين اللام في الذم فقول لبيد:  
ذهب الذين يماش في اكنافهم      وبقيت في خلف كجلد الاجرب (١)

المعنى :

وقيل ان الخلف الذين ذكرهم الله في هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم  
النصارى - ذهب اليه مجاهد - وهذا الذي قاله جاز ، وجاز ايضا ان يكون المراد به  
قوم خلفوهم من اليهود .

وقوله تعالى ﴿ ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الاذني ﴾ . قال قوم: كانوا  
يرتشون على الأحكام ، ويحكمون بحجور .

وقال آخرون: كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس ، ومعنى  
« هذا الاذني » هذا العاجل . و « يقولون سيفغر لنا » معناه إذا فعلوا ذلك يقولون  
الله يغفر لنا ذلك تمنياً منهم للباطيل ، كما قال تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب  
بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم  
وويل لهم مما يكسبون » (٢) .

وقوله تعالى ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ دليل على اصرارهم وانهم تمنوا  
ان يغفر لهم مع الاصرار ، لان المعنى وإن جاءهم حرام من الرشوة بعد ذلك اخذوه  
واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه ، وهو قول سعيد بن جبيرة وقتادة والسدي وابن عباس .  
وقال الحسن معناه لا يشبعهم شيء .

وقوله ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا  
ما فيه ﴾ معناه ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الاحكام القائلين سيفغر لنا هذا إذا

(١) ديوانه القصيدة : ٨ . واللسان (خلف) وتفسير القرطبي ٧ : ٣١٠ وغيرها كثير

(٢) سورة البقرة آية ٧٩

عوتبوا على ذلك و « ميثاق الكتاب » هو ما أخذ الله على بني اسرائيل من اليهود باقامة التوراة والعمل بما فيها ، فقال تعالى لهؤلاء الذين قصصهم توبيخاً لهم على خلافهم امره ونقضهم عهده وميثاقه : ألم يأخذ الله عليهم الميثاق في كتابه ان لا يقولوا على الله إلا الحق ، ولا يضيفوا اليه إلا ما انزله على رسوله موسى في التوراة ولا يكذبوا عليه .

وإنما إحتج عليهم بميثاق الكتاب ولم يحتج عليهم بالعقل ، ليعلمنا ما لا نعلمه بما هو في كتبهم من أدلة تؤكد ما في العقل وقوله تعالى : ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ والمعنى قرؤا ما فيه ودرسوه فضيعوه ، وتركوا العمل به .

اللغة :

والدرس تكرر الشيء يقال درس الكتاب اذا كرر قراءته . ودرس المنزل : اذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى يحمى اثره .

المعنى :

وقوله تعالى ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ اي ما أعدده الله تعالى لأوليائه في دار الآخرة من النعيم والثواب وذخره للعاملين بطاعته الحافظين لحدوده « خير للذين يتقون » يعني يجتنبون معاصي الله ويحذرون عقابه .

وقوله : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فن قرأ بالياء معناه أفلا تعقل هذه الطائفة التي تقدم ذكرها وهم الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على احكامهم ويقولون سيغفر لنا . ومن قرأ بالتاء قال معناه قل لهم أفلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به .



اللغة :

وحكي ان طياً تقول في جمع ميثاق ميثاق وفي جمع ميزان ميازين ، وحكى  
غيرهم عن اهل الحجاز ايضاً ذلك وانشد بعض الطائيين :  
حى لا يحل الدهر الا باذتنا ولا نسل الاقوام عقد الميثاق (١)

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ  
أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٦٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة:

قرأ ابو بكر ﴿يمسكون﴾ بتصكين الميم ، الباقون بفتحها وتشديد السين .  
من خفف السين فاقوله تعالى « فامسك بمرفوف » (٢) وقوله « امسك عليك  
زوجك » (٣) وقوله « فكلوا مما امسكن » (٤) .  
ومن شدد اراد التكثير وهو أولى لقوله تعالى « وتؤمنون بالكتاب كله » (٥)  
اي لا تؤمنون ببعضه وتكفرون ببعضه بل يؤمنون بجميعه .  
ويقوي التشديد ماروي عن ابي انه قرأ « مسكوا بالكتاب » ومعني ﴿يمسكون﴾  
اي يأخذون بما فيه من حلاله وحرامه .

(١) قائله عياض بن درة الطائي . اللسان (وثق) . في المطبوعة (تسئل) بدل (نسل)

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٩ (٣) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٤) ، المائة آية ٤ (٥) سورة آل عمران آية ١١٩

### المعنى :

أخبر الله تعالى ان الذين يعملون بما في الكتاب و يقيمون الصلاة مع دخولها في التمسك بالكتاب لجلالة موقمها و شدة تأكدها انه لا يضيع جزاء عملهم ، و يثيبهم بما يستحقونه ، لاني لا اضيع لاحد - أصلح عمله ، فعمل بطاعتي - أجر عمله ، وهو قول ابن زيد و مجاهد ، و جميع المفسرين . و التقدير انا لا نضيع اجر المصلحين منهم لأن من كان غير مؤمن و اصلح فأجره ساقط ، لانه بوقمه على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب .

### اللغة و الاعراب :

و يمسكون بالكتاب و يمسكون و يتمسكون و يتمسكون بمعنى واحد اي يمتصمون به و يعملون بما فيه . و خير الذين قوله : ﴿ انا لا نضيع اجر المصلحين ﴾ فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلوم .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ أَعَلَيْكُمْ نَتَقُونَ ﴾ ( ١٧٠ )  
آية بلا خلاف .

### المعنى :

هذا خطاب لنبينا محمد ﴿ ص ﴾ يقول الله له : اذكر يا محمد الوقت الذي نتقنا فيه الجبل اي رفعناه فوقهم حتى صار كأنه ظلة .  
وقيل انه رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ .

## اللغة :

وامرأة منتاق وناقق كثيرة الولد . وقال ابن الاعرابي الناقق الراقع ، والناقق  
الفاثق ، والناقق الباسط ، وقال المعجاج :

ينتق انتاق الشليل نتقا (١)

يعني برفعه عن ظهره . وقال الآخر :

ونتقوا احلامنا الا ناقلا (٢)

وقال النابغة :

لم يحرموا حسن الغذاء وامهم      دحقت عليك بناثق مذكار (٣)  
ويروى طفحت عليك بناثق . ويقال نتق السير اذا حركه . ويقال ما ينتق  
برجله ولا يركض والنتق نتق الدابة صاحبه - ا حين تعدو به وتتبعه حتى تربو  
فذلك النتق (٤) .

وقال بعضهم معنى ﴿ نتقنا الجبل فوقهم ﴾ فرؤناهم بنتقه نتقا . قال سميت  
من يقول اخذ الجراب فنتق ما فيه اذا نثر ما فيه . ابو عبيدة اصل نتقت كل شيء .

المعنى :

وقوله عز وجل ﴿ كأنه ظلة ﴾ يعني به غماماً من الظلال . وقوله ﴿ وظنوا انه

(١) ديوانه : ٤٠ . وتفسير الطبري الطبعة الثانية ٩ : ١٠٩ وكان في المطبوعة :  
( يبيق انتاق الشليل نتقا ) .

(٢) اللسان ( نتق ) . وتفسير الطبري الطبعة الثانية ٩ : ١١٠ .

(٣) اللسان ( نتق ) . ، ، ، ٩ : ١١٠ ومختار الشعر الجاهلي : ١٦٨ .

(٤) كان في المطبوعة ( النتيق نيق الدابة صاحبه يعني يمدوا به وسعة تربو  
فلذلك النتق ) .

واقم بهم ﴿ قال الحسن معناه علموا .

وقال الجبائي والرماني هو الظن بعينه ، لأنه قوي في نفوسهم ذلك .  
وقوله ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ اي قلنا لهم خذوا ما آتيناكم بجهد يعني  
ما أئزمناكم من احكام كتابنا . وفرائضه فأقبلوه باجتهاد منكم في اوانه من غير  
تقصير ولا توان .

وقال الجبائي معناه خذوه بالقدرة التي آتاكم الله واقدركم بها لانهم لو لم يكونوا  
قادرين لما كلفهم الله ذلك . وذلك يفسد مذهب من قال القدرة مع الفعل .  
وقوله ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ معناه ما في كتابه من العهود والمواثيق التي اخذناها  
عليكم ، بالعمل بما فيه لكي تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بترككم العمل به . إذا ذكرتم  
ما اخذ عليكم فيه من المواثيق .

وكان سبب رفع الجبل عليهم ان موسى ﴿ ع ﴾ لما أتاهم بالتوراة ووقفوا على  
ما فيها من الاحكام والحدود والتشديد في العبادة أبوا ان يقبلوا ذلك وان يتمسكوا  
به وان يعملوا بما فيه . وقالوا ان ذلك يغلظ علينا ، فرفع الله الجبل كالظلة عليهم ،  
وعرفهم موسى انهم ان لم يقبلوا التوراة ولم يعملوا بما فيها وقع عليهم فأخذوا  
بالتوراة وقبلوا ما فيها وصرف الله نزول الجبل عليهم . قال ابن عباس فلذلك صارت  
اليهود تسجد على قرنها الايسر لانهم سجدوا كذلك ينظرون الى الجبل وكانها  
سجدة نصبها الله . وانما اتخذت النصراني المشرق قبلة لان مريم عليها السلام اتخذت  
مكاناً شرقياً حين حملت بعميسى ﴿ ع ﴾ .

وقال مجاهد معناه ان اخذتموه بجهد وحسن نية والا التي الجبل عليكم .  
وقال ابو مسلم ان رفع الجبل كان ليظلمهم من الغمام وذلك خلاف اقوال  
المفسرين وما يقتضيه سياق الكلام .

## قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ  
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧١) أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ  
وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ آبَاؤُنَا بِإِيتَانِ آيَاتِنَا بِإِخْلَافٍ.

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابن كثير واهل الكوفة « ذريتهم » على التوحيد . الباكون ذرياتهم على  
الجمع . وقرأ ابو عمرو « وان يقولوا ، أو ان يقولوا » بالياء فيها . الباكون بالتاء .  
الذرية قد يكون جمعاً نحو قوله تعالى « وكننا ذرية من بعدهم » وقوله تعالى  
« ذرية من حملنا مع نوح » (١) وقد يكون واحداً كقوله : « هب لي من لدنك  
ذرية طيبة ... فنادته الملائكة... إن الله يبشرك بيحيي » (٢) فهو مثل قوله : « هب  
لي من لدنك ولياً يرثني » (٣) فقال الله : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي » (٤)  
فن أفرد جملة اسماً واستغنى عن جمعه بوقوعه على الجمع .  
ومن جمع قال : لانه ان كان واقماً على الواحد فلا شك في جواز جمعه وإن كان  
جمعاً فجمعه ايضاً حسن ، لانه قد وردت الجموع المكسرة وقد جمعت نحو الطرقات  
وصواحبان يوسف .

وحجة من افرد قال لا يقع على الواحد والجمع . فاما وزن ( ذرية ) فانه يجوز

( ٢ ) سورة آل عمران آية ٣٨

( ٤ ) ، مريم آية ٦

( ١ ) سورة الاسراء آية ٣

( ٣ ) ، مريم آية ٤

ان تكون فعلولة من الذر فأبدلت من الراء التي هي لام الفعل الاخيرة ياء كما أبدلت من دهرية ، يدل ذلك على البديل فيه قولهم دهرورة ، ويحتمل ان تكون فعلية منه فأبدلت من الراء الياء كما تبدل من هذه الحروف في التضعيف وان وقع فيها الفصل . ويحتمل ان تكون فعلية نسبة الى الذر وابدلت الفتحة منها الضمة كما ابدلوا في الاضافة الى الدهر دهري والى سهل سهلي .

ويجوز ان تكون فعلية من ذرأ الله الخلق ، أجمعوا على تخفيفها كما اجمعوا على تخفيف البرية .

ويجوز ان يكون من قوله ﴿ نذروه الرياح ﴾ (١) ابدلت من الواو الياء لوقوع ياء قبلها وحجة ابي عمرو في قراءته بالياء ان ما تقدم ذكره من الغيبة وهو قوله عز وجل « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم » كراهية ان يقولوا او اثلا يقول ، ويؤكد ذلك ما جاء بعد من الاخبار عن الغيبة وهو قوله : « قالوا بلى » .

وحجة من قرأ بالتاء انه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله « ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا » وكلا الوجهين حسن ، لان الغيب هم المخاطبون في المعنى .

### المعنى :

هذا الخطاب للنبي ﴿ ع ﴾ قال الله تعالى له : واذكر ايضاً الوقت الذي اخذ الله فيه من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم السنت بر بكم . واختلفوا في معنى هذا الاخذ فيه وهذا الاشهاد :

فقال البلخي والرماني اراد بذلك البالغين من بني آدم واخرجه اياهم ذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر واشهادهم اياهم على انفسهم تبليغه اياهم واكمله عقولهم ،

وما نصب فيها من الأدلة الدالة بأنهم مصنوعون وأن المصنوع لا بد له من صانع وبما أشهدهم مما يحدث فيهم من الزيادة والنقصان ، والآلام والأمراض الدال بجميع ذلك على أن لهم خالقاً رازقاً يجب معرفته والقيام بشكره ، وما أخطر بقلوبهم من تأكيد ذلك والحث على الفكر فيه ثم إرساله لرسول وانزاله الكتب ، لئلا يقولوا إذ صاروا إلى العذاب أنا كنا عن هذا غافلين لم يذنب علينا ولم تقم لنا حجة عليه ولم تكمل عقولنا فنفكر فيه ، أو يقول قوم منهم إنما أشرك آبؤنا حين بلغوا وعقلوا فلما نحن فكنا أظمالا لا نعقل ولا نصلح للمكرة والنظر والتدبير .

وقال الجبائي أخذه ذرياتهم من ظهورهم أنه خلقهم نطقاً من ظهور الآباء ثم خلقهم في أرحام الأمهات ثم نقلهم من خلقة إلى خلقة ، وصورة إلى صورة ثم صاروا حيواناً بان أحياءهم الله في الأرحام وأنهم خلقهم ثم أخرجهم من الأرحام بالولادة .

وقوله تعالى : « واشهدهم على أنفسهم » يعني عند البلوغ وكمال العقل وعندما عرفوا ربهم فقال لهم على لسان بعض أنبيائه « أأست بر بكم » ؟ فقالوا : بلى شهدنا بذلك وأقررنا به لأنهم كانوا بالله عارفين أنه ربهم .

وقوله تعالى « ان تقولوا أنا كنا عن هذا غافلين » معناه لئلا تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فأراد بذلك أني أنا قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين .

وقوله تعالى « أو تقولوا إنما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » فنشأنا على شركهم فتحتملوا يوم القيامة بذلك فبين أني قد قطعت بذلك حججكم هذه بما قررتكم به من معرفتي وأشهدتكم على أنفسكم بأقراركم وبمعرفتكم إياي .

وقوله « افتعلنا بما فعل المبطلون » من آياتنا . وهذا يدل على أنها مخصوصة في قوم من بني آدم وانها ليست في جميعهم لأن جميع بني آدم لم يؤخذوا من ظهور بني آدم لأن ولد آدم لصلبه لا يجوز أن يقال أنهم أخذوا من ظهور بني آدم

فقد خرج ولد آدم لصلبه من ذلك وخرج أيضاً اولاد المؤمنين من ولد آدم الذين لم يكن آباؤهم مشركين لانه بين ان هؤلاء الذين اقرؤا بجمرفة الله واخذ ميثاقهم بذلك كان قد سلف لهم في الشرك آباء فصيح بذلك انهم قوم مخصوصون من اولاد آدم .  
فأما ما روي ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالنذر، فان ذلك غير جائز لان الاطفال فضلا عن هو كالنذر لا حجة عليهم ولا يحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف ثم ان الآية تدل على خلاف ما قالوه لان الله تعالى قال :  
« وإذا أخذ ربك من بني آدم » وقال « من ظهورهم » ولم يقل من ظهره . وقال « ذريتهم » ولم يقل ذريته ثم قال « او تقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » فأخبر ان هذه الذرية قد كان قبلهم آباء مبطلون وكانوا هم بعدهم .

على ان راوي هذا الخبر سليمان بن بشار الجهني وقيل مسلم بن بشار عن عمر ابن الخطاب . وقال يحيى بن معين سليمان هذا لا يدري ابن هو . وايضاً فتمليل الآية يفسد ما قالوه لانه قال فعلت هذا ائلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .  
والمقالة اليوم في دار الدنيا عن ذلك غافلون .

فان قيل نسوا ذلك لطول العهد او لان الزمان كان قصيراً كما يعلم الواحد منا اشياء كثيرة ضرورة ثم ينساها كما ينسى ما فعله في أمسه وما مضى من عمره .  
قلنا : إنما يجوز ان ينسى ما لا يتكرر العلم به ولا يشتد الاهتمام به فأما الامور العظيمة المخارفة للعادة ، فلا يجوز ان ينساها العاقل . ألا ترى ان الواحد منا لو دخل بلاد الزنج ورأى الأفيلة ولو يوماً واحداً من الدهر لا يجوز ان ينسى ذلك حتى لا يذكره اصلاً مع شدة اجتهاده واستذكاره ؟ ولو جاز ان ينساها واحد لما جاز ان ينساها الخلق بأجمعهم . ولو جوزنا ذلك للزمننا مذهب التماسخ وان الله كان قد كلف الخلق فسباً مضى واعادهم ، اما لينعمهم او ليماقبهم . ونسوا ذلك ، وذلك



يؤدي إلى التجاهل .

على ان اهل الآخرة يذكرون ما كان منهم من احوال الدنيا ولم يجب ان ينسوا ذلك لطول العهد ، ولا المدة التي مرت عليهم وهم اموات . وكذلك اصحاب الكهف لم ينسوا ما كانوا فيه قبل نومهم لما انتبهوا مع طول المدة في حال نومهم ، فعلمنا ان هؤلاء العقلاء لما كانوا شاهدوا ذلك وحضروه وهم عقلاء لما جاز ان يذهب عنهم معرفة ذلك لطول العهد ، ولو يجب ان يكونوا كذلك عارفين .

وقال قوم وهو المروي في اخبارنا انه لا يمنع ان يكون ذلك مختصاً بقوم خلقهم الله واشهدهم على انفسهم بعد ان اكل عقولهم واجابوه بـ ( بلى ) ، وهم اليوم يذكرونه ولا يغفلون عنه ، ولا يكون ذلك عاماً في جميع العقلاء وهذا وجه ايضاً قريب يحتمله الكلام .

وحكى ابو الهذيل في كتابه الحجة : ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة نواب عن ايمانهم في الذر .

وحكى الرماني عن ابن الاحبار : انه كان يخبر خبر الذر غير انه يقول ليس تأويل الآية على ذلك . وإنما فعل ليجروا على الاعراف الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله بالوحدانية ، كما روي انهم ولدوا على الفطرة .

ويدل على فساد قولهم قوله تعالى « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » (١) فهم لو كانوا اخرجوا من ظهر آدم على صورة الذر كانوا ابعدهم من ان يعلموا او يعقلوا ومتى قالوا اكل الله عقولهم فقد مضى الكلام عليهم .

وذكر الازهري وروي ذلك عن بعض من تقدم ان قوله : « واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألمت بر بكم قالوا بلى » تمام الكلام . وقوله « شهدنا ان تقولوا يوم القيامة » حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون

شهدنا لثلاث قولوا .

وهذا خلاف الظاهر وخلاف ما عليه جميع المفسرين لأن الكل قالوا ( شهدنا ) من قول من قال ( بلى ) وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر ، فكيف يكون ذلك اخباراً عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُرْجَمُونَ ( ١٧٣ ) ﴾

آية بلا خلاف .

المعنى :

إنا كما بينا لكم هذه الآيات كذلك تفصلها للعباد وتبينها لهم . وتفصيله الآيات هو تمييز بعضها من بعض ليتمكنوا من الاستدلال بكل واحدة منها على جهتها وبين انه فعل ذلك بهم ليتوبوا وليرجموا عن معاصيه الى طاعته وعن الكفر الى الايمان به .

قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ( ١٧٤ ) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﴿ ص ﴾ يأمره بأن يقرأ على بني اسرائيل وغيرهم من امته خبر الذي اتاه الله حججه وبياناته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان .

وكان من جملة الغاوين الخائبين الخاسرين . وقيل معناه الضالين الهالكين .  
واختلفوا في المعنى بقوله « آتيتاه آياتنا » :

فقال ابن عباس ومجاهد : هو بلعام بن باعورا من بني اسرائيل . وقال : معنى  
« فأنسلخ منها » ما نزع منه من العلم .

وروي عن عبد الله بن عمرو أنها نزلت في أمية بن أبي الصلت . وقال مسروق  
وعبد الله : هي في رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعورا .  
وقال قوم هو رجل من الكذمانيين .

وقال الحسن هذا مثل ضربه الله للكافر اتاه الله آيات دينه : « فأنسلخ منها »  
يقول اعرض عنها وتركها « فأتبعه الشيطان » خذله الله وخلي عنه وعن الشيطان ،  
وهو مثل قوله تعالى « كتب عليه انه من نولاه فإنه يضلّه » (١) اي كتب على  
الشيطان انه من تولى الشيطان فإن الشيطان يضلّه .

وقال الجبائي اراد به المرتد الذي كان الله اتاه العلم به وبآياته فكفر به وبآياته  
وبدينه من بعد ان كان به طرفاً فأنسلخ من العلم بذلك ومن الايمان .  
وقوله « فأتبعه الشيطان » معناه ان الشيطان اتبعه كفار الانس وغوانهم  
حتى اتبعوه على ما صار اليه من الكفر بالله وبآياته .

وقيل اتبعه الشيطان بالترزين والاغواء حتى تمسك بمجبله وكانت من الغاوين  
الخائبين من رحمة الله ، قال وهو رجل من المتقدمين يقال له بلعام بن باعورا .

### اللغة والمعنى :

اتبعه الشيطان ، واتبعه لغتان وبالتخفيف معناه قفاه وبالتشديد حذا حذوه  
واذا اردت اقتدا به فبالتشديد لا غير . فأما ما روي ان الآية كانت النبوة

( ٢ ) سورة الحج آية ٤

فانه باطل فان الله تعالى لا تؤتي نبوته من يجوز عليه مثل ذلك وقد دل دليل العقل والسمع على ذلك قال الله تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (١) وقال ﴿ المصطفين الأخيار ﴾ (٢) فكيف يختار من يفسخ عن النبوة .

وقيل ان الآية كانت الاسم الأعظم وهذا ايضاً نظير الاول ، لا يجوز ان يكون مراداً والقول هو ما تقدم من اكثر المفسرين ان المعنى به بلعم بن باعورا . ومن قال امية بن ابي الصلت قال كان اوتي علم الكتاب فلم يعمل به . والوجه الذي قاله الحسن يليق بمذهبنا دون الذي قاله الجبالي ، لان عندنا لا يجوز ان يرتد المؤمن الذي عرف الله على وجه يستحق به الثواب .

والنبا الخبر عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة : نباه الله جملة نبياً وإنما آناه الله الآيات باللفظ حتى تعلمها وفهم معانيها وقال ابو مسلم الآية في كل كافر بين الله له الحق فلم يتمسك به . وقال أبو جعفر (ع) في الاصل بلعم ثم ضرب مثلالكل ، وثر هواه على هدى الله تعالى من اهل القبلة .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٥) آية بلا خلاف .

### المعنى :

الهاء في ( لرفعناه ) كناية عن الذي تقدم ذكره ، وهو الذي آناه الله آياته

قانسخ منها ، فأخبر الله تعالى انه لو شاء لرفعہ بتلك الآيات .  
واختلفوا في معنى هذه المشيئة فقال الجبائي : المعنى لو شئنا لرفعناه بإيمانه ومعرفته  
قبل ان يكفر لكن ابقيناه ليزداد الايمان ، فكفر .  
وقال البلخي هذا أخبار عن قدرته انه لو شاء لحال بينه وبين الكفر  
والارتداد وهو الذي نختاره ، لانا قد بينا ان المؤمن لا يجوز ان يرتد .  
وقال الزجاج : معناه لو شئنا ان نحول بينه وبين المصيبة لقمنا .  
وقوله « ولكننه اخلد الى الارض » معناه سكن الى الدنيا وركن اليها ولم  
يسم الى افرض الأعلى .

اللغة :

يقال اخلد فلان الى كذا وكذا وخذ ، وبالالف أكثر في كلام العرب ، والمبنى  
انه سكن الى لذات الدنيا وانبع هواه اي لم نرفعه بالآيات لاتباع هواه .  
وقيل معنى اخلد قعد . ويقال فلان مخذ اذا ابطأ عنه الشيب ومخذ اذا لم تقط  
اسفانه . هكذا ذكره الفراء . ومن الدواب الذي تبقى ثنياه حتى تخرج رباعيته .  
وأخذ بالمكان اذا اقام به ، قال زهير :

لمن الديار غشيتها بالفدود      كالوحي في حجر المسيل المخلد (١)

وقال مالك بن نويرة :

بأبناء حي من قبائل مالك      وعمرو بن ربوع اقاموا فأخذوا (٢)

( ١ ) ديوانه ٢٦٨ . واللسان ( خلد ) . و ( الفدود ) الفلاة التي لا شيء بها .  
وقيل : هي الارض الغليظة ذات الحصى . وقيل غير ذلك . و ( الوحي ) الكتابة .  
و ( حجر المسيل ) هو حجر صلب يكتبون فيه .

( ٢ ) الاصمعيات : ٣٢٣ .

وقال ابو عبيدة هو الزوم للشيء والتعاس فيه .  
وقال سعيد بن جبير معناه وركن الى الارض . وقال مجاهد معناه سكن اليها  
المعنى :

وقوله : « فمثل كمثل الكلب » ضرب الله مثل التارك لآياته والعاقل عنها بأخص مثل في  
أخص احواله فشبهه بالكلب ، لان كل شيء يلهث فأنما يلهث في حال الاعياء والكلال إلا  
الكلب فإنه يلهث في حال الراحة والتعب . وحال السحة وحال المرض وحال الري  
وحال العطش وجميع الاحوال ، فمما تعالى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال  
كالكلب ان طردته وزجرته فإنه يلهث وان تركته يلهث وهو مثل قوله : « وإني  
تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ »  
وقوله تعالى « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » يعني هذا المثل الذي  
ضربه بالكلب هو مثل الذين كذبوا بآيات الله .

وقال الجبائي إنما شبهه بالكلب لانه لما كفر بعد أيمانه صار يعادى المؤمنين  
ويؤذيهم ، كما ان الكلب يؤذي الناس طردته او لم تطرده فإنه لا يسلم من اذاه .  
وقوله تعالى « فأقصص القصص » معناه فأقصص على الناس ما نبينه لك لكي  
يتذكروا ويتفكروا فيرجعوا الى طاعة الله ويتزجروا عن معاصيه .  
وقال ابن جريج مثله بالكلب لان الكلب لا فؤاد له فيقطعه الفؤاد حملت عليه  
او تركته ، شبه من ترك الآيات كأنه لا فؤاد له .  
واللهث التنفس الشديد من شدة الاعياء وفي الكلب طباع يقال : لهث يلهث لهثاً فهو  
لاهث ولهثان .

قوله تعالى :

﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا ﴾

يَظْلِمُونَ ﴿١٧٦﴾ آية بلا خلاف .

التقدير ساء مثلاً مثل القوم وحذف لدلالة الكلام عليه و « انفسهم » نصب بـ ( يظلمون ) وصف الله تعالى هذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه ساء مثلاً اي بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وانهم بذلك لا يظلمون إلا انفسهم دون غيرهم لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم فان الله تعالى لا يضره كفرهم ولا معصيتهم كما لا ينفعه طاعتهم وایمانهم .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَاُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٧٧) آية بلا خلاف .

فهو المهتدي كتب ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء واثبت الياء في اللفظ ههنا جميع القراء .

وقال الجبائي معنى الآية من يهديه الله الى نيل الثواب ، كما يهدي المؤمن الى ذلك وإلى دخول الجنة فهو المهتدي للإيمان والخير ، لان المهتدي هو المؤمن فقد صار مهتدياً إلى الإيمان وإلى نيل الثواب . ومن يضلّه الله عن الجنة وعن نيل ثوابها عقوبة على كفره او فسقه ، « فأولئك هم الخاسرون » لانهم خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها .

وقال البلخي المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية وأجاب اليها ، والذي أضله الله هو الضال الذي اختار الضلالة فأضله الله بمعنى خلى بينه وبين ما اختاره وترك منعه بالخير على انه إذا ضل عن أمر الله عند امتحانه وتكليفه جاز ان يقال إن الله أضله .

وقيل معنى « من يهدي الله » من حكم الله بهدائه فهو المهتدي ومن حكم  
بضلالته فهو الخاسر الخائب .

### قوله تعالى :

وَأَقْدَرْنَا لْجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ  
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ  
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ( ١٧٨ )  
آية بلا خلاف .

### المعنى واللغة .

معنى « ذرأنا » خلقنا يقال ذرأهم يذرأهم . واللام في ( لجهنم ) لام العاقبة . والمعنى انه  
لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم وقبح اعمالهم جاز ان يقال انه « ذرأهم » والذي  
يدل على أن ذلك جزاء على اعمالهم قوله « لهم قلوب لا يفقهون بها » واخبر عن ضلالهم  
الذي يصيرون به الى النار وهو مثل قوله تعالى « إنما علمي لهم ليزدادوا إثمًا » ( ١ )  
ومثل قوله « ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا  
عن سبيلك » ( ٢ ) ومثل قوله عز وجل « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً  
وحزناً » ( ٣ ) وإنما التقطوه ليكون قرّة عين كما قالت امرأة فرعون عند التقاطه « قرّة  
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذة ولدًا » ( ٤ ) ومثله قول القائل :  
اعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فاستنده بها وهو لا يريد ميل الحائط . ومثله قول الشاعر :

( ٢ ) سورة يونس آية ٨٨

( ١ ) سورة آل عمران آية ١٧٨

( ٤ ) القصص آية ٩

( ٣ ) القصص آية ٨



وللموت تغذو الوالدات سخاها  
وقال الآخر :  
كما لخراب الدهر تبني المماكن (١)

اموالنا لذوي الميراث نجمها  
وقال الآخر :  
ودورنا لخراب الدهر نبنيها (٢)

وام سماك فلا تجزعي  
وقال آخر :  
فلموت ما تلد الوالدة (٣)

لدوا للموت وابنوا للخراب  
فكلكم يصير الى ذهاب (٤)  
وقوله « لهم قلوب لا يفقهون بها وهم اعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها » معناه انهم لما لم يفقهوا بقلوبهم ولم يسمعوا باذانهم ولم يبصروا بعيونهم ما كانوا يؤمرون به ويدعون اليه سموا بكما عمياً صماً . ولم يسمعون بجوارحهم اشبهوا العمي البكم الصم ، لان هؤلاء لا يفتقون بجوارحهم فاشبهوهم في زوال الانتفاع بالجوارح وسموا باسمائهم ، ومثله قول مسكين الدارمي :

اعمى اذا ماجرتي خرجت حتى يوارى جارتى الخدر

ويصم عما كان بينها سمعي وما بي غيره وقر (٥)

فجعل نفسه اصماً واعمى لما لم ينظر ولم يسمع .

وقال آخر :

(١) قائله سابق البربري . وفي بعض الروايات البريدي . العقد الفريد ١ : ٢٦٩ .

(٢) مر هذا البيت في ٣ : ٦٠ (٣) انظر ٣ : ٦٠ من هذا الكتاب .

(٤) روح المعاني ٩ : ١١٨ وقد مر هذا البيت في ٣ : ٦٠ من هذا الكتاب .

(٥) تفسير الطبري الطبعة الثانية ٩ : ١٣٢ . وروايته « الستر » بدل « الخدر »

و « وما بالسمع من وقر » بدل « وما بي غيره وقر »

وقد مر البيتان في ١ : ٩٠ وفي ٢ : ١١٣ من هذا الكتاب .

وكلام سيء قد وفرت اذني عنه وما بي من صمم (١)  
وقال آخر :

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم اذنوا (٢)  
وهذا كثير . ويجوز ان يكون قوله تعالى « ذرأنا لجهنم » معناه ميزنا .

ويقال ذرأت الطعام والشعير اي ميزت ذلك من التبن والمدر فلما كان الله تعالى قديم اهل النار من اهل الجنة في الدنيا بالتسمية والحكم والشهادة جاز ان يقول ذرأناهم اي ميزناهم . ثم وصفهم بصفة تخالف اوصاف اهل الجنة يعرفون بها فقال « لهم قلوب لا يفقهون بها » إلى آخرها .

ويجوز ان يكون قوله « ذرأنا » بمعنى سنذراً كما قال : « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار » (٣) بمعنى حينادون ، فكأنه قال سيخلقهم خلقاً نانياً للنار باعمالهم التي تقدمت منهم في الدنيا إذ كانوا استحقوا النار بتلك الاعمال .

ولا يجوز ان يكون معنى الآية إن الله خلقهم لجهنم واراد منهم ان يفعلوا المعاصي ، فيدخلوا بها النار ، لان الله تعالى لا يريد القبيح ، لان إرادة القبيح قبيحة ولان مرید القبيح منقوص عند العقلاء تعالى الله عن صفة النقص ، ولانه قال « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (٤) فبين انه خلق الخلق لامباداة والطاعة وقال « وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع » (٥) وقال « ولقد صرفناه بينهم ليعبدوا » (٦)

(١) لم أجده في مظانه فيما حضرني من المصادر .

(٢) قائله قنع بن ام صاحب اللسان (أذن) . وتاج العروس (أذن) وروايتها

(بشر) بدل (بسوء) . وفي مجاز القرآن ١ : ١٧٧ وروايتها هكذا :

إن يسمعوا ربية طاروا بها فرحا وإن ذكرت بسوء عندهم اذنوا

(٣) سورة الاعراف آية ٤٣ (٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٥) سورة النساء آية ٦٣ (٦) سورة الفرقان آية ٥٠ .

وقال « ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (١) وقال « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله » (٢) ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ، فكيف يقول بعد ذلك ولقد « ذرأنا لجهنم » وهل هذا إلا تناقض تنزه كلام الله عنه .

وقوله « أولئك كالأنعام » يعني هؤلاء الذين لا يتدبرون بآيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق رسوله أشباه الأنعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم ثم قال « بل هم أضل » يعني من البهائم ، لان في البهائم ما اذا زجرتها انزجرت واذا ارشدها الى طريق اهتدت . وهؤلاء لعنوم ، وكفرهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من المقول التي تدلهم على الرشاد وتصرفهم عن الضلال وليس ذلك في البهائم ومع ذلك تهتدى الى منافعها وتتحرز عن مضارها . والكافر لا يفعل ذلك ، ثم قال « أولئك هم الغافلون » يعني هؤلاء هم الغافلون عن آياتي وحججتي والاستدلال بها والاعتبار بتدبرها على ما يدل عليه من توحيده ، لان البهائم التي هي مسخرة مصروفة لا اختيار لها .

### قوله تعالى :

﴿ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ( ١٧٩ ) آية اجماعاً .

### القراءة واللغة :

قرأ حمزة « يلحدون » بفتح الحاء والياء ههنا وفي النحل وحم السجدة وانفقه الكسائي وخلف في النحل والباقون بضم الياء . من قرأ بكسر الحاء ، فلقوله « ومن

يرد فيه بالحاد» وألحد أكثر في الكلام قال الشاعر :

ليس الامام بالشحيح الملحد ولا يكاد يسمم لاحد ( ١ )  
والاحاد المدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في  
جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه فمعنى « يلحدون في آياتنا » يجوزون  
عن الحق فيها .

وروى أبو عبيدة عن الاحمر : لحدت جرت وملت . وألحدت ما ريت وجادلت  
قال : وقال ابو عبيدة : لحدت له والحدت للميت بمعنى واحد .

المعنى .

قال ابن جريج اشتقوا العزى من العزيز واللات من الله . وكان ذلك الحاداً .

وقال ابن عباس الحادهم تكذيبهم .

وقال قتادة هو شر كههم .

وقال قوم هو تسميتهم الاصنام بانها آلهة .

اخبر الله تعالى ان له الاسماء الحسنى نحو قوله تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾  
وغير ذلك من الأسماء التي تليق به ، وهي الأسماء الراجعة إلى ذاته او فعله نحو العالم  
العادل والسميع البصير المحسن المجمل وكل اسم لله فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز  
عليه . وامر تعالى ان يدعوه خلقه بها وان يتركوا اسماء اهل الجاهلية وتسميتهم  
اصنامهم آلهة ولاتاً وغير ذلك .

وقال الجبائي : يحتمل ان يكون اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله والعزيز  
بأنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

( ١ ) قائله حميد بن ثور . اللسان د لحد ، وقبلها :

قدنى من نصر الخبيبين قدنى

وقال قوم هذا يدل على انه لا يجوز ان يسمى الله إلا بما سمي به نفسه .  
 وقوله « وذرّوا الذين يلحدون » فيه تهديد للكفار وان الله تعالى سيعاقبهم  
 على تدوهم عن الحق في تغيير اسمائه .  
 وقوله تعالى « سيعجزون ما كانوا يعملون » معناه سيعجزون جزاء ما كانوا  
 يعملون من المعاصي بأنواع العذاب .  
 قال الرماني الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة ، والفعل كلمة تدل على  
 المعنى دلالة الافادة . والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري  
 عليه تابعة له .

### قوله تعالى:

﴿ وَرَمَّيْنَا خَلْقَنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٨٠)

آية بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى ان من جملة من خلقه جماعة يهتدون بالحق . وهداهم بالحق هو دعائهم  
 الناس إلى توحيد الله وإلى دينه وتذبيرهم ايامهم على ذلك .  
 وقال قوم معنى ( يهتدون ) يهتدون « وبه يعدلون » معناه انهم يعملون  
 بالعدل والانصاف فيما بينهم وبين الناس .  
 وهذا إخبار ان فيما خلق قوماً هذه صفتهم ولا يدل ذلك على ان في كل عصر  
 يوجد قوم هذه صفتهم ولو لم يوجدوا الا في وقت واحد كانت الفائدة حاصلة بالآية ،  
 فلا يمكن الاستدلال بها على ان اجماع اهل الأعصار حجة .  
 على ان عندنا انه لا يخلوا وقت من الاوقات ممن يحب اتباعه وثبت عصمته

ويكون حجة الله على خلقه فيمكن ان يكون المراد بالآية من ذكرناه .  
وقال ابو جعفر (ع) وقتادة وابن جريج الآية في امة محمد (ص) وهو  
مثل قوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ (١) فكما انه لا يدل على وجود  
أئمة في كل وقت فكذلك ما قالوه .

### قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَعْلَمُونَ (١٨١) وَأُمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٨٢) آياتان بلاخلاف .

المعنى :

المعنى إن الذين كذبوا بآيات الله التي تضمنها القرآن والمعجزات الدالة  
على صدق النبي (ع) وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدراجاً لهم  
الى الهلكة حتى يقعوا فيها بغتة من حيث لا يعملون ، كما قال تعالى : « بل تأتيهم بغتة  
فتبهمهم فلا يستطيعون ردها » ( ٢ ) وقال : « فيأتهم بغتة وهم لا يشعرون » ( ٣ )  
فيقولوا هل نحن منظرون ؟

ويجوز ان يكون من عذاب الآخرة .

فأما من قال من المجبرة ان معنى الآية ان الله يستدرجهم الى الكفر والضلال  
فباطل ، لان الله تعالى لا يفعل ذلك لانه فيبيح ينافي الحكمة ثم ان الآية بخلاف ذلك  
لانه بين ان هؤلاء الذين يستدرجهم كفار بالله ورسوله وآياته ، وانه سيستدرجهم  
في المستقبل لان السين لا تدخل إلا على المستقبل فلا معنى لقوله « ان الذين كفروا

( ٢ ) سورة الأنبياء آية ٤ .

( ١ ) سورة الأنبياء آية ٧٣

( ٣ ) « الشعراء آية ٢٠٢

سدستدرجهم « الى الكفر ، لانهم كفار قبل ذلك ولا يجب في المكافر ان يبقى حتى يواقع كفراً آخر ، لانه يجوز ان يميتة الله تعالى ، فبان بذلك ان المراد انه سيستدرجهم الى العذاب والعقوبات من حيث لا يملعون في مستقبل . امرهم بقوا او لم يبقوا .  
على ان الاستدراج عقوبة من الله . والله لا يعاقب احداً على فعل نفسه كما لا يعاقبهم على طولهم او قصرهم .

ويحتمل ان يكون معنى الآية انا نعاقبهم على استدراجهم للناس واغوائهم اياهم وتعاقبهم على كيدهم فجعل العقوبة على الاستدراج استدراجاً والعقوبة على الكيد كيداً ، كما قال « سخر الله منهم » ( ١ ) وقال « انه يستهزى بهم » ( ٢ ) وقال : « يخادعون الله وهو خادعهم » ( ٣ ) وقال « والله خير الماكرين » ( ٤ ) وما اشبه ذلك ويحتمل ان يكون المراد : اذني سأفعل بهم ما يدرجون في الفسوق والضلال عنده ويكون ذلك اخبار عن بقائهم على الكفر عند املانه لهم ، فسمى ذلك استدراجاً . لانهم عند البقاء كفروا وازدادوا كفراً ومعصية . وان كان الله لم يرد منهم ذلك ولا بعثهم عليه ، كما قال « او لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكركم » ( ٥ ) كما يقول القائل أبطر فلان فلاناً بأنماه عليه . واقد ابطرتة النعمة واكفرته السلامة ، وان كان المنعم لا يريد ذلك بل اراد ان يشكره عليها .

ومعنى قوله « واملئهم » اؤخر هؤلاء الكفار في الدنيا وابقهم مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة . على كفرهم ، لانهم لا يفوتوني ولا يعجزوني ولا يجدون مهرباً ولا ملجأ .

وقوله تعالى ﴿ ان كيدي متين ﴾ معناه ان عذابي وسماه كيداً لنزوله بهم من

٢ - سورة البقرة آية ١٥

٤ - آل عمران آية ٥٤

١ - سورة التوبة آية ٨٠

٣ - النساء آية ١٤١

٥ - فاطر آية ٤٧

حيث لا يشعرون .

وقبل انه اراد ان جزاء كيدهم وسماه كيداً للازدواج على ما ايننا نظأره .

ومعنى « متين » شديد قوي قال الشاعر:

عدلن عدول الياأس والشيخ بيتلى

افأنين من الهوب شد ممتاتي (١)

يعني شد او شديدأ باقياً لا ينقطع .

اللغة .

والمتن اصله اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان . والكيد والمكر

واحد : وهو الميل الى الشر في خفي ، كاد يكيد كيداً ومكيدة ، وفلان يكيد بنفسه .

واصل الاستدراج اغترار المستدرج من حيث يرى ان المستدرج محسن

اليه حتى يورطه مكروهاً . والاستدراج ان يأتيه من ما منه من حيث لا يعلم .

واملي بمعنى اؤخر من الملي ثقيلة الياء يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاؤ من

الدهر - بفتح الميم وضما وكمرها - اي قطعة منه . ووجه الحكمة في اخذهم من

حيث لا يعلمون انه لو اعلمهم وقت ما يأخذهم وعرفهم ذلك لأمنوه قبل ذلك وكانوا

مغرين بالقبيح قبله تعويلا على التوبة فيما بعد وذلك لا يجوز عليه تعالى .

والاستدراج على ضربين :

احدهما - ان يكون الرجل يعادي غيره فيطلب له المكيدة والختل من وجه

يفتره به ويخدعه ويدس اليه من بوقعه في ورطة حتى يشقى صدره ولا يبالي كيف كان

ذلك ، فهذا سفية غير حكيم .

والآخر - ان يحلم فيه ويتأني ويترك العجلة في عقوبته التي يستحقها على

(١) تفسير الطبري ١٣ : ٢٨٨ . والطبيرة الثانية ٩ : ١٣٦ . وفيه اختلاف كثير .

ولما كانت كلها : ير مرضية تركت البيت على ما هو عليه كما جاء في المطبوعة .



معاصيه كيداً ومكراً واستدراجاً . ألا ترى لو ان انساناً عادى غيره فجعل يشتمه ويبيبه وذالك يعرض عنه ولا يكافيه مع قدرته على مكافاته جاز ان يسمى كيداً واستدراجاً ومكراً وحيلة ، ولجاز ان يقال فلان متين الكيد شديد الاستدراج ، كثير الغور محكم التدبير .

وقيل في معنى « سدستدرجهم » سناً خذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ، يقال امتنع فلان على فلان وأنى عليه حتى استدرجه اي خدعه حتى حمله على ان درج اليه درجاً ثانياً اي اخذ في الحركة نحوه كما يدرج الصبي اول ما يمشي ، ويقال: صبي دارج . ويقال درجوا قرناً بعد قرن اي فنوا قليلاً قليلاً .

### قوله تعالى :

﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٨٣) أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَمْلُكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٤﴾ آيتان بلا خلاف .

### المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين كانوا ينصبون النبي ﴿ص﴾ الى الجنون على وجه التوبيخ لهم والتقريع « او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » أي وايس بالنبي ﴿ص﴾ جنة وهي الجنون فانه لا يأتي بمثل ما يأتي به المجنون ، وهم يرون الاصحاء منقطعين دونه ويرون صحة تدبيره واستقامة أعماله وذلك ينافي أعمال المجانين .

وبين انه ليس به ﴿ ص ﴾ إلا الخوف للعباد من عقاب الله ، لان الانذار هو الاعلام عن المخاوف ، فبين لهم ما عليهم من أليم العذاب بمخالفته ثم قال : « اولم ينظروا » معناه يفكروا « في ملكوت السماوات والارض » وعجيب صنمها فينظروا فيها نظر مستدل معتبر فيعرفون بما يرون من اقامة السموات والأرض مع عظم اجسامها ونقلها على غير عمد وتسكينها من غير آلة فيستدلوا بذلك على انه خالقها ومالكها وان لا يشبهها ولا تشبهه .

وقوله « وما خلق الله من شيء » يعني وينظروا فيما خلق الله تعالى من اصناف خلقه فيستدلوا بذلك على انه تعالى خالق جميع الأجسام وان اولى بالالهية من الاجسام المحدثه .

وقوله تعالى « وان عسى ان يكون قداقترب اجلهم » معناه او لم يتفكروا في ان عسى ان يكون قداقترب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوم ذلك الى ان محتاطوا لدينهم ولا تقسمهم فيما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدم في الدنيا وفيما يطلبونه من نخرها وعزها وشرفها فيدعوم ذلك الى النظر في الاور التي امرهم بالنظر فيها .  
وقوله تعالى « فبأي حديث بعده يؤمنون » معناه : بأي حديث بعد القرآن يؤمنون مسموع وضوح دلالة على انه كلام الله إذ كانت معجزاً لا يقدر احد من البشر ان يأتي بمثله . وسماه حديثاً لانه محدث غير قديم لان اثباته حديثاً ينافي كونه قديماً .

وفي الآية دلالة على وجوب النظر وفساد التقليد ، لان النظر المراد به الفكر دون نظر العين لان البهائم ايضاً تنظر بالعين وكذلك الاطفال والمجانين ، والفكر موقوف على العقلاء .

## سبب النزول :

وقال الحسن وقتادة سبب نزول الآية ان النبي ﴿ ص ﴾ وقف على الصفا يدعو قريشاً  
نخذاً نخذاً ، فيقول يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه . فقال قائلهم ان  
صاحبكم لمجنون بان يصوت على الصباح : فأنزل الله الآية .  
والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بملك .

## قوله تعالى :

﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَـلا هَادِيَ لَهُ وَيَنْذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ  
يَهْمُونَ ﴾ ( ١٨٥ ) آية بلا خلاف .

## القراءة :

قرأ اهل العراق وبذرهم بالياء . واسكن الراء منه حمزة والكسائي وخلف . الباقر  
بالتون وضم الراء .

## الاعراب والحجة :

من قرأ بالتون قال لان الشرط من الله ، فيكأنه قال « من يضلل الله » فنذرهم .  
ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى وتقديره الله يذرهم .  
ومن ضم الراء قطعه عن الاول ولم يجعله جواباً .  
ويجوز ان يكون أضر المبتدأ وكان تقديره ونحن نذرهم فيكون في موضع الجزم  
ويجوز ان يكون استأ نف الفعل فيرفعه .  
ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعدها من قوله تعالى « فلا هادي له »  
لان موضعه جزم ، فحمل (ونذرهم) على الموضع . ومثله في الحمل على الموضع قوله تعالى

« فأصدق واكن » ( ١ ) لأنه لو لم يلحق الفاء لقلت لولا اخرتني اصدق ، لأن معنى « لولا اخرتني » ( ٢ ) اخرتني اصدق . فحمل قوله تعالى « واكن » على الموضع .

### المعنى واللغة :

ومعنى قوله « من يضل الله فلا هادي له » اي يمتحنه الله فيضل عند امتحانه وامره اياه بالطاعة والخير والارشاد ( فلا هادي له ) اي لا يقدر احد ان يأتيه بالهدى والبرهان بمثل الذي اتاه الله تعالى ، ولا بما يقارنه او يزيد عليه « ويذرهم في طغيانهم » بمعنى يخلي بينهم وبين ذلك . وترك اخراجه بالقسر والجبر ، ومنعه اياه لطفه الذي يؤتبه من آمن واهتدى . وقيل الوعظ .

والطغيان الغلو في الكفر . والمعنى : التحير والتردد في الكفر . ويحتمل ان يكون المراد من يضل الله عن الجنة عقوبة على كفره فلا هادي له اليها وان الله لا يحول بين الكافر بل يتركه مع اختياره لان ما فعله من الزجر والوعيد كاف في ازالة علة المكلف . وقيل معناه من حكم الله تعالى بضلالة وسماه ضالا بما فعله من الكفر والضلال فلا احد يقدر على ازالة هذا الاسم عنه ولا يوصف بالهداية وكل ذلك واضح بحمد الله تعالى

### قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا  
عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَذِبًا إِنَّكَ حِفْظٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا  
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ( ١٨٦ ) آية بلا خلاف .

« أيا ن » معناه متى ، وهي سؤال عن الزمان على وجه الظرف .  
 اخبر الله تعالى ان الكفار يسأون النبي ﴿ ع ﴾ عن الساعة . وهي القيامة .  
 « ايان مرساها » اي وقت قيامها وثباتها .

ومعنى ايان متى قال الراجز :

ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنججها ايانا (١)

اللغة والاعراب :

ومرساها في موضع رفع بالابتداء . يقول رسي برسوا إذا ثبت فهو راس  
 وجيال راسيات ثابتات وارساها الله اي ثبتهما .

المعنى :

وقيل معنى « مرساها » الوقت الذي يموت فيه جميع الخلق ، ومعنى سؤالهم عنها اي  
 متى وقوعها وكونها . فأمر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يجيبهم ويقول لهم « علمها عند  
 الله » لم يظلم عليها احد ، كما قال « إن الله عنده علم الساعة » (٢) وقوله تعالى « لا  
 يجليها لوقتها إلا هو » اي لا يظهرها في وقتها إلا الله .

وقوله تعالى « ثقلت في السموات والأرض » قبل في معناه قولان :

احدهما - ثقل علمها على السموات والأرض ذهب اليه السدي وغيره .

الثاني - ثقل وقوعها على اهل السموات والارض - ذكره ابن جرير ، وغيره -

ثم اخبر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ بكيفية وقوعها فقال : « لا تأنيكم إلا بفتة »

يعني فجأة .

(١) تفسير القرطبي ٧ : ٣٣٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٢٤ . واللسان (ابن) أبان

كل شيء وقته وحينه . أخذ الشيء بأبانه أي بأوانه أي بزمانه . وأبان سؤال عن الزمان .

(٢) سورة لقمان آية ٣٤ .

وقوله تعالى « يسألونك كأنك حفي عنها » قيل في معناه ثلاثة اقوال :  
 احدها - ان معناه وتقديره حفي بها يسألونك عن الساعة ووقتها كأنك عالم بها .  
 وقيل معناه كأنك فرح بسؤالهم عنها .  
 وقيل معناه كأنك اكثر السؤال عنها ذكره مجاهد .

### اللغة :

يقال حفيت بفلان في المسألة إذا سألته سؤالاً أظهرت فيه المحبة والبر، قال الشاعر:  
 سؤال حفي عن أخيه كأنه بذكرته وسنان او متواسن (١)  
 ويقال : احفي فلان بفلان في المسألة إذا أكثر عليه . ويقال حفيت الدابة تخفي  
 حفاً مقصوراً إذا أكثر عليها ألم المشي . والحفاه ممدوداً المشي بغير نعل .

### المعنى :

ثم امر الله نبيه ان يقول « إنما علمها عند الله » اي لا يعلمها إلا الله .  
 وقوله تعالى « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » معناه اكثر الناس لا يعلمون  
 ان ذلك لا يعلمه إلا الله . ويظنون انه قد يعلمه الأنبياء وغيرهم من خلقه .  
 وقال الجبائي معناه « لكن اكثر الناس لا يعلمون » لم أخفي الله تعالى علم ذلك  
 على التعمين على الخلق .

والوجه فيه انه ازجر لهم عن معاصيه لأنهم إذا حوزوا في كل وقت قيام  
 الساعة وزوال التكليف كان ذلك صارفاً لهم عن فعل القبيح خوفاً من فترات  
 وقت التوبة .

وقوله في اول الآية « قل إنما علمها عند ربي » يعني علم وقت قيامها .

(١) قائله المعطل الهذلي . ديوانه ٣ : ٤٥ . وتفسير الطبري ١٣ : ٣٠١ طبعة

دار المعارف . و ٩ : ١٤٢ الطبعة الثانية ورواية الديوان ( الغنى ) بدل ( حفي ) .

وقوله تعالى في آخرها « قل إنما علمها عند الله » معناه علم كيفيةيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلا الله ، فلا تكون تكراراً لغير فائدة .

وقال قتادة الذين سألوا عن ذلك قريش .

وقال ابن عباس : هم قوم من اليهود .

وقال الفراء في الآية تقديم وتأخير وتقدبرها يسألونك عنها كأنك حفي بهم . قال الجبائي وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من ان الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر إلى يوم القيامة لأن على هذا لا بد ان يعلم آخر الأئمة ان القيامة تقوم بعده ويحول التكليف عن الخلق ، وذلك خلاف قوله : « قل إنما علمها عند الله » .

وهذا الذي ذكره باطل لانه لا يمتنع ان يكون آخر الأئمة يعلم انه لا إمام بعده وإن لم يعلم متى تقوم الساعة لانه لا يعلم متى يموت ، فهو يجوز ان يكون موته عند قيام الساعة اذا اردنا بذلك انه وقت فناء الخلق . وإن قلنا ان الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق .

على انه قد روي ان بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور اشراط الساعة وتواتر إماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة ، ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسرين بادروا بالتوبة قبل ظهور الست : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدابة ، وغير ذلك مما قدمناه فعلى هذا سقط السؤال .

قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ

كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثِرَ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ  
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ( ١٨٧ ) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى نبيه ( ع ) ان يقول للمكافين اني « لا املك لنفسي نفعا ولا  
ضرا إلا ما شاء الله » أن يملكني اياه فشيئته تعالى في الآية واقعة على عليك النفع  
والضر لا على النفع والضر لانه لو كانت المشيئة انما وقعت على النفع والضر كارت  
الانسان يملك ما شاء الله من النعم ، وكان يملك الامراض والاسقام وسائر ما يفعله  
الله فيه مما لا يجد له عن نفسه دفعا .

ومعنى الآية اني املك ما يملكني الله من الاموال وما اشبهها ثم املكهم  
ويمكنهم من التصرف فيها على ما شاؤا ، وكيف شاؤا ، والضرر الذي ملكهم الله اياه  
هو ما يمكنهم منه من الاضرار بانفسهم وغيرهم ، ومن لم يملكه الله شيئا منه لم يملكه  
وذلك يفسد تأويل المجزأة الذين قالوا معنى الآية : ان الله يريد جميع ما ينال  
الناس من النعم والضرر وان كان ظمعا وجورا من افعال عباده .

وقوله عز وجل « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء »  
معناه اني لو كنت اعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات في المستقبل وما يخسر من  
ذلك فكنت اشترى ما اربح والتجنب ما اخسرفه فتكثر بذلك الاموال والخيرات  
عندي وكنت اعده في زمان الخصب لزمان الجذب ( وما مسني السوء ) يعني الفقير  
اذا فعلت ذلك . وما مسني تمذيب .

وقيل وما مسني تمذيب . وقيل وما مسني جنون جوابا لهم حين نسبوه الى الجنون .  
وقال ابن جريج « لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت » من العمل الصالح قبل حضور  
الأجل وهو قول مجاهد وابن زيد .



وقال البلخي لو كنت اعلم الغيب لكنت قديماً ، والقديم لا يسمه سوء لان  
احد لا يعلم الغيب إلا الله .

وفي الآية دلالة على ان القدرة قبل الفعل لان قوله : « لو كنت اعلم الغيب  
لاستكثر من الخير » يفيد انه كان قادراً لانه لو لم تكن القدرة إلا مع الفعل لو علم  
الغيب لما امكنه الاستكثار من الخير وذلك خلاف الآية .

وقوله تعالى « ان أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » معناه لست الا مخوفاً  
من العقاب محذراً من المعاصي ومبشراً بالجنة حاناً عليها غير عالم بالغيب « لقوم  
يؤمنون » فيصدقون بما أقول . وخصهم بذلك لانهم الذين يفتنمون بأذاره وبشارته  
دون من لا يصدق به كما قال « هدى للمتقين » .

### قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمِلاً خَفِيماً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ  
دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَنْ آتَيْتِنَا صَالِحاً لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٨)  
فَلَمَّا آتَاهَا صَالِحاً جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فَمَا آتَاهَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨٩)  
آيتان بلا خلاف .

### القراءة :

قرأ اهل المدينة وابوبكر وعكرمة والاعرج ﴿ شركاه ﴾ بكسر الشين منه .  
الباقون بضم الشين على الجمع .  
وقرأ ابن يعمر « فمرت » بتخفيف الراء وهو شاذ .

### الحجة والاعراب :

قال ابو علي الفارسي من قرأ « شركا » - بكسر الشين - منوفاً حذف المضاف ، كأنه اراد جملاً له ذا شرك اي ذا نصيب او ذوي شرك ، ويكون كقول من جمع قالقراء تان يؤلان الى معنى واحد .

والضمير في قوله « له » يعود الى اسم الله كأنه قال جملاً لله شركاء .

وقال ابو الحسن كان ينبغي لمن قرأ بكسر الشين ان يقول جملاً لغيره شركاء .

وقول من قرأ « جملاً له شركاء » يجوز ان يريد جملاً لغيره فيه شركاء فحذف

المضاف . فالضمير على هذا ايضاً في ( له ) راجع الى الله تعالى .

وقال ابو علي : يجوز ان يكون الكلام على ظاهره ، ولا يقدر حذف المضاف

في قوله تعالى ﴿ جملاً له ﴾ وانت تريد لغيره ولكن يقدر حذف المضاف الى شرك

فيكون المعنى جملاً له ذوي شرك . واذا جملاً له ذوي شرك كان في المعنى مثل

لغيره شركاء ، فلا يحتاج الى تقدير جملاً لغيره شركاء .

قال ابو علي ويجوز ان يكون قوله تعالى « جملاً له شركاء » جعل احدهما له

شركاء او ذوي شرك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما حذف من قوله تعالى

﴿ لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ والمعنى على رجل واحد من

احد رجلي القريتين .

وحكى الازهري ان الشرك والشريك واحد ويكون بمعنى النصيب .

### المعنى :

قوله ﴿ هو الذي ﴾ كناية عن الله تعالى واخباراً عن الذي خلق البشر

من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها يعني حواء .

وقيل انه خلقها من ضلع من اضلاعه وبين انه انما خلقها ليسكن اليها آدم ويأنس بها

وقوله ﴿ فلما تفشاها ﴾ معناه لما وطأها وجامعها .

وقيل تفشاها بدنوه بها لقضاء حاجة فقضى حاجته منها « حملت » ففي الكلام حذف « حملت حملاً خفيفاً » لان الحمل ازل ما يكون خفيفاً لانه الماء الذي يحصل في رحمها .

اللغة :

والحمل بفتح الحاء ما كان في الجوف وكذلك ما كانت على نخلة او شجرة فهو مفتوح .  
وبكسر الحاء ما كان من الثقل على الظهر .

المعنى :

قوله تعالى « فرت به » معناه استمرت به وقامت وقعدت وقيل شكت له وآلمها ثقلها . ومن خفف الراء اراد شكت ومارت فلم تدر هي حامل ام لا .  
وقال الحسن اغلاما ام جارية .  
وقوله تعالى « فلما اثقلت » اي صارت ذات ثقل كما يقال اتمر اي صار ذا ثمر وذلك قرب ولادتها .

وقوله تعالى : « دعوا الله ربها » يعني آدم وحواء دعوا الله أي سألاه لئن آتيتنا صالحاً اي لو اعطيناه ولدأ صالحاً .

قال الجبائي صالحاً يعني سليماً من الآفات صحيح الحواس والآلات .  
وقال غيره معنى صالحاً مطيعاً فاعلاً للخير .

« لنكونن من الشاكرين » أي نكونن معترفين بنعمك علينا نعمة بعد نعمة تسديها إلينا .

وقوله عز وجل « فلما آتاهما صالحاً » يعني فلما آتانا الله آدم وحواء ولداً صالحاً  
جمالاً له شركاء . واختلفوا في الكناية الى من ترجع في قوله ( جملاً ) :

فقال قوم هي راجعة الى الذكور والاناث من اولادها او الى جنسين من  
اشرك من نسلها ، وإن كانت الادلة تتعلق بها . ويكون تقدير الكلام فلما آتى الله  
آدم وحواء الولد الصالح الذي تمنياه وطلباه جعل كفار اولادها ذلك مضافاً الى غير  
الله . ويقوي ذلك قوله تعالى « فتعالى الله عما يشركون » فلو كانت الكناية عن آدم  
وحواء لقال عما يشركان . وإنما أراد تعالى الله عما يشرك هذان النوعان او الجنسان  
وجمعاً على المعنى . وقد ينتقل الفصيح من خطاب الى خطاب غيره . ومن كناية  
الى غيرها .

قال الله تعالى « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله » (١)  
فانصرف من مخاطبة الرسول إلى المرسل اليهم ثم قال : ﴿ وتعرّوه وتوقروه ﴾ (٢) يعني  
الرسول ثم قال ﴿ وتسبحوه ﴾ يعني الله تعالى ، قال الهذلي :

يا ايهف نفسي كان جده خالد      وبياض وجهك للتراب الأغر (٣)

ولم يقل وبياض وجهه . وقال كثير :

أسبيء بنا او احسني لا ملومة      لدينا ولا مقلية إن تقات (٤)

فخاطبها ثم ترك الخطاب وقال الآخر :

( ١ - ٢ ) سورة الفتح آية ٨ - ٩

( ٣ ) مر هذا البيت في ١ : ٣٥ من هذا الكتاب .

( ٤ ) اللسان ( سوا )

فدى لك ناقتي وجميع اهلي  
ومالي انه منته اتاني (١)

ولم يقل منك اتاني .  
وليس لاحد ان يقول كيف يكنى عن لم يجز له ذكر وذلك ان لنا عنه جوابين :  
احدهما انه يجوز ذلك اذا دل الدليل عليه ، كما قال « حتى توارت بلحجاب (٢) »  
ولم يتقدم للشمس ذكر . وقال الشاعر :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى  
اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (٣)

ولم يتقدم للنفس ذكر .  
والجواب الثاني - انه تقدم ذكر ولد آدم في قوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » وازاد بذلك جميع ولد آدم وتقدم ايضاً في قوله « فلما آتاها صالحاً » لان معناه ولد صالحاً ، ويريد بذلك الجنس . وان كان لفظه واحداً واذ تقدم مذكوران وعقباً بأمر لا يليق بأحدهما وجب ان يضاف الى الآخر والشرك لا يليق بآدم ، لانه نبي نزهه الله عن ذلك ، وعن جميع القبائح . ويليق بكفار ولده ونسله وجب ان نرده اليهم .  
وقال الزجاج وابن الاخشاد : جعل من كل نفس زوجها كأنه قال وجعل من النفس زوجها على طريق الجنس وأضمرت تقدم الذكر .

وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني الكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء وجعل الهاء في ( تغشاها ) والكناية في ( دعوا الله ربها ، وآتاها صالحاً )

( ١ ) في اللسان ( فدى ) ذكر بيت للاصمعي يشبهه هو :

فدى لك والدي وفدتك نفسي ومالي انه منكم اتاني

( ٢ ) سورة ص آية ٣٢

( ٣ ) اللسان ( حشرج ) نسبة الى عائشة وانها قالت حينما كان والدها في سكرات

الموت . وروايته :

لعمرك ما يغني الثراء ولا الغنى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء إلا قوله : « خلقكم من نفس واحدة »  
والإشارة بذلك الى جميع الخلق . وكذلك قوله « وجعل منها زوجها » ثم خص بها  
بعضهم ، كما قال « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح  
طيبة » (١) يخاطب الجماعة ثم خص راكب البحر ، فكذلك أخبر الله تعالى عن جملة اسر  
البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي  
سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه إياه ادعاه الشركاء في عطيته .

وقال قوم : يجوز ان يكون عنى بقوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة »  
المشركين خصوصاً ، اذا كان كل بني آدم مخلوقون من نفس واحدة ، كأنه قال خلق  
كل احد من نفس واحدة وخلق من النفس الواحدة زوجها ، ومثله كثير نحو  
قوله عز وجل « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (٢) والمعنى فأجلدوا كل واحد منهم .

وقال قوم إن الهاء في قوله : « جعلناه شركاء » راجعة إلى الولد لا إلى الله  
ويكون المعنى انها طلبا من الله تعالى امثالا للولد الصالح فأشركا بين الطلبتين ، كما يقول  
القائل : طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته بأخر أى طلبت آخر مضافاً اليه ، فعلى  
هذا يجوز ان تكون الكناية من اول الكلام إلى آخره راجعة إلى آدم وحواء .

فإن قيل: فعلى هذا فأى تعلق لقوله « فتعالى الله عما يشركون » بذلك .  
وكيف ينزه نفسه عن ان يطلب منه ولد آخر ؟

قلنا : لم ينزه نفسه عن ذلك وإنما نزهها عن الاشراك به ، وليس يمتنع ان  
يقطع هذا الكلام عن حكم الاول ، لانه قال بمد ذلك « أيشركون ما لا يخلق شيئاً  
وهم يخلقون » فنزه نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم .

فأما الخبر المدعى في هذا الباب ، فلا يلتفت اليه ، لأن الاخبار تبني على أدلة  
المقول ، فإذا علمنا بدليل العقل ان الأنبياء لا يجوز عليهم المعاصي فأولنا كل خبر

يتضمن خلفه أو ابطالناه كما تفعل ذلك بأخبار الجبر والتشبيه . على ان هذا الخبر مطعون في سنده لانه يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة ، وهو مرسل ، لان الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً - في قول البغداديين - ولان الحسن قال بخلاف ذلك فيما روى عنه عروة في قوله عز وجل : ﴿ فلما آتاها صالحاً جملاً له شركاء فيما آتاها ﴾ قال هم المشركون .

ويعارض ذلك ما روي عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم : من ان الشرك غير منسوب الى آدم وزوجته وان المراد به غيرها .  
على ان في الخبر اشراك ابليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمياه عبد الحرث والآية تقضي انهم اشركوا الاصنام التي لا تخلق وهي تخلق ، والتي لا تستطيع ضراً ولا نفعاً وليس لابليس في الآية ذكر . ولو كان له ذكر لقال أنشركون من .  
وقال في آخر القصة « ألهم ارجل يمشون بها... » وكذا ، ولا يليق ذلك بابليس .  
ويقوي ان الآية مصروفة عن آدم الى ولده انه قال « فلما تفشاها » ولو كان مذسوقاً على النفس الواحدة لقال فلما تفشتها ، لان ذلك هو الأجود والأفصح وان جاز خلفه .

وحكى البلخي عن قوم إنهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية ، وايس ذلك بكفر ولا معصية كبيرة ، وذهب اليه كثير من المفسرين واختاره الطبري .

### قوله تعالى :

﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ( ١٩٠ ) وَلَا

يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ( ١٩١ ) وَلَا

تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُهُمْ وَكَمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ وَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٢﴾ ثلاث آيات بلا خلاف .

### القراءة :

قرأ نافع « لا يتبعوكم » وفي الشراء « يتبعهم » بالتخفيف . الباقون بالتشديد ، وها لغتان ، وبالتشديد أكثر .

### اللغة :

قال ابو زيد تقول رأيت القوم فاتبعتهم اتباعاً اذا سبقوك فأسرعت نحوهم . ومروا علي فاتبعهم اتباعاً اذا ذهبت معهم ولم يسبقوك ، قال وتبعهم اتباعهم تبعاً مثل ذلك .

### المعنى :

وفي الآية توبيخ من الله وتمنيف للمشركين ، وان خرج مخرج الاستفهام : بأنهم يعبدون مع الله جهاداً لا يخلق شيئاً من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة ، وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم .  
ونبهم بذلك على انه لا ينبغي ان يعبد الا من يقدر على انشاء الاجسام واختراعها وخلق اصول النعم التي يستحق بها العبادة وان ذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى الذي ليس بجسم ، والقادر لنفسه ثم بين ان هذه الاشياء التي يعبدونها ويتخذونها آلهة واشركوا بها مع الله تعالى لا تقدر لمن عبدها واتخذها إلهاً على نعم ولا على ضرر ولا ان ينصروهم ولا أن ينصروا انفسهم ان اراد بهم غيرهم سوءاً ، ومن هذه صورته فهو على غاية العجز ، ولا يجوز ان يكون إلهاً . وانما يجب ان يكون كذلك من يقدر على الضرر والنفع ونصرة اوليائه .



وقوله تعالى « وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم » معناه إن الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة إن دعواها إلى الهدى والرشد لم يستمعوا ذلك ، ولا تمكنوا من اتباعهم لأنها جمادات لا تفقه ، ولا تعقل ، في قول أبي علي وغيره .  
وقال الحسن إن ذلك راجع إلى قوم من المشركين قد عموا بالكفر فهم لا يملعون .

ثم قال ﴿ سواء عليكم أَدْعَوْتُمْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ يعني سواء عندها دعاؤها وال سكوت عنها لكونها جماداً لا تعقل وإنما قال « أم أنتم صامتون » ولم يقل أم صمت ليكون في مقابلة « ادعوتهم » فيفيد الماضي والحال لأن المقابلة دلت على معنى الماضي، واللفظ يدل على معنى الحال . وعليه أكثر الكلام يقولون: سواء عليّ أمت أم قدمت ، ولا يقولون أمت أم أنت قاعد ، قال الشاعر :

سواء إذا ما أصلح الله امرهم      علينا أدثر ما لهم أم أصارم (١)  
وانشد الكسائي .

سواء عليك النفر أم بت ليلة      بأهل القباب من نيمر بن عامر (٢)  
وانشده بعضهم :      أم أنت بائت

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا مِثْلَكُمُ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٩٣) آية بلاخلاف .

(١) معاني القرآن ١ : ٤٠١ . ( الدر ) المال الكثير . و ( أصارم ) جمع أصرام وهو الفريق القليل العدد ويقصد هنا الفريق من الأبل . وأصله أصاريم وحذف الياء لضرورة الشعر .

(٢) معاني القرآن ١ : ٤٠١ . يريد النفر من منى .

## المعنى .

إنما قال « إن الذين » وهو يريد الاصنام ، لأنها لما كانت عندهم معبودة تنفع وتضر ، جاز أن يكنى عنها بما يكنى عن الحي ، كما قال في موضع آخر ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ﴾ (١) ولم يقل فعله كبيرها فاسألوها . وقال ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ (٢) لما اضاف السجود اليها جمعها بالواو والنون التي تختص بالمعقلاء ومعنى « من دون الله » غير الله ، كأنه قال كل مدعو إلهاً غير الله « عباد امثالكم » (من) لا بتداء الغاية في ان الدعاء دون دعاء الله إلى حيث انتهى إنما هو لعباد الله . ثم قال « عباد امثالكم » فأما سماها كذلك لان التعبد التذلل ، فلما كانت الاصنام تنصرف على مشيئة الله وهي غير ممتنعة عما يريد الله تعالى بها كانت بذلك في معنى العباد

اللغة :

ويقال عبدت الطريق إذا وطئته حتى تقرر وسهل سلوكه . ومنه قوله تعالى « وتلك نعمة نمنها على ابن عبدت بني اسرائيل » (٣) اي ذلتهم واستخدمتهم ضرورياً من الخدم .

## المعنى :

وقال الجبائي ، وغيره : معنى ( عباد ) اي املاك لربهم كما انتم عبيدله ، فان كنتم صادقين في ادعاءكم انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا الدعاءكم ، وهذه لام الأمر على معنى التهجين كما قال ﴿ ها اتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ (٤) فإذا لم يستجيبوا لكم ، لأنها لا تسمع دعاءكم فاعلموا انها لا تنفع ولا تضر ولا تستحق العبادة .

(٢) سورة يوسف آية ٤

(١) سورة الانبياء آية ٦١

(٤) سورة النمل آية ٦٤

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢

فأما من قال الاصنام تعبد الله على الحقيقة كما يعبد العقلاء وان كنا لا نفقه ذلك فقد نجاهل ، لان العبادة ضرب من الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة - ضرب من التعظيم . والعبادة وإن كانت شكراً فإنه يقارنها خضوع وتذلل . وكل ذلك يستحيل من الجماد .

ويحتمل من حيث انهم توهموا انها تضر وتنفع فقيل لهم ليس يخرج هؤلاء بذلك عن حكم الله تعالى .

وقال الحسن معناه إنها مخلوقة أمثالكم . والمعبد المملوك من جنس ما يعقل ، لان الثوب مملوك ، ولا يسمى عبداً .

وقيل الدعاء الأول في الآيات تسميتهم الاصنام آلهة كأنه قال « إن الذين تدعون آلهة من دون الله فاطلبوا منهم المنافع وكشف المضار ، فإذا كان ذلك ميؤساً منها ، فعبادتها جهل وسخف .

وقوله « إن كنتم صادقين » قال الحسن معناه في انهم آلهة .

### قوله تعالى:

﴿ اَلَهُمْ اَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا اَمْ لَهُمْ اَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا اَمْ لَهُمْ اَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا اَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ كَيْدُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ ﴾ ( ١٩٤ ) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة:

قرأ أبو جعفر « يبطشون » ويمطش - بضم الطاء حيث وقع . الباقيون بكسرهما . وهما لغتان ، والكسر افصح واكثر . وقراء « كيدون » بياء في الحالين : الوقف والوصل والحلواني عن هشام وبنعقوب وافقهما في الوصل ابو عمرو وابو جعفر واسماعيل

والداحوني عن هشام . الباؤون بغير ياء في الحالين .

و « تنظرون » بياء في الحالين عن يعقوب .

قال ابو علي الفارسي : الفواصل وما اشبهها من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية ، كما ان القافية آخر البيت وقد الزمو الحذف في هذا الباب في القوافي كقوله :

فهل يمتن ارتيادي البلاد من قدر الموت ان يأتي

والياء التي هي لام [الكلمة] كذلك نحو قوله :

يلمس الأجلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل (١)

المعنى :

أكد الله تعالى في هذه الآية الحججة على المشركين في انه لا ينبغي لهم ان يعبدوا هذه الاصنام ولا يتخذونها آلهة فقال ﴿ أهم أرجل يمشون بها ﴾ ، لان لفظه وان كان لفظ الاستفهام ، فالمراد به الانكار ، اي ليس لهم أرجل يمشون بها ولا لهم ايد يبطشون بها ولا عين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ، فعرفهم بذلك انهم دون منزلاتهم وان الكفار مفضلون عليهم بما انعم الله عليهم من هذه الحواس التي لم تؤت الاصنام .

واذا كنتم مفضلين عليها وكنتم أقدر على الاشياء واعلم ، فكيف يجوز لكم ان تتخذونها مع ذلك آلهة لا تقسكم .

وقوله تعالى ﴿ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ معناه ادعوا هذه الاوثان والاصنام التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموالكم فتجعلون لها حظاً

( ١ ) قائله ليبيد . اللسان و لمس ، والاحلاس ملازمة المنزل وعدم التدخل

بشؤون الدولة . والمصل بمعنى الخاسر الذي ليس له شيء في الامر .

من الاموال والمواشي وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله لها . واسألوهم ان يضروني وان يكيدوني معكم ، ولا تؤخروا ذلك إن قدروا عليه . ومتى لم يتمكنوا من ذلك فتبينوا انها لا تستحق العبادة لانها في غاية الضعف والعجز .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّا وَابِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾

( ١٩٥ ) آية بلا خلاف .

### القراءة :

روى ابن خنيس عن السومتي « ان وليي الله » بياء مشددة مفتوحة . الباقون بثلاث ياءات الاولى ساكنة والثانية مكسورة والثالثة مفتوحة - على الاضافة - ومن قرأ مشدداً حذف الوسطى وأدغم الاولى في الثالثة . ولا يجوز ادغام الثانية في الثالثة ، لانها متحركة وقبلها ساكن لا يمكن الأدغام .

### المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يقول المشركين « ان وليي الله الذي » يحفظني وينصرني ويحفظني ويدفع شركم عني هو الله الذي خلقني واياكم جميعاً وملكني وملككم الذي نزل القرآن ، وهو ينصر الصالحين الذين يطيعونه ويجتنبون معاصيه تارة بالحجة واخرى بالدفع عنهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٦﴾ آية بلا خلاف .

هذا عطف على الآية الاولى ، فكأنه قال قل وليي الله القادر على نصرتي عليكم وعلى من اراد بي ضرراً . والذين تتخذونهم انتم آلهة لا يقدرُونَ على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ضرراً . ولا يقدرُونَ ان ينصروا انفسهم ايضاً لو ان انساناً اراد بهم سوءاً من كسر او غيره .

وانما كرر هذا المعنى لان ذكره في الآية التي قبلها على وجه التقريع ، وذكره ههنا على وجه الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ممن لا تجوز ، كأنه قال ان ناصرى الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون .

وانما قال تدعون من دونه وهم يدعونه معه ، لان معنى من دونه من غيره ومع ذلك فانه بمنزلة من افرد غيره بالعبادة في عظم الكفر والشرك .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ  
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ( ١٩٧ ) آية بلا خلاف .

قال الفراء والزجاج : المعنى ان دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام الى صلاح ومنافع لا يسمعون دعاءكم ، وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور ، وهم مع ذلك لا يبصرونكم .

قال الجبائي جعل الله افتتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم اليهم مجازاً ، لان النظر حقيقة تغلب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد . ويقال في اللغة تناظر الحائطان اذا تقابلا وكل شيء قابل غيره يقال نظر اليه . وقال الحسن : المعنى وان تدع يا محمد المشركين ، فلم يجعل الكناية عن الاوثان .

وقال الرماني الكناية عن الاوثان لانهم جعلوها نضر وتنفع ، كما يكون ذلك فيما يعقل .  
وفي الآية دلالة على ان النظر غير الرؤية ، لأنه تعالى أثبت النظر ونفى الرؤية .  
وقوله « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » وجه الخطاب الى النبي ﴿ ص ﴾ ولو كان امره بخطاب المشركين بمعنى قل لهم لقال وترونهم .  
وقال السدي ومجاهد اراد به المشركين ، فعلى هذا يكون قوله « وإن تدعوهم » خطاباً للنبي ﴿ ع ﴾ انه إن دعا المشركين الى الهدى لا يسمعون بمعنى لا يقبلوا وهم يرونه ولا ينتفعون برؤيته .

### قوله تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

( ١٩٨ ) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه ان يأخذ مع الناس بالعرف وهو التساهل فيما بينه وبينهم وقبول اليسير منهم الذي سهل عليهم ، ويسر فعله لهم وان يترك الاستقصاء عليهم في ذلك ، وهذا يكون في مطالبة الحقوق الواجبة لله تعالى وللناس وغيرها . وهو في معنى الخبر عن النبي ﴿ ع ﴾ ( رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء ) .  
ولا ينافي ذلك ان لصاحب الحق والديون وغيرها استيفاء الحق وملازمة صاحبه حتى يستوفيه ، لأن ذلك مندوب إليه دون ان يكون واجباً .  
وقد يكون العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالاساءة .  
وقوله ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعني بالمعروف ، وهو كل ما حسن في العقل فعمله او في الشرع . ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء .  
وقوله عز وجل ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ امر بالاعراض عن الجاهل :

السفيه الذي ان كله سغه عليه وآذاه بكلامه .

وأمره إذا قام عليهم الحجة وبين بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصي ان  
يمرض عنهم ولا يجاوبهم في مكروه يسغمه ، صيانة لنفسه عنهم .

وقال عطا المفو : الفضل .

وقال مجاهد العفو من أخلاق الناس وعفو اموالهم من غير تجسس عليهم . وقال

ما غفا لك من اموالهم وذلك قبل فرض الزكاة .

وقال السدي : نسخ ذلك بآية الزكاة .

وقال ابن زيد : امره بالاعراض عنهم ثم نسخ بقوله « واغلظ عليهم » (١)

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله : « وامر بالعرف » ان جبرائيل

قال له معناه فصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ لَأنَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٩٩) آية بلا خلاف .

### المعنى :

النزغ ادنى حركة تقول نزغته اذا حرركته . والمعنى ان فالك يا محمد من

الشيطان ادنى نزغ من معاندة وسوء عشرة فاستعذ بالله اي سل الله ان يميزك ،

ويحفظك منه فانه سميع للمسموعات وعالم بالخفيات يسمع دعاه من بدعوه ويعلم دعاه

وما يستحقه بذلك من الله .



## اللغة والاعراب :

والنزع الفساد ايضاً يقال نزع فلان بيننا اي افسد ومنه قوله تعالى: « نزع الشيطان بيني وبين اخوتي » ( ١ ) يقال نزع فلان بيننا ، ونزع ينزع ونفزع ينفعز اذا افسد .

وموضع ينزعنك جزم بـ ( إن ) التي للجزاء إلا انه لا يبين فيه الاعراب ، لأنه مبني مع نون التأكيدي على الفتح اذا كانت مشددة ولا بد من تحريك ما قبلها في الجزم لالتقاء الساكنين .  
والنزع الازعاج بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب واصل النزع الازعاج بالحركة نزعته انزعته نزعاً .

## قوله تعالى :

﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰتَوْا قَوْلًا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَدٰكَّرُوْا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُوْنَ ﴾ ( ٢٠٠ ) آية بلا خلاف .

## القراءة :

قرأ ابن كثير واهل البصرة والكسائي « طيف » بغير الف وبغير همزة . الباقيون بألف بمدها همزة .

## اللغة :

قال الحسن : الطيف في كلام العرب اكثر من طائف . وقال ابو زيد طاف الرجل يطوف طوفاً اذا اقبل وادبر وأطاف يطوف طوفاً اذا جعل يستدير القوم

ويأتيهم من نواحيهم . وطاف الخيال طيفاً إذا ألم في المنام . وقال ابو عبيدة طيف من الشيطان بأن يلم به ، لما يقال منه طفت أطفيف طيفاً . وقال قوم : الطائف ما أطاق بك من وسوسة الباطل . والطيف اللمم ، والمس .  
وقال ابو عمرو بن العلاء : الطيف الوسوسة .

وحكى الرماني ان الطيف اصله طيف من الواو مثل سيد وميت ، تخفف وانشد ابو عبيدة للاعشى . في الالمام :

ونصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق (١)  
وكان معنى الآية إذا مسهم من ينظر لهم نظرة من الشيطان . ويكون طائف مثل العاقبة والعاقية ، مما جاء المصدر منه على فاعل وفاعلة ، فالطيف أكثر لان المصدر على هذا الوزن أكثر منه على وزن فاعل ، والطائف كالتخاطر .

### المعنى :

وقال الحسن معناه يطوف عليهم الشيطان بوساوسه فيقبل بعض وحيه من يمصي الله .  
وقوله « تذكروا » اي تذكروا ما عندهم من المخرج والتوبة « فاذا هم مبصرون » قد تابوا .

وقال مجاهد هم : المؤمنون اذا مسهم طيف اي غضب تذكروا .  
وقال سعيد بن جبير : هو الرجل يغضب الغضب فيذكر فيكظم غيظه .  
وقال مجاهد : هو الرجل يهيم بالذنب فيذكر الله تعالى فيتركه .  
اخبر الله تعالى بأن الذين يتقون الله باجتناب معاصيه إذا وسوس اليهم الشيطان واغرام بمعاصيه تذكروا فمعرفة ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه .

( ٢ ) ديوانه : ١٤٧ ومجاز القرآن : ٢٣٦ . واللسان ( طيف )

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الطيف الغضب .

وقال ابن عباس والسدي : هي الزلة التي إذا ارتكبتها تاب منها .  
وإذا الأولى بمنزلة الجزاء ولها جواب ، والثانية بمعنى المفاجأة كقولك  
خرجت ، فإذا زيد .

وقال ابن عباس الطيف النزغ . وقال ابو عمرو بن الملا : الوسوسة . وقال  
غيره هو الهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَمِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢٠١) آية بلاخلاف .

القراءة :

قرئ « يمدونهم » بضم الياء وكسر الميم عن نافع . الباقون بفتح الياء وضم الميم

المعنى :

معنى الآية ان اخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغم ، ومعناه  
يزيدونهم في الغواية ، والاضلال ، ويزينون لهم ما هم فيه .  
ثم اخبر ان هؤلاء مع ذلك « لا يقصرون » كما يقصر الذين اتقوا اذا مسهم  
طيف من الشيطان ، وهو قول ابن عباس والسدي وابن جريج وابي علي ،  
واكثر المفسرين .

وقال مجاهد هم اخوان المشركين من الشياطين .

وقال قتادة قوله : « ثم لا يقصرون » يعني الشياطين « لا يقصرون » عن  
استغوائهم ولا يرحمونهم .

### اللغة والحجة :

وقصرت وأقصرت لغتان والقراءة على لغة أقصرت ، ومن ضم الياء فلقوله تعالى « إنما نمدم به من مال وبنين » ( ١ ) وقوله عز وجل : « وأمددناهم بغاكة » ( ٢ ) وقوله « أمدوتني بمال » ( ٣ ) ومن فتح الياء . فلقوله تعالى « ويمدم في طفيانهم يعمهون » ( ٤ ) .

وامددت فيما يستحب، ومددت فيما يكره . قال ابو زيد : امددت القائد بالجند وامددت الدواة وامددت القوم بالمال والرجال .  
وقال ابو عبيدة « يمدونهم في النمي » اي يزيفون لهم يقال مدله في غيه هكذا يتكلمون به . ووجه قراءة نافذ قوله تعالى « فبشرهم بمذاب أليم » .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ الْيُؤْمِنِينَ ﴾ ( ٢٢ ) آية بلا خلاف .

### المعنى :

معنى الآية انك يا محمد إذا لم تأت بهم بآية يقترحونها ، قالوا : لم لا تطلبها من الله فيأتينا بها . وقوله « لولا » معناه هلا « اجتبيتها » معناه اختلقتها ، واقتلمتها من قبل نفسك في قول الزجاج ، والفراء ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد ، وابن عباس .

( ٢ ) سورة الطور آية ٢٢

( ١ ) سورة المؤمنون آية ٥٥

( ٤ ) سورة البقرة آية ١٥

( ٣ ) سورة النمل آية ٣٦

وفي رواية اخرى عن ابن عباس وقنادة: معناه هلا اخذتها من ربك وتقبلتها منه . ويكون الاجتباء بمعنى الاختيار .

وقال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارنجلته اذا اقتلعته من قبل نفسك .

وقال ابو عبيده اخترعته مثل ذلك .

وقال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن اعده قبل ذلك في نفسه .

فأمر الله تعالى نبيه (ع) ان يقول لهم إني لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله ويظهرها علي حسب ما يعلم . من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق . وإنما اتبع ما يوحى إلي .

وقوله « هذا بصائر من ربكم » يعني هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة من ربكم

اللغة :

والبصائر جمع بصيرة وهي البراهين الواضحة والحجج النيرة . وتكون البصائر جمع بصيرة . وهي طريق الدم . والبصيرة الرأس أيضاً . وجمعها بصائر ومعناها ظهور الشيء وبيانه .

المعنى :

وإنما قال « هذا بصائره » لان المراد به القرآن . وقوله تعالى « وهدى » يعني بيان وحجة ورحمة لقوم يؤمنون ، فأضافه اليهم لانهم المنتفعون بها ، دون غيرهم من الكفار ، وان كان بياناً لكل . وقال الجبائي قوله « هذا بصائر » إشارة إلى الأدلة الدالة على توحيده وصفاته وعدله وحكمته وصحة نبوة النبي وصحة ما أتى به النبي (ع)

## قوله تعالى:

( وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) (٢٠٣) آية بلا خلاف .

### المعنى :

أمر الله تعالى المكلفين بأنه إذا قرىء القرآن ان يستمعوا له ويصغوا إليه ليفهموا معانيه ويعتبروا بمواعظه وان ينصتوا لتلاوته ويتدبروه ولا يلفوا فيه ليرحمهم بذلك ربهم ، وباعتبارهم به وإتعاضهم بمواعظه .

واختلفوا في الوقت الذي امروا بالانصات والاستماع .

فقال قوم : امروا حال كون المصلي في الصلاة خلف الامام الذي يأتيه به وهو يسمع قراءة الامام ، فعليه ان ينصت ، ولا يقرأ ويتسمع لقراءته .

ومنهم من قال : لانهم كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض ، واذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه وكان مباحاً ففسخ ذلك ، ذهب اليه عبد الله بن مسعود ، وابو هريرة ، والزهري ، وعطاء ، وعبيد الله بن ابي عمير ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابراهيم ، وعامر الشعبي ، وابن عباس ، وابن زيد ، واختاره الجبائي .

وقال قوم : هو امر بالانصات للامام إذا قرأ القرآن في خطبته . روي ذلك عن مجاهد .

وقال قوم : هو امر بذلك في الصلاة والخطبة . روي ذلك عن مجاهد ايضاً ، والحسن .

واقوى الأقوال الاول ، لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن إلا

حال قراءة الامام في الصلاة ، فان على المأموم الانصات لذلك والاستماع له .  
فأما خارج الصلاة فلا خلاف انه لا يجب الانصات والاستماع .  
وعن ابي عبد الله ( ع ) انه في حال الصلاة ، وغيرها . وذلك على  
وجه الاستحباب .

وقال الجبائي : يحتمل ان يكون اراد بالاستماع إذا قرأ النبي ( ع ) عليهم  
ذلك ، فانه كان فيهم من المنافقين من لا يستمع لذلك . والاول اكثر فائدة واعم .  
وقال الزجاج يجوز ان يكون الامر بالاستماع للقرآن للعمل بما فيه وان لا  
يتجاوزها كما تقول سمع الله لمن حمده بمعنى اجاب الله دعاه ، لان الله سميع عليم .  
اللغة :

والانصات السكوت مع الاستماع . قال الطرماح يصف وحشاً ،  
وحذرها الصيادين :

بخافتن بعض المضغ من خشية الردى وينصتن للسمع انصات القناقن (١)  
عراف الماء .

### قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ  
مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ( ٢٠٤ )  
آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه ( ع ) ان يذكره على حال التضرع والمراد به الامة .  
ونصب تضرعاً على الحال . وعلى وجه الخوف من عذابه والخيفة هو الخوف

( ١ ) اللسان ( نصت )

ويكون دعاؤه خالصاً لله ويفعل هذا الدعاء « بالندو » ، وهو اول النهار ، « والآصال » وهو جمع اصل . والاصل جمع الاصيل فالآصال جمع الجمع وتصغيره اصيلا على بدل النون . وقال قوم هو جمع اصل والاصل يقع على الواحد والجمع ومعناه العشيات . وهو ما بين المصير إلى غروب الشمس .

وقال ابن زيد: الخطاب متوجه إلى المستمع للقرآن إذا نلى ثم أكد توصية له في الدعاء بقوله « ولا تكن من الغافلين » والمعنى لا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء له والذكر لله .

وقال الجبائي في الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم بالدعاء ومجبرون بها مخطؤون على خلاف الصواب .

ومن قرأ « وخيفة » اراد اخف الدعاء واترك الاجهاد ، وهو تأكيد لما امر به من الدعاء إخفاء .

وقوله « ودون الجهر » يعني دعاء باللسان في خفاء الاجهاد .

وقال قوم : الآية متوجهة إلى من امر بالاستماع للقرآن والانصات له الذين كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار ، ذهب اليه ابن زيد ومجاهد وابن جريج واختاره الطبري ، والأولى ان يكون ذلك متوجهاً إلى النبي ، والمراد به جميع الامة ، فانه اكثر فائدة .

وإنما أمره بالذكر في النفس وإن كان لا يقدر عليه العبد لأمرين :

أحدهما - ان المراد به التعرض للذكر من جهة الفكر، وهذا في الذكر المضاد لسهو.

الثاني - انه امر بالذكر الذي هو القول فيما يخفى كحديث النفس .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ



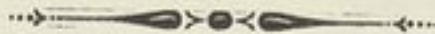
وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٥﴾ آية بلا خلاف .

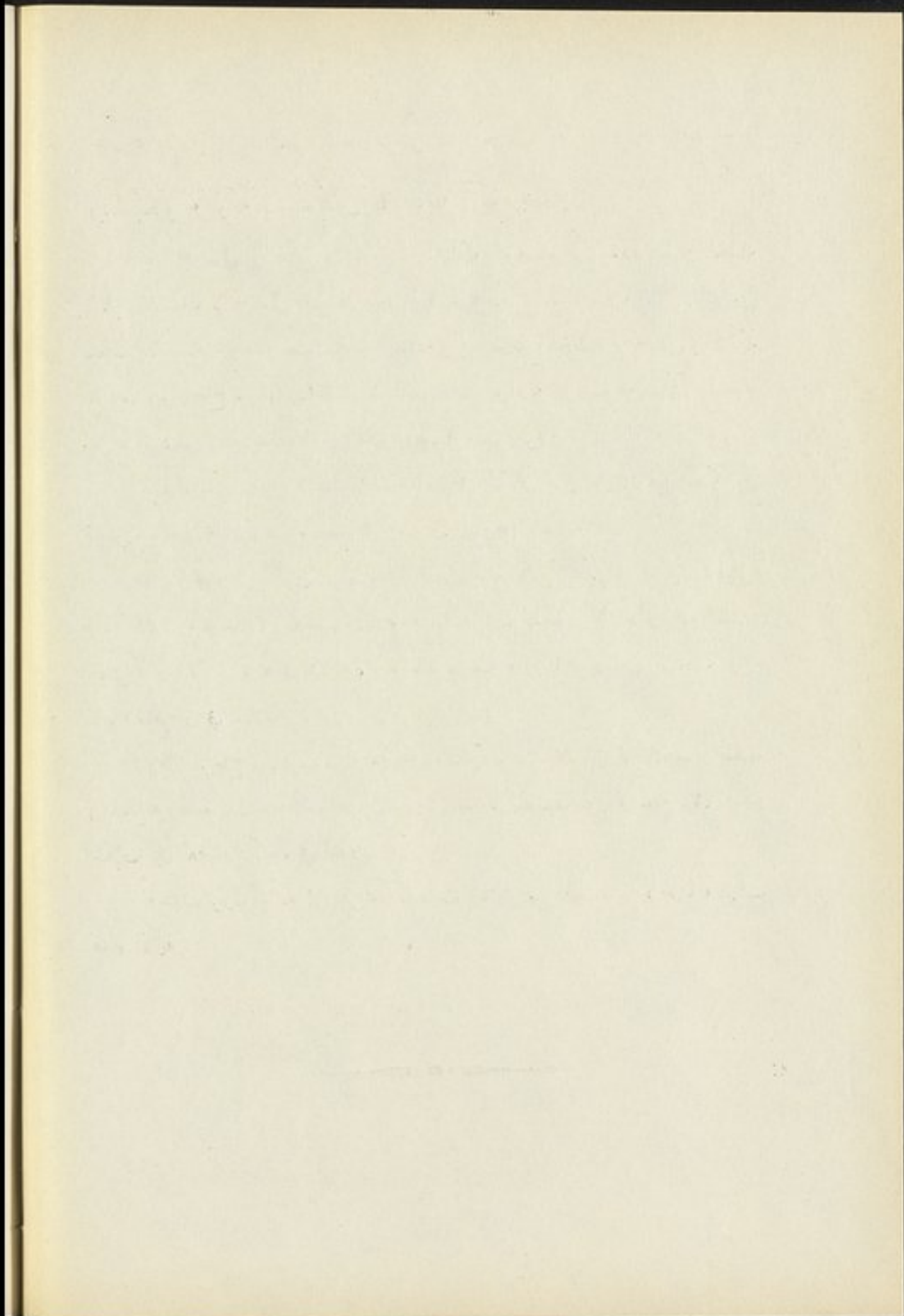
بين الله تعالى ان الذين عنده ، وهم الملائكة ، ومعناه انهم عنده بالمنزلة الجليلة لا يقرب المسافة لانه تعالى ليس في مكان ولا جهة فيقرب غيره منه ، لان ذلك من صفات الاجسام ، وهذا حث منه على الطاعة والاستكانة والخضوع له لان الملائكة مع فضلها وارتفاع منزلتها اذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائماً وتسجد مثل ذلك فبنوا آدم بذلك اولى واحق ولهم اوجب والزم .

قال الجبائي معنى « عند ربك » انهم في المكان الذي لا يملك فيه الحكم بين الخلق سواه لانه ملك عباده الحكم في الارض على وجه حسن .  
قال ويجوز ان يكون المراد بذلك أنهم رسله الذين يبعثهم في امور الانس ، واذا كانوا رسله جاز ان ينسبهم الى نفسه فيقول انهم عنده ، كما يقال عند الخليفة جيش كثير ولا يراد به في مكانه ، ولا بالقرب منه ، وإنما يراد انهم أصحابه وان كانوا متفرقين في البلاد .

وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي قريب من تفضله واحسانه وهذه اول سجدة القرآن ، وهي عندنا مستحبة غير واجبة وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف .

وسبب نزول الآية ان قريشاً لما قالت وما الرحمن انسجد لما تأمرنا ، فنزلت هذه الآية .





## ( ٨ ) سورة الأنفال

هذه السورة مدنية في قول قتادة وابن عباس ومجاهد وعثمان ، وقال هي أول ما نزل على النبي ﴿ ع ﴾ بالمدينة ، وحكي عن ابن عباس : انها مدنية إلا سبع آيات اولها ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ) إلى آخر سبع آيات بعدها . وهي خمس وسبعون آية في الكوفي ، وسبع وسبعون آية في الشامي ، وست في المدينيين والبصري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ يَدَيْهِمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) ( ١ ) آية بلا خلاف .

اختلف المفسرون في معنى لانفال ههنا فقال بعضهم هي الغنائم التي غنمها النبي ( ع ) يوم بدر ، فسألوه لمن هي فأمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم هي لله ورسوله ، ذهب اليه عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد .  
وقال قوم : هي انفال السرايا ذهب اليه علي بن صالح بن يحيى .  
وقال قوم : هو ما شد من المشركين إلى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطا . وقال : هو للنبي ( ع ) خاصة يعمل به ما يشاء .

وروي عن ابن عباس في رواية أخرى انه ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح .

وفي رواية أخرى انه سلب الرجل وفرسه بنفل النبي ( ع ) من شاء .

وقال قوم : هو الخمس ، روي ذلك عن مجاهد ، قال قال المهاجرون لم يرع منا هذا الخمس ويخرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ( ع ) ان الأفعال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها اهله .

وتسمية الفقهاء فيئاً وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب والآجام وبطون الأودية ، والموات وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه وقالوا هو لله والرسول وبعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته ليس لاحد فيه شيء . وقالوا إن غنائم بدر كانت للنبي ( ع ) خاصة ، فسألوه ان يعطيهم .

وفي قراءة اهل البيت : « يسألونك الأفعال » فأنزل الله تعالى قوله : « قل الأفعال لله وللرسول » ولذلك قال « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم » ولو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم اتقوا الله .

اللغة :

والأفعال جمع نفل والنفل هو الزيادة على الشيء ، يقال نفلتك كذا اذا زدته قال لبيد بن ربيعة :

ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي والمجمل ( ١ )

والنفل هو ما أعطيته المرء على البلاء والفناء على الجيش على غير قسمة . وكل شيء .

( ١ ) تفسير القرطبي ٨ : ٣٦١ واللسان ( نفل ) . وجماز القرآن ١ : ٢٤٠ .

كان زيادة على الأصل ، فهو نفل ، وناهية . ومنه قيل لولد الولد نافلة ، ولما زاد على فرائض الصلاة نافلة .

### سبب النزول :

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، فقال قوم : نزلت في غنأم بدر ، لان النبي ﴿ ع ﴾ كان نفل اقواماً على بلاه . فأبلى اقوام ونخلف آخرون مع النبي ﴿ ع ﴾ فلما انقضى الحرب اختلفوا ، فقال قوم : نحن اخذنا ، لانا قتلنا . وقال آخرون : نحن احطنا بالنبي ﴿ ع ﴾ ولو اردنا لاخذنا . وقال آخرون نحن كنا وراءكم نحفضكم فأنزل الله هذه الآية يعلمهم ان ما فعل فيها رسول الله ( ص ) ماض جائز - ذهب اليه ابن عباس ، وعكرمة ، وعبادة بن الصامت .

وقال قوم : نزلت في بعض اصحاب النبي ﴿ ع ﴾ سأل من المغنم شيئاً قبل قسمتها فلم يعطه اياها اذ كان شركاً بين الجيش فجعل الله جميع ذلك للنبي ﴿ ع ﴾ روي ذلك عن سعد بن مالك وهو ابن ابي وقاص . قال وكان سيف سعد بن العاص لما قتله اخوته وكان يسمى ذا الكشيعة ، قال سعد أتيت النبي ﴿ ع ﴾ فسألته سيفاً فقال ليس هذا لي ولا لك فوليت عنه . قال فاذا رسول الله ﴿ ص ﴾ خلني فقال ان السيف قد صار لي فأعطانيه ، ونزلت الآية .

وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة قال : اصبت سيف ابن عابد وكان يسمى المرزبان فألقيته في النفل ، فقام الارقم بن ابي الارقم المخزومي فسأل رسول الله فأعطاه اياه . وقال آخرون ان اصحاب النبي ﴿ ع ﴾ سألوه ان يقسم غنيمة بدر عليهم يوم بدر وأعلمهم الله ان ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شيء .

### المعنى :

وقالوا معنى ( عن ) ههنا معنى ( من ) وكان ابن مسعود يقرؤه « يسألونك الأفعال »

على هذا التأويل . وهذا مثل ما روينا عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروي ذلك عن الأعمش ، والضحاك عن ابن مسعود ، وروي ذلك عن ابن عباس ، وابن جريج وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وعن الضحاك ، وعكرمة ، واختاره الطبري وهو قول الحسن .

وقال الحسن قال رسول الله (ص) أي أسرية خرجت بغير إذن إمامها فما أصابت من شيء ، فهو غلول .

وقال الزجاج كانت الغنائم قبل النبي (ع) حراماً فسألوا النبي عن ذلك فنزلت الآية ، وهذا بعيد .

واختلفوا هل هي منسوخة أم لا ؟

فقال قوم : هي منسوخة بقوله « واعلموا أنما غنمتم من شيء . . . » الآية . وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة والسدي وطاهر الشعبي واختاره الجبائي .

وقال آخرون ليست منسوخة ، ذهب إليه ابن زيد واختاره الطبري ، وهو الصحيح ، لأن النسخ محتاج إلى دليل ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين آية الخمس ، فيقال إنها نسختها .

واختلفوا هل لاحد بعد النبي (ع) أن ينفل احداً - ذكرناه في الخلاف - فقال سعيد بن المسيب لا تقل بعد رسول الله . وبه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وعندنا وعند جماعة من الفقهاء واختاره الطبري : أن للأئمة أن يتأسوا بالنبي (ع) في ذلك .

وقوله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » أمر من الله للمكافئين أن يتقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته وأن يصلحوا ذات بينهم .

واختلفوا في معناه ، فقال قوم هو أن النبي (ع) كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار إذا قتله ، فلما نزلت الآية أمرهم أن يرد بعضهم على

بعض ، ذهب اليه قتادة وابن جريج .

وقال قوم : هذا نهى من الله للقوم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر ، ذهب اليه مجاهد وابن عباس وسفيان والسدي .

واختلفوا لم قال « ذات بينكم » فأنت والبين مذكر .

فقال قوم : اراد « ذات بينكم » للحال التي للبين ، كما يقولون ذات العشاء يريدون الساعة التي فيها العشاء ، ولم يصفوا مذكراً لمؤنث ولا مؤنثاً لمذكر .

قال الزجاج اراد الحال التي ينصلح بها امر المسلمين .

وقال الأَخْفَش جملة ذات لأن بعض الاشياء يوضع عليه اسم المؤنث وبعضه يذكر مثل الدار والحائط أنت الدار وذكر الحائط .

وقوله « واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » امر من الله للخلق ان يطيعوه ولا يعصوه ، ويطيعوا رسوله فيما يأمرهم به ان كانوا مصدقين لرسوله فيما يأثمهم به من قبل الله ، لانهم متى لم يطيعوه ولا يقبلوا منه لم يكونوا مؤمنين .

وروي : ان رسول الله ( ص ) قسم غنائم بدر بينهم عن تواء ، يعني سوا ، ولم يخمس وإنما خمس بمد ذلك .

وقال الزجاج : « ذات بينكم » معناه حقيقة وصلحكم . والبين الوصل ، لقوله تعالى « لقد تقطع بينكم » اي وصلحكم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَمَاذَا نُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

ثلاث آيات بلا خلاف .

المعنى :

استدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح قد تكون ايماناً بهذه الآيات ، فقالوا : قى الله ان يكون المؤمن إلا من اذا ذكر الله وجل قلبه وإذا تليت عليه اي قرأت زادتهم الآية ايماناً ، بمعنى انهم يزدادون عند تلاوتها ايماناً ، وانهم على الله يتوكلون في جميع امورهم « الذين يقيمون الصلاة » بمعنى يأتون بها على ما بينها النبي (ع) وينفقون مما رزقهم الله في ابواب البر ، واخراج الواجبات من الزكاة وغيرها . ثم وصفهم بأن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الاوصاف هم المؤمنون حقاً يعني الذين اخلصوا الايمان ، لا كمن كان له اسمه على الظاهر وإن لهم الدرجات عند الله وهي المنازل التي يتفاضل بها بعضهم على بعض وإن لهم المغفرة والرزق الكريم فدل على ان من ليس كذلك ليس له ذلك .

ومن خالف في ذلك قال : هذه اوصاف أفضل المؤمنين ، وخيارهم ، وليس يتمتع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الايمان ، يبين ذلك انه قال في اول الآية « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » وجل القلب ليس بواجب بلا خلاف ، وإنما ذلك من المندوبات .

وقوله « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » لانه اذا صدق بأية آية انها من عند الله ، فلا شك ان معارفه تزداد وان لم يزد بفعل الجوارح . وقوله « الذين يقيمون الصلاة » يدخل في ذلك الفرائض والنوافل ، ولا شك ان الاخلال بالنوافل لا يخرج من الايمان ولا ينقص منه عند الاكثر . والاتفاق أيضاً قد يكون بالواجب والنفل . والاخلال بما ليس بواجب منه لا يخرج من الايمان



بلاخلاف . وقوله « اولئك هم المؤمنون حقا » يبين ذلك انه أشار به : الى خيارهم وأفضلهم لان هذه أوصافهم فمن اين ان غيرهم وان كان دونهم في المنزلة لا يكون مؤمناً؟! وقال ابن عباس : اراد ان المناق لا يدخل قلبه شيء من ذلك عند ذكر الله . وان هذه الاوصاف منتفية عنه .

اللغة :

والوجل والخوف ، والفزع واحد ، يقال : وجل فلان يوجل وجلا . ويقال يا جل ويوجل وييجل . قال الله تعالى « لا توجل » اي لا تخف قال الشاعر :  
 لعمرك ما ادري واني لا ووجل على أينا تعدو المنية اول ( ١ )  
 وانما وصفهم بالوجل ههنا وباطمئنان القلوب في قوله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » ( ٢ ) لان الوجل يكون بالخوف من عقابه وبارتكاب معاصيه . والاطمئنان بذكر الله معناه : بنعمه وعدله ، ووصفهم بالوجل يكون في دار الدنيا ، وأما في الآخرة فانه « لا يحزنهم الفزع الأكبر » ( ٣ ) .

المعنى :

وقال الربيع : معنى زادتهم ايمانا زادتهم حسنة والدرجات عند الله : قال قوم : معناه أعمال رفيعة وفضائل استحقوها في أيام حياتهم ذهب اليه مجاهد . وقال غيره : معناه لهم مراتب رفيعة . والرزق الكريم ، قال قتادة : هو الجنة . وقال غيره : هو ما أعد الله لهم ووعدهم به في الجنة من أنواع النعيم والمغفرة يعني لذنوبهم ومعاصيهم سترها الله عليهم .

وقوله : « حقا » منصوب بمنى ذات عليه الجملة . وهي قوله : « اولئك هم المؤمنون » والمعنى أحق ذلك حقا . والتوكل هو الثقة بالله في كل امر يحتاج اليه ،

( ١ ) قطر الندى : ٢٣ الشاهد ٦ باب المعرب والمبني . وغيرها كثير .

( ٢ ) سورة الانبياء . آية ١٠٣

( ٣ ) سورة الرعد آية ٣٠

تقول وكلت الامر الى فلان ، اذا جعلت اليه القيام به ، ومنه الوكيل القائم بالامر لغيره . والكريم القادر على النعم من غير مانع ولم يزل الله كريماً بهذا المعنى .

### قوله تعالى :

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ لَسَكَارِهُونَ ﴾ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا  
يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿ (٦) آيتان بلا خلاف .

### القراءة والحجة :

من مد الف ( كما ) فلأن المد يقع في حروف اللين ، وهي الألف والواو والياء ،  
فاذا كان الحرف منها قبل همزة وكانت الواو والياء ساكنتين والالف لا تكون الا  
ساكنة مدوا الالف كألف هذه الكلمة . وكقوله « من السماء من ماء » (١) بمد  
الف السماء والـف ماء ، والياء نحو قوله « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى  
يوحى » (٢) بمد الياء من الهوى ، والواو نحو قوله « قالوا اأنت فعلت هذا » (٣)  
بمد الواو .

### الاعراب والمعنى :

واختلفوا في الكاف من قوله « كما » اشارة الى ماذا؟ فقال الزجاج وغيره قوله  
« كما أخرجك » معطوف على قوله « قل الا نقال لله والرسول » والمعنى في ذلك ان  
رسول الله لما جعل النفل لمن عمله له وسلمه المؤمنون لذلك على كراهية بعضهم له

(٢) سورة النجم آية ٣ - ٤

(١) سورة البقرة آية ١٦٤

(٣) سورة الانبياء آية ٦٢

كراهية طابع ، فقال « الأنفال لله والرسول » فامض لذلك وان كرهه قوم كما مضيت  
« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » وهم كارهون أيضاً لانهم كانوا كرهوا خروجه  
الكراهية التي ذكرناها ، وليس على المؤمنين في هذه الكراهية حرج ، اذا سلموا  
الامر لله ورسوله وعملوا بما فيه طاعاتها .

وقال غيره ذلك معطوف على قوله « يسألونك عن الأنفال » كأنه قال : يسألونك الأنفال  
كما جادلوك عند ما أخرجك ربك من بيتك ، فذلك قوله « يجادلونك في الحق بعد ما تبين » .  
وقال قوم يجوز ان يكون الكاف على قوله : « او انك هم المؤمنون حقاً » كما  
أخرجك ربك من بيتك بالحق .

وقال بعضهم : « كما أخرجك ربك من بيتك . فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم »  
وقال مجاهد « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق . يجادلونك في الحق من بعد  
ما تبين » يعني يجادلونك في القتال بعد ما امرت به

وقال الفراء : قوله « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » جوابه قوله : « وإن  
فريقاً من المؤمنين لكارهون » فقال : فامض لامرك في الغنائم على ماشئت « كما أخرجك  
ربك » مجاز اليمين كأنه قال والذي أخرجك ربك فتكون ( ما ) في موضع الذي كقوله :  
« وما خلق الذكر والانثى » (١) وتقديره والذي خلق الذكر ، وقال ابو عبيدة معمر  
ابن المنبجى : ( ما ) في قوله « كما أخرجك » كما في قوله « وما بناها » (٢) أى وبنائها .  
وقال عكرمة : المعنى اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما  
أخرجك ربك من بيتك بالحق وكان خير لكم .

وقال بعضهم : الكاف بمعنى ( على ) كأنه قال امض على الذي أخرجك  
من بيتك .

والحق الذي جادلوا فيه هو القتال في قول مجاهد . و « بيتك » يراد به

( ١ ) سورة الليل آية ٣

( ٢ ) سورة الشمس آية ٥

المدينة ، أخرجته الله الى بدر ، في قول ابن جريج ، وابن ابي نجيح واكثر المفسرين .  
 ووجه كراهية القتال ما ذكره ابن عباس من ان ابا سفيان لما اقبل بعير قريش  
 من الشام فيها اموالهم ، نذب النبي ( ع ) للمسلمين الى الخروج اليها ، قال لعل الله ان  
 ينفلكموها ، فانتدب اليهم نخف بعضهم ونقل بعضهم ، ولم يظنوا أن رسول الله ملقى  
 كيداً ولا حزناً ، وهو قول السدي والمفسرين . واختلفوا في المؤمنين الذين كرهوا  
 القتال ، وجادلوا النبي ( ع ) .

فقال قوم : اراد به اهل الائمة — ان يوم بدر ذكر ذلك عن ابن عباس ،  
 وابن اسحاق .

وقال قوم : عنى المشركين ، ذهب اليه ابن زيد ، وقال هؤلاء المشركون جادلوه  
 في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعوم إلى الاسلام ، وهم ينظرون ، قال  
 وتكون هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر . وقول ابن عباس هو الظاهر ، وعليه اكثر  
 المفسرين ، وهو ان هذا صفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك كراهية الطبع ، لكونهم  
 غير مستعدين للقتال ، ولقلتهم وكثرة المشركين ، ويقوي ذلك قوله بعد هذه الآية  
 « وإذ يدعكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غيرذات الشوكة تكون لكم »  
 فبين بذلك انهم كانوا يودون العير دون الحرب .

وقوله « بعد ما تبين » انك يا محمد لا تصنع إلا ما امرك الله به . وقال ابن  
 عباس معناه بجادلونك في القتال بعد ما امرت به . والجدل شدة القتال . ومنه قولهم  
 جدلت الزمام اذا شددت فتله والاجدل الصقر لشدة . وقوله « كأنما يساقون إلى  
 الموت وهم ينظرون » معناه كان هؤلاء الذين بجادلونك في لقاء العدو في كراهتهم  
 للقتال إذا دعوا إليه وصموبته عليهم بمنزلة من يساق إلى الموت وهم يرونه او يتوقعونه .  
 والسوق الحث على السير عجلة . والخراج في الآية معناه الدعاء إلى الخروج  
 الذي يقم به ، تقول اخرجته فخرج أى دعاه فخرج ومثله أضربت زيداً عمراً ، فضر به

وسمي البيت بيتاً لانه جاء مهيئاً للمبيتة فيه ،

وقوله « من بيتك » قال الحسن وابن ابي برة وابن جريج معناه من المدينة .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمُدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنْهَالَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ  
غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

تقدير الآية واذكر يا محمد إذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أما العير وأما قريشاً .

قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة لما

وعده الله .

وقوله « إحدى الطائفتين » يعني عير قريش او قريشاً ، وكان الله وعد نبيه

حصول احديها له .

### الاعراب :

وقوله « إحدى الطائفتين » في موضع نصب بـ ( يمدكم الله ) وقوله « إنها

لكم » نصب بدل من قوله « إحدى الطائفتين » ومثله « هل ينظرون إلا الساعة أن

تأتيهم بغتة » (١) فإنها في موضع نصب بدلا من الساعة . ومثله : ﴿ ولولا رجال

مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا ان تطؤم ﴾ (٢) قال الزجاج تقديره لولا

ان تطؤم .

اللغة :

وقوله « وتودون » معناه وتحبون « ان غير ذات الشوكة » يعني القتال . وإنما قال ﴿ ذات الشوكة ﴾ فأنت لانه عنى الطائفة . والشوكة الجذ . يقال ما اشد شوكة بني فلان . وفلان شاك في السلاح وشائك وشاك بتشديد الكاف من الشكة . ومثله شاك ، قال الشاعر :

فيومهموني اني هو ذا كم      شاك سلاحي في الحوادث معلم

المعنى :

وقال الضحاك ، وغيره كرهوا القتال وأعجبهم ان يأخذوا العير .  
وقوله ﴿ ويريد الله ان يحق الحق ﴾ معناه ان الله يريد ان يظهر محمداً ﴿ص﴾  
ومن معه على الحق ، ﴿ ويبطل الباطل ﴾ اي يبطل ما جاء به المشركون .  
وقيل هذه الآية نزلت قبل قوله : « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ، وهي في القراءة بعدها ذكره البلخي والحسن .

وفي الآية دلالة على ان الله لا يريد الباطل ولا يريد ابطال الحق بخلاف ما يقول المجبرة من ان كل ما في الارض من باطل وسفه وفسق فان الله يريد ان ذلك خلاف الآية .

وقوله « ويقطع دابر الكافرين » معناه يريد الله ان يمحى الجاحدين من اصلهم والدابر المأخر وقطعه الايمان على جميعهم ، وهو قول ابن زيد وغيره .  
وقال قوم : الحق في هذا الموضع القرآن . والباطل ابليس .  
وقيل الحق الاسلام ، والباطل الشرك .

وقال ابن عباس كان عدة أهل بدر مع النبي ﴿ص﴾ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً .  
وروي ان النبي ( ص ) لما بلغه خروج قريش لحماية العير شاور اصحابه فقال قوم :

خرجنا غير مستعدين للقتال . وقال المقداد ارض لما امرك الله به فوالله لو خضت بنا  
الجر لتبعناك خيرا وخيرا واعد الاستشارة . فقال سعد بن معاذ (رحمه الله) يا رسول الله  
لعلك تريدنا ، قال نعم فقال سعد : إنا آمننا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق  
واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسول الله لما  
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لنخوضه معك ، فسر  
رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ذلك . ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا  
فان الله وعدي احدي الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم .  
(والحق) وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شيء بضرورة او حجة  
فهو حق ، لأنه وقع موقعه الذي هو له ، وعكسه الباطل .

وروي ان احداً لم يشاهد الملائكة يوم بدر إلا رسول الله (ص) ومعنى  
قوله « ليحق الحق » ليظهر تحقيق الحق للمخلوقين ويبطل الباطل لانها لم يكونا  
كذلك عنده .

### قوله تعالى :

﴿ إِذْ نَسَتْغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنْ  
الملائكةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة والاعراب:

قرأ اهل المدينة وبعقوب « مردفين » بفتح الدال . الباقون بكسرها .

قال ابو علي : من قرأ بكسر الدال احتمل شيئين :

احدهما - ان يكونوا مردفين مثلهم ، كما تقول اردفت زيدا دابتي فيكون

المفعول الثاني محذرفاً في الآية وذلك كثير .

الثاني - ان يكون معنى « مردفين » جاؤا بعدهم . قال ابو الحسن : تقول العرب بنو فلان يردفوننا اي هم يجيئون بعد . وهو قول ابي عبيدة . وردفني و اردفني واحد . قال الشاعر :

إذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنوننا (١)

وقال قوم : ردفه صار له ردفاً و اردفه جملة له ردفاً . ويكون اردفت الثريا نفسه . ومعنى البيت ان الجوزاء اذا طلعت في شدة الحر لم يبق حينئذ احد من البوادي في مناجمهم ، لان مياه الغدران بسبت فقفرق الحلل بعد اجتماعها فتفترق ظنونه في امر فاطمة انها اي ماء تأخذ لتعلق قلبه بها ، وهي فاطمة بنت حل بن عدي . وقول ابي عبيدة ردفني و اردفني واحد وهو اقوى لقوله « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » اي جاء من بعد لاستغاثتكم ربكم فـ ( مردفين ) على هذه صفة للالف الذين هم الملائكة .

ومن قرأ بفتح الدال ثمناء اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم ، فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بألف من الملائكة ، والعامل في إذ يحتمل شيئين :

احدهما - ويبطل الباطل (اذ) الثاني - بتقدير اذكروا (إذ)

( ١ ) قائله خزيمه بن مالك بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قصاعة وهو من قداماء شعراء الجاهلية . وقيل خزيمه - بالحاء المهملة - بن نهد . الاغانى ١٣ : ٧٥ طبعة دار الثقافة . ومعجم ما استعجم : ١٩ ، وسمط اللآلى : ١٠٠ واللسان ( قرظ ) ، ( ردف ) ولهذا الشعر قصة طويلة ذكرها في الاغانى . وفاطمة التي ذكرها قيل : هي بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وكان يهاها فخطبها من أبيها فلم يعطها ياها . و ( الجوزاء ) برج من الابراج الفلكية . و اردفتها أى تبعتها ويكون ذلك في الحر الشديد .



فعلى الوجه الاول يكون متصلاً بما قبله وعلى الثاني يكون مستأنفاً .  
والاستغاثة طلب المعونة وهو سد الخلة في وقت شدة الحاجة .  
وقيل في معنى «تستغيثون ربكم» تستجيرون به من عدوكم والاستجابة موافقة  
المسألة بالمعطية وأصله طلب الموافقة بالارادة وليس في الاجابة معنى الطلب من هذه الجهة .

المعنى :

وقيل في معنى « مردفين » ثلاثة اقوال :

قال ابن عباس: مع كل ملك ملك ردف له . وقال الجبائي: هم ألقان لان مع  
كل واحد واحد ردفأ له .

والثاني - قال السدي وقتادة : ان معناه متتابعين .

الثالث - قال مجاهد ممدين بالارداف وامداد المسلمين بهم . ويقال هذه دابة  
لا ترادف ، ولا يقال تردف ، ويقال اردفت الرجل اذا جئت بعده . وكان يجوز ان  
يقره بتشديد الدال وفتح الراء وضمها ، لان الاصل مرتدفين . وقرىء في الشواذ  
بضمها فن فتح الراء نقل فتحة التاء اليها ومن كسرهما فلاجتماع الماكنين ومن  
ضمها فللاتباع .

اخبر الله تعالى عن حال اهل بدر انهم لقله عددهم استغاثوا بالله والتجأوا اليه  
فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين ، رحمة لهم ورأفة بهم ، وهو قول ابن عباس ،  
وقال : الداعي كان رسول الله ( ص ) وهو قول أبي جعفر ( ع ) والسدي وابي صالح  
وهو المروي عن عمر بن الخطاب .

وقيل انهم قتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال الحسن جميع ما أمدوا به من الملائكة خمسة آلاف : ما ذكر هنا ، وما ذكر  
في آل عمران . وقال غيره جميعهم ثمانية آلاف . وقال الحسن: أردف بهؤلاء الألف

الثلاثة آلاف الذين ذكروهم في آل عمران . ثم اردفهم بألف آخر فصاروا خمسة آلاف .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَاتَّطَمَّئِنَّا بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النُّصْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ( ١٠ ) آية بلا خلاف .

الهاء في قوله « جعله الله » يحتمل ان تكون عائدة الى الامداد ، لانه معتمد الكلام . وقال الفراء : هي راجعة الى الارداف .

ويحتمل ان تكون عائدة على الخبر بالمدد ، لان تقديم ذلك اليهم بشارة في الحقيقة . اخبر الله تعالى انه لم يجعل هذا الذي اخبر به من امداد الملائكة إلا بشرى . وإنما جعله بأن اراده به فقلبه الى هذا المعنى . وقيل جعله بشرى بأن امر الملائكة ان تبشر به .

### اللفظة :

والجعل على ضروب : اولها - ان يكون بمعنى القلب ، كقولك جعلت الطين خزفاً . وبمعنى الحكم كقولك جعله الحاكم فاسقاً . وبمعنى الظن كقولك جعلته كريماً بحسن ظني به . وبمعنى الأمر كقولك جعله الله مسلماً بمعنى أمره بالاسلام . وقوله « ولتطمئن به قلوبكم » فالاطمئنان الثقة ببلوغ المحبوب ، وهو خلاف الانزعاج . والطمأنينة : السكون والدعة .

### المعنى :

وقوله : « وما النصر إلا من عند الله » معناه لا يكون النصر وقهر الاعداء من الكفار إلا بفضل من عند الله ونصر من جهته . وليس ذلك بشدتك وقوة بأسك وإنما اضافته إلى الله ، لئلا يظن أنه من قبل الملائكة من غير أمره .

فأما الغلبة بكثرة العدد فقد يتفق للكافر والمبطل ، فعلى هذا المؤمن ، وإن قتل فهو منصور غير مخذول . والكافر وإن غلب وقتل فهو مخذول .  
وهل قاتلت الملائكة يوم بدر قيل فيه قولان :

قال ابو علي الجبائي : ما قاتلت ، وإنما اراد الله بالامداد البشارة بالنصر واطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الذي كان بهم ، قال لان ملكاً واحداً يقدر ان يدمر على جميع المشركين ، كما أهلك جبرائيل قريات لوط . وروي عن ابن مسعود : انها قاتلت . وقيل سأل ابو جهل من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قالوا له من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم .

وقوله « ان الله عزيز » يعني قادر لا يغالب و« حكيم » في أفعاله ليثقفوا بوعده.

### قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفُوبَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ ( ١١ ) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير و ابو عمرو « يغشاكم » بفتح الياء وسكون الغين وبألف مخفف . وقراءة اهل المدينة بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مخففاً من غير الف . الباقون بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وكسرها من غير الف . وكلهم نصب النعاس الا ابن كثير و ابو عمرو ، فانها رفعا .

وحجة من فتح الياء قوله « امنة نعاماً يغشى » ( ١ ) . فكما اسند الفعل الى النعاس

والأمنة ، كذلك ههنا . ومن قرأ بضم الياء وشدد الشين أو خففها ، فالمعنى واحد . قال الله تعالى ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ( ١ ) وقال : ﴿ فغشاها ما غشى ﴾ ( ٢ ) وقال ﴿ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ ﴾ ( ٣ ) وحجتها انه اشبه بما بعده ، لانه قال ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ فكما ان ينزل مسند الى اسم الله كذلك ﴿ يغشى ﴾ .

### اللغة والاعراب :

ويغشى ( الغشيان ) لباس الشيء ، ما يتصل به ومنه غشي الرجل امرأته فكان النعاس قد لا يسهم بمخالطته ايام . و ( النعاس ) ابتداء حال النوم قبل الاستئصال فيه ، وهو السنة تقول : نعتس نعتسا فهو ناعس . وحكى الفراء انه سمع نعتسات . و ( الأمنة ) الدعة التي تنافي المخافة ، تقول امن امنا وامانا وامنة . وانتصب ( امنة ) بأنه المفعول له والعامل فيه ( يغشى ) .

### المعنى :

وقوله ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ يعني مطراً وغيثاً . وقوله : ﴿ ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ قال ابن عباس : معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان بأنه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلوا وانتم مجنبن ، لأن المسلمون باتوا ليلة بدر على غير ماء ، فأصبحوا مجنبن ، فوسوس اليهم الشيطان ، فيقول : « ترعمون انكم على دين الله وانتم على غير الماء تصلون مجنبن ، وعدوكم على الماء فأرسل الله عليهم السماء ، فشربوا واغتسلوا واذبح بهوسوسة الشيطان ، وكانوا في رمل تفوس فيه الاقدام فشده المطر حتى تثبت عليه الرجال ، فهو قوله : ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ .

٢ ، سورة النجم آية ٥٤

١ ، سورة يس آية ٩

٣ ، سورة يونس آية ٢٧ .

والهاء في ( به ) راجعة إلى الماء .

وقال ابن زيد : يذهب بوسوسته انه ليس لكم بهؤلاء طاقة .

وقال الجبائي : لان الاحتلام بوسوسة الشيطان .

وقوله : « وليربط على قلوبكم » معناه ليشد عليها بما يسكنها .

وقوله « ويثبت به الأقدام » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين : لتليده الرمل

الذي لا يثبت عليه القدم .

والثاني - الصبر الذي أفرغه عليهم عند ذلك حتى ثبتوا ، لعدوهم في قول

ابي عبيدة ، والزجاج .

و ( إذ ) في موضع نصب على معنى ، وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت

وبجوز على تقدير إذكروا « إذ يغشاكم » .

### قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ

آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ

الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ( ١٢ ) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية اذكروا : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم » يعني بالأمونة

والنصرة ، كما يقال فلان مع فلان بمعنى ان معونته معه . وذكر الفراء قال : كان الملك

يأتي الرجل من أصحاب النبي ﴿ ع ﴾ فيقول : سمعت المشركين يقولون ، والله لنن

حملوا علينا لنكشفن ، فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً فيقوي انفسهم بذلك .

و ( الإيحاء ) إلقاء المعنى إلى النفس من وجه يخفى . وقد يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا على من التى إليه من الملائكة .

وقوله « فثبتوا الذين آمنوا » قيل في معناه قولان : احدهما - احضروا معهم الحرب . والثاني - قال الحسن : قاتلوا معهم يوم بدر . وقال قوم : معنى ذلك الاخبار بأنه لا بأس عليهم من عدوهم . وقوله « سألني في قلوب الذين كفروا الرعب » اخبار من الله تعالى أنه يلقى في قلوب الكفار الرعب ، وهو الخوف .

اللغة :

تقول رعبته أربعه رعباً ، ورعباناً ، فإنا راعب ، وذاك مرعوب . و(الرعب) انزعاج النفس بتوقع المكروه . وأصل الرعب التقطيم من قولهم رعبت السنام ترعبياً : إذا قطعته مستطيلاً . والرعب يقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه . وجارية رعبوبة إذا كانت شطنة مشبهة بقطعة من السنام . ورعب السيل فهو راعب : إذا امتلأ منه الوادي ، لأنه انقطع إليه من كل جهة . والرعب من الرجال النصير . قال الراجز :

ولا اجيب الرعب ان دعيت ( ١ )

وقوله « فاضربوا فوق الأعناق » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - اضربوا الاعناق ذهب اليه عطية . وقال غيره اضربوا على الاعناق . وقال قوم اضربوا فوق جلدة الاعناق .

وقوله « واضربوا منهم كل بنان » قال ابن جريج ، والضحاك ، والسدي : اراد بنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة . ويقال للاصبم بنانة . وأصله اللزوم من قولهم ابنت السحابة بناناً إذا لزمت . وابن بالمكان إذا لزمه فسمي البنان

( ١ ) قائله رؤية اللسان ( عب ) . ويرى أن رقبت .

بنائاً ، لانه يلزم به ما يقبض عليه . قال الشاعر :

ألا ليتني قطعت مني بنانة ولاقيته في البيت يقظان حاذراً (١)

وقال للفراء : اعلمهم ، ووضح الضرب ، فقال اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل .

وقال الزجاج أباح الله قتلهم بكل نوع يكون في الحرب . و ( إذ ) في موضع نصب على

قوله ( وايربط إذ يوحى ) ، ويجوز على تقدير واذا كروا .

### قوله تعالى :

﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ( ١٣ ) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه انما فعل بهؤلاء الكفار وامر بقتلهم وضرب اعناقهم وقطع

بنانهم جزاء بما شاقوا الله ورسوله . قال الزجاج : معناه جانبوا الله ، اي صاروا في

جانب غير جانب المؤمنين ، ومثله حاربوا الله .

### اللغة :

و ( الشقاق ) اصله الانفصال من قولهم انشق انشاقاً ، وشقه شقاً ، واشتق

القوم اذا مر بينهم وشاقه شقاقاً اذا صار في شق عدوه عليه وتشقق تشققاً وشقق

تشقيقاً ، ومنه اشتقاق الكلام لانه انفصال الكلمة عما يحتمله الأصل . ومعنى « شاقوا

الله » شاقوا اولياء الله ، كما قال « إن الذين يؤذون الله ورسوله » ( ٢ ) . وقوله « ومن

يشاقق الله » يجوز في العربية الاظهار والادغام ، فلما ان يأتي على الأصل للحاجة

( ١ ) قائله عباس بن مرداس اللسان وتاج العروس ( بنن ) وبجاز القرآن ١ : ٢٤٢

وتفسير الطبري ( دار المعارف ) ١٣ : ٤٣١ .

( ٢ ) سورة الأحزاب آية ٥٧

إلى حركة الأول ، وأما إن بحرك الثاني لالتقاء الساكنين بالكسر . ويجوز الفتح والاول أجود مع الالف واللام لتأكد سببه .

وقوله « فإن الله شديد العقاب » شدة العقاب عظمه بجنس فوق جنس أدنى منه ، لأن العظم على ضربين أحدهما بالتضعاف في المرتبة الواحدة . والثاني بالترقي إلى مرتبة بجنس يخالف الجنس الذي في أدنى مرتبة .

### قوله تعالى

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ ( ١٤ ) آية

بلا خلاف .

### الاعراب :

العامل في « ذلكم » يحتمل ا - جبين : أحدهما - الابتداء على تقدير الأمر « ذلكم » . قال الزجاج : من قال : ا . . يرفع ( ذلكم ) بما عاد عليه من الهاء او بالابتداء وجمل ( فذوقوه ) الخبر ، فقد أخطأ ، لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ لا يجوز ( زيد فنطلق ) ولا ( زيد فاضربه ) إلا ان تضمن هذا ، كقول الشاعر :

وقائلة خولان فانكح فتانهم  
واكرومة الحيين خلو كما هيا ( ١ )

اي هذه خولان . الثاني - ان يكون نصباً بذوقوا ، كما تقول زيدا ، فاضربه . والكاف في قوله « ذلكم » لا موضع له من الاعراب ، لانه حرف خطاب . ولو كان اسماً ، لجاز ان يؤكد بالنفس ، وذلك غير جائز إجماعاً . والاشارة بذلك إلى ما تقدم من انواع العمونات . وإنما ضم إلى الكاف الميم ، لأنه خطاب للمشرकिन .



## اللغة والمعنى والاعراب :

وقوله ( فذوقوه ) فاذوق طلب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم كما ان الشم طلب ادراك الرائحة بالانف . وليس بالادراك ، لانه يقال ذقته فلم اجده له طعماً . وشمته فلم اجده له رائحة . وانما قال « فذوقوه » والذوق اليسير من الطعام ، لان المعنى كونوا للعذاب كالذائق للطعام ، لان معظمه بعده . وقيل لان الذائق اشد احساساً بالطعم من المستمر عليه ، فكان حالهم ابدأ حال الذائق في شدة احساسه نموذ بالله منه ،

وقوله « وإن للكافرين » فوضع ( ان ) يحتمل النصب والرفع ، فالرفع بالمطف على ذلك كما انه قال « ذلكم » فذوقوه » وذلك « ان للكافرين عذاب النار » مع ذا . والنصب من وجهين : احدهما - وبان للكافرين ، والآخر - واعلموا ان للكافرين ، كما انشده الفراء :

تسمع للأحشاء منه لفظاً ولايدين جساءً وبدداً (١)

اي وترى لليدين وإنما قدم الخبر في قوله : « وأن للكافرين » على الاسم لدلالته على الكفر الذي هو السبب للعذاب . ومرتبة السبب قبل المسبب .

## قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للذين آمنوا من بين المكلفين ناداهم الله ليقبلوا إلى أمر الله بما

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٥ . ( اللفظ ) : الاصوات المبهمة والجساءة

- بضم الجيم وسكون السين - الخشونة والصلابة والغلظ . والهدد تباعد ما بين اليدين .

يأمرهم به وانتهائهم عما ينهونهم عنه بالتأمل له والتدبر لموجبه ليعملوا به ويكونوا على يقين منه . وقوله « إذا لقيتم الذين كفروا » فالالتقاء الاجتماع على وجه المقاربة ، لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة ، فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض في المحل الواحد ، و « الذين كفروا » هم الذين جحدوا نعم الله أو من كان بمنزلة الجاحد ، فالمشرك كافر ، لأنه في حكم الجاحد لنعم الله إذ عبد غيره .

وقوله « زحفاً » نصب على المصدر ، فالزحف هو الدنو قليلاً قليلاً والتزاحف التذاني ، زحف يزحف زحفاً ، وازحفت القوم إذا دنوت لقتالهم وثبت لهم ، والمزحف من الشعر الذي قد تدانت حروفه على ما أبطلت وزنه .

وقوله : « فلا توالوهم الا دباراً » نهي لهم عن الفرار عند لقاءهم الكفار

وقتلهم ايامهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ( ١٦ ) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أن « من يولهم » يعني الكفار يوم القتال دبره . « فقد باء »

بغضب من الله .

### اللغة والاعراب :

والتولية جعل الشيء يلي غيره وهو متعمد الى مفعولين . ولاء دبره اذا جعله يليه ومنه ولاء البلد من ولاية الامارة ، وتولى هو اذا قبل الولاية وأولاه نعمة ، لأنه جعلها تليه . وقوله « يومئذ » يجوز اعرابه وبنائوه ، فأعرابه لأنه متمكن أضيف على تقدير

الإضافة الحقيقية ، كقولك هذا يوم ذلك ، وأما البناء فلأنه اضيف الى مبني إضافة غير حقيقية ، فأشبه الأسماء المركبة . وقوله « إلا متحرفاً للقتال » فالتحرف الزوال من جهة الاستواء الى جهة الحرف . تقول تحرف تحرفاً ، وانحرف انحرفاً وحرفه تحريفاً واحترف احترافاً ، لانه يقصد جهة التحرف لطلب الرزق ، مثل أبعد في طلب الرزق والمحارف المحدود من جهة الرزق الى جهة الحرف . ومنه حروف الهجاء ، لانها اطراف الكلمة كحرف الجبل . ونحوه .

وقوله « او متحيزاً الى فئة » فالتحيز طلب حيز يتمكن فيه ، تحيز تحيزاً وانحاز انحيازاً وحازه يحوزه حوزاً والحيز المكان الذي فيه الجوهر . والفئة القطعة من الناس . وهي جماعة منقطعة عن غيرها . وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جداً ، وهو من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته .

### المعنى :

وفي تناول الوعيد لكل طار من الزحف خلاف .

فقال الحسن ، وقتادة ، والضحاك : انما كان ذلك يوم بدر خاصة .

وقال ابن عباس : هو عام ، وهو قول أبي جعفر وابي عبد الله (ع) .

ثم اخبر تعالى ان من ولي دبره على غير وجه التحرف للقتال ، او التحيز الى الفئة انه باء بغضب من الله . اي رجم بسخطه تعالى واستحقاق عقابه . وان مستقره « جهنم وبئس المصير » هي لمن صار اليها .

### الاعراب :

وقوله : « متحرفاً للقتال » نصب على الحال . وتقديره إلا ان يتحرف ، لان يقاتل ، وكذلك « متحيزاً » نصب على الحال « الى فئة » ، ويجوز النصب فيها على الاستثناء . وتقديره إلا رجلاً متحيزاً أو يكون متفرداً ، فيمحاذاً ليكون مع المقاتلة .

وأصل متحيز متحيز فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء .

### قوله تعالى :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَابْتُلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ ﴾ ( ١٧ ) آية بلا خلاف .

### القراءة :

قرأ ابن عاصم وحمة والكسائي وخلف « ولكن الله قتلهم . ولكن الله »  
بالتخفيف فيها ورفع اسم الله فيها . الباقيون بتشديد النون ونصب « الله » .

### المعنى :

نفي الله تعالى ان يكون المؤمنون قتلوا المشركون يوم بدر ، فقال « فلم تقتلوهم  
ولكن الله قتلهم » وإنما نفي القتل عن من هو فعله على الحقيقة . ونسبه إلى نفسه ،  
وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل ، والمؤدي اليه من  
إقذاره أيام ومعونته لهم وتشجيعهم قلوبهم فيه ، والقائه الرعب في قلوب اعدائهم  
المشركين حتى خذلوا وقتلوا على شركهم عقاباً لهم .

وقوله « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » مثل الأول في انه نفي الرمي عن  
النبي ﴿ ص ﴾ وان كان هو الرامي و اضافه إلى نفسه من حيث كان بلطفه ، واقذاره .  
وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسرين ، كابن عباس وغيره : أن النبي ﴿ ص ﴾  
أخذ كفاً من الحصباء فرماها في وجوههم ، وقال شامت الوجوه ، فقسمها الله تعالى  
على ابصارهم ، وشغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون ، وقتلهم كل مقاتل .

وقال بعضهم اراد بذلك رمي النبي (ص) ابي امية بن الخلف الجمحي يوم احد فأصابه فقتله .

وقال آخرون : اراد بذلك رمية سهمه يوم خيبر فأصاب ابن ابي الحقيق في فراشة رأسه ، فقتله . والأول اشهر الأقوال .

فأما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة ، بأن قال : لما قال : « ولكن الله رمى » - وكان النبي هو الرامي - ذلك على انه هو الله تعالى . وجهل قلة معرفة بوجوه الكلام لانه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضاً ، لانه خطاب للنبي (ص) بأنه لم يرم فان كان هو الله تعالى فالى من توجة الخطاب ؟ وان توجه اليه الخطاب دل على ان الله غيره .

وايضاً فاذا كان هو الله فقد نفى عنه الرمي فاذا اضافه بمد ذلك إلى الله كان متناقضاً على انه قد دلت الأدلة العقلية على ان الله ليس بجسم ولا حال في جسم ، فبطل قول من قال إن الله كان حل في محمد (ص) وليس هذا موضع نقضه . وقد ذكرنا الكلام في ذلك واستوفيناه في الاصول .

واما من قال ان الفعل واحد وهو من الله تعالى بالايجاد ومن العبد بالاكتساب فباطل ، لانه خلاف المفهوم من الكلام ولو كان كذلك لم يجوز ان ينفى عنه إلا بتقييد كما لا ينفى عن الله إلا بتقييد .

وقوله « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » معناه لينعم عليهم نعمة حسنة . والمعنى ولينصرهم الله نصراً جميلاً ويختبرهم بالتي هي احسن ، ومعنى يبلببهم ههنا يسدي اليهم . وقيل للنعمة بلاء وللمضرة ايضاً مثل ذلك ، لان اصله ما يظهر به الامر من الشكر او الصبر ومنه يبتلي بمعنى يختبر ويمتحن . وسميت النعمة بذلك لاطهار الشكر والضر ولاظهار الصبر الذي يجب به الاجر .

وقوله « إن الله سميع عليم » معناه انه يشم دعا من يدعوه ويعلم ما له فيه

من المصلحة فيجيبه اليه .

## قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨) آية بلاخلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم : « موهن » خفيفة منونة .  
وقرأ أبو عمرو وابن كثير وناقم شديدة . وقرأ حفص عن عاصم خفيفة مضافة وخفض  
( كيد ) . وقرأ الباقر بنصب كيد .

اللغة :

تقول وهن الشيء ، وأوهنته أنا كما تقول فرح وأفرحته وخرج وأخرجته .  
فمن قرأ « موهن » مخففاً فمن أوهن أي جعله واهناً ، ومن شدد فمن قوهم وهنته كما تقول  
خرج وأخرجته وعرف وعرفته . ومنه قوله « فما وهنوا لما أصابهم » ( ١ ) ، وقوله :  
وهن بين مثل ومق يمق . وولي يلي ، وهو أيضاً ، يثقل بالهمزة . وتثقل العين أيضاً  
والأمران جميعاً حسنان ، واختار الأخص القراءة بالتخفيف . والوهن الضعف  
ومنه قوهم توهن توهنا أي ضعف ، ومن قال قوله « ذلكم » في موضع رفع وتقديره  
قال الزجاج : الأمر « ذلكم وإن الله » والأمر إن الله

المعنى :

قوله « ذلكم » إشارة إلى قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا . وابتلا المؤمنين بالبلاء  
الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم واسرهم فعلنا الذي فعلناه . ومعنى « وإن الله موهن

كيد الكافرين « يضعف مكرهم حتى يذلوا ويهلكوا . وفي فتح (ان) من الوجوه ما في قوله « ذلكم فذوقوه ، وان للكافرين عذاب النار » وقد بيناه - والكيد يقع بأشياء منها الاطلاع على عوراتهم ، ومنها ابطال حيلهم ، ومنها لقاء الرعب في قلوبهم ، ومنها تقربك كلمتهم ، ومنها نقض ما ابرموا باختلاف عزومهم .

### قوله تعالى :

﴿ اِنْ كَسَفَتْكُمْ وَاَفْتَحْهُوَ فَفَدَّ جَاءُكُمْ الْفَتْحُ وَاِنْ نَزَلْتُمْ وَاَفْوَاخِيْرُ لَكُمْ وَاِنْ تَوَدُّوْا اَنْعَدُوْا وَاِنْ تُغْنِيْ عَنْكُمْ فُتُوْكُمْ شَيْئًا وَّلَوْ كَثُرَتْ وَاِنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (١٩) آية بلا خلاف .

### القراءة والاعراب :

قرأ نافع وابن عامر وحفص « وان الله » بفتح الالف . الباقيون بالكسر . من فتح الهمزة فوجهه ولن تغني « عنكم ففتنكم شيئاً ولو كثرت » ولان الله مع المؤمنين اي لذلك لا تغني عنكم ففتنكم شيئاً . ومن كسر قطمه عما قبله واستأثفه وقوي ذلك لما روي ان في قراءة ابن مسعود « والله مع المؤمنين » . والكسر اختيار القراء ، ومن نصب فعلى أن موضعه نصب بحذف حرف الجر ، ويجوز ان يكون عطفاً على قوله : « وان الله موهن » .

### اللغة والمعنى :

الاستفتاح طلب النصر التي بها يفتح بلاد العدو كأنه قال ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي (ع) .  
وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد استحكموا لان الاستفتاح الاستقضاء .

ويقال للقاضي الفتح ، فقد جاءكم الحكم من عند الله ، وهو قول الضحاك ، وعكرمة ، ومجاهد ، والزهري ، والاول قول ابن عباس وغيره والمعنيان متقاربان . وقيل في معنى الآية قولان :

احدهما - قال الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي والفراء : انه خطاب للمشركين لانهم استنصروا بان قالوا اللهم اقطعنا للرحم ، واظامننا لصاحبه فانصرنا عليه روي ان ابا جهل قال ذلك .

الثاني - قال ابو علي : هو خطاب للمؤمنين والمعنى وان تمودوا إلى مثل ما كان منكم يوم بدر في الأشر والبطر بالنعمة بعد الانكار عليكم .

وقال الحسن وان تمودوا لقتال محمد ﴿ص﴾ نعد عليكم بالقتل والاسر يامعشر قريش وجماعة الكفار وان تذهبوا عن الكفر بالله العظيم ورسوله وعن قتال نبيه فهو خير لكم وانتم لكم وأقرب إلى مرضاة الله .

والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه . تقول نهيتته عن كذا فأتتهى ، وامرته فأمر ، على فعل المطاوع وقد تطاوع بأن يقال كسرتة فانكسر ، وقد يكون الانتهاء بمعنى بلوغ الغاية .

وقوله تعالى ﴿وان تغني عنكم فئتكم شيئاً﴾ معناه انه لن يغني عنكم جمعكم في الدفاع عنكم والنصرة وان كانوا كثيرين وإن الله مع المؤمنين بالنصرة لهم والمعونة .

### قوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تقولوا عنه وأنتهم تكفرون﴾ (٢٠) آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين وإنما خصهم بالخطاب ، لان غيرهم بمنزلة من لا يمتد به في العمل بما يجب عليه مع ما في امراده ايام بالخطاب اعظام لهم واجلال



ورفع من اقدارهم . وإن دخل في معناه غيرهم .

والإيمان : هو التصديق بما أوجب الله على المكلف أو ندبه إليه .

وقال الرماني : هو التصديق بما يؤمن من العقاب مع العمل به .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله ، والطاعة هي امتثال أمره وموافقة إرادته الجاذبة إلى الفعل بطريق الرغبة أو الرهبة والاجابة موافقة الارادة فيما يعمل من اجلها . وقوله « ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » معناه ولا تعرضوا عن أمره ونهيه وأنتم تسمعون دعاءكم فمنهم من التولي في هذه الحال . وقال الحسن معناه وأنتم تسمعون الحججة .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢١)

آية بلا خلاف .

« ولا تكونوا » في موضع جزم وحذف النون دلالة على الجزم .

نهى الله تعالى المؤمنين الذين خصهم بالذكر في الآية الاولى عن ان يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وفي الكلام حذف المنهي عنه ، لانه قد دل عليه من غير جهة الذكر له وفي ذلك غاية البلاغة . والتقدير ولا يكونوا في قولهم المنكر هذا كالذين ، والتشبيه على ثلاثة أوجه : أعلى وادنى واوسط ، فالأعلى هو الذي حذف معه اداه التشبيه ، كقولهم للانسان هذا الاسد ، والأوسط تثبت معه مجردة كقوله « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » (١) والأدنى تأتي معه مقيدة كقولهم الجسم كالعرض في الحدوث .

ومعنى قوله « قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » معناه سمعنا سماع عالم قابل وليسوا كذلك ، وهو من صفة المنافقين في قول ابن اسحاق وابي علي .  
وقال الحسن يعني به اهل الكتاب . وقيل هو من صفة المشركين فجعلوا بمنزلة من لا يسمع في انهم لم ينتفعوا بالمسموع .

وقال ابو علي هي نفي القبول من قولك سمع الله لمن حده .  
وقال الزجاج : يعني الذين قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » فسمع الله لا يسمعون لانهم استمعوا استماع عداوة وبغضاء فلم يتفهموا ولم يتفكروا فكانوا بمنزلة من لم يسمع .

وقال ابن اسحاق : اراد به الذين يظهرون الايمان ويسرون النفاق .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

( ٢٢ ) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

أخبر الله تعالى « ان شر الدواب عند الله » والشر اظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو تقبض الخير . وقيل الشر الضر القبيح ، والخير النفع الحسن . وقيل الشر الضر الشديد . والخير النفع الكثير ، واصل الشر الاظهار من قول الشاعر :

كما اشرت بالأكف المصاحف (١)

(٢) نسب الى كعب بن جميل . وقيل هو لابن الجمام المري . وقيل لابن جهمه الأسدي راجع : وقفة صفين : ٣٣٦ ، ٤١١ . واللسان شرر ، وروايته :  
فا برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى اشرت بالأكف المصاحف  
واشرت - بتشديد الراء المفتوحه - مبنى للفعل . أي أظهرت بكثرة .

اي اظهرت وشر الر جل يشمر شرأ وشررت الثوب إذا بسطته في الشمس وشرر النار ما تطاير منه لظهوره بانتشاره ، وقرقه ومنه الشر وهو ما يظهر من الضرر كشرر النار .

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض إلا انه تخلص في العرف بالخليل دب يدب ديبياً .

فبين ان هؤلاء الكفار شر ما دب على الارض من الحيوان ثم شبههم بالصم البكم الذين لا يعقلون من حيث لم ينتفخوا بما كانوا يسمعون من وعظ الله ولا يتكلمون بكلمة الحق ، والصمم آفة في الاذن تمنع السمع ، صم يصم صمماً وهو اصم . وصمم على الارض إذا حقق العزم عليه وتصام عن القول إذا تغافل عنه . وعود اصم خلاف المجوف واصله المطابقة من غير خلل . والبكم الخرس : الذي يولد به صاحبه لانه قد يكون لآفه عارضة ، وقد يكون لآفه لازمة .

### سبب النزول :

وقال أبو جعفر ( ع ) : نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط .

وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي .

### قوله تعالى :

اَوَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا  
وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

### المعنى :

معنى الآية ان الله تعالى أخبر انه لو علم فيهم ، يعني هؤلاء الكافرين

انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته لأسمعهم إياها ولم يخلف عنهم شيئاً منها وإن كان قد ازاح عليهم في التكليف بما نصب لهم من الأدلة الموصلة إلى الحق ، ولكنهم لا يصلحون بل يتولون وهم معرضون .

وقال ابن جريج وابن زيد: لا سمعهم الحجج والمواعظ سماع تهمهم .

وقال ابو علي: لا سمعهم كلام الموتى الذين طلبوا احياءهم من قصي بن كلاب وغيره

وقال الزجاج: لا سمعهم جواب كل ما يسألون عنه .

### المعنى واللغة :

والاعراض خلاف الاقبال وهو الانصراف بالوجه عن جهة الشيء والاقبال الانصراف بالوجه إلى جهته والاستماع ايجاده السماع بايجاده والتعريض له . فان الله تعالى يسمعهم بان يوجد السماع لهم والانسان يسمعهم بان يعرضهم للسمع الذي يوجد لهم ، هذا على مذهب من قال ان الادراك معنى ، ومن قال انه ليس بمعنى ، فمعنى الاسماع هو ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب ان يسموه لسكونهم احياء لا آفة بهم في حواسهم .

وقال الزجاج المعنى « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » كما يسألون عنه ولو

اسمعهم كما يخطر ببالهم لتولوا وهم معرضون .

وقال الحسن : هو إخبار عن علمه ، كما قال « ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه » (١)

وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول يجوز ان يكون في مقدوره لطف

لو فعله بالكافر لآمن .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُجِيبِكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ  
مُنْحَرِفُونَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المؤمنين ان يجيبوا الله والرسول إذا دعاهم وان يطلبوا موافقته .  
والاستجابة طلب موافقة الداعي فيما دعا إليه على القطع به . وقال ابو عبيدة والزجاج  
معنى استجيبوا احيبوا . وقال كعب بن سعد الغنوي :

وداع دعا يا من يجيب الى النداء فلم يستجبه عند ذلك مجيب (١)

اي لم يجبه . والفرق بين الدعاء الى الفعل وبين الامر به ان الامر فيه ترغيب  
في الفعل المأمور به ويقتضي الرتبة وهي ان يكون متوجهاً الى من دونه وليس كذلك  
الدعاء لانه يصح من دونك لك .

وقوله « إذا دعاكم لما يجيبكم » قيل في معناه ثلاثة أقوال :

احدها - دعاكم الى احياء امركم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم ، وهو قول  
ابن اسحاق والفراء والجبائي . وقال البلخي معناه لما يبيدكم ويصلحكم ويهديكم  
ويحيي امركم .

الثاني - معناه لما يورثكم الحياة الدائمة في نعيم الآخرة من اتباع الحق : القرآن  
الثالث - معناه لما يجيبكم بالعلم الذي تهتدون به من اتباع الحق ، والاقتداء

بمسا فيه .

وقوله « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - ان يفرق بين المرء وقلبه بالموت او الجنون وزوال العقل ، فلا يمكنه  
استدراك ما فات . والمعنى بادروا بالتوبة من المعاصي قبل هذه الحال .

الثاني - ان معناه بادروا بالتوبة لانه أقرب إلى المرء من جبل الوريد لا يخفى

(١) مر هذا البيت في ١ : ٨٦ ؛ ٢ : ١٣١ ؛ ٣ : ٨٨ .

عليه خافية من سره وعلايته وفي ذلك غاية التحذير .

والثالث - تبديل قلبه من حال الى حال لانه مقلب القلوب من حال الأمان الى حال الخوف ومن حال الخوف الى حال الأمان على ما يشاء .

وروي عن أبي عبد الله (ع) في معنى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » قال لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابداً ولا يستيقن ان الباطل حق ابداً .  
فأما من قال من المجبرة ان المراد ان الله يحول بين المرء والايمان بعد امره اياه به فباطل لانه تعالى لا يجوز عليه ان يأمر احداً بما يمنعه منه ويحول بينه وبينه لان ذلك غاية السفه ، تعالى الله عن ذلك .

وايضاً فلا احد من الامة يقول ان الايمان مستحيل من الكافر فانهم وان قالوا انه لا يقدر على الايمان يقولون يجوز منه الايمان ويتوهم منه ذلك ومن ارتكب ذلك فقد خرج من الاجماع .

وبحتمل ان يكون المراد ان امر الله بالموت يحول بين المرء وقلبه ، كما قال :  
« هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » (١) أي أمر الله .

وقال قوم : يجوز ان يكون معناه يحول بينه وبين قلبه بان يسلبه قلبه فيبقى حياً بلا قلب وهذا قريب من معنى زوال العقل ، قالوا : يجوز ان يكون المراد : انه عالم بما ينظرون اليه ، وما يضره العبد في نفسه من مصيئته فهو في المعنى كأنه حائل بينه وبينه ، لأن العبد لا يقدر على اضرار شيء في قلبه إلا والله عالم به ، وهذا وجه حسن . وروي في التفسير أن الله يحول بين المؤمن وبين الكفر . والمعنى في ذلك ان الله يحول بينه وبين الكفر بالوعد والوعيد ، والامر والنهي والترغيب في الثواب والعقاب . فأما ما روي عن سعيد بن جبير ، وغيره من ان الله يحول بين الكافر والايمان فقد بينا ان ذلك لا يجوز على الله . والعقل مانع منه . ولو صح ذلك

لكان الوجه فيه أن الله يحول بين الكافر وبين الإيمان في المستقبل بان يعيته ، لأنه لا يجب تبقيته حتى يؤمن ، بل لو ابقاه لكان حسناً ، وان لم يبقه كان ايضاً حسناً . وقوله تعالى « وانه إليه تحشرون » معناه أنكم تحشرون يوم القيامة للجزاء على اعمالكم ان خيراً خيراً ، وإن شراً فشر فلذلك يجب المبادرة بالطاعة والأقلاع عن المعصية بالتوبة وترك الاصرار على القبائح .

### قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ( ٢٥ ) آية بلا خلاف .

### المعنى واللغة :

امر الله تعالى المكلفين من خلقه أن يتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة . والفتنة البلية التي يظهر بها باطل امر الانسان فيها . والفتنة الهرج الذي يركب فيه الناس بالظلم .

قال ابن عباس امر الله المؤمنين ان لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم ، فيمهمم الله بالعداب . وقال عبد الله : هو من قوله تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة » ( ١ ) وقال الحسن الفتنة البلية . وقال ابن زيد هي الضلالة . وقال الجبائي هي العذاب . « لا تصيبن » فالاصابة الايقاع بالشيء بحسب الارادة ، وضده الخطأ . يقال اصاب الغرض او أخطأه .

وقوله « لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » معناه انها نعم لان الهرج إذا وقع دخل ضرره على كل احد . ويجوز ان يقال يخص الظالم ، ولا يعتمد بما وقع بغيره

« ١ » سورة الأنفال آية ٢٨ وسورة التغابن آية ١٥ .

للعوض الذي يصل إليه . ويحتمل ان يكون اراد ان هذه العقوبة على فتنتكم لا تختص بالظالمين منكم بل كل ظالم منكم كان او من غيركم فستصيبه عقوبة ظلمه وفسقه وفتنته واراد بذلك تحذير الناس كلهم ، وانهم سواء في المعصية ، وما توجه من العقوبة ليكون الزجر عاماً .

وفي دخول النون الثقيلة في تصيبن قولان :

احدهما - قال الفراء لانه نهي بعد امر وفيه معنى الجزاء ، كقوله : « يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ( ١ ) ومثله لا أرينكم ههنا . والثاني - ان يكون خرج مخرج جواب القسم . وقال الزجاج : يحتمل ان يكون نهياً بعد أمر وتقديره اتقوا فتنة . ثم نهي ، فقال : « لا تصيبن الذين ظلموا » أي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل معه العذاب . ومثله قال في قوله « لا يحطمنكم » فيكون لفظ النهي لسليمان ، ومعناه النمل ، كما يقول القائل لا أرينك ههنا ، فلفظ النهي لنفسك ، والمراد لا تكون ههنا ، فاني اراك . و ( الخاصة ) للشئ ما كان له دون غيره ونقيضه العامة . وقوله : « واعلموا ان الله شديد العقاب » معناه لمن لم يتق معاصيه ولم يتبع أوامره .

النزول :

وقال الحسن والسدي ومجاهد وابن عباس : نزلت هذه الآية في اهل الجمل . وقال قتادة قال الزبير لقد نزلت وما نرى ان احداً منا يقم فيها ثم اختلفنا حتى اصابتنا خاصة . وروي ذلك عن الزبير من جهات .



## قوله تعالى:

﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ  
أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَوَرَّزَكُمْ مِنَ  
الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦ آية بلا خلاف .

## اللغة والمعنى :

الذكر ضد السهو ، وهو احضار المعنى للنفس . وإنما امروا بالتمرض له ، لان  
احضار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم .

وقوله « إذ انتم قليل » فالقلة النقصان عن المقدار في العدد وكان أصحاب  
النبي (ع) قليلين في الأصل فلطف الله لهم حتى كثروا وعزوا ، وقل اعداؤهم وذلوا  
وكانوا مستضعفين ، فآووا .

والاستضعاف طلب ضعف الشيء بهوين حاله . والضعف خلاف القوة .  
والاستضعاف استجلاب ضعفه بتحقيق حاله ، فأمن الله عليهم بذلك وبين انهم كانوا  
قليلين فكثروا وكانوا مستضعفين ، فقوام بلطفه .

وقوله « تخافون ان يتخطفكم الناس » فالتخطيف الاخذ بسرعة انتزاع ، تخطف  
تخطفاً وخطف خطفاً واختطف اختطفاً ، فبين انهم كانوا خائفين من ان ينال منهم العدو .

## المعنى :

وقوله « فآواكم » أى جعل لكم مأوى حريزاً ترجعون إليه وتسكنون فيه .  
وقال السدي « آواكم » إلى المدينة . وقوله : « وأيدكم بنصره » يعنى بالأنصار في  
قول السدي . وقيل في المعنى بقوله « الناس » قولان :

أحدهما - مشركوا قريش في قول عكرمة وقتادة .

وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم .

وقوله : « ورزقكم من الطيبات » أي اطعمكم غنيمتكم حلالاً طيباً « لعلمكم تشكرون » أي لكي تشكروه على هذه النعم المترادفة والآلاء المتضاعفة .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا

أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ( ٢٧ ) آية بلا خلاف .

### المعنى واللغة :

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين بنهائم ان يخونوا الله والرسول . والخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأديبه فيه . وهي ضد الأمانه . وأصل الخيانة ان تنقص من ائتمنتك أمانته ، قال زهير :

بارزة الفقاوة لم تخنها قطاف في الركاب ولا خلاء ( ١ )

أي لم تنقص من فرائدها . والمعنى لا تخونوا مال الله الذي جعله لعباده ، فلا يخن بعضكم بعضاً فيما ائتمنه عليه في قول ابن عباس . وقال الحسن ، والسدي : لا تخونوه كما صنع المنافقون . وقال الجبائي : نهائم ان يخونوا الغنائم . وقال ابن زيد الأمانة ههنا الدين ، نزلت في بعض المنافقين . والأمانة مأخوذة من الأمان بمنع الحق وهي حال يؤمن معها منع الحق الذي نجب فيه التأديبه .

وقوله « وأنتم تعلمون » قيل في معناه قولان :

أحدهما - وأنتم تعلمون انها أمانه من غير شبهة .

( ١ ) مقاييس اللغة ١ : ٧٩

والثاني - وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والمعقاب بخلاف الجهال بتلك المنزلة .

### الاعراب :

وقوله : « ونخونوا » موضعه الجزم بتقدير ، ولا نخونوا في قول ابن عباس .  
وقال السدي هو نصب على الظرف اي انكم إذا خنتم الرسول فقد خنتم أماناتكم .  
قال الفراء : ومثله قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأني مثله عار عليك إذا فعات عظيم (١)  
وحكى الفراء في بعض القراءات : « ولا نخونوا أمانتكم »

### النزول :

وقال جابر بن عبد الله نزلت الآية في بعض المنافقين حين انذر ابا سفيان بخروج النبي لأخذ المير . وقال الزهري نزلت في ابي لبابة في قصة بني قريظة ، وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (عليهما السلام) .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المكلفين ان يعلموا ويتحققوا ان اموالهم واولادهم فتنة . وإنما يمكنهم معرفة ذلك بالنظر والفكر في الأدلة المؤدية إليه ، وهو ما يدعوا إليه الهوى في الاموال والاولاد ، وما يصرف عنه فن تفقد ذلك وتحرز منه نجاه من مضرته .

(١) قطر الندى : ٧٧ الشاهد : ٢٣ وغيره كثير وقد مر في اماكن كثيرة من

هذا الكتاب .

والمراد بالفتنة ههنا المحنة التي يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب أو العقاب بحسب الاستحقاق .  
والولد حيوان يتكون من حيوان بخلق الله له ، فعلى هذا لم يكن آدم ولداً وكان عيسى ولد مريم . والمال هو النصاب الذي تتعلق به الزكاة من ذهب أو فضة أو ابل أو بقر أو غنم عند بعض المفسرين وأصله الكسر من العين والورق .  
و(العظم) استحقاق الصفة بالغنى . فالكثير عظيم للاستغناء به عن القليل من جنسه ، والقليل لا يستغنى [ به ] عنه .

بين الله تعالى ان الاموال والاولاد في هذه الدنيا محنة وبلاء وان الله تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات وترك المعاصي .  
وروي عن ابن مسعود انه قال : ليس احد منكم إلا وهو مشتمل على فتنة لقوله « أنما اموالكم واولادكم فتنة » فاسألوا الله تعالى ان يعيدكم منها .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا  
وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾  
(٢٩) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للمؤمنين خاطبهم الله بأنهم ان يتقوا معاصية ويمثلوا طاعاته ويتقوا عقابه باجتنب معاصيه يجعل لهم اجراً على ذلك « فرقاناً » . وقيل في معنى الفرقان اقوال :

احدها - قال ابن زيد وابن اسحاق يجعل هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل .

وقال مجاهد : معناه يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة .  
 وقال السدي : معناه يجعل لكم نجاة . وقال الفراء : يجعل لكم فتحاً ونصراً  
 وعزاً كقوله : ﴿ يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ ( ١ ) وقال الجبائي : يجعل لكم  
 نصراً وعزاً وثواباً لكم ، وعلى أعدائكم خذلاً وذللاً وعقاباً كل ذلك يفرق بينكم  
 وبينهم في الدنيا والآخرة .

وانما جاز الشرط في اخبار الله مع اقتضائه شك المخبر منا من حيث ان الله تعالى  
 يعامل عباده في الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة في العدل ولذلك جازت صفة الابتلاء  
 والاختبار لما في ذلك من البيان ان الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما في المعلوم مما  
 لم يقع منه .

ثم بين انه يضيف الى ذلك تكفير سيئاتهم وغفران ذنوبهم وهتاهما عليهم  
 تفضلاً منه تعالى .

وقوله « والله ذو الفضل العظيم » قيل في معناه قولان :  
 احدهما - قال الجبائي : معناه ان من ابتدأكم بالفضل العظيم لأنه كريم لنفسه  
 لا يمنعكم ما استحققتموه بطاعاتكم له .  
 الثاني - انه الذي يملك الفضل العظيم فينبغي ان يطلب من جهته .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ  
 يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ( ٣٠ )  
 آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيه ﴿ع﴾ فقال : واذكر « إذ يمكر بك الذين كفروا »  
والمكر القتل الى جهة الشر في خفى واصله الالتفاف من قول ذي الرّامة .

عجزاء ممكورة خصاصة فلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب (١)  
اي ملتفة . والمكرو والختل والغدر نظائر . والفرق بين المكرو والغدر ان الغدر نقض  
العهد الذي يلزم الوفاء به ، والمكرو قد يكون ابتداء من غير عقد .  
ووصف الله تعالى بأنه ماكر يحتمل وجهين :

احدهما - انه سمي الجزاء على المكر مكرراً للازدواج ، كقوله « الله يستهزى بهم » ( ٢ ) اي يجازيهم على الاستهزاء فيكون التقدير والله خير المجازين على المكر  
ذكره الزجاج .

والثاني - ان يكون على غير تضمن الحيلة لكن على اصل اللغة . قال ابو علي .  
ومكره بهم حق وصواب ( وهو خير الماكرين ) مكرراً .

المعنى :

وقوله « ليثبتوك » قيل في معناه قولان :

احدهما - ليثبتوك في الوثاق ، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .  
والثاني - قال عطا وعبد الله بن كثير ، والسدي « ليثبتوك » في حبس . وقال  
ابو علي الجبائي : معناه ليخرجوك ، يقال : اثبتته في الحرب إذا جرحه جراحة ثقيلة .  
وقوله « او يخرجوك » قال الفراء : او يخرجوك على بعير تطرد به حتى تهلك  
او يكفيكوه بعض العرب . وهو قول ابي البخري وهشام .

( ١ ) مقاييس اللغة ٤ : ٢٣٣

( ٢ ) سورة البقرة آية ١٥

## القصة والنزول :

وكان سبب ذلك انهم تأمروا في دار الندوة ، فقال عمرو بن هشام قيده  
 تتربصون به ريب المنون . وقال البخترى اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاه لكم .  
 وقال ابو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه  
 باسيافهم ضربة رجل واحد . فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية ، فصوب ابليس هذا  
 الرأي وخطأ الأواين ، وزيفه — ما فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﴿ع﴾ بذلك فأمره  
 بالخروج فخرج إلى الغار في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وهو قوله «ويمكرون  
 ويمكر الله والله خير الماكرين» ولا خلاف بين المفسرين انه بات على تلك الليلة ،  
 وهي الليلة التي امر النبي ﴿ع﴾ بالخروج على فراشه إلى ان أصبح ، وكانوا  
 يحرسونه إلى الصباح ، ولما طلع الفجر تاروا اليه فاذا على ، قالوا له أين صاحبك قال :  
 لا ادري ، فتركوه وخرجوا في أثره .

## قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا  
 مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ( ٣١ ) آية بلا خلاف .

## المعنى :

اخبر الله تعالى عن عناد هؤلاء الكفار ومباہنتهم للحق بأنهم بلغوا في ذلك  
 إلى رفع الحق بما ليس فيه شبهة ، وهو انه « اذا نتلى عليهم آياته » يعني القرآن .  
 قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » وقد أبان التحدي كذبهم في ذلك وتخرصهم فيه

بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله ، وانما قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » ولم يجوز ان يقولوا لو نشاء لقلنا الجماد حيواناً ، لأنه يتموه هذا على كثير من الناس ، ولا يتموه ذلك . على ان قوم فرعون ظنوا ان السحرة يمكنهم قلب الجماد حيواناً .

اللغة :

وقوله « قد سمعنا » معناه ادركناه بآذاننا . والسمع إدراك الصوت بحاسة الاذن . ولو لم نذكر الصوت لا نتعوض بالحرارة والبرودة والآلام واللذة اذا ادرك بها ، ولا يسمى سماعاً وعلى هذا إذا قيل ما الرؤية بالبصر ينبغي ان يقال هي ادراك المرئيات بها ، لأنه قد يدرك الحرارة والبرودة بها . فاذا قلنا المرئيات لم ينتفض بذلك .

ثم أخبر الله تعالى عن قولهم بأن قالوا ليس هذا الذي سمعناه « إلا اساطير الأولين » والاساطير جمع واحده اسطورة في قول الزجاج . وقال غيره هو جمع اسطر ، واسطر جمع سطر ، وزيدت الياء للمعد ، كما قالوا دراهم . وارادوا ما هذا إلا ما سطر من الاحاديث بكتبه سطرأ بعد سطر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْخَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢) آية بلاخلاف .

النزول والمعنى :

تقديره واذكر يا محمد إذ قال هؤلاء الكفار « إن كان هذا » القرآن « هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم » شديد مؤلم . قال سعيد ابن جبير ، ومجاهد : كان الطالب لذلك النضر بن الحارث بن كلدة ، لأنه كان سمع سبع



اهل الحيرة وكلام الرهبان ، فقتله النبي ﴿ ع ﴾ يوم بدر صبراً ، فقال : يا رسول الله من للصبية ؟ قال النار . وقيل عقبة بن ابي معيط ، والمطمم بن عدي ، قتل هؤلاء الثلاثة صبراً من جملة من اتمر ، وفي النضر نزل قوله « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ﴾ ( ١ ) يعني ما سأله ههنا . وهذا القول من قائله يجوز ان يكون عناداً ، فان المعاندة قد تحمله شدة عدوانه للحق على اظهار مثل هذا القول . ليوهم انه على بصيرة في امره . ويجوز ان يكون ذلك لشبهة تمكنت في نفوسهم .

وقال الجبائي ذلك دليل على اعتقادهم خلاف الحق الذي أتى به النبي ﴿ ع ﴾ وهو حجة اهل المعارف لانهم لو عرفوا بطلان ما هم عليه ، لما قالوا مثل هذا القول . فان قالوا كيف طلبوا بالحق من الله العذاب وانما يطلب به الخير والثواب ؟ قلنا : لانهم قالوا ذلك على انه ليس بحق من الله عندهم . وإذا لم يكن حقاً من الله لم يصيبهم البلاء الذي طلبوه .

فان قيل لم قال « امطر علينا حجارة من السماء » والامطار لا يكون إلا من السماء ؟ قلنا عنه جوابان :

احدهما - ان امطار الحجارة يمكن ان يكون من عل دون السماء .  
والثاني - ان يكون على جهة البيان بـ ( من ) .

اللغة :

والحجارة واحد الاحجار ، وهو ما صلب من الاجسام ، يقال استحجر الطين إذا صلب ، فصار كالحجر . واكثر ما يقال حجر للمدر ، ومع ذلك فالياقوت حجر ، ولذلك يقال الياقوت أفضل الحجارة . ولا يقال الياقوت أفضل الزجاج ، لانه ليس من الزجاج . وكل شيء من العذاب يقال أمطرت ومن الرحمة يقال مطرت .

### الاعراب :

وقوله « هو » يحمل عماداً في ظننت واخوانها . ويسميه البصريون صلة زائدة وتوكيداً كزيادة ( ما ) ولا يزداد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبره وفي لغة تميم يرفع ذلك كله ، فيقولون « إن كان هذا هو الحق » وكذلك قوله « ولكن كانوا هم الظالمين » (١) « ونجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً » (٢) كل ذلك يرفعونه . وعلى الأول ينصب ما بعدها . وقوله « وبرى الذين اتوا العلم » إلى قوله « هو الحق » (٣) .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

### المعنى واللغة :

أخبر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ على وجه الامتنان عليه واعلامه منزلته عنده انه لا يمذّب احد من هؤلاء الكفار بهذا العذاب الذي اقترحوه على وجه الفساد للحق « وأنت » يا محمد « فيهم » موجود .

والتعذيت تجديد الآلام حالاً بعد حال ، لأن اصله الاستمرار ، فالعذب من استمرار الشيء لما فيه من الملاذ . والعذاب من استمراره لما فيه من الآلام ، واللام في قوله « ليمذّبهم » لام الجحد . وأصلها لام الاضافة . وإنما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي ، كما دخلت الباء في خبر ( ما ) ولم تدخل في الايجاب .

( ٢ ) سورة المزمل آية ٢٠

( ١ ) سورة الزخرف آية ٧٦

( ٣ ) سورة سبأ آية ٦

## المعنى :

وإنما لم يعاقب الله تعالى الخلق مع كون النبي ﴿ع﴾ فيهم على سلامته مما ينزل بهم ، لأنه تعالى أرسله رحمة للعالمين . وذلك يقتضي ألا يعذبهم ، وهو فيهم . وقوله « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » قيل في معناه أقوال :

أحدها - إن النبي ﴿ع﴾ لما خرج من مكة بقي فيها بقية من المؤمنين يستغفرون ، وهو قول ابن عباس ، وعطية وابي مالك ، والضحاك ، واختاره الجبائي . وقال آخرون : اراد بذلك لا يعذبهم بعذاب الاستئصال في الدنيا ، وهم يقولون يا رب غفرانك . ويعذبهم على شركهم في الآخرة ، وذلك عن ابن عباس في رواية أخرى ، وقول ابي موسى ، ويزيد بن رومان ، ومحمد بن مبشر .

الثالث - انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء إلى الاستغفار ، روي ذلك عن ابن عباس في رواية أخرى ، وبه قال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد . وقال الزجاج : معناه لا يعذب الله من يؤل إلى الاسلام .

وقال الحسن وعكرمة : هذه الآية منسوخة بالتي بعدها . قال الرماني : هذا غلط ، لأن الخبر لا ينسخ .

## قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يَعْذِبَهُمْ وَهُمْ يُصِدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
 وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ  
 لَا يَهْتَمُونَ ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

( ما ) في قوله : « وما لهم ان لا يعذبهم الله » خرجت منخرج الاستفهام ومعناه إيجاب العذاب وجاز ذلك لأنه أبلغ في معنى الإيجاب من حيث انه لا جواب

- لمن سأل عن مثل هذا - يصح في نفي العذاب ، والمعنى لم لا يعذبهم ، وهذا فعلهم .  
وموضع ( أن ) نصب بمعنى اي شيء لهم في ان لا يعذبهم . لكن لما حذف  
الجار عمل معنى الفعل من الاستمرار ، وجاز الحذف مع ( ان ) ولم يجز مع المصدر ،  
لطول ( ان ) بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل ، وليس كذلك المصدر . وحكي عن  
الأخفش ان ( ان ) زائدة مع عملها .

وقوله « وهم يصدون عن المسجد » والصد المنع . والصد الاعراض عن الشيء من  
غير حيلولة بينه وبين غيره . والمراد ههنا المنع .

وقوله : « وما كانوا اولياءه » جمع ولي وهو الذي يستحق القيام بأمر الشيء  
ويكون أحق به من غيره ، فعلى هذا الله تعالى ولي المنتقين دون المشركين . وقال  
أبو جعفر ( ع ) والحسن قال المشركون : نحن اولياء المسجد ، فرد الله ذلك عليهم ،  
فقال « وما كانوا اولياءه » . ثم اخبر الله تعالى « ان اولياؤه » بمعنى ليس « إلا  
المتقون » الذين يتركون معاصي الله ويحبتونها .

وقال قوم : المعنى ان اولياؤه الله الا المتقون والاول احسن : لانه بما  
يقمضه الانكار .

وقيل في معنى ( لا ) قولان : احدهما - ان معناها الجحد اي ما لهم في  
الامتناع من العذاب . وقيل هي صلة ، لان المعنى ايجاب العذاب ، كما قال الشاعر :  
لو لم تكن غطفان لا دنوت لها      إذن للام ذورا احسابها عمرا (١)  
والاول احسن ، لان المعنى لم لا يعذبهم الله . فان قيل كيف تجمعون بين  
الآيتين على قول من لا ينسخ الاولى ، فان في الاول نفي ان يعذبهم الله وهم يسبغفرون  
وفي الثانية اثبت ذلك ؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

(١) قائله الفرزدق . ديوانه . ٢٨٣ والخزاة ٢ : ٨٧ والطبرى ٥ :

أحدها - ان يكون اراد وما لهم ان لا يعذبهم الله في الآخرة .  
 والثاني - ان يكون يعني بالاولى عذاب الاستئصال كما فعل بالامم الماضية  
 وبالثانية اراد عذاب السيف والاسر وغير ذلك ويكون قوله « وما كان الله معذبهم  
 وهم يستغفرون » اي أنه لا يعذبهم بعذاب الدنيا ، والآخرة إذا تابوا واستغفروا .  
 وقوله : « ولكن اكثرهم لا يعلمون » دليل على بطلان قول من قال  
 المعارف ضرورة .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَتْ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاةً وَتَصَدِيَةً  
 فَذُقُوا الْمَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ( ٣٥ ) آية بلا حلاف .

### القراءة والحجة والاعراب :

روى الحسين المعجني عن ابي بكر « صلواتهم » نصباً « إلا مكاه » وتصديّة  
 رفع فيها . والصواب ما عليه القراء . لان « صلواتهم » معرفة و ﴿ مكاه وتصديّة ﴾  
 نكرة ولا يجوز ان يجعل اسم كان نكرة وخبره معرفة . ومن قرأ كذلك فلأن الصلاة  
 لما كانت مؤنثة ولم يكن في كان علامة التأنيث اضاف الفعل إلى المذكر وهو ﴿ مكاه ﴾ .  
 وهذا ليس بصحيح ، لأن ﴿ صلواتهم ﴾ لما كان مضافاً إلى المذكر جاز ان يذكر كما ان  
 المذكر إذا اضيف إلى المؤنث جاز ان يؤنث ، نحو قولهم : ذهبت بعض اصابعه .

### المعنى :

ومعنى الآية الاخبار من الله تعالى أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادقين  
 عن المسجد الحرام ﴿ إلا مكاه ﴾ لئلا يظن فلان ان مع كونهم مصلين ومستغربين

لا يعذبهم الله ، كما قال في الآية الاولى ، فبين ان صلاتهم كانت مكاه وتصدية .

اللغة :

والمكاه صغير كصغير المكاه ؛ وهو طائر يكون بالحجاز وله صغير قال الشاعر :

ومكابها فكأنما يمكوا بأعصم عاقل (١)

وأصل المكاه جمع الريح للصغير . ويقال مكاه يمكوه مكاه إذا صفر بفيه . ومنه

يمكوه است الدابة إذا انتفخت بالريح . والامت : الكوة ، والمكوات يجمع

الرجل يديه ثم يدخلها في فيه ثم يصبح . ومنه قول عنترة :

وحليل غانية تركت مجذلا تمكو فريضته كشدق الاعلم (٢)

أي يصفر بالريح لما طعنه . والتصدية التصفيق يقال صدى يصدي تصدية إذا

صنق يديه . ومنه الصدى صوت الجبل ، ونحوه . ومنه تصدى للملك إذا تعرض

له ليكلمه .

وقال ابن عباس ، وابن عمر ، والحسن ، وعطية ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي :

المكاه الصغير . والتصدية التصفيق ، قال الراجز :

صنقت بخد وجلت عن خد فأنا من غرو الهوى أصدى

أي اصنقت يدي تعجباً . والغرو : العجب .

المعنى :

وقال ابو علي الجبائي : كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل ، وكان

( ١ ) مجاز القرآن ١ : ٢٤٦

( ٢ ) ديوانه : ٢٤ من معلقته الشهيرة . واللسان (مكا) وتفسير القرطبي ٧ : ٤٠٠

والطبري ١٣ : ٥٢١ ويراها .

يصفر له . وقال سعيد بن جبير وابن زيد : التصدية صدم عن البيت الحرام . وقيل  
انهم كانوا يخلطون ويشوشون بذلك على النبي ﴿ع﴾ .  
وإنما سمي مكاؤم بأنه صلاة لأمرين :  
أحدهما - انهم كانوا يقيمون فعلهم الصغير والتصفيق مقام الصلاة  
والدعاء والتسبيح .

والآخر - انهم كانوا يعملون كعمل الصلاة بما فيه هذا .

وقوله « فذوقوا العذاب » قال الحسن ، والضحاك ، وابن جريج ، وابن  
اسحاق : ان معناه عذاب السيف . وقال ابو علي الجبائي : يقال لهم في الآخرة :  
« ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » في دار الدنيا وهو قول البلخي . والمعنى با شروه  
وليس المراد به من ذوق العقم .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَ - أَمْوَالَهُمْ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ \*  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْمَرُونَ ﴾ (٣٦) آية في الكوفي  
والمدنيين وآيتان في البصري خاصة .

### المعنى :

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار بانهم ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله  
وغرضهم المنع عن سبيل الله . وسبيل الله ههنا : هو دين الله الذي أتى به محمد ﴿ص﴾  
وسمي سبيل الله ههنا ، لان بسلوكة واتباعه يبلغ ما عند الله ، وإن لم يعلموا انها سبيل الله

لأنهم قصدوا إلى الصد عنها ، وهي سبيل الله على الحقيقة . ويجوز أن يقال قصد الصد عن سبيل الله ، وأن لم يعلم . ولا يجوز قصد أن يصد من غير أن يعلم ، لأن ( أن ) تفسر الوجه الذي منه قصد ، فلا يكون إلا مع العلم بالوجه كقولك قصد أن يكذب ، وقصد الكذب من غير أن يعلم أنه كذب .

وإنما قال « ينفقون » ثم قال « فسيدنفقونها » ، لأن الأول معناه أن من شأنهم أن ينفقوا للصد . والثاني - معناه أنه سيقع الاتفاق الذي يكون حسرة بما يروونه من الغلبة .

اللغة :

والحسرة والغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة . والاصل الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والحاسر خلاف الدارع . وحسر حسرة وهو حسير قال المراد :

ما انا اليوم على شيء خلا يابنة القين تولي يحسر ( ١ )

المعنى :

وكان الاتفاق المذكور في الآية القائم به ابو سفيان : صخر بن حرب استأجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة في قول سعيد ، وابن ابري ، ومجاهد ، والحكم ابن عيينة . وفي ذلك قال كعب بن مالك :

وجئنا إلى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرن فأربع ( ١ )

( ١ ) اللسان ( حسر ) . الحسر : الندامة . والقين العبد المملوك .

( ٢ ) سيرة ابن هشام ٣ : ١٤١ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٨٣ . والطبري

١٣ : ٥٣٠ ومقاييس اللغة ٢ : ١٢٩ وغيرها مع اختلاف بسبب الرواية .



وقال الضحاك إنما عني بالآية الاتفاق يوم بدر .  
وفي الآية دلالة على نبوة النبي (ع) ، لأنه أخبر بالشيء قبل كونه فكان  
على ما أخبر به .

### قوله تعالى :

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْمَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ  
عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِدِينَ فِيهَا ﴾  
( ٣٧ ) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « ليميز » مضمونه الياء مشددة ، والباقون بفتح الياء خفيفاً .  
أخبر الله تعالى انه يحشر الكفار إلى جهنم « ليميز الخبيث » الذي هو الكافر  
« من الطيب » الذي هو المؤمن . ( والتمييز ) هو اخراج الشيء عما خالفه مما ليس  
منه ، وإخلافه بما هو منه . تقول ما زه يميزه ، وميزه تمييزاً . وإمتاز امتيازاً . وانما  
انميازاً . والخبيث الرديء من كل شيء . وضده الطيب . ومنه خبت الحديد ،  
وخبت الفضة ، وخبت الانسان خبيثاً ، وتخبت تخبثاً ، وتخابت تخابثاً وخبثه تخبيثاً .  
( الطيب ) المستلذ من الطعام والطيب الحلال من الرزق ، والطيب من الولد الذي  
يفرح به والطيب نقيض الخبيث ، وهو الجيد من كل شيء .

وقيل المعنى ليميز الله ما أتفقه المؤمنون في طاعة الله مما انفقه المشركون في  
معاصيه . وقوله « ويجمل الخبيث بعضه على بعض » معناه ان الكافر يكون على أسوء  
حال كالمحتاج والركام ، هو انا ، وتحقيراً ، وإذلالاً .

وقوله « فيركبه جميعاً » معناه تراكب بعضه فوق بعض ، كالرمل الركام وهو  
المتراكب ، ركه يركبه ركماً وتراكم تراكماً وتراكما وتراكم ارتكماً . ومنه قوله تعالى في صفة

الصحاب « فيجعله ركماً » (١) .

وقال الحسن بر كمهم الله مع ما انفقوا في جهنم ، كما قال : « يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » (٢) ثم أخبر انه إذا ركه جميعاً يجعله في جهنم . وأخبر عنهم بأنهم الخاسرون تفوضهم باهلاكهم ايها بار تكاب المعاصي والكفر المؤدي الى عذاب الابد .

### قوله تعالى :

﴿ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَذَّبْنَاهُمْ لَنُغْفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ  
وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى نبيه (ع) أن يقول للكفار إن يذنبوا يغفر لهم ما قد سلف . والمعنى إن أنابوا عن الكفر والمعاصي وتابوا منها توبة خالصة ، لأن الكفر عن المعاصي مع الاصرار لا يوجب الغفران . وإنما أطلق الوعد في الآية بالانتهاء عن المعصية ، لان الانتهاء عنها لا يكون مع الاصرار عليها ، لان الاصرار معصية . وقوله « وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » معناه وان يعودوا ، ويرجعوا إلى المعصية « فقد مضت سنة الأولين » في تمجيل العقاب لهم في الدنيا بعذاب الاستئصال ، وما جرى مجراه من الاسر والقتل ، يوم بدر . وبالنصر من الله . في قول الحسن ، ومجاهد ، والسدي .

اللغة :

والسلف : التقدم ، تقول سلف يسلف سلفاً وأسلف إسلفاً وتسلف تسلفاً

وسلفه تسلفاً وتسليفاً واستسلف استسلافاً . والسالفة أعلى العنق ، والسلافة اخلص  
الحجر وأجودها . والسلفان المتزوجان باختين .  
والسنة الطريقة التي يجري عليها الامر، ومنه قولهم هذا مستمر على سنن واحد.

### قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ  
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ (٣٩) وَإِن تَرَوْا فَأَعْمُوا إِنَّ اللَّهَ  
مَوْلِكُمْ نَعْمَ المَوْلَىٰ وَنَعْمَ المَنْصِيرُ ۝ (٤٠) آيتان بلا خلاف .

### المعنى :

أمر الله تعالى بهذه الآية نبيه ﴿ص﴾ والمؤمنين أن يقاتلوا الكفار «حتى لا تكون  
فتنة» وهي الكفر من غير اهل العهد، وما جرى مجراه من البغي، لأنهم يدعون  
الناس إلى مثل حالهم بتمزجهم على اهل الحق وتطاوهم فيفتنونهم في دينهم . وقال ابن  
عباس، والحسن : معناه حتى لا يكون شرك . وقال ابن اسحاق حتى لا يفتن مؤمن  
عن دينه . والفرق بين قوله «حتى لا يكون فتنة» وبين قوله حتى لا يكون كفر  
في ان الذليل والأسير والشريد لا يفتن الناس في دينهم لان الذل لا يدعو إلى حال  
صاحبه كما يدعو العز .

وقوله «ويكون الدين كله لله» معناه أن يجمع اهل الباطل وأهل الحق على  
الدين الحق فيما يمتقدونه ويعملون به ، فيكون الدين كله حينئذ لله بالاجتماع على طاعته  
وعبادته . والدين ههنا الطاعة بالعبادة .

وقوله «فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير» معناه فان رجعوا عن الكفر  
وانتهوا عنه فان الله يجازيهم مجازاة البصير بهم وبأعمالهم باطنها وظاهرها لا يخفى

عليه شيء منها .

وقوله « وإن تولوا فاعلموا ان الله مولاكم » في معناه قولان :

احدهما - وان تولوا هؤلاء الكفار واعرضوا عن الدين الحق واتباعه فتمقوا

بالله وتذكروا ما وعدكم به أيها المؤمنون تسكيناً لنفوسهم وتمكيناً للحق عندهم .

والثاني - فاعلموا ان الله ينصركم عليهم على طريق الأمر، يعلم هذا ليكونوا على

بصيرة في أن الغلبة لهم .

قوله « وإن تولوا » شرط . وقوله « فاعلموا ان الله » أمر في موضع الجواب ،

وإنما جاز ذلك لان فيه معنى الخير ، فلم يخرج من أن يجب الثاني بالاول ، كأنه قال

فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم او فيذنبني ان تعلموا ان الله مولاكم .

اللغة :

والمولى ههنا هو الناصر . وهو الذي يوليكم عن الغلبة . والمولى على اقسام بمعنى

الناصر وبمعنى الحليف ، وبمعنى المعقق والمعتق . وبمعنى الأولى والأحق كما قال ليبيد:

فقدت كلا الفرجين بحسب انه مولى المخافة خلفها وأمامها (١)

ومنه قول النبي ( ص ) ( أي امرأة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل )

اي من هو أولى بالمعد عليها . وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان :

فأصبحت مولاها من الناس كلهم واحرى قريش ان نهاب وتحمدا (٢)

وقال ابو عبيدة : ومنه قوله « النار مولاكم » معناه الاولى بهم واستشهد بيت

ليبيد المتقدم ذكره . وقد استوفينا اقسام مولى في غير هذا الموضع (٣) فلا نطول

بذكره ههنا . والتولي عن الدين هو الذهاب عنه الى خلافه وهو والاعراض بمعنى

(١) مقابيس اللغة ٢ : ٢١٢ (٢) مر هذا البيت في ٣ ١٨٧

(٣) في ٣ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

واحد والتولي في الدين هو الذهاب إلى جهة الحق ومتابعة النبي (ع) والنصرة له والمهونة له .

### قوله تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَاللرُّسُولِ  
وَإِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ  
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّزِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١) آية بلا خلاف .

### المعنى :

الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال . وهي هبة من الله تعالى للمسلمين . والقيء ما اخذ بغير قتال في قول عطا بن السائب ، وسفيان الثوري وهو قول الشافعي ، وهو المروي في أخبارنا .

وقال قوم : القيم ، والغنيمه واحد . وقالوا إن هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله « ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى ، فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١) لأنه بين في هذه الآية ان الأربعة أخماس للمقاتلة . وعلى القول الأول لا يحتاج إلى هذا ، وعند اصحابنا ان مال القيم للامام خاصة يفرقه فيمن شاء . يعضه في مؤنة نفسه وذوي قرابته . واليتامى والمساكين وابن السبيل من أهل بيت رسول الله ليس لسائر الناس فيه شيء . واما خمس الغنيمة ، فإنه يتقسم عندنا ستة اقسام : قسم لله ، وقسم لرسوله للنبي ، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى ، للقائم مقام النبي (ع) ينفقها على نفسه وأهل بيته . من بني هاشم وسهم

لليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشرکہم فيها باقي الناس لأن الله تعالى عوضهم ذلك مما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات إذ كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول ﴿ع﴾ وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن علي الباقر ابنه ﴿ع﴾ رواه الطبري باسناده عنها .

وقال الحسين بن علي المغربي حاكياً عن الصابوني من اصحابنا ان هؤلاء الثلاثة فرق لا يدخلون في سهم ذي القربى وان كان عموم اللفظة يقتضيه لان سهامهم مفردة ، وهو الظاهر من المذهب . والذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب ، لأن هاشماً لم يعقب إلا منه : من الطالبيين والعباسيين والحارثيين واللميين ، فأما ولد عبد مناف من المطلبين ، فلا شيء لهم فيه وعند اصحابنا الخمس يجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات والكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه .

ويمكن الاستدلال على ذلك بهذه الآية ، لان جميع ذلك يسمى غنيمة .  
وقال ابن عباس ، و ابراهيم ، وقتادة ، وعطاء : الخمس يقسم خمسة اقسام ، فسهم الله وسهم الرسول واحد .

وقال قوم : يقسم اربعة اقسام سهم لبني هاشم وثلاثة للذين ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين ذهب اليه الشافعي .

وقال اهل العراق : يقسم الخمس ثلاثة اقسام ، لان سهم الرسول صرفه الأئمة الأربعة إلى الكراع والسلاح .

وقال مالك : يقسم على ما ذكره الله . ويجوز للإمام أن يخرج عنهم حسب ما يراه وإنما جاء على طريق الاولى في بعض الاحوال .

وقال ابو العالية - وهو رجل من صالحى التابعين - يقسم ستة اقسام ، فسهم

الله للكعبة ، والباقي لمن ذكر بعد ذلك .

وقال ابن عباس ومجاهد : ذو القربى هم بنو هاشم ، وقد بينا نحن أن المراد  
بذي القربى أهل بيت النبي ( ع ) وبعد النبي القائم مقامه . وبه قال علي بن الحسين  
وروى جبير بن مطعم عن النبي ( ع ) : أنهم بنو هاشم ، وبنوا المطلب ،  
واختاره الشافعي .

وقال الحسن وقتادة : سهم الله رسوله وسهم ذي القربى لولي الأُمر من  
بعده . وهو مثل مذهبنا .

وقال ابو علي الجبائي : ان الأئمة الأربعة جعلوا سهم الرسول ، وذو القربى  
في الكراع والسلاح ، واجمعوا على ان سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل شائع في  
الناس بخلاف ما قلناه .

اللغة :

واليتيم من مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ . وكل حيوان يتيم من قبل امه  
إلا ابن آدم ، فإنه من قبل ابيه .

واما ابن السبيل ، فهو المنقطع به في سفره . وإنما قيل ابن السبيل بمعنى اخرجته  
إلى هذا المستقر ، كما يخرج ابوه من مستقره لتي محتاجاً .

والمساكين المحتاج الذي من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني .

الأعراب :

وقوله « فان لله خمسة » قيل في فتح ( أن ) قولان : احدهما - فعلى ان لله خمسة  
وحذف حرف الجر فنصب .

الثاني - انه عطف على ( ان ) الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه ،  
وتقديره اعلموا ان ما غنمتم من شيء يجب قسمته واعلموا ان لله خمسة .

قال الفراء: انه جزاء بمنزلة « ألم تعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً » (١) قال الرماني هذا غلط لان ( أن ) لا تدخل على الجزاء إلا مع العهاد ، كما لا تدخل ( ان ) إلا على هذا الوجه .

### المعنى :

وقوله « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » معناه اعملوا إنما غنمتم من شيء لهؤلاء الذين ذكرناهم ان كنتم مؤمنين بالله مصدقين له في اخباره وما انزله على عبده محمد ﴿ ص ﴾ من القرآن .  
وقال الزجاج يجوز ان يكون قوله « إن كنتم آمنتم بالله » متعلقاً بقوله « فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير . ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » اي فأيقنوا ان الله ناصركم إذ كنتم شاهدتم من نصره ما شاهدتم . ومعنى « يوم الفرقان يوم التقى اجماعان » يوم بدر، وسمي يوم الفرقان ، لانه تميز أهل الحق مع قلة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر الله المؤمنين .  
وقيل كان يوم السابع عشر من شهر رمضان . وقيل التاسع عشر سنة اثنتين من الهجرة ، وهو المروي عن أبي عبد الله ﴿ ع ﴾ ثم قال « والله على كل شيء قدير » اي هو قادر على مجازاة من أطاعه بجزيل الثواب ، وعلى عقاب من عصاه بأليم العذاب .

### قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ  
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلافِ تِمِّ فِي المِيعَادِ وَلَكِنْ لَاقِضِي  
اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (٤٢) لَإِيهَلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيَجِي



مَنْ حَيٌّ عَنْ بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ آيتان في المدنيين  
والبصري وآية واحدة في الكوفي .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ( بالمدوة ) بكسر العين ، الباقون بضمها وهما لغتان  
قال الراعي في الكسر :

وعينان حمر بما قيها — كما نظر المدوة الجؤذر (١)

وقال اوس بن حجر في الضم :

وفارس لا يحل الحي عدوته ولوا سراعاً وما همّوا باقبال (٢)

والمدوة شفير الوادي . وقال البصريون الكسر اكثر اللغات . وقال احمد بن

يحيى : بالضم اكثر . وقال قوم هما لغتان سواء .

وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم وابن كثير في رواية البزي وشبل «حيي» باظهار اليائين .

وقرأ الباقون بالادغام وإنما جاز الادغام في (حيي) المزوم الحركة في الثاني مجري

مجري ردّوا إذا خبروا عن جماعة قالوا : حيوا تخففوا وقد جاء مدغماً ، فقالوا حيوا

ومن اختار الاظهار ، فلامتناع الادغام في مضارعه من يحيي فخرى على شاكلته ،

قال الزجاج ، لان الحرف الثاني يذتقل عن لفظ الياء تقول حيي يحيي فلما أحبا يحيي فلا

يجوز فيه الادغام عند البصريين ، لان الثاني إذا سكن في الصحيح من المضاعف في

نحو لم يردد كان لاظهاراً جود فامتثل بذلك أولى ، لان سكونه أزم ، فلذلك وجه الاظهار

في ( يحيي ) لانه أحق من ( لم يردد ) لان السكون له ازم وقد اجاز الفراء الادغام

في يحيي وانشد بيتاً لا يعرف شاعره :

وكانها بين النساء سببكة تمشي بشدة بانها فتعي (٣)

(١) تفسير الطبري ١٣ : ٥٦٥

(٢) تفسير الطبري ١٣ : ٥٦٥ . ومنتهى الطلب . ويروي (لوتحل الخيل) و(لايحل القوم)

(٣) معاني القرآن ١ : ٤١٢ .

## المغنى والاعراب :

تقدير معنى الآية واذكروا ايها المؤمنون « إذ انتم بالعدة » وهي الجهة التي هي نهاية الشيء من احد جانبيه . ومنه قولهم عدونا الوادي . وهما شفيراه ، وجانباه . و(الدنيا) بمعنى الأدنى الى المدينة . و(القصوى) . بمعنى الأقصى منها الى جهة مكة ، وذلك ان النبي ﴿ ص ﴾ واصحابه نزلوا بالجانب الأدنى إلى المدينة . وقريش نزلت بالجانب الأقصى منها إلى مكة فنزلا الوادي بهذه الصفة ، قد اكتنفا شفيريه . وقوله « والركب اسفل منكم » يعني اباسفيان واصحابه في موضع اسفل منكم الى ساحل البحر . وإنما نصب اسفل ، لان تقديره بمكان اسفل ، فهو في موضع خفض ، ونصب لانه لا ينصرف وكان يجوز الرفع على تقدير ، والركب اشد سفلا منكم ، ومن نصب يجوز ان يكون اراد والركب مكاناً اسفل منكم بجعله ظرفاً . والذي حكيناها ، هو قول الحسن ، وقتادة ، وابن اسحاق ، ومجاهد والسدي .

## اللغة :

واصل الدين — الدنو بالواو ، بدلالة قولهم دنوت إلى الشيء أدنو دنواً ، فقبلت الواو ياء ، ولم تقلب مثل ذلك في القصوى ، لأنه ذهب بالدنيا مذهب الاسم في قولهم الدنيا والآخرة ، وان كان اصلها صفة ، تخففت ، لأن الاسم احق بالتخفيف . وتقول : ادناه ادناه واستدناه استدناه ، وتدناوا تدانياً ، وداناه مداناة . و(العلو) قرار تحته قرار . و(الاسفل) قرار فوفه قرار ، تقول : سفل يسفل سفلا ، وتسفل تسفلا وتسافل تسافلا وسفلا تسفيلاً ، وسافله مسافلة ، وهو الاسفل ، وهي السفلى .

وقوله ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ والمواعدة وعد كل واحد من الاثنين الآخر وتواعدوا تواعداً . و(الاختلاف) مذهب كل واحد من الشيعتين في

نقيض الآخر ، ومنه الاختلاف في الميعاد لذهاب كل واحد من الفريقين فيما يناقض الميعاد من التقدم والتأخر والزيادة والنقصان . مما انعقد به الميعاد .

المعنى :

وقيل اختلافهم في الميعاد بمعنى « لو تواعدتم » ايها المؤمنون على الاجتماع في الموضوع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد ، في قول ابن اسحاق .

ووجه آخر « ولو تواعدتم » من غير لطف الله لكم « لاختلفتم » بالعوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأتما كانوا على ميعاد  
وقوله « ليقضي الله امراً كان مفعولاً » معناه ليفصل الله امراً كان مفعولاً  
من عز الاسلام وعلو اهله على عبدة الاوثان وغيرهم من الكفار بحسن تدبيره ولطفه .  
وقوله « ايهلك من هلك عن بينة » معناه ليهلك من هلك عن قيام حجة عليه  
بما راي من المعجزات الباهرات للنبي ( ص ) في حروبه وغيرها « ويحيى من حي عن بينة »  
يعني ليستبصر من استبصر عن قيام حجة ، فجعل الله المتبع للحق بمنزلة الحي ،  
وجعل الضال بمنزلة الهالك .

وقوله : ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ معناه « سميع » لما يقوله القائل في ذلك  
« عليم » بما يضره ، فهو يجازيه بحسب ما يكون منه .

قوله تعالى :

﴿ اِذْ يُرِيكُمُ اللّٰهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ اَرَاكُمْ كَثِيْرًا

أَفَشِلْتُمْ وَاتَّانَزْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الُّصُدُورِ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف .

### المعنى :

التقدير واذكريا محمد « إذ يريدكم الله في منامك قليلاً » والهاء والميم كناية  
عن الكفار الذين قاتلوه يوم بدر « ولو اراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتكم في الامر »  
وهذه الرؤية كانت في المنام عند اكثر المفسرين . والرؤيا في المنام تصور يتوهم معه  
الرؤية في اليقظة والرؤيا على اربعة اقسام : رؤيا من الله عز وجل ، ولها تأويل . ورؤيا  
من وسوسة الشيطان ، ورؤيا من غلبة الاخلاط ، ورؤيا من الافكار ، وكلها اضغاث  
احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي الهام في المنام يتصور به الشيء كأنه يرى  
في اليقظة . ورؤيا النبي ﴿ ص ﴾ هذه بشارته ، وللمؤمنين بالغلبة .

وقال الحسن : معنى « في منامك » في عينك التي تنام بها ، وليس من الرؤيا في النوم  
وهو قول البلخي ، وهو بعيد ، لانه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام .  
قال الرماني : ويجوز ان يريه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به ، لأن  
الرؤيا في المنام يخيل له المعنى من غير قطع وان جاء معه تطلع من الانسان على المعنى  
وإنما ذلك على مثل تخمير السراب ماء من غير تطلع على انه ماء ، فهذا يجوز ان يفعله الله .  
ولا يجوز ان يلهمه إعتقاد الشيء على خلاف ما هو به ، لان ذلك يكون جهلاً ،  
ولا يجوز ان يفعله الله تعالى .

### اللغة :

والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس ، تقول نام ينام نوماً ونومه  
تنويماً وأنامه إنامة وتنام وتناماً واستنام استنامة . و ( المنام ) موضع النوم

والمضطجع موضع الاضطجاع .

و ( القلة ) نقصان عن عدد ، كما ان الكثرة زيادة على عدد يقال : قل يقل قلة وقله قليلا ، واستقل استقلالا وتقلل تقللا . والشئ يكون قليلا بالاضافة إلى ما هو اكثر منه . ويكون كثيراً بالاضافة إلى ما هو أقل منه . وأقله إقلالا إذا أطاقه فصادفه قليلا في طاقته ، فهو مشتق من هذا واستقل من المرض إذا قوى قوة بزول بها المرض اي وجده قليلا في قوته لا يعتمد به .

وقوله « لفشتم » فالفشل ضمف الرجل لان الضعف قد يكون لمرض من غير فزع وقد يكون من فزع . فالفشل إنما هو الضعف عن فزع . فشل يفشل فشلا فهو فشل ، وفشله فشيلاً : إذا نسبه إلى الفشل ، وتفشلوا تفاشلاً .

وقوله « ولتنازعنم » فالتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد منهم نزع صاحبه مما هو عليه تنازعا . ونازعه منازعة ونزع عن الامر ينزع نزوعاً ، واستزعه : إذا طلب نزوعه . وانتزعه إذا اقتلعه عن مكانه . وقوله « ولكن الله سلم » فالسلامة النجاة من الآفة . سلم يسلم سلامة واسلمه اسلاماً إذا دفعه على السلامة ، وأسلم الانسان إذا دخل في السلامة من جهة الدين ، وسلمه تسليماً إذا نجاه . واستسلم استسلاماً إذا سلم نفسه للاسر ، وتسلم تسليماً إذا طلب السلامة ، واستلم الحجر إذا طلب لمسه على السلامة وسالمه مسالمة ، وتسالم تسالماً .

وقوله « إنه عليم بذات الصدور » فالصدر الموضع الأجل يكون القلب فيه . وصدر المجلس أجله ، لانه موضع الرئيس ، وصدر الدار مشبه بصدر الانسان ، لانه المستقبل منه كاستقباله من الانسان يقال صدر يصدر صدوراً واصدره اصداراً وتصدر تصدراً وصدره تصديراً وصادره مصادرة ، وتصادروا تصادراً .

المعنى :

ففائدة الآية إن الله لطف للمؤمنين بما لو لم يكن لفشلوا ولاضطرب امرهم واختلفت كلمتهم ، وإن كان سلمهم الله من ذلك بلطفه لهم واحسانه بهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٤٥) آية بلاخلاف .

التقدير اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكم وهم ، فإلهاء والميم كناية عن المشركين ، والكاف والميم كناية عن المؤمنين . أرى الله تعالى الكفار قليلين في أعين المؤمنين ليشهد بذلك طمعهم فيهم وجبرأتهم عليهم ، وقلل المؤمنين في أعين الكفار لئلا يتأهبوا ولا يستعدوا لقتالهم ولا يكثرثوا بهم ويظفر بهم المؤمنون .

اللغة :

والمراد بالرؤية ههنا الرؤية بالبصر ، وهو الإدراك بحاسة البصر والرأي هو المدرك . والعين حاسة يدرك بها البصر ، والعين مشتركة ، فمنها عين الماء ، وعين الميزان ، وعين الركبة ، وعين الذهب والعين النفس ، والالتقاء اجتماع الاتصال ، لان الاجتماع على وجهين : اجتماع الاتصال واجتماع في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار ، وان لم يكن هناك اتصال . ويقال للمسكرين إذا تصافوا التقيا لوقوع العين على العين .

## المعنى :

فان قيل كيف قلهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم ؟  
قلنا : بأن يتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجميعهم وذلك بلطف  
من اللطافة تعالى مما يصد به عن الرؤية من قنم يستر بعضهم ولا يستر بوضاً آخر .  
وروي عن ابن مسعود انه قال رأيناكم قليلا حتى قلت لمن كان الى جانبي أتراه  
سبعين رجلا ؟ فقال لي هم نحو المئة . فلما اسرنا رجلا منهم سألتنا كم كانوا ، فقال ألفاً .  
وقوله ﴿ ليقضي الله امراً كان مفعولاً ﴾ إنما كرره في هذه الآية مع ذكرها  
في الآية الاولى ، لاختلاف الفائدة ، فعناه في الآية الاولى « ولو تواعدتم لاختلقتن  
في الميماد . ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولاً » من الالتقاء على الصفة التي حصلت  
عليها . ومعناه في الثاني يقلل كل فريق في عين صاحبه « ليقضي الله امراً كان مفعولاً »  
من اعزاز الدين بجهادكم على ما دبره لكم . وإنما قال « كان مفعولاً » والمعنى يكون مفعولاً في  
المستقبل لتحقيق كونه لا محالة . حتى صار بمنزلة ما قد كان اذ قد علم الله انه كائن لا محالة .  
وقوله تعالى ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ اي ترجع الامور الى ملكه وتديره  
خاصة ، ويزول ملك كل من ملكه في دار الدنيا .

## قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ  
كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين خاصة يأمرهم بأنهم اذا لقوا جماعة من  
الكفار لحربهم أن يثبتوا وبذكروا الله كثيراً ، ويستنصروه عليهم لكي يفلحوا  
ويفوزوا بالظفر بهم ، وبالثواب عند الله يوم القيامة . وقد بينا ان معنى الايمان هو

التصديق بها أوجبته الله على المكلفين أو نديهم اليه . والفئة الجماعة المنقطعة من غيرها . وأصله من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته . والثبوت حصول الشيء في المكان على استمرار ، يقال لمن استمر على صفة : قد ثبت كثبوت الطين . والذكر ضد السهو ، وقد يكون الذكر القول من غير سهو . والفئة المذكورة في الآية وان كانت مطلقة ، فالمراد بها المشركة او الباغية ، لأن الله لا يأمر المؤمنين بالثبوت لقتال احد الا من هو بهذه الصفة ، ولا يأمر بقتال المؤمنين .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ( ٤٧ ) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين ذكرهم بأن يطيعوا الله ورسوله ، ولا يختلفوا فيضعفوا عن الحرب .

والعامل في « فتفشلوا » الفاء التي هي بدل من ( أن ) على معنى جواب النهي كقولك لا تأت زيدا فيهينك ، ولذلك عطف بالنصب في قوله « وتذهب ريحكم » عليه . وقوله « وتذهب ريحكم » معناه كالمثل أي ان لكم ريحا تنصرون بها ، يقال : ذهب ريح فلان اي كان يجري في امره على السمادة بريح تحمله اليها ، فلما ذهبت وقف امره ، فهذه بلاغة حسنة .

وقيل : المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله ، في قول قتادة وابن زيد .

وقيل : تذهب دولتكم ، من قولهم ذهب ريحه ، اي ذهبت دولته . في قول ابي عبيدة وابي علي . وقال عبيد بن الابرص :



كما حينئذ يوم النعف من شطب  
اي من ریح عز ومن عدد .

### النزول :

وقال أبو جعفر (ع) : هذه الآية نزلت حين أشار خباب بن المنذر على النبي (ع) ان ينتقل من مكانه حتى ينزلوا على الماء ويجبؤهم من خلفهم ، فقال بعضهم لا تنغفر معصاتك يا رسول الله ، فتنازعوا ، فنزلت الآية وعمل النبي (ص) على قول خباب .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ  
وَيَصُدُّنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٤٨) آية بلا خلاف .

### المعنى والقصة :

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية ان يكونوا مثل « الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس » وهم قريش ، لما خرجت لتحمي العير ، فلما نجا ابو سفيان اوسل اليهم ان ارجعوا ، فقد سلمت عيركم وهم بالجحفة ، فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرأً وتنحر جزراً ، ونشرب خمراً وتعزف علينا القيان ، ويرانا من غشينا من اهل الحجاز ، ذكره ابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ، وابن اسحاق .

### اللغة :

والبطر الخروج عن موجب النعمة - من شكرها ، والقيام بحقها - الى خلافه

( ١ ) ديوانه : ٤٩ والطبري ١٣ : ٥٧٥ وعجماز القرآن للباقلاني : ١٣١

و ( النعف ) من انحدر من حذونة الجبل و ( شطب ) اسم جبل .

واصله الشق منه البيطار الذي يشق اللحم بالمبضع ، وبطر الانسان بطراً واطره كثرة  
النعمة عليه إبطاراً وبطره تبطيراً . والرثاء اظهار الجليل مع ابطان القبيح تقول راءى  
يرأى مرأاة ورياه . والمرأى رجل سوء لما بينا . والنفاق اظهار الايمان مع ابطان  
الكفر . والصد المنع .

وقيل هو جعل ما يدعو إلى الاعراض فهو لاء يصدون عن سبيل الله بما يدعون  
الناس إلى الاعراض عنها عن معادات اهلها وقتالهم عليها وتكذيبهم بما جاء به  
الداعي اليها .

والفرق بين الصد والمنع ان المنع ما يتمذر معه الفعل والصد ما يدعو الى  
ترك الفعل .

### المعنى :

وقوله « والله بما تعملون محيط » معناه يحتمل امرين :

احدهما - انه محيط علمه بما يعملونه .

الثاني - انه قادر على جزاء ما يعملونه من ثواب او عقاب .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ  
الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ تَنْكَصَ عَلَى  
عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ  
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٩﴾ آية بلا خلاف .

التقدير : واذكر « إذ زين لهم الشيطان » يعني المشركين « زين لهم الشيطان  
اعمالهم » بمعنى حسنها في نفوسهم والزيين هو التحسين .

والمعنى ان ابليس حسن للعشركين اعماهم وحرصهم على قتال محمد وخرجهم من مكة . وقوى نفوسهم ، وقال لهم « لا غالب لكم اليوم من الناس » .  
اللغة :

تقول غلبه يغلب غلبة ، فهو غالب ، وغالبه مغالبة وتغالبها تغالبها وغلبه تغليباً .  
والغلبة : القهر للمنازع ، والملك لامره .

وقوله « واني جار لكم » حكاية عما قال ابليس للعشركين ، فانه قال لهم اني جار لكم ، لانهم خافوا بني كنانة لما كان بينهم فاراد ابليس بان يسكن خوفهم ، والجار هو الدافع عن صاحبه السوء اجاره يجيره جواراً . ومنه قوله « وهو يجير ولا يجار عليه » (١) اي يعقد لمن احب دافع الضرر عنه من كل احد ، ولا يعقد عليه ، فالجار المجير .  
وقوله « فلما تراءت الفئتان » معناه ، فلما التقتا ورأى بعضهم بعضاً « نكص » يعني ابليس « على عقبيه » والنكوص هو الرجوع فهقرى خوفاً مما يرى نكص ينكص نكوصاً ، قال زهير ،

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا (٢)

المعنى :

واختلفوا في ظهور الشيطان لهم حتى رأوه ، فقال ابن عباس ، والسدي ، وقتادة ، وابن اسحاق ، : ظهر لهم في صورة سرافقة بن مالك بن جعشم الكنعاني المدلجي في جماعة من جنده ، وقال لهم : هذه كنانة قد أتتكم نجدة ، فلما رأى الملائكة

(١) سورة المؤمنون آية ٨٩ .

(٢) ديوانه ١٥٩ من قصيدته في هرم بن سنان . والطبري ١٤: ١١ . و(حبيك

البيض) طرائق حديدة . و(البيض) الخوذ من سلاح المحارب . و(حموا) من الخمية ، وهي الانفة والفضب .

« نكص على عقبيه » فقال الحارث بن هشام الى ابن ياصراق ، فقال « اني ارى ما لا ترون » وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) .  
 وقيل انه رأى جبرائيل بين يدي النبي (ص) . وقال ابو علي الجبائي حواره  
 الله على صورة انسان علماً للنبي (ص) بما يخبر به عنه . وقال الحسن والبلخي :  
 إنما هو يو سوس من غير ان يحول في صورة انسان .  
 وقوله ( اني اخاف الله والله شديد العقاب ) حكاية عن قول ابليس حين ولى ،  
 فقال لقريش اني ارى من الملائكة ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب . وإنما  
 خافه من أن يأخذه في تلك الحال بعقوبته دون ان يكون خاف معصيته فامتنع منها .  
 قال الحسن : ابليس عدو الله لا يخاف الله لكن كلما استؤصل جند من جنوده  
 وقعت بذلك عليه مخافة وذلة .

وقال البلخي هو كقولك للرجل جمعت بين الفريقين حتى إذا وقع الشر بينهم  
 خليتهم وانصرفت ، وقلت اعملوا ما شئتم وتريد بذلك انك خليت بينهم دون ان  
 يكون هناك قول ، والاول هو المشهور في التفاسير .  
 والواو دخلت في قوله « وإذ زين لهم الشيطان » للعطف على خروجهم بطراً ورتاء  
 الناس ، فعطف حالهم في تزيين الشيطان اعمالهم على حالهم في خروجهم بطراً .

### قوله تعالى :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ  
 دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَانِ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٠) آية بلاخلاف .

### الاعراب والمعنى :

العامل في « إذ » يحتمل ان يكون احد شيئين : احدهما - الابتداء والتقدير

ذاك « اذ يقول » والآخر بتقدير اذكر « اذ يقول المنافقون » وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان . « والذين في قلوبهم مرض » الشاكين في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان ، وهم بمكة جماعة خرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا هذا القول ، وهم قيس بن الوليد بن المغيرة والحارث ( ١ ) بن زمعة وعلي بن امية والماص بن المنبه بن الحجاج ، هذا قول مجاهد ، والشعبي .

وقال الحسن : المرض الشرك « والذين في قلوبهم مرض » المشركون وقال ابو علي فصلوا في الذكر لان المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبي ( ص ) والمؤمنين ، وكانوا هؤلاء مرتبتين وكلهم في معنى المنافقين ، لان الشك في الاسلام كفر .

اللغة :

وقوله ( غر هؤلاء دينهم ) معناه ان المسلمين اغتروا بالاسلام . والغرور : اظهار المصحح مع ابطال الغش تقول غره يفره غروراً واغتر به اغتراراً . ومنه الغرر ، لانه عمل بما لا يؤمن معه الغرور .

وقوله ( ومن يتوكل على الله ) معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرضى بفعله ، لان التوكل على الله هو التسليم لأمره مع الثقة والرضا به ، تقول : وكل امرء إلى الله ، يكل وأتكل عليه يتمكلك انكلا وتوكل توكلًا وتواكل القوم تواكلاً اذا اتكل بعضهم على بعض ، ووكل توكلًا .

وقوله ( فان الله عزيز حكيم ) معناه انه قادر لا يغالب واضع للاشياء مواضعها .

قوله تعالى :

( وَلَوْ تَرَىٰ اذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

( ١ ) في بعض النسخ ( و ابو قيس بن الفاكهة بن المغيرة ) .

وَجُوهُهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥١﴾ آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن عامر « اذ يتوفى » بتاءين فأدغم احدهما في الاخرى هشام عنه . الباقرن  
بالياء والتاء . من قرأ بالتاء اسند الفعل الى الملائكة كقوله « اذ قالت الملائكة » (١)  
ومن قرأ بالياء ، فلأن التأنيث غير حقيقي .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى للنبي ﴿ع﴾ يقول الله تعالى له : « ولو ترى » الوقت  
الذي « تتوفى الملائكة الذين كفروا » بمعنى انهم يقبضون ارواحهم على استيفائها ،  
لان الموت انما يكون باخراج الروح على تمامها . وجواب ( لو ) محذوف ، وتقديره  
لرأيت منظراً عظيماً او امراً عجيباً او عقاباً شديداً ، وحذف الجواب في مثل هذا  
ابلاغ ، لان الكلام يدل عليه . والمرئي ليس بمذكور في الكلام لكن فيه دلالة عليه  
لان تقديره : لو رأيت الملائكة يضربون من الكفار الوجوه والادبار ، وحذفه ابلاغ  
وأوجز مع ان الكلام يدل عليه .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : معنى ادبارهم استاهمهم ، لكنه كنى عنه .  
وقال الحسن : معناه ظهورهم . وقال ابو علي : المعنى ستضربهم الملائكة عند  
الموت . قال الرماني : وهذا غلط ، لأنه خلاف الظاهر ، وخلاف الاجماع المتقدم  
انه يوم بدر .

وروي الحسن : ان رجلاً قال يا رسول الله اني رأيت بظهر ابي جهل مثل  
الشرك ، فقال : ذلك ضرب الملائكة .

وروي عن مجاهد ان رجلاً قال للنبي ﴿ص﴾ اني حملت على رجل من المشركين

فذهبت لاضر به فبدر راسه ، فقال : سبقك اليه الملائكة . وعن ابن عباس انه كان يوم بدر .

وقوله : « وذوقوا عذاب الحريق » تقديره ، ويقولون يعني الملائكة للكفار يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق يوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه . ومثله قوله « ولو ترى اذ المجرمون ناكهوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا (١) اي يقولون ربنا ابصرنا ، ودل الكلام عليه .

اللغة :

والحريق تعريق الاجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة يقال: احترق احترقا واحرق احراقا وتحرق تحرقا وحرقه تحريقا، وجواب لو محذوف ، وتقديره لرايت منظراً هائلا وإنا حذفت جواب لو لأن ذكره ينخص وجهها ومع الحذف يظن وجوه كثيرة فهو ابلغ .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكْ بِمَا قَدَّمْتِ اَيْدِيكُمْ وَأَنْ اَللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (٥٢)

آية بلا خلاف .

قوله (ذلك) اشارة من الملائكة للكفار الى ما تقدم ذكره من قولهم : « ذوقوا عذاب الحريق » قالوا ذلك العذاب « بما قدمت ايديكم » وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب :

احدهما : الرفع بأنه خير ذلك .

والثاني : النصب بأنه متصل بمحذوف ، وتقديره ذلك جزاؤكم « بما قدمت

(١) سورة الم السجدة آية ١٢ .

أيديكم ، وإنما قيل بما قدمت أيديكم مع ان اليد لا تعمل شيئاً لتبين انه بمنزلة ما يعمل باليد في الجنابة ولذلك لم يذكر القلوب ، وان كان بهما معتمد العصيان ، لانه قصد اظهار ما يقع به الجنابات في غالب الأمر وتعارف الناس .

والتقديم ترتيب الشيء أولاً قبل غيره : قدمه تقديماً وتقدم تقدماً واستقدم استقداماً وتقدم عهده تقادماً وأقدم على الأمر اقداًماً .

وقوله : « ان الله ليس بظلام للعبيد » العامل في (ان) يحتمل شيئين :  
 احدهما - ان يكون موضعه نصباً بتقدير ، وبأن الله او خفصا على الخلاف فيه .  
 والثاني - ان يكون رفعاً بمعنى وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا .  
 وإنما نفي المبالغة في الظلم عنه تعالى دون نفي الظلم رأساً ، لأنه جاء على جواب من اضاف اليه فعل جميع الظلم ، ولأن ما ينزل بالكفار لو لم يكن باستحقاق لكان ظالماً عظيماً ، ولكن فاعله ظلاماً .

### قوله تعالى :

﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥٣) آية .

الاعراب :

العامل في قوله : « كذاب آل فرعون » الابتداء وتقديره دأبهم كذاب آل فرعون ، فوضمه رفع ، لانه خبر المبتدأ ، كما تقول زيد : خلفك ، فوضم خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ ، ولفظه نصب بالاستقرار ، فكذلك الكاف في « كذاب » .

اللغة :

والدأب العادة والطريقة تقول ما ذلك دأبه ودينه وديده .



والمعنى انه جوزي هؤلاء بالقتل والأسر كما جوزي آل فرعون بالفرق . وقال الزجاج الداب إدامة الفعل دأب يدأب في كذا إذا دام عليه ، ودأب يدأب دأباً ودؤباً فهو دأب يفعل كذا اي يجري فيه على عادة . وقال خدش بن زهير العامري : وما زال ذاك الداب حتى تجادلت هوازن وارفضت سليم وعامر (١) وآل فرعون المراد به اتباعه فيما دعاهم اليه من ربوبيته سموا (آل) لأن مرجع امرم اليه بسبب اكيد .

والفرق بين (آل فلان) و(الأصحاب) ان الأصحاب ماخوذ من الصحبة لطلب علم او غيره ، كالأصحاب في السفر ، وكثر في الموافقة على المذهب ، كما يقولون اصحاب مالك واصحاب الشافعي يراد به الموافقة في المذهب ، ولا يوصفون بأنهم آل الشافعي او ابى حنيفة . والآل يرجعون اليه بالسبب الأوكيد الأقرب . وقوله : « إن الله قوي » معناه قادر وقد يكون القوي بمعنى الشديد ، وذلك لا يجوز اطلاقه على الله ، وكذلك لا يوصف بأنه شديد العقاب وإنما وصف عقابه بأنه شديد دون الله تعالى .

المعنى :

فمعنى الآية تشبيه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله التي اتى بها محمد (صلى الله عليه وآله) بحال آل فرعون في التكذيب بآيات الله التي اتى بها موسى عليه السلام لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتمجيله لأولئك بعذاب الاستئصال .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف :

(١) روح المعاني ١٠ : ١٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٤٨ . في المطبوعة (تخاذلت)

بدل (تجادلت) .

## الاعراب والمعنى :

الإشارة بقوله : « ذلك » الى ما تقدم ذكره من اخذ الله الكفار بالعقاب فكانه قال ذلك العقاب المدلول عليه بأن الله لا يغير النعمة الى النعمة إلا بتغيير النفس الى الحال القبيحة ، فذلك ابتداء وخبره بأن الله كما يقول القائل العقاب بذنوب العباد والكاف في ذلك للخطاب وهو اشارة الى البعيد وذلك اشارة الى ما دونه ، و(ذا) اشارة الى ما هو حاضر .

وقوله « لم يك » أصله يكون ، فحذفت الواو علامة للجزم ، ثم حذفت النون استخفاً لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف إخلال بالمعنى ، لأن كان ويكون ام الافعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناها ، لا نك إذا قلت ضرب معناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب ، فلما قربت بأنها ام الأفعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ، وذلك مثل لم يجوز ولم يصن كما جاز فيها .

والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهده لشوهده على خلاف ما كان وإنما قيل بما لو شوهده لشوهده على خلاف ما كان لتفرق بينه وبين ما يصير على خلاف ما كان بالحكم فيه بما لم يكن عليه ، ألا ترى ان المعلوم بعد ان لم يكن معلوماً لا يتغير بهذا العلم ، لأنه لو شوهده لم يشاهد على خلاف ما كان ، والقدرة شوهدت على خلاف ما يشاهد العجز .

## المعنى :

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة ، لأنها تدل على انه لا يكون العقاب الا بتغيير النفس الى ما لا يجوز ان يغير اليه وهذا يبين انه لا يحسن من الله العقاب إلا لمن فعل قبيحاً او اخل بواجب ، وذلك يبطل قول من قال : يجوز ان يعاقب الله البريء بجرم السقيم ، وجملة معنى الآية إنا اخذنا هؤلاء الذين كذبوا

بآياتنا من مشركي قريش بيدر بذنوبهم ، وتغيرهم نعمة الله عليهم من بعث رسوله وتكذيبهم إياه واخراجهم له من بين اظهورهم ، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفار .

### قوله تعالى :

﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾  
(٥٥) آية بلا خلاف .

انما اعاد قوله : « كذاب آل فرعون والذين من قبلهم » لا على وجه التكرار بلا فائدة بل لوجهين :

احدهما - قال ابو علي : لأنه على نوعين مختلفين من العقاب .  
وقال الرماني : فيه تصريح القول في الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل وتقدير الكلام : ذاب هؤلاء الكفار مثل ذاب آل فرعون .  
ويحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار « كذبوا بآياتنا » .  
والتكذيب نسبة الخبر الى الكذب ، فالتكذيب بالحق مذموم ، والتكذيب بالباطل - لأنه باطل - ظاهر امره محمود ، وانما وجب في التكذيب بآيات الله تعجيل العقوبة ، ولم يجب ذلك في غيره لما في تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم ، فيصلحون به مع علم الله بأنه ليس فيهم من يفلح - على مذهب من يقول : لو علم الله ان فيهم من يؤمن ، لا بقاء .

وانما كان التكذيب بآيات الله من اعظم الاجرام ، لما يتبعه من تضييع حقوق الله فيما يلزم من طاعته التي لا تصح الا بالتصديق بآياته التي جاءت بها رسوله . اخبر الله انه كما اهلك هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبي عليه السلام كذلك اهلك من الكفار

قوما آخرين بتكذيبهم بآيات الله واغرق آل فرعون بمثل ذلك ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصي الله وبترك طاعاته .

### قوله تعالى :

﴿ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ (٥٦)

آية بلا خلاف .

#### اللغة والمعنى :

الشر الرمي بالمكارة كشرر النار ومثله الضرر، وضد الشر الخير وضد الضرر النعم . والدابة ما من شأنه ان يدب على الأرض لكن بالمعرف لا يطلق إلا على الخيل ، ومن ذلك قوله « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (١) » وقوله : « عند الله » معناه في معلوم الله وفي حكمه واصل (عند) أن يكون ظرفاً من ظروف المكان إلا أنه قد تصرف فيها على هذا المعنى .

#### الاعراب والمعنى :

والفاء في قوله : « فهم لا يؤمنون » معناه عطف جملة على جملة ، وهو من الصلة ، كأنه قال : كفروا مصممين على الكفر « فهم لا يؤمنون » وانما حسن عطف جملة من ابتداء وخبره على جملة من فعل وفاعل ، لما فيها من التأدية الى معنى الحال وذلك ان صلابتهم بالكفر ادى الى الحال في انهم لا يؤمنون .

فاخبر الله تعالى في هذه الآية ان شر خصلة يكون الانسان عليها هو الكفر لما في ذلك من تضييع نعم الله التي توجب اعظم العقاب .

والآية متناولة لمن علم الله منه انه لا يؤمن ، لأن قوله : « فهم لا يؤمنون »  
اخبار عن نفي ايمانهم فيما بعد .

### قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٧) آية بلا خلاف .

قال مجاهد : هذه الآية نزلت في بني قريظة ، لما نقضت عهد النبي ( صلى الله عليه وآله ) في ألا يحاربوه ولا يمالؤا عليه ، فنقضوا عهده ، ومالؤا عليه ، وعاونوا قريشاً يوم الخندق ، فانتقم الله منهم .

المعاهدة المعاهدة على أمر يتقدم فيه الوثيقة به بالايمان المؤكدة على ما يعتمد عليه ، ونقض العهد مثل نقض الوعد لأنه حق للمعاهد كما أن ذلك حق للموعود ، ونقض العزم هو الرجوع عما عزم عليه . والنقض يكون بشيئين :

احدهما - فيما كان من بناء وشبهة .

الثاني - في عقد أو امر يعزم عليه .

وقوله تعالى : « ثم ينقضون » عطف المستقبل على الماضي ، لأن الغرض أن من شأنهم نقض العهد مرة بعد اخرى في مستقبل أوقانهم بعد العهد اليهم .

وقوله : « فهم لا يتقون » معناه نقضوا عهدك من غير أن يتقوا عقاب الله عاجلاً وآجلاً .

### قوله تعالى :

« فَمَا تَتَّقِفْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرُّ دَائِبِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ

يَذْكُرُونَ » (٥٨) آية بلا خلاف .

معنى « تثقفن » تصادفن وتلقين . واصله الإدراك بسرعة تقول تثقف الكلمة فهو تثقف وتثقفه إذا قومه وثاقفه بمثاقفة إذا تدارك كل واحد منها أمر صاحبه بسرعة

### الاعراب :

ودخلت نون التأ كيد لما دخلت (ما) ولو لم تدخله لما حسن دخول النون ، لأن دخول (ما) كدخول القسم في أنه علامة تؤذن أنه من مواضع التأ كيد المطلوب من التصديق ، لأن النون تدخل لتأ كيد المطلوب فيما يدل على المطلب ، وهي في ستة مواضع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والعرض ، والقسم ، والجزاء مع (ما)

### المعنى :

وقوله : « فشرد بهم من خلفهم » يحتمل معنيين :  
 أحدهما - إذا أسرتهم فنسكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد خوفاً منك وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي وابن زيد .  
 الثاني - أفل بهم من القتل ما يفرق من خلفهم في قول الزجاج .

### اللغة :

والتشريد التفريق على اضطراب ، شرد يشرد شروداً وشرده تشريداً وتشرد تشرداً . ودابة شرود . والتشريد والتطريد والتبديد والتفريق نظائر .  
 وقوله : « لعنهم يذكرون » معناه لكي يفكروا فيتمظوا ويزجروا عن الكفر والمعاصي .

وروى في الشواذ « من خلفهم » والمعنى نكل بهم أنت يا محمد من ورائهم .  
 والأول أجود . وعليه القراء .

## قوله تعالى :

﴿ وَاِمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

## الاعراب :

بني المضارع مع نون التأكيـد ، لأن النون لما ابطلت السكون اللازم للجزم الذي هو أمكن في الفعل ، كانت على ابطال غيره من الاعراب أقوى . وإنما بني على الفتح لسلامتها من البابين الكسرة والضمة في المؤنث والجمع ، في قولهم لا تحسبن يا امرأة ، ولا تحسبن يا قوم . وتثبت الألف مع الجازم في ( اما تخافن ) ولم تثبت مع الجازم في قولك : ( لا تخف القوم ) لارتب الحركة في هذا عارضة ، لأن التقاء الساكنين من كلمتين .

## اللغة والمعنى :

امر الله تعالى نبيه أنه متى خاف - من بينه وبينه عهد - خيانة ان يذبذ اليه عهده على سواء . والخيانة نقض العهد فيما ائتمن عليه ، تقول : خانه يخونه خيانة ، واخنان المال اختيانا . وتخونه تخوناً وخونه تخويناً . و ( النبذ ) القاء الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب أنه حرب بنقض عهد أو إقامة على بغي تقول : نبذ يذبذ نبذاً وانتبذ انتبذاً وتابذ القوم تبابذاً ، وتابذه منابذة .

وقوله : « على سواء » قيل في معناه قولان :

احدهما - على استواء في العلم به أنت وهم في انكم حرب لثلاثتهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب .

والثاني - ان معناه على عدل من قول الراجز :

فأضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يحويك على السواء (١)  
أي على العدل . ومنه قيل للوسط سواء ، لاعتداله الى الجهات ، كما قال  
حصان بن ثابت :

يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٢)  
اي في وسطه . وقال الوليد بن مسلم : معناه على مهل وهذا بعيد ، لأنه لا يعرف  
في اللغة .

فان قيل كيف جاز نبذ العهد ، ونقضه بالخوف من الخيانة ؟  
قيل : انما فعل ذلك لظهور امارات الخيانة التي دلت على نقض العهد ولم تشتهر ،  
ولو اشتهرت لم يجب النبذ ، كما حارب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل مكة ، لما  
نقضوا العهد بقتل خزاعة ، وهم في ذمة النبي (ص) فلما فعلوا ذلك فعلا ظاهراً  
مشهوراً أغنى ذلك عن نبذ العهد اليهم ، ولو نقضوه على خفي لم يكن بد من نبذ العهد  
اليهم ، لئلا ينسب الى نقض العهد والغدر .

قوله : « ان الله لا يحب الخائنين » معناه انه يبيغضهم وانما عبر بحرف النفي ،  
لأن صفة النفي تدل على الاثبات إذا كان هناك ما يدل عليه ، وهو أبلغ في هذا  
الموضع ، لأن معناه : انهم حرموا محبة الله بخيانتهم واوجب ذلك بغضه ايام ، ومحبة  
الله للخلق ارادة منافعهم وبغضه ايام ارادة عقابهم .  
والآيتان معاً نزلتا في بني قريظة ، قال الواقدي : نزلت هذه الآية في بني  
قريظة ، وبهذه الآية سار النبي (عليه السلام) اليهم .

(١) تفسير الطبري ١٤ : ٢٧ والقرطبي ٨ : ٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٣٣ وقد مر تخريجه في ١ : ٤٠٥ من هذا الكتاب .



## قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (٦٠)

آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ ابن عامر وحزمة وحفص وأبو جعفر « ولا يحسبن » بالياء . والباقون بالتاء . وقرأ ابن عامر « أنهم » بفتح الهمزة . الباقون بكسرها .

قال أبو علي الفارسي من قرأ بالتاء جهل الذين كفروا المفعول الأول وسبقوا المفعول الثاني ، وموضعه نصب ، وهو واضح .

ومن قرأ بالياء احتمل ثلاثة اشياء :

احدها - ( لا يحسبن الذين كفروا ) وهو قول أبي الحسن .

الثاني - ان يكون اضم المفعول الأول وتقديره : ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقونا واياهم سبقوا .

الثالث - ان يقدر على حذف (ان) كانه قال : ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا . قال الزجاج يقوي ذلك ، ان في قراءة ابن مسعود « إنهم لا يعجزون » فعلى هذا يكون ان سبقوا سدمسد المفعولين ، كما ان قوله : « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا » (١) كذلك .

ومن فتح الهمزة جعل الجملة متعلقة بالجملة الاولى والتقدير ولا تحسبنهم سبقوا ، لانهم لا يعفون فهم يجازون على كفرهم .

ومن كسر استأنف الكلام ، قال أبو عبيدة : سبقوا معناه فاتوا فانهم لا يعجزون

اي لا يفوتون . ومثله « ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا » ثم استأنف ، فقال : « ساء ما يحكون (١) » فكذلك هاهنا استأنف الكلام وانما امتنع الاقتصار على احد المفعولين في حسب ، لأن المفعول الثاني خبر عن الأول ، والفعل متعلق بما دلت عليه الجملة فهو بخلاف (اعطيت) في هذا .

اللغة :

والحسابان هو الظن . وقال الرماني : هو شك يقوى فيه احدى التقيضين لقوة المعنى في حيز القولين . واصله الحساب ، لأن المعنى فيه داخل فيما يحسب به ويعمل عليه . والاحتساب قبول الحساب والاعتداد به وفي المضارع لغتان ، فتميم تفتح السين واهل الحجاز يكسرونها . والسبق تقدم الشيء على طالب الحقوق به : سبق يسبق سبقتا وتسابقتا سابقاً ، وسابقه مسابقة واستبقوا استباقاً وسبقه تسبيقتا إذا اعطاه السابق . والسابق والمصلي في صفة الفرس . والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه : اعجزه اعجازاً وعجزه تعجزاً وعاجزه معاجزة واستعجز استعجازاً .

المعنى :

وقال ابو عبيدة : معنى لا « يعجزون » لا يفوتون . وقال الحسن : معنى لا يعجزون الله لا يفوتونه حتى لا يثقفهم يوم القيامة . وقال الجبائي : معناه لا يعجزونك حتى يظفرك الله بهم . وقال الزجاج : المعنى لا يحسبن من افلت من هذه الحرب قد سبق الى الحياة . وقال الزجاج : يجوز ان تكون (لا) صلة على ضعف فيه . والمعنى لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون . اي يفوتون .

قوله تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ »

(١) سورة العنكبوت آية ٤ .

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ  
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾  
(٦١) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى المؤمنين أن يعدوا ما قدروا عليه من السلاح وآلة الحرب والخيل وغير ذلك . والاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره ولو اتخذ له في نفسه محبة له لم يكن اعداداً وهو مما يعد فبا يحتاج اليه من غيره والاستطاعة . معنى تنطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع تقول : استطاع استطاعة ، وطواع مطاوعة واطاع طاعة ، وتطوع تطوعاً ، وإنطاع انطباعاً . وقوله تعالى : « من قوة » اي مما تقوون به على عدوه . وقيل معناه : من الرمي ذكره الفراء . ورواه عن النبي (ص) عقبة بن عامر على ما ذكره الطبري . وقال عكرمة : اراد به الحصون .

وقوله تعالى : « ومن رباط الخيل » فالرباط شد ايسر من العقد . ربطه يربطه وربطاً ورباطاً وارتبطه ارتباطاً وربطه مرابطة .

وقوله : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » فالهاء في (به) راجعة الى الرباط وذكره ، لأنه على لفظ الواحد وان كان في معنى الجم ، لأنه كالجراب والقراب والذراع . والارهاب ازعاج النفس بالخوف تقول : ارهبه ارهاباً ورهبه ترهيباً ورهب رهبية وترهب ترهباً واسترهبه استرهاباً ، وقال طفيل :

ويل ام حي دفنتم في نحورهم بني كلاب غداة الرعب والرهب (١)  
والعدو المراد بالمسكاره لتعديتها الى صاحبها . والعدو ضد الولي .  
وقوله « وآخرين من دونهم » لا تعلمونهم تقديره وترهبون آخرين ، فهو نصب

(١) ديوانه : ٦٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٤٩ .

بـ ( زهبون ) ويجوز أن يكون نصباً بقوله : ( واعدوا لهم ) والآخريين من دونهم . وقيل في المعنيين بذلك خمسة اقوال : احدها - قال مجاهد بن قريظة ، وقال السدي : هم أهل فارس . وقال الحسن وابن زيد : هم المنافقون . الرابع - الجن ، وهو اختيار الطبري ، قال : لأن الأعداد للاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد . الخامس - قال الجبائي : كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه . ومعنى « لا تعلمونهم » لا تعرفونهم فلذلك لم يكن منه المفعول الثاني .

وقوله : « الله يعلمهم » معناه يعرفهم كما قال الشاعر :

فإن الله يعلمني ووهبا وإنما سوف نلقاه كلانا (١)

قوله تعالى : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » يعني ما من شيء تنفقونه في الجهاد إلا والله يوفيكم ثوابه على ذلك بأنتم الجزاء ، ولا تبخسون ، فمعنى الآية الأمر بأعداد السلاح والكرراع لاختافة اعداء الله بما يملأ صدورهم من الاستعداد لقتالهم مع تضمن اخلاف ما انفق في سبيل الله احوج ما يكون صاحبه اليه بما ترجح فيه نجارته .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦٢) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ أبو بكر عن عاصم السلم بكسر السين . الباقيون بفتحها وفي ذلك ثلاث لغات : الفتح والكسر مع سکون اللام وفتح السين واللام معاً . ومعناها المسالمة ولذلك انت

(١) قائله النمر بن ثولب العكلى . الاقتصاب : ٣٠٣ ، والمفصل للزمخشري : ٨٨

وتفسير الطبري ١٤ : ٣٩ .

قال رجل من اليمن جاهلي :

أنا بل اتني سلم لاهلك فأقبلي سلمى (١)

قال ابو الحسن : الصلح ، فيها الكسر والفتح لغتان . وقال غيره : السلم بفتح السين واللام على ثلاثة أوجه ، تقول : أخذت الأسير سلماً أي على الاستسلام .  
والسلم السلف على السلامة . والسلم شجر واحد سلمة تقول له بالسلامة .  
وقوله : « وإن جنحوا للسلم » معناه ان مالوا الى المسالمة ، تقول : جنح بجنح جنوحاً وحنحت السفينة إذا مالت الى الوقوف ، ومنه جناح الطائر لأنه يميل به في احد شقيه . ولا جناح عليه في كذا أي لا ميل الى مأم ، قال أبو زيد : جنح بجنح جنوحاً إذا أعطى بيده او عدل الى ما يحب القوم ، وجنح المدو والخبيل ، وحنحت الابل إذا اخفضت في السير .

المعنى :

وايس في الآية ما يدل على ان الكفار إذا مالوا الى الهدنة وجب اجابتهم اليها على كل حال ، لأن الأحوال تختلف في ذلك ، فتارة تقتضي الاجابة ، وتارة لا تقتضي ، وذلك إذا نروا المسلمين بأمر يقتضي الغلظة مع حصول العدة والقوة .  
فان قيل : اذا جازت الهدنة مع الكفار فهلا جاز المسكنة في امر الامامة حتى يجوز تسليمها الى من لا يستحقها .

قلنا : تسليم الامامة الى من لا يستحقها فساد في الدين كفساد تسليم النبوة

الى مثله .

وقوله : « وتوكل على الله » اي فوض امرك اليه تعالى وثق بأنه لا يدبره

الا على ما تقتضيه الحكمة .

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٥٠ والتاج واللسان (سلم).

واختلفوا هل في الآية نسخ ؟ فقال الحسن وقتادة وابن زيد : نسخها قوله : « اقتلوا المشركين » (١) وقال قوم ليست منسوخة ، لانها في المواعدة لاهل الكتاب والاخرى في عباد الاوثان ، والصحيح انها ليست منسوخة ، لأن قوله : « اقتلوا المشركين » نزلت في سنة تسم وبعث بها رسول الله الى مكة ثم صالح اهل نجران بعد ذلك على النبي حلة الف في صفر والف في رجب . وقوله : « انه هو السميع العليم » معناه انه يسمع دعا من يدعوه عليم بما يقتضي المصلحة من اجابته وحسن تديره .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي  
أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ  
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ  
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ( ٦٣ ) آيتان في الكوفي ، والمدني وآية في البصري .  
هذا خطاب للنبي ( صلى الله عليه وآله ) يقول له : « ان يريدوا » يعني الكفار  
وقيل هم بنو قريظة ، ومعناه ان قصدهوا بالصلح خديمتك . والخديمة اظهار  
المحروب في الامر للاستجابة له مع ابطان خلافه : خدع خدعاً وخدمته وخدمته  
اختداعاً وتخداع له نخادعاً ونخدع نخدعاً . وقوله : « فان حسبك الله » معناه ،  
فان الله كافيك يقال : اعطاني ما احسبني اي كفاني . واصله الحساب ، وانما اعطاه  
بحساب ما يكفيه . وقوله : « هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين » فالتأييد التمكين من  
الفعل على اتم ما يصح فيه تقول : ايده تأييداً وتأييد تأييداً . والأييد القوة . والمعنى  
ان الله قواه بالنصر من عنده ، بالمؤمنين الذين ينصرونه على اعدائه . وقوله « والف

بين قلوبهم ، والتأليف الجعم على تشاكل ، فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه وتنازع اليه كانت قد انفت ، ولذلك قيل هذه الكلمة تأتلف مع هذه ، ولا تأتلف . والمراد بالمؤمنين الانصار وبتأليف قلوبهم ما كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال ، هذا قول ابي جعفر ( ع ) والسدي وبشر بن ثابت الانصاري وابن اسحاق . وقال مجاهد : هو في كل متحابين في الله . وانما كان الجعم على المحبة تأليفاً بين القلوب ، لانه ماخوذ من الالفه وهي الاجتماع على الموافقة في المحبة ، ولا يجوز في الجعم على البغضاء ان يسمى بذلك . وقوله : « لو أنفقت ما في الارض جميعاً » فالانفاق اخراج الشيء عن الملك . والمعنى « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً » لتجمعهم على الالفه ما تم لك ذلك ، واسكن الله الف بينهم بلطف من الطافه ، وحسن تديره ، وبالاسلام الذي هداهم الله اليه ، ونصب جميعاً على الحال . وقوله : « انه عزيز حكيم » معناه قادر لا يمتنع عليه شيء يريد فعله « حكيم عليم » لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة فملى ذلك جمع قلوبهم على الالفه .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(٦٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (ص) بقوله : يكفيك ان يكون ناصرِكَ على اعدائك الله تعالى ، والذين اتبعوك من المؤمنين من المهاجرين والانصار ، وانما كرر قوله : ( حسبك ) مع انه قد ذكر فيما قبل ، لأن المعنى هناك ان ارادوا اخذاعك كففاك الله امرهم . وهاهنا معناه عام في كل ما يحتاج فيه الى كفاية الله اياه .

وقوله « ومن اتبعك » يحتمل اعرابه وجهين :

أحدهما - ان يكون نصباً . والمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل ، لأن الكاف في موضع خفض بالاضافة اسكنه مفعول به في المعنى ، فعطف على المعنى ، وليس ذلك بكثير . واجاز الفراء الرفع لقوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ومثله قوله : « انا منجوك واهلك » (١) وقال الشاعر :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا      فحسبك والضحاك سيف مهند (٢)

وهو معنى قول الشعبي وابن زيد . وقال الحسن : هو عطف على اسم الله ، فيكون رفعا .

والكسائي ، والفراء ، والزجاج أجازوا الوجهين وحمل عليها معاً أبو علي الجبائي . والانباع موافقة الداعي فيما يدعوا اليه من اجل دعائه . والمؤمنون يوافقون النبي (عليه السلام) في كل ما دعا اليه . وقال الواقدي : نزلت هذه الآية في بني قريظة وبني النضير لما قالوا له : نحن نسلم ونتبعك .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ( ٦٥ ) آية  
بلا خلاف .

وهذا أيضاً خطاب للنبي (ص) يأمره الله بأن يحرض المؤمنين على قتال المشركين .

(١) سورة العنكبوت آية ٣٣ .

(٢) القرطبي ٨ : ٤٢ ومعاني القرآن ١ : ١٧٠ . وتفسير القاسمي ٨ : ٣٠٣٠ .



## اللغة :

والتحريض والحث نظائر ، وهو الدعاء او كيد بتحريك النفس على أمر من الامور . وضده التفتير . والمعنى حثهم على القتال ، والتحريض الحث على الشيء الذي يعلم معه انه حارض إن خالف وتأخر . والحارض هو الذي قارب الهلاك . ومنه قوله : « حتى تكون حرضا » (١) اي حتى تذوب غما على ذاك وتقارب الهلاك « او تكون من الهاالكين » . وحارض فلان على أمره إذا واظب عليه . والتحريض ترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه مع الصبر عليه . والقتال محاولة الصدم والمتمم بما فيه تعرض للقتل . والمجاهدة ان يقصد الى قتل المشركين بقتاله ، ومن يدفع عن نفسه فليس كذلك . والصبر هو حبس النفس عما تنازع اليه من صدم ما ينبغي أن يكون عليه . وضده الجزع ، وقال الشاعر :

فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان (٢)

والغلبة الظفر بالبغية في المحاربة قتلاً أو اسراً او هزيمة . وقد يقال في الظفر بالبغية في المنازعة بالغلبة .

## المعنى :

ومعنى « لا يفقهون » ها هنا انهم على جهالة خلاف من يقابل على بصيرة ، وهو يرجو به ثواب الآخرة . وقال قوم : معناه لا يعلمون ما لهم من استحقاق الثواب بالقتال . وقوله : « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » وان كان بلفظ الخبر ، فالمراد به الامر ويدل على ذلك قوله : « الآن خفف الله عنكم » لأن التخفيف لا يكون الا بعد المشقة .

(٢) مجمع البيان ٢ : ٥٥٦ .

(١) سورة يوسف آية ٨٥ .

## قوله تعالى :

﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٦٦) آية بلا خلاف.

## القراءة والحجة :

قرأ أهل الكوفة « ان يكن ... مئة . وان يكن ... الف » بالياء فيها وافقهم أهل البصرة في الاولى . وقرأ أهل الكوفة الا الكسائي « ضعفاً » بفتح الضاد . الباقون بضمها ، ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فإنه فتحها ، ومد وهمز على وزن فعلاء على الجتم . من قرأ « ان يكن » بالياء فلان المراد به المذكور بدلالة قوله : « يغلبوا » وكذلك ما وصف به المئة بقوله : « صابرة » لأنهم رجال : حملا على المعنى كما حمل على المعنى في قوله : « فله عشر أمثالها » (١) فانت لما كانت في المعنى حسنة . ومن قرأ بالتاء فلان اللفظ لفظ التأنيث . ومن قرأ الأول بالتاء والثاني بالياء فلان القراءة بالتاء في الاولى أشد مشاكلة لقوله : « مئة صابرة » وايس كذلك في الاخرى ، لانه اخبر عنهم بقوله : « يغلبوا » .

## المعنى واللغة :

وقال سيبويه يقال : ضعف ضعفاً فهو ضعيف . قال وقانوا الفقر كما قالوا الضعف ، فعل ذلك انهما لغتان .

هذه الآية نصحت حكم ما تقدمها ، لأن في الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة والعشرة للمئة فلما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم وتغيرت المصلحة في ذلك

نقلهم الى ثبات الواحد للثنتين والمئة للمئين ، تخفف ذلك عنهم ، وهو قول ابن عباس والحن وعكرمة وقتادة ومجاهد - السدي وعطا والبلخي والجبالي والرماني ، وجميع المفسرين .

والتخفيف رفع المشقة بالخفة . والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى واحد والضعف نقصان القوة ، وهو من الضعف لانه ذهاب بعض القوة وقوله : « باذن الله » فالاذن الاطلاق في الفعل ، لانه يسمع بالاذن ، ومنه الاذان والايذان والاستئذان ، وقوله : « الآن » مبني مع الالف واللام لانه خرج عن التمكن بشبه الحرف ، لانه ينكر تارة ويعرف اخرى ، فاستبهم استبهم الحروف بأنه لفصل بين الزمانين على انتقال معناه الى الذي يليه من الوقت كما ينتقل امس ، فالامس والغد والآن نظائر واحكامها مختلفة لعل لزمها .

وقوله تعالى : « والله مع الصابرين » معناه انه معهم بالمعونة لهم ، والمعنى ان معونة الله مع الصابرين وحقيقة (مع) ان تكون للمصاحبة للجهة بالمعونة وذلك لا يجوز عليه تعالى . وقيل هذه الآية نزلت بعد الاولى بعبارة .

### قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍِّّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُدْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧)

آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة واللغة :

قرأ اهل البصرة وابن شامي « ان تكون » بالتاء . الباقرن بالياء . وقرأ ابو جعفر اسارى ومن الاسارى بفتح الهمزة منها ، وبألف بعد السين ، ووافقه ابو عمرو في

الثاني . الباقيون بفتح الهمزة وسكون السين من غير الف فيها .  
 من قرأ بالتاء فلأن لفظ الأسرى لفظ التأنيث ، فحمله على اللفظ .  
 ومن قرأ بالياء فلأن الفعل مقدم والأسرى المراد به المذكورون . وأيضاً فقد  
 وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من ذلك إذا انفرد يذكر الفعل معه ، مثل  
 جاء الرجل وحضر القاضي امرأة ، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى .  
 واختار الأخص التذكير . وقال ابو علي الفارسي : الأسرى اقيس من الأسارى  
 لأن اسير فمیل بمعنى مفعول ، وما كان كذلك لا يجمع بالواو والنون ، ولا بالالف  
 والتاء . وإنما يجمع على فعلى مثل جريح وجرحى وقتيل وقتلى وغفير وغفري ، ولدنيغ  
 ولدغى ، وكذلك كل من اصاب في بدنه مثل مريض ومرضى وأحمق وحقى  
 وسكران وسكري .

ومن قرأ اسارى شبيهه بكسالى وقالوا كسلى شبهوه باسرى وأسارى في جمع  
 اسير ليس على بابيه وقال ابو الحسن : الأسرى ما لم يكن مؤنثاً والاسارى مؤنثون .  
 قال : والعرب لا تعرف ذلك بل هما عندهم سواء . وقال الأزهري : الاسارى جمع  
 اسرى فهو جمع الجمع ، والأسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الأخذ له .  
 وأصله الشد ، يقال : قتب ماسور اي مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد .

### اللغة والمعنى والنزول :

والمعنى : ما كان لنبي ان يحبس كافرأ للفداء والمن حتى يشخن في الأرض ،  
 والاشخان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل . وقال مجاهد : الاثخان القتل . والشمخن  
 والغلظ والكشافة نظائر .

وقوله : « يريدون عرض الدنيا » يعني تريدون الفداء والعرض متاع الدنيا  
 وسماه عرضاً لقلته لبثه لانه بمعنى العرض في اللغة .

وقوله : « والله يريد الآخرة » معناه والله يريد عمل الآخرة من الطاعات التي تؤدي الى الثواب واردة الله لنا خير من ارادتنا لا نفسنا .

وقوله : « والله عزيز حكيم » معناه يريد عمل الآخرة ، فانه يعزكم ويرشدكم الى اصلاحكم ، لانه عزيز حكيم ، فلا تخافوا قهراً مع إعزازه اياكم .

وهذه الآية نزلت في اسارى بدر قبل أن يكثر الاسلام ، فلما كثر المسلمون

قال الله تعالى : « فاما منا بعد وإما فداء » (١) وهو قول ابن عباس وقتادة . وقال

فادوم بأربعة الآف ، وفي الآية دليل على بطلان المجبرة لانه تعالى فصل

إرادة نفسه من إرادتهم ، ولو كان يريد ما ارادوه لم يصح هذا الفعل من التفصيل .

فان قيل : كيف يكون القتل فيهم كان أصلح وقد اسلم منهم جماعة ومن علم

الله من حاله انه يؤمن يجب تبييته ؟!

قلنا : في ذلك خلاف . فمن قال : لا يجب ذلك لا يلزمه السؤال . ومن قال :

ذلك واجب قال : ان الله اراد ان يأمرهم بأخذ الفداء وإعسا عاتبهم على ذلك لانهم

بادروا اليه قبل ان يؤمروا به .

### قوله تعالى :

﴿ أَوَلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(٦٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم » قولان :

قال الحسن لولا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من انه لا يعذبهم على ذلك .

(١) سورة محمد آية ٤ .

وقال غيره : لولا ما كتب الله فيه انه يغفر لأهل بدر ما تقدم وما تأخر .

الثاني - قال مجاهد : يعني ما ذكره من قوله : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١) فكانه قال : لا اعذب إلا بعد المظاهرة في البيان وتكرير الحجّة به .  
وقال قوم : « لولا ما كتبه الله » من ان الفدية ستحل لهم فيما بعد ، ذهب اليه سعيد ابن جبير . ومعنى الآية : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم » من فداء الاسرى والغنيمة عذاب عظيم ، لانهم اخذوه قبل ان يؤذن لهم . وقد كان سبق ان الله سيحلّه لهم في قول ابن عباس والحسن ، وقال الجبائي : والمعنى « لولا كتاب من الله سبق » وهو القرآن الذي امنتم به واستحققتهم لذلك فغفران الصغائر لمسكم فيما اخذتم به من الفداء عذاب عظيم . ولا يجوز ان يكون المراد به الا الصغائر لانهم قبل الغفران لم يكونوا فاسقا اجماعاً . قال الجبائي : وقد كان من النبي (ص) في هذا معصية اجماعاً من غير تعيين ما هي واظن انها في ترك قتل الاسرى وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لانه لا إجماع في ذلك بل عندنا لا يجوز على النبي (ص) فعل شيء من القبائح صغيراً كان او كبيراً لما في ذلك من التنفير عنه علي ما بيناه في غير موضع .  
واكثر المفسرين على ان النبي (ص) لم يقع منه خلاف لأمر الله . وقد روي ان النبي (ص) كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه ، فقال : يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين اردت ان يشخن فيهم القتل حتى لا يعود احد بعد هذا الى خلافتك وقتالك ، فقال رسول الله : قد كرهت ما كرهت ، ولكن رايت ما صنع القوم ، فلمعصية في ذلك كانت من قوم من الصحابة الذين مالوا الى الدنيا واخذ الفداء . وقد قال الباخي ايضاً ان اجلاء الصحابة براه من ذلك . وروي عن النبي (ص) انه قال ان الغنائم احلت لي ولم يحل لنبي قبلي .

## اللغة :

ومعنى ( لولا ) امتناع الثاني لوقوع الاول كقوله : لولا زيد بالمكان الذي هو به لا تبتك ، فامتنع الايتان لمكان زيد . والسبق يكون تقدماً في الزمان والمكان والرتبة بأن يكون له وان لم يكن فيها . والمس مماسية يقع معها إدراك ، وهو كاللمس في الحقيقة . والمظلم ما يصفر فيه قدر غيره ، ويكون ذلك بمظلم الجثة تارة وبمظلم الشأن اخرى . والمظلم هو المستحق للصفة بأن قدر غيره صغير عنده .

## القصة :

وقال ابو جعفر (ع) : كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين اوقية من فضة والاقوية أربعون مثقالاً إلا العباس فان فداه كان مئة اوقية وكان اخذ منه حين امس اثنتين وعشرين اوقية ذهباً ، فقال النبي (ع) ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك عقيل ونوفل بن الحارث ، فقال : ليس معي ، فقال : ابن الذهب الذي سلمته الى ام الفضل وقلت ان حدث بي حدث ، فهو لك وللفضل وعبد الله وميثم ، فقال من أخبرك بهذا ؟ قال : الله ، قال : اشهد انك رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحد إلا الله تعالى .

## قوله تعالى :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩) آية بلا خلاف .

اباح الله تعالى للمؤمنين بهذه الآية أن يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين بالقهر من دار الحرب . ولفظه وإن كان لفظ الامر . فالمراد به الاباحة ورفع الحظر . والغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقهر والقيء ما رجع الى المصلحين ، وانتقل اليهم من

المشركين . والاكل تناول الطعام بالفهم مع المضغ والبلع ، فمضى فعل الصائم هذا فقد  
أكل في الحقيقة . والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حصول العقد في التحريم  
والمباح من التوسعة في الفعل وان اجتمعا في الحل . والطيب المستنذ، وشبهه الحلال به  
فسمي طيباً . واللذة نيل المشتهى .

قال الزجاج : الفاء في قوله : « فكلوا » على تقدير قد أحلت لكم الفداء فكلوه .  
وقوله : « واتقوا الله » معناه اتقوا معاصيه فان الله غفور رحيم لمن اطاعه  
وترك معاصيه .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ  
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمرو وحده من السبعة وابو جعفر « الاسارى » الباقون « الاسرى »  
وابو عمرو جمع المذهبين في الاول والثاني . وحمله الباقون على النظر في المعنى .  
وقد فسرنا فيما مضى الاسير من اخذ من دار الحرب من أهلها ، ولو اخذ مسلم  
لكان قد فك أسره . خاطب الله بهذه الآية نبيه (ص) وأمره ان يقول لمن حصل في  
يده من الاسرى يعني من حصل في وثاقه وسماه في يده لانه بمنزلة ما قبض على يده  
بالاستيلاء عليه ولذلك يقال في الملك المتنازع فيه لمن اليد ؟ وقوله : « ان يعلم الله في  
قلوبكم خيراً » يعني اسلاماً . وقيل معناه ان يعلم منكم خيراً في المستقبل بأن يفعلوه  
فيعامله الله موجوداً ، لان ما لم يفعل لا يعلمه موجوداً . والخير النفع العظيم ، وهو هاهنا  
البصيرة في دين الله وحسن النية في امر الله . وقوله : « يؤتكم خيراً » يعني يعطيكم  
خيراً « مما اخذ منكم » من الفداء . وقال الحسن اطلقهم بالفداء ، ولولم يسلموا لم يتركهم .



وقوله : « ويغفر لكم » يعني زيادة مما يؤتيهم يغفر لهم معاصيهم ويسترها عليهم لانه غفور رحيم . وروي عن العباس انه قال : كان معي عشرون اوقية فأخذت مني فأعطاني مكانها عشرين عبداً ووعدني بالمغفرة . وقال العباس في نزلت وفي اصحابي هذه الآية ، وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

معنى الآية ان هؤلاء الاسارى ان علم الله في قلوبهم خيراً اخلف عليهم خيراً مما اخذ منهم . وان غزموا على الخيانة ، ونقض العهد وفعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تأدية فرض الله ، فقد خانوا الله من قبل هذا . والمعنى فقد خانوا اولياء الله ، لأن الله لا يمكن ان يخان ، لأنه عالم بالاشياء كلها لا يخفى عليه خافية . والخيانة هاهنا نقض عقد الطاعة لله ورسوله التي شهدت بها الدلالة . وقوله : « فامكن منهم » والمعنى لما خانوا بأن خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين ، فقد امكن الله منهم بأن غلبوا واسروا . فان خانوا ثانياً فيمكن الله منهم مثل ذلك . والامكان هو القدرة على الشيء مع ارتفاع المانع ، وما لو حرس عليه صاحبه اثم الحرس لم يصح ان يقع منه لا يكون امكاناً ، فالامكان ينافي المنع والاجزاء كما ينافي المعجز القدرة .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بما تقولونه وما في نفوسكم وبجميع الاشياء « حكيم » فيما يفعله . والحكيم هو العالم بوجوه الحكمة في الفعل مما يصرف عن خلافها . والاصل في الحكمة المنع فهي تمنع الفعل من الخلل والفساد .

## قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى  
يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النُّصْرُ إِلَّا عَلَى  
قَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة واللغة :

قرأ حمزة « ولا يتهم » بكسر الواو . والباقون بفتحها . قال الزجاج : إنما جاز  
الكسر لأنه يشبه الصناعة كالخطاطة والقصارة والحياكة ، وقال الشاعر في الفتح :  
دعيهم فهم ألب علي ولابة وحفرهم ان يعلموا ذلك دائب (١)  
قال ابو عبيدة : بفتح الواو مصدر المولى تقول : مولى بين الولاية وإذا كسرت  
فهو من وليت الشيء . قال ابو الحسن يفتح الواو من الولاية إلا الولاية في السلطان  
بكسر الواو ، وكسر الواو في الاخرى لغة .

وقرأ الأعمش بكسر الواو من الولاية في الدين هنا . قال ابو علي الفارسي :  
الولاية هاهنا في الدين والفتح أجود . قال بوا الحسن : وهي قراءة الناس . وعن  
الأعمش أنه كسر الواو ، وهي لغة . وليست بذلك . قال المبرد عن الاصمعي : ان  
الأعمش لحن في كسره لذلك . قال ابو علي : إذا كان ذلك لغة لا يكون لحناً . قال

(١) معاني القرآن ١ : ٤١٩ .

الفراء: والكسر أحب الي ، لأنها ولاية المواريث . وقال الازهري : في النصرمة والنسب بفتح الواو . وفي الامارة بكسرها .

### المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن أحوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة الى المدينة بقوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » وعن أحوال الأنصار بقوله : « والذين آووا ونصروا » يعني النبي (ص) . ثم قال : اولئك يعني المهاجرين والانصار « بعضهم أولياء بعض » والهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد فراراً من المفتنين في الدين ، لأنهم هجروا دار الكفر الى دار الاسلام . والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين جاهد جهاداً وجهده الأمر جهداً واجتهد اجتهداً ، وجاهد مجاهدة . والايواء ضم الانسان صاحبه اليه بانزله عنده وتقريبه له تقول : آواه يؤويه ايواء وارى يأوى اويأ و أويت معناه رجعت الى المأوى . والولاية عقد النصرمة لموافقة في الديانة .

ثم اخبر تعالى عن الذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة الى المدينة فقال : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء » وقيل في معناه قولان : احدهما - ولاية القرابة نقاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرمة دون الرحم في قول ابن عباس والحسن وقتادة والصدى . وعن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى .

الثاني - انه نفي الولاية التي يكونون بها يداً واحدة في الحل والعقد ، فنفي عن هؤلاء ما اثبتته للاولين حتى يهاجروا ثم قال : « وان استنصروكم » اي طلبوا نصركم في الدين يعني الذين آمنوا ولم يهاجروا فعليكم نصرهم بسبب الايمان والذي يجب عليكم ان تنصروهم على الكفار « إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » يعني موادعة

ومهادنة تقتضيه من جهة ان عقدهم بخلاف عهدهم . وقيل انه نسخ ذلك بقوله :  
« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وقوله : « والله بما تعملون بصير »  
يعني عالم بما يعملونه .

### قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ أَلَا تَعْلَمُونَ تَكُنْ  
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن الكافرين أن بعضهم أولياء بعض بمعنى النصرة ، لأنه ينصر  
بعضهم بعضاً . وقوله : « ألا تعلمون » الهاء عائدة الى معنى ما أمروا به في الآية  
الاولى والثانية . ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره ألا تفعلوا ما أمرتم به من  
التناصر والتعاون ، والبراءة من الكفار « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » على  
المؤمنين الذين لم يهاجروا . فالفتنة هنا المحنة بالميل الى الضلال ، لأنه إذا لم يتوال  
المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من الايمان والفضل ولم يدعه الى التبري من الضلال ادى  
ذلك الى الضلال والفساد ضد الصلاح وهو الانقلاب الى الضرر القبيح . والصلاح  
جريان الشيء على استقامة . والولي هو المختص بالمقد على النصرة في وقت الحاجة ،  
وقد يعقد بالعزم ، وقد يعقد بالحكم .

وقيل في معنى قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » قولان :

احدهما - في الميراث ، في قول ابن عباس ، وابي مالك .

والثاني - قال قتادة وابن اسحق في النصرة .

### قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

آوُوا وَنَصَرُوا أَلَيْكَ كُفْرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وهاجروا من ديارهم وأوطانهم يعني من مكة الى المدينة ، وجاهدوا مع ذلك في سبيل الله وقتال اعدائه . والذين آووا من الانصار ومعناه ضموم اليهم ونصروا النبي (ص) بأنهم المؤمنون حقاً .

وقيل في معناه قولان :

احدهما - انهم المؤمنون الذين حققوا ايمانهم لما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك .

الثاني - قال ابو علي الجبائي : معناه انهم المؤمنون حقاً ، لان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ، ولو لم يهاجروا ولم ينصروا لم يكن مثل هذا .

واختلفوا في هل يصح الهجرة في هذا الزمان او لا ؟

فقال قوم : لا تصح لان النبي (ص) قال : لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة انتقال من دار الكفر الى دار الاسلام على هجر الاوطان ، وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام إلا ان يكون نادراً لا يعتد به .

وقال الحسن : بقيت هجرة الاعراب الى الامصار الى يوم القيامة .

والاقوى ان يكون حكم الهجرة باقياً ، لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجراً .

وسمي الجهاد في سبيل الله لأنه طريق الى ثواب الله في دار كرامته .

وقوله : « لهم مغفرة ورزق كريم » اخبار منه تعالى ان هؤلاء المغفرة لذنوبهم

والرزق الكريم يعني العظيم الواسع والكريم الذي يصح منه الكرم من غير مانع .

والسكرم الجود العظيم والشرف قال الشاعر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد ابوالا (١)  
وقيل الرزق الكريم هنا طعام الجنة لانه لا يستحيل الى اجوافهم نجواً بل  
يصير كالمسك ريحاً .

### قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ  
مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن الذين هاجروا بعد هجرة من هاجر وقيل اراد بعد الفتح  
وجاهدوا مع المؤمنين بأن قال : فأولئك منكم ، ومعناه حكمهم حكمكم في وجوب  
موالاتهم ومواريثهم ونصرتهم .

وقوله : « اولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » قيل في معنى  
« كتاب الله » قولان :

احدهما - في كتاب الله من اللوح المحفوظ ، كما قال : « ما اصاب من مصيبة  
في الارض ، ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها » (٢) .  
والثاني - قال الزجاج : يعني في حكم الله .

ومعنى « اولوا » ذورا واحده ذو ، ولا واحد له من لفظه .  
وفي الآية دلالة على ان من كان قريبا اقرب الى الميت كان اولى بالميراث  
سواء كان عصبه او لم يكن اوله تسمية او لم يكن ، لان مع كونه اقرب تبطل التسمية

(١) مجمع البيان ٢ : ٥٦٢ .

(٢) سورة الحديد آية ٣٢ .

ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام بمتنبي العصبية ، وذوي السهام .  
وهذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة والهجرة فانهم كانوا لا يورثون  
الاعراب من المهاجرين على ما ذكر في الايات الاول . ومن قال الولاية في الآيات  
الأولة ولاية النصره دون الميراث يقول : ليست هذه ناسخة لها بل هما محكمتان .  
ودخلت الفاء في قوله : « فأولئك » كما تقول الذي يأتيني فله درهم ، لأن فيه  
معنى المجازات .

وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث ذكر ما ولاية رسول الله بين المهاجرين  
والأنصار في الميراث ، ثم نسخ ذلك بآخرها من قوله : « وأولوا الأرحام بعضهم  
أولى ببعض في كتاب الله » وقال عبد الله بن الزبير نزلت في العصباء كان الرجل  
يعاقد الرجل يقول : ترتني وارثك فنزلت « وأولوا الأرحام » الى آخرها .  
وقال الحسن : والذين آمنوا من بعد يعني بعد فتح مكة . وقوله : « منكم »  
معناه مؤمنون مثلكم ، ولا هجرة بعد فتح مكة ، وقال : الهجرة الى الأوصار قائمة  
الى يوم القيامة .

وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية . وروي عن عمر أنه قال :  
لا تنكحوا أهل مكة ، فانهم اعراب .  
واكثر هذه الصورة في قصة بدر . وكانت في صبيحة السابع عشر من شهر  
رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة من شهد هذه الواقعة فله الفضل .



Handwritten text in a cursive script, likely a letter or a page from a manuscript. The text is arranged in approximately 15 lines, with some lines starting with a small mark resembling a comma or a specific symbol. The ink is dark and the paper shows signs of age and wear.

—o—o—o—



## سورة براءة

مدنية وهي مئة وعشرون آية في الكوفي  
وثلاثون في البصري والمدنيين

قال مجاهد وقتادة وعثمان : هي مدينة وهي آخر ما نزلت على النبي (ص) بالمدينة  
وروي عن حذيفة انه قال : كيف يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب ؟  
وروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال : تلك الفاضحة  
ما زالت تنزل وفيهم ومنهم حتى خشينا الا تدع احداً . قال : وسورة الأتقال نزلت  
في بدر ، وسورة الحشر في بني النضير .

قوله تعالى :

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(١) آية .

قيل في علة ترك افتتاح هذه السورة بـ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) قولان :  
احدهما - ما روي عن ابي بن كعب أنه ضمت هذه السورة الى الأتقال

بالمقاربة ، فكانت كسورة واحدة لأن الاولى في ذكر اليهود والاخرى في رفع اليهود .

وقال عثمان لاشتباه قصتها ، لأن الاولى في ذكر اليهود والاخرى في رفع اليهود .  
وقال المبرد : لأن ( بسم الله الرحمن الرحيم ) أمان وبراهة نزلت برفع الامان .

### الاعراب واللغة :

ويحتمل رفع براهة وجهين :

احدهما - ان يكون خبراً لمبتدأ المحذوف وتقديره هذه الايات براهة .  
والثاني - ان يكون مبتدأ وخبره الظرف في قوله « الى الذين » . والأول أجود  
لانه يدل على حصول المدرك كما تقول لما تراه حاضراً : حسن والله أي هذا حسن .  
ومعنى البراهة انقطاع العصمة بربى براهة وبراءة ابراهة وتبرأ تبرؤاً وبراءة  
من المرض وبراءة ابرأ وأبرؤ وبر تبرئاً . وروى أهل اللغة براءت أبرؤ براء ، ولم يجيء  
من المهموز (فلمت افعال) إلا في هذا الحرف الواحد وبرت القلم ابريه برياً بغير همز  
وبراه السير إذا هزله . وبرى له يبرى . إذا تعرض له وباراه إذا عارضه وبراءت البعير  
إذا جمعات لاتفه براه بالالف .

### المعنى واللغة :

ومعنى الآية برى الله من المشركين ، ورسوله « إلا الذين عاهدتم من  
المشركين » من اعطائهم الامان ، والمهود والوفاء لهم بها إلا إذا نكثوا ، لانهم كانوا  
ينكثون ما كان بينهم وبين النبي (ص) ، فأمر الله تعالى النبي (ص) ان ينفذ أيضاً  
اليهم عهدهم .

وقوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » فالعهد العقد الذي يتقدم به لتوثيق

الامر عهداً وعاهد معاهدة وتعاهد الامر تعاهداً وتعهدته تعهداً. وقوله: «عاهدتم» انما جاء بلفظ الخطاب ، لأن فيه دلالة على الأمر بالنهذ الى المشركين برفع الامان ولولا ذلك لجاز عاقدنا ، لأن معاقدة النبي (ص) انما هي عن الله عز وجل . ويجوز رفع الامان والبراءة من غير نقض العهد إذا كان مشروطاً الى أن يرفع الله اليهم .

### قوله تعالى :

﴿ فَسَيُحَوُّوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) آية بلا خلاف .

### اللغة والمعنى :

السيح السير في الأرض على مهل تقول : ساح يسبح سباحاً وسباحة وسيوحاً وسيوحاناً وإنساح الماء إنسياحاً وسيوحه تسيوحاً .

أمر الله تعالى في هذه الآية ان يقال لهؤلاء المشركين ان يسبحوا في الأرض اربعة اشهر آمنين وإنما حلهم هذه الاشهر لانها الاشهر الحرم الى آخر الحرم من اول شوال ، في قول ابن عباس والزهرى .

وقال الفراء : كانت المادة الى آخر الحرم لأنه كان فيهم من كان مسدته خمسين ليلة ، وهو من لم يكن له عهد من النبي (ص) فجعل الله ذلك له . قال : ومعنى الاشهر الحرم الحرم وحده وإنما جمعه لانه متصل بذى الحجة وذى القعدة فكأنه قال : فإذا انقضت الثلاثة اشهر .

وقال ابو عبد الله (ع) اول الاربعة الاشهر يوم النحر وآخرها العاشر من شهر ربيع الآخر وهو قول محمد بن كعب القرطبي ومجاهد وقال الحسن : إنما جعل لهم هذه المدة ، لان منهم من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فخط اليها . ومنهم من

كان اقل فرفع اليها . وقال ابو علي الجبائي كان يوم النحر لعشرين من ذي القعدة الى عشرين من ربيع الاول ، لان الحج كان تلك السنة في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع ، وكان سبب ذلك التسمي الذي كان في الجاهلية .

وقرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة علي بن ابي طالب (ع) لان ابا بكر كان على الموسم في تلك السنة فاتبعه النبي (ص) بعلي (ع) ، وقال : لا يبلغ عني الا رجل مني في قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والجبائي .

وروى اصحابنا ان النبي (ص) كان ولاءه ايضا الموسم ، وانه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع ابو بكر فقال : يا رسول الله انزل في قران ، فقال : لا ، ولكن لا يؤدي إلا انا او رجل مني .

وروى الشعبي عن محرز بن ابي هريرة قال قال ابو هريرة : كنت أنادي مع علي (ع) حين اذن المشركين فكان اذا اضمحل صوته مما ينادي دعوت مكانه ، قال فقلت يا ابيه اي شيء كنتم تقولون ؟ قال : كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك قال : وما حج بعد عامنا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله (ص) مدة فان اجله الى اربعة اشهر فاذا انقضت اربعة اشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله .

وفتحت مكة سنة ثمان ونزلت براءة سنة تسع وحج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر .

وقوله « واعلموا انكم غير معجزي الله » معناه انكم غير فائزين كما يفوت ما يعجز عنه ، لانكم حيث ما كنتم في سلطان الله وملكه والاعجاز ايجاد المعجز والمعجز ضد القدرة عند من اثبتته معنى .

وقوله : « وان الله مخزي الكافرين » فالاخزاء الاذلال بما فيه الغضبية  
والعار . والحزبي النكال الفاضح .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ  
اللَّهَ بَرِيٌّ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ وَخَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ  
تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِمَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٣) آية اجماعا .

الاذان الاعلام في قول ابن زيد والزجاج ، والجبائي ، تقول : اذنتي فلان  
كذا فأذنت اي اعلمني فعلمت . وقال بعضهم : معناه النداء الذي يسمع بالاذن .  
وقال الفراء والزجاج انما ارتقم ، لانه عطف على قوله براءة . وقيل : معناه  
عليكم اذان ، لان فيه معنى الامر .

والحج المقصد الى اعمال المناسك على ما امر الله به وقد بينا شرائط الحج  
واركانه وفرائضه في كتب الفقه ، ولا نطول بذكره هاهنا .

والحج الاكبر قال عطا ، ومجاهد ، وعامر وبشر بن عباد : هو ما فيه الوقوف  
بعرفة والاصفر العمرة ، وقال مجاهد : الحج الاكبر هو القران ، والحج الاصفر  
هو الافراد .

وقيل في معنى « يوم الحج الاكبر » ثلاثة اقوال :

احدها - ما روي عن النبي (ص) انه قال : عرفة ، وهو المروي عن عمر  
وابن عباس بخلاف فيه وبه قال عطا ومجاهد وابن الزبير وابو حنيفة .

والثاني - في رواية أخرى عن النبي (ص) وعلي (ع) وابن عباس وسعيد ابن جبير ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وإبراهيم ومجاهد انه يوم النحر وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) .

وسمي بالحج الاكبر لانه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك .  
الثالث - قال مجاهد وشعبة: هو جميع ايام الحج .

اعلم الله تعالى في هذه الآية المشركين انه ورسوله بريء من المشركين وانه ان تبتم ورجعتم الى الايمان وطاعة الرسول « فهو خير لكم » وان عرضتم وتوليتهم فأعلموا انكم لا تقوتون الله وان الله يبشر الكافرين بمذاب اليم اي شديد مؤلم .  
قال الحسن الحج الاكبر ثلاثة أيام الحج اجتمعت في تلك الايام الثلاثة اعياد المسلمين وأعياد اليهود وأعياد النصارى ، فقال رسول الله (ص) لم يكن فيما خلا ولا يكون الى يوم القيامة .

### قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنَقُصُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَهُمُ الْيَوْمَ عَاهِدُهُمْ إِلَىٰ مَدَنِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) آية في الكوفي والمدنيين وآيات في البصري .

استثنى الله تعالى من براهته عز وجل ، وبراهة رسوله (ص) من المشركين من كان لهم العهد ، في قول الزجاج . وقال الفراء : هذا استثناء في موضع نصب ، وهم قوم من بني كنانة كان قد بقي من أجهلهم تسعة اشهر ، فقال الله تعالى : « فَأَتَمُّوا

اليهم عهدهم الى مدتهم ، لا نخطوهم الى الاربعة أشهر ، فقال مجاهد عنى بذلك جماعة من خزاعة ومدج . وقال ابن عباس توجه ذلك الى كل من كان بينه وبين رسول الله عهد قبل براءة . وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة او الى قوم من المشركين لم يتعرضوا له (ع) بهداوة ولا ظاهروا عليه عدوه ، لان النبي (ص) صالح اهل هجر وأهل البحرين وابلى ودومة الجندل ، وأدرج وأهل معنا ، وهم ناس من اليهود في توجهه الى تبوك او في سرجه منها وله عهدا اصلح والحرب غير هذه ، ولم ينفذ اليهم بنقض عهد ، ولا حاربهم بمسدان صاروا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله ووفي لهم بذلك من بعده فمن حمل ذلك على جميع اليهود ، فقد اخطأ .

وقال الحسن هذا استثناء من قوله تعالى : « اقتلوا المشركين » ، « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ثم نقلت الى هاهنا وباقي الناس على خلافه .

وقوله : « ثم لم ينقصوكم شيئاً » والنقصان حط العدة عن عدة الزيادة والحاق العدة بمدة . والمعنى ثم لم ينقصوكم من شروطكم العهد شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم احداً فالظاهرة المعاونة على العدو للظهور عليه فهو لاء ان لم يعاونوا عليكم احداً من اعدائكم ولا نقصوكم شيئاً من حقه في عهدهم فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ، وهو امن من الله تعالى الى ان يبلغوا المدة التي وافقوهم عليها .

قال قتادة : وهم مشركوا قريش كانوا عاهدوه في الحديدية وبقى من مدتهم اربعة اشهر بعد يوم النحر .

والإتمام بلوغ الحد في العدة من غير زيادة ولا نقصان فهنا معناه امضاء الامر على ما تقدم به العهد الى انقضاء اجل المقد . والمدة زمان طويل الفسحة واشتقاقه من مددت له في الاجل للمهلة . والمعنى الى انقضاء مدتهم .

وقرأ عطاء « ثم لم ينقضوكم » بالاضاد المعجمة وهي شاذة وان بفتح الهمزة ، لان تقديره بأن الله بريء من المشركين ، ولا يجوز ان يكون المراد نبذ العهد الى مكة ، لان مكة فتحت سنة ثمان وصارت دار الاسلام ونبذ العهد كان في سنة تسع فعلم بذلك ان المراد غيرهم .

### قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَاِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

الانحلاخ اخراج الشيء مما لا يسهه وكذلك سلخ الشاة إذا نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا . وقيل في الاشهر الحرم قولان :  
 احدها - رجب وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ثلاثة سرد وواحد فرد .  
 الثاني - الاشهر الأربعة التي جعل لهم ان يسبحوا فيها آمنين ، وهي عشرون من ذي الحجة ، والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر في قول الحسن والسدي ، وغيرها .

امر الله تعالى نبيه ( ص ) والمؤمنين انه إذا انقضت مدة هؤلاء المعاهدين ، وهي الأربعة اشهر ان يقتلوا المشركين حيث وجدوهم . قال الفراء : سواء كان في الاشهر الحرم او غيرها او سواء في الحل او في الحرم . وان يأخذوهم ، ويحصرهم .



## اللغة :

والحصر المنع من الخروج عن محيط واحصر الرجل احصاراً وحاصره العدو محاصرة  
وحصاراً ، وحصر في كلامه حصراً وانحصر الشيء انحصاراً . والحصير والحبس  
والأسر نظائر .

رقوله : «واقعدوا لهم كل مرصد» يعني كل موضع يرقب فيه العدو . والمرصد  
الطريق ومثله المرقب والمرقباء يقال رصده يرصده رصداً ونصب كل مرصد على تقدير  
على كل مرصد على قول الاخفش كما قال الشاعر :

نغالى اللحم لاضياف نيسا ونرخصه اذا فضج القدور (١)

أي نغالى باللحم وقال الزجاج هو ظرف كقواك ذهبت مذهباً ، وقال الشاعر :

إن المنية للفتى بالمرصد (٢)

فجعله بمنزلة المحدود والمرصد مبهم والطريق محدود فهذا فرق ما بينها .

## المعنى :

واستدل بهذه الآية على أن تارك الصلاة متمسداً يجب قتله ، لأن الله تعالى  
أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين : احدهما ان يتوبوا من الشرك ، والثاني  
أن يقيموا الصلاة ، فإذا لم يقيموا الصلاة وجب قتلهم .

## قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

(١) مر نخرج هذا البيت في ١ : ٤٧٠ تعليقه ٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٧٣ وبجاز القرآن ١ : ٢٥٣ وصدده :

ولقد غلبت وما اخالك ناسياً .

كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمْلَهُونَ (٦) آيَةٌ

بلا خلاف .

### الاعراب :

قوله : « احد » ليست التي تقم في النفي في مثل قولك : ( ما جاني احد ) لأن الايجاب لا يصح فيه اعم العام الذي هو هو على الجملة . والتفصيل كقولك : ليسوا مجتمعين ، ولا متفرقين ، ولا يصح مثل ذلك في الايجاب ، ويصح في الاستفهام لأن فيه معنى النفي ، ولولا ذلك لم يصح جوابه بـ ( لا ) والتقدير وان استجارك احد من المشركين فاضمر الفعل ، ولم يجز في الجواب ان يقول ان يقوم احد زيد يذهب ، لقوة ( ان ) انها للفعل خاصة ومثله انشد الاخفش :

لا تجزعي ان منفصلاً اهلكته      واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي (١)  
فأخبر . ثم جزم على جواب الجزاء لانها شرط ونيس كذلك الجواب ، لانه قد يكون بالفاء ولا يجوز اضرار الفعل في شيء من حروف المجازاة الا في ( أن ) لانها ام الباب وهي الاصل الذي يلزمه ، قال الشاعر :

فان انت تفعل فللما علي      ن انت المجيرين تلك الفمرا (٢)

وأما قول الشاعر :

فتي واغل بينهم يحبوه      ويعطف عليه كاس الساقى (٣)  
فانما هو ضرورة ، لا يجوز مثله في الكلام . قال الفراء : « استجارك » في

(١) القرطبي ٨ : ٧٧ . نسبة للنمير بن تولى .

(٢) معاني القرآن ١ : ٤٢٢ . نسبة للكثير .

(٣) مجمع البيان ٣ : ٧ .

موضع جزم ، وان فرق بين الجازم والمجزوم بـ (احد) وذلك جائز في (ان) خاصة وقد يفرق بينها وبين المجزوم بالمنصوب والمرفوع ، فالمنصوب مثل قولك : ان اخاك ضربت ظلمت ، والمرفوع مثل قوله تعالى : « ان امرؤ هلك ليس له ولد » (١) .

### المعنى واللغة :

امر الله تعالى نبيه (ص) انه متى استجاره احد من المشركين الذين امرتك بمقاتلهم أي طلب منه الجار في رفع الاذى عن صاحبه .

وقيل المعنى ان استأمنك أحد فأمنه « حتى يسمع كلام الله » .

والمشرك يصح ان يسمع كلام الله على الحقيقة ، لان حكاية كلام الله يطلق عليه الاسم بأنه كلام الله لظهور الأمر فيه ، ولا يحتاج ان يقدر اصل له ، كما يقال كلام سيبيويه وغيره . ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر ، فقد غلط ، لان المراد ما ذكرناه فيما يقال في العرف انه كلام الله .

وقوله : « ثم ابلغه مأمنه » فالابلاغ التصيير الى منتهى الحمد . والابلاغ والاداء نظائر .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : المعارف ضرورية لانها لو كانت كذلك لما كان لطلب ما هو عالم به معنى .

ومعنى قوله : « لا يعلمون » اخبار عن جهلهم في افعالهم ، لانهم لا يعقلون وانما اراد لا ينتفعون بمثله . ولا يعرفون ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب .

### قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ

(١) سورة النساء آية (٧٥) .

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا أَكْفُمْ  
فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) آية بلا خلاف .

### الاعراب والمعنى :

قال الفراه هذا على التعميم كما تقول : كيف تستبقي مثلك اي لا يشبني ان  
ان يستبقي ، وفي قراءة عبد الله : كيف يكون عهد عند الله ، ولا ذمة ، فادخل الكلام  
( لا ) مع الواو ، ولان معنى الاول جحد . وقال غيره : في الكلام حذف ، لان  
الكلام خرج مخرج الانكار عليهم . وتقديره كيف يكون للمشركين عهد عند الله  
وعند رسوله مع اضرار الفدر في عهدهم ، فجاء الانكار ان يكون لهم عهد مع ما يفيد  
من العهد على ذلك ، وذلك يقتضي اضرار الفدر فيما وقع من العهد . ثم استثنى من  
ذلك « الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » فكان ذلك ايجاباً فيهم لان ما قبله في  
معنى النفي والتقدير ليس للمشركين عهد الا الذين . وموضع ( الذين ) يحتمل الجر  
والنصب وحقى الكسائي اين كنت لتنجو مني اي ما كنت .

### اللغة والمعنى :

و ( المسجد ) الموضع المهيأ لصلاة الجماعة ، والمراد هاهنا مسجد مكة خاصة  
وأصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس و ( الحرام ) المحظور ببعض احواله  
فالخمر حرام لحظر شربها ، وسائر انواع التصرف فيها . والام حرام بحظر نكاحها .  
والمسجد الحرام لحظر صيده وسفك الدم فيه وابتذاله ما يبتذل به غيره . وقوله :  
« فما استقاموا لكم » معناه ما استمروا لكم على العهد والاستقامة الاستمرار على جهة  
الصواب . ومتى كانت الاستمرار على وجه الخطأ لا يسمى استقامة . ومعنى  
« فاستقيموا لهم » استمروا لهم على العهد مثلهم .

والمراد بالذين عوهدوا عند المسجد الحرام ، قيل فيهم ثلاثة اقوال : قال مجاهد هم خزاعة ، وقال ابن اسحاق : هم قوم من بني كنانة . وقال ابن عباس : هم قريش . وقوله : « ان الله يحب المتقين » اخبار منه تعالى انه يحب من يتقى معاصيه ويعمل بطاعته وانه يريد ثوابه ومنافعه .  
وفي الآية دليل على ان تمكين الحربي من المقام في دار الاسلام بعد قضاء حاجته ليس بجائز .

### قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا كُفْرًا لَنْ نَدْرَأَهُمْ بِإِغْوَاهِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ (٨) ﴾  
يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) آية بلا خلاف .

وتقديرها كيف لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وحذف ، لان قوله في الآية الاولى « كيف يكون للعشركين عهد » دل على ذلك ومثله قول الشاعر :  
وخبرتني انا الموت في القرى وكيف وهاتا هضبة وقلب (١)  
ويروى وهذى اي كيف مات وليس في قرية . وقال الخطيب في حذف الفعل بعد كيف :

فكيف ولم اعلمهم خذلوكم على معظم ولا ادبكم قدوا (٢)

(١) قاله كعب بن سعيد الغنوي . الاصمعيات : ٩٩ ، وتفسير الطبري ١٤ : ١٤٥٠ ، وطبقات خول الشعراء : ١٧٦ ، وامالي القالي ٢ : ١٥١ ومعاني القرآن للفرانج ١ : ٢٤٤ في المطبوعة ( وخبرتني اني ) بدل ( وخبرتني ) .  
(٢) معاني القرآن ١ : ٤٢٤ .

اي كيف تلومونني على مدح قوم تدمونهم . والممنى كيف لهم يعني لهؤلاء  
المشركين عهدوهم ان يظهروا عليكم بمعنى علوا عليكم بالغلبة ، لان الظهور هو العلو  
بالغلبة . واصله خروج الشيء الى حيث يصح ان يدرك « لا يرقبوا فيكم » معناه  
لا يراعوت فيكم . والرقوب هو العمل في الامر على ما تقدم به العمل والمراقبة  
والمراعاة نظائر في اللغة .

وقوله : « الا ولا ذمة » قيل في معنى الاول ستة اقوال :

اولها - قال مجاهد وابن زيد: ان معناه العمد .

والثاني - في رواية اخرى عن مجاهد انه اسم الله . ومنه قول ابي بكر لما

سمع كلام مسيلة لم يخرج هذا من ال فابن يذهب بكم .

الثالث - قال ابن عباس هو القرابة .

الرابع - قال الحسن هو الجوار .

الخامس - قال قتادة هو الحلف .

السادس - قال ابو عبيدة هو التميز . والاصل في جميع ذلك العهد وهو مأخوذ

من الايل وهو البريق ، يقال : ال يؤل اذا لمع والالة الحربة للمعاناها واذن مؤلة  
مشبهة بالحربة في تحديدها .

وقال الزجاج : اصله التحديد قال الشاعر :

وجدناهم كاذباً لهم وذو الال والعهد لا يكذب (١)

اي ذو العهد ، وقال ابن مقبل :

افسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الال واعراق الرحم (٢)

يعني القرابة ، وقال حسان :

(١) تفسير الطبرى ١٤ : ١٤٩ . ( الال ) - بتشديد اللام - قيل انه مرادف للعهد .

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ١٤٨ .

اعمرك ان ألك في قريش كأل السقب من رال النعام (١)  
 وقوله : « يرضونكم بافواهم » معناه يقولون قولاً يرضيكم بذلك في الظاهر  
 وتأبى قلوبهم ان يذعنوا لكم بتصديق ما يبدوه لكم . ثم اخبر تعالى عن حالهم بأن  
 اكثرهم فاسقون . وقال ابن الاخشاد اراد بذلك انهم متمردون في شركهم لأن الفاسق  
 هو الخارج من الشيء من قولهم فسقت الرطبة . وانما كان اكثرهم بهذه الصفة ولم  
 يكن جميعهم وان كانوا كلهم فاسقين [ لان المراد به رؤساءهم ] .

### قوله تعالى :

﴿ اِشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ  
 سَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٩) آية .

قبل في من نزلت هذه الآية بسببه قولان :

قال مجاهد : نزلت في أبي سفيان لما جمعهم على طامه فاطم حلفاءه وترك  
 حلفاء النبي (ص) .

وقال ابو علي الجبائي : نزلت في قوم من اليهود دخلوا في العهد فيما دلت عليه  
 هذه الصفة .

ومعنى « اشتروا بآيات الله » استبدلوا بحجج الله وبيناته العظيمة الشأن « ثمناً  
 قليلاً » أي عوضاً قليلاً . وأصل الاشتراء استبداء ما كان من المتاع بالثمن ، وتقيضه  
 البيع ، وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن . والتمن ما كان من العين والورق في الأصل ثم  
 قيل لما اخذوه بدل آيات الله ثمن ، لأنه بمنزلة في انه يستبدل به .  
 وقوله : « فصدوا عن سبيله » أي صدوا عن الاسلام .

(١) ديوانه : ٤٠٧ واللسان ( الل ) . وتفسير الطبري ١٤ : ١٤٩ .

ومعنى هذه الفاء كعنى جواب الجزاء ، لان اشتراطهم هذا اداهم الى الصد عن سبيل الله . والصد هو المنع . ثم اخبر تعالى عنهم بئس ما كانوا يعملونه من هذا الاستبدال .

### قوله تعالى :

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴾

(١٠) آية بلا خلاف .

قد بينا ان المراقبة هي المراعاة لما تقدم من العهد الذي يلزم الديانة لئلا يقع اخلال بشيء منه . والال العهد . والذمة عقد الجوار ، وهما متقاربان . وفصل بينهما بأن الذمة عقد قوم يذم نقضه . والال الذي هو العهد عقد يدعو الى الوفاء . والبيان الذي فيه ، لأنه يلوح المعنى الذي يدعو الى الوفاء إذا ضل كل واحد منهما يقتضي هذا . وانما اعيد ذكر « لا يرقبون في مؤمن الا واذمة » لانه في صفة « الذين اشتروا بآيات الله ثمنا » والاول في صفة الناقضين للعهد . وقال في الثاني : « فان نابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فآخوانكم في الدين » ، فلذلك كرر بوصفين مختلفين وقال الجبائي : لانه في صفة اليهود خاصة ، والاول في صفة الناقضين عامته ، وإنما ذموا بترك المراقبة ، لان مع تركها الغالب ان يقع اخلال بما تقدم من العقد ، فلزمت المراقبة لهذه العلة . وترك المراقبة في عهد المؤمن اعظم منها في ترك عهد غيره لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن ، لأنه ليس من شأنه الغدر .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المشركين انهم لا يراعون في المؤمن عقد العهد ، ولا ذمة الجوار ، وانهم مع ذلك معتدون . والاعتداء الخروج من الحق وأصله المجاوزة ، ومنه التعدي وهو تجاوز الحد ومعاداة القوم مجاوزة الحد في البغضة وكذلك العداوة والاستعداد طلب معاملة العدو في الايقاع به ، والعدو مجاوزة



حد السمي . والغرض بالآية حث المسلمين على قتلهم ، وان لا يبقوا عليهم كما انهم  
لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا عليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي  
الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١) آية .

شرط الله لهؤلاء المشركين بأنهم إن تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشرك الى  
طاعة الله ، والاعتراف بوحديته ، والاقرار بالنبي (ص) ، وأقاموا الصلاة المفروضة  
على ما شرعها الله وأعطوا الزكاة الواجبة عليهم ، فانهم يكونون اخوان المؤمنين في  
الدين ، والايمان . وتقديره فهم اخوانكم .

والتوبة هي الندم على القبيح لقبحه مع العزم على ترك العود الى مثله في القبح ، وفي  
الناس من قال الى مثله في صفته ، فمن قال ذلك قال توبة المجبوب من الزنا هي الندم  
على الزنا مع العزم على ترك المعاودة الى مثله على ما يصح ويجوز من الامكان ، وهو  
انه لو رد الله عز وجل عضوه ما زنى ، فاما من نسي الذنب فان توبته صحيحة  
لا يؤاخذ بالذنب ، لانه مكلف قد أدى جميع ما عليه في الحال ، فقد تخلص بذلك  
من العقاب .

فان قيل لم شرط مع التوبة من الشرك وحصول الايمان ابقاء الزكاة ؟ مع انه  
ليس كل مسلم عليه الزكاة .

قلنا : انما يجب عليه بشرط الامكان فاذا اقر بحكم الزكاة مع التعذر عليه دخل  
في حكم الصفة التي يجب بها .

وقوله : « وتفصل الآيات » معناه يبينها وتميزها بخاصة لكل واحد منها بما  
يتميز به من غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها « لقوم

يعلمون « ذاك ويثبتونه دون الجهال الذين لا يقلون عن الله .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٢)  
آية بلا خلاف.

### القراءة :

قرأ أهل الكوفة وابن عامر « أئمة » بهزتين ، إلا هشاماً عن ابن عامر ، فإنه فصل بين الهمزتين بالف . الباقيون بهزمة واحدة وياه بعدها . وفصل بينهما بالف أبو جعفر ، والمرى عن المسبي والسوسنجري عن يزيد بن اسماعيل . وقرأ ابن عامر والحسن « لا ايمان لهم » بكسر الالف . الباقيون بفتحها .

### الحجة واللغة والاعراب :

الكسر يحتمل وجهين : احدهما - انهم ارتدوا ، ولا اسلام لهم ذكره الزجاج قال : ويجوز « لا ايمان لهم » على المصدر ، وتقديره لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد . والآخر - لانهم كفروا « لا ايمان لهم » ويحتمل ان يكون المراد انهم آمنوا ايماناً لا يقون به فلا ايمان لهم .  
ومن فتح الهمزة فلقوله : « وان نكثوا ايمانهم » ولقوله : « عهدهم » وانبت لهم الايمان .

فان قيل كيف نفي ، فقال : « انهم لا ايمان لهم » وقد انبتتها في الاول من الآية بقوله : « وان نكثوا ايمانهم » ؟

قلنا : اليمين التي اثبتتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها ، ولم يفوا ، وانما المراد به انهم لا ايمان لهم يفون بها ، ويتمسكون بموجبها .  
وقال ابو علي النحوي ( ائمة ) على وزن افعلة جمع امام نحو مثال وأمثلة فصار ائمة واجتمع همزتان ألف أفعلة ، والهمزة التي هي فاء الفعل والتي هي فاء الفعل ساكنة فنقل اليها حركة التي بعدها ليمكن النطق بها . فمن خففها أتى بالهمزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة . ومن كره ذلك قلب الثانية ياء ولم يجعلها بين بين ، لأن همزة بين بين في تقدير التحقيق وذلك مكروه عندهم .

قال الرماني : انما جاز اجتماع الهمزتين في كلمة لثلاثا يجتمع على الكلمة تغيير الادغام والانقلاب مع خفة التحقيق ، لأجل ما بعده من السكون ، وهو مذهب ابن ابي اسحاق من البصريين . والباقون لا يجيزونه ، ذكره الزجاج ، قال : لانه يلزم عليه ان يقرأ آدم بهمزتين وذلك باطل بالاتفاق . وعلى هذا القول هذا أم بهمزتين ، قال : وانما قلبت الهمزة في ائمة على حركتها دون حركة ما قبلها ، لان الحركة إنما نقلها الى الهمزة لبيان زنة الكلمة ، فلو ذهبت قلبها على ما قبلها لكان مناقضا للغرض فيها . واذا بنيت من الامامة هذا الفعل من هذا قلت هذا أوم من هذا - في قول المازني - لأن اصله كان أم فلم يمكنه ان يبدل منها العا لا اجتماع الساكنين ، فجعلها واوا ، كما قالوا في جمع آدم أوادم .

قال الزجاج : وهو القياس وهذا أيم من هذا في قول الأخفش ، قال : لانها صارت الياء في ائمة بدلا لازما .

### اللغة والمعنى :

قوله : « وات نكثوا ايمانهم » فالتكث نفص المعنى - الذي جمع - لتوثيق الامر وذلك بالخلاف لما تقدم من العزم . و ( الايمان ) جمع يمين ، وهو القسم والقسم هو قول عقد بالمعنى لتأكيد ، وتغليظ الأمر فيه نحو والله

ليكونن وتالله ما كان ، فيجوز أن يكون من أعطى صفقة يمينه ، ويجوز أن يكون من يمن التيسير في فعله . وقوله : « وطعنوا في دينكم » فالطعن هو الاعتقاد بالعيب . واصله الطعن بالرخ ، ونحوه في الشيء لنقض بفيته .

وقوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » امر من الله تعالى بقتال أئمة الكفر ، وهم رؤساء الضلال والكفار ، والامام هو المتقدم الاتباع ، فأئمة الكفر رؤساء الكفر والامام في الخير مهتد ، هاد ، وفي الشر ضال مضل ، كما قال تعالى : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار » (١) والمعنى بأئمة الكفر رؤساء قريش ، في قول ابن عباس ومجاهد . وقال قتادة : هم ابو جهل بن هشام ، وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين هموا باخراجه ، وكان حذيفة يقول : لم يأت أهل هذه الآية .

وروى عن ابي جعفر (ع) انها نزلت في أهل الجمل . وروي ذلك عن علي (ع) وعمار ، وغيرها ، ويقول حذيفة قال يزيد بن وهب وقوله : « انهم لا ايمان لهم » معناه لا تؤمنوهم .

ومن كسر معناه ، لانهم كفروا لا ايمان لهم .

وقوله : « لعلمهم يفتنون » معناه لكي يفتنوا .

وفي الآية دلالة على أن النبي إذا اظهر الطعن في الاسلام فانه يجب قتله ، لان عهده معقود على أن لا يطعن في الاسلام ، فاذا طعن فقد نكث عهده .

### قوله تعالى :

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِأَخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾

وَهُمْ بِدُؤِكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَنْخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ آية بلا خلاف.

اللغة :

قوله : « أَلَا » كلمة موضوعة للتخصييض على الفعل ، وأصلها ( لا ) دخلت عليها الف الالهتفهام ، فصارت تخصييضاً كما انها إذا دخلت على ( ليس ) صارت تقريراً و ( لا ) موافقة للتخصييض بالاستقبال و ( ليس ) انما هي للحال ، فهي موافقة للحال بهذا المعنى . وإذا قال : « أَلَا تقاتلون » كان معناه التخصييض على قتالهم ، وإذا قال : ( الا قاتلتم ) كان ذلك تأنيباً ، لأن ما يلزم اذا ترك ذم على تركه ويحض على فعله قبل وقته . حض الله تعالى المؤمنين على قتال الكفار الذين « نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول » من مكة اي قصدوه . والهم مقاربة الفعل بالعزم من غير اتباع له ، وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم . وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم . وقوله : « وهم بدؤكم اول مرة » فالبدؤ فعل ما لم يتكرر والمرة الفعلة من المرة والمرة ، والكرة والدفعة نظائر .

المعنى :

ومعنى « بدؤكم اول مرة » بدؤوا حلفاء النبي ( ص ) بالقتال من خزاعة في قول الزجاج ، وقال ابن اسحاق والجبالي : بدؤوا بنقض العهد . وقال الطبري : بدؤهم بخروجهم الى بدر ؛ لقتالهم .  
وقوله : « انخشونهم » معناه انخافونهم . ثم قال : « والله احق ان تخشوه » اي تخافوه « ان كنتم مؤمنين » وفي ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التقريع

والتشجيع . والمعنى أتخشون ان ينالك من قتلهم مكروه ، فآله احق ان تخشوا عقابه في ارتكاب معاصيه ان كنتم مصدقين بعقابه وثوابه .

### قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخَسِّرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥) آيتان بلا خلاف .

هـ . هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بقتال حلفاء النبي (ص) من خزاعة ، فانهم اذا قاتلوهم يعذب الله الكفار بأيديهم يعني بأيدي المؤمنين الذين يقاتلونهم وينصرهم ايها المؤمنون ينصركم الله « عليهم ويشف » بذلك « صدور قوم مؤمنين » وفي ذلك دليل على انه اشتد غضب جماعة المؤمنين لله ، فوعدهم الله النصر ، في قول قتادة والزجاج . وفيها دلالة على نبوة النبي (ص) لانه وعده النصر فكان الامر على ما قال .

وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » قيل المراد بهم خزاعة الذين قاتلوهم ، في قول السدي وغيره ، لا نهم كانوا حلفاء النبي (ص) .

والتعذيب اي قاع العذاب لصاحبه والعذاب ألم تستمر به ، قال عبيد بن الابرحس :  
والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

ومعنى « يعذبهم الله بأيديكم » اي انكم اذا تنازلتموهم بالسلاح من السيوف والنبال والرماح انزل الله بهم العذاب . وقال ابو علي ذلك مجاز والمعنى انه لما كان ذلك بأمر الله اضافته الى نفسه ، وهو احسن من الاول .

وقوله : « ويخبرهم » معناه يذلمهم والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه خزي خزياً واخزاء الله إخزاء .

وقوله : « ويشف صدور قوم مؤمنين » فالشفاء ملامة النفس بما يزيل عنها الأذى فكلمة وافق النفس وازال عنها الهم فهو شفاء .

وقيل : « ويشف صدور قوم مؤمنين » يعني خزاعة ، لأنهم نقضوا العهد بقتالهم في قول مجاهد والسدي .

والصدور جمع الصدر ، وهو الموضع الاجل الذي يصدر عنه الأمر ، ومنه الايراد والاصدار .

ويجوز في « ويخزم » ثلاثة اوجه من الاعراب : الجزم باللفظ ، وعليه القراء والنصب على الصرف والرفع على الاستئناف . ولم يقرأ بهما .

وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » معناه يبطل غيظهم ويعدمه . والاذهاب جعل الشيء يذهب والذهاب الانتقال عن الشيء والمجبي الانتقال الى الشيء ، والغيظ نقص الطبع بانزعاج النفس . تقول غاظه يغيظه غيظاً واغتياظاً واغتياظاً وغيظه مغايظة .

وقوله : « ويتوب الله على من يشاء » معناه يقبل الله توبة من يشاء من عباده . ووجه اتصال قوله : « ويتوب الله على من يشاء » بما قبله من وجهين :

احدهما - بشارتهم بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان .

والآخر - انه ليس في قتالهم اقتطاع لاحد منهم عن التوبة .

ورفع « ويتوب الله على من يشاء » بخروجه عن موجب القتال فاستأفقه .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عليهم بتوبتهم إذا تابوا حكيم في امركم

بقتالهم إذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا ، لان افعاله كلها صواب وحكمة .

## قوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَأْتِكُمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

## اللغة والمعنى :

قوله : « أم حسبتم » من الاستفهام الذي يتوسط الكلام فيجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الذي لم يتصل بكلام ولو كان المراد الابتداء لكان اما بالالف او بهل كقوله : « هل اتى على الانسان » (١) والمعنى ظنتم ان تتركوا . والظن والحسبان نظائر والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع ، وهو مشتق من الحساب ، لدخوله فيما يحاسب به « ان تتركوا » معنى الترك هو ضد ينا في الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه . ويستعمل بمعنى الا يفعل ، كقوله : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » (٢) وقوله : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » إذا قيل : لما يفعل ، فهو نفي للفعل مع تقريب لوقوعه . وإذا قيل لم يفعل ، فهو نفي بعد اطماع في وقوعه . والمعنى ، ولما يجاهدوا ويمتنعوا ان يتخذوا وليجة ويعلم الله ذلك منكم فجاء مجيء نفي العلم لنفي العلوم ، لأنه متى كان علم الله انه كائن . وكان ابلغ وأجز ، لأنه أتى على طريقة نفي صفات الله تعالى .

وقوله : « ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة » تقديره

(١) سورة الدهر آية ١ .

(٢) سورة البقرة آية ٧ .



ولما يعلم الله الذين آمنوا لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله وليجة .  
فالوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم تقول : ولج يابح ولوجاً وأولج إيلاجاً وتولج  
تولجاً بمعنى الدخول . والوليجة والدخيلة والبطانة نظائر . وكل شيء دخل في شيء  
وليس منه فهو وليجة ، قال طرفة :

فان القوافي يتلجن موالجاً      تضايق عنه ان تولجها الا بر (٣)  
وقال آخر :

متخذاً من ضعوات تولجا      متخذاً فيها ايداً دولجا (٤)  
يعني الكأس .

المعنى :

وقال الفراء : فهو ان يتخذوا بطانة يفشون اليهم اسرارهم . وقال الجبائي :  
اتخاذ الوليجة من دون الله ، ودون رسوله هو النفاق . فهو ان يكونوا منافقين ،  
وهو قول الحسن فانه قال الوليجة هي الكفر ، والنفاق .  
وفي الآية دلالة على انه لا يجوز ان يتخذ من الفساق وليجة ، لان في ذلك  
تأنيباً بالفسق مجرى مجرى الدعاء اليه مع ان الواجب معادة الفساق ، والبراءة منهم  
ومم ذلك ، فهو غير مأمون على الاسرار والاطلاع عليها .  
قال الزجاج : كانت براءة تسمى الحافرة ، لانها حفرت عن قلوب المنافقين ،  
لانه لما فرض القتال تميز المؤمنون من المنافقين ومن يوالي المؤمنين ممن  
يوالي اعداءهم .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٢٥٤ ومحاق ديوانه من الستة . واللسان ( ولج ) والعيني

٥٨١ : ٤ .

(٤) الشطر الاول في اللسان (ولج) بغير الشطر الثاني نسبة الى جرير . والشطر الثاني في ديوان

جرير ( نشر الصاوي ) ٩٢ . ومجاز القرآن ١ : ٢٥٤ .

## قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

## القراءة والحجّة :

قرأ ابن كثير و ابو عمرو « مسجد الله » على التوحيد . الباقرن على الجهم فن قرأ على التوحيد ، قال الحسن اراد به المسجد الحرام وبه قال الجبائي . ويحتمل ان يكون اراد المعابد كلها ، لأن لفظ الجنس يدل على القليل والكثير . ومن قرأ على الجهم يحتمل ان يكون اراد جميع المساجد . ويحتمل ان يكون اراد المسجد الحرام . وانما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه . والقراءتان متناسبتان .

## اللغة والاعراب :

والاصل في المسجد هو موضع السجود في العرف يعبر به عن البيت المهيأ لصلاة الجماعة فيه .

اخبر الله تعالى انه ليس لمشرك ان يعمر مسجد الله . والعمارة ان يجدد منه ما استرم من الأبنية ، ومنه قولهم : اعتمر اذا زار ، لأنه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال .

وقوله : « شاهدين على انفسهم بالكفر » نصب على الحال ، فالشهادة خبر عن علم مشاهد بأن يشاهد المعنى او يظهر ظهور ما يشاهد كظهور المعنى في شهادة أن لا إله إلا الله .

## المعنى :

والمعنى في ذلك أحد شيئين :

أحدهما - ان فيما يخبرون به دليلا على كفرهم ، لا انهم يقولون نحن كفار ، ولكن كما يقال للرجل ان كلامك ليشهد انك ظالم - هذا قول الحسن .

والثاني - قال السدي : ان النصراني إذا سئل ما أنت ؟ قال نصراني واليهودي يقول انا يهودي وعابد الوثن يقول مشرك فذلك شهادتهم على انفسهم بالكفر . وقال الكلبي : معناه شاهدين على النبي بالكفر ، وهو من انفسهم .

وقوله : « اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون » اخبار منه تعالى أن اعمال هؤلاء الذين شهدوا على انفسهم بالكفر باطلة بمنزلة ما لم يعمل ، لأنهم أوقعوها على وجه لا يستحق بها الثواب ، وانهم مع ذلك مخلدون في نار جهنم معذبون بأنواع العذاب .

## قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ  
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) آية .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه ينبغي الا « يعمر مساجد الله » إلا « من آمن بالله » وافر بوحدايته واعترف باليوم الآخر يعني يوم القيامة ثم اقام بذلك « الصلاة » بحدودها . وأعطى « الزكاة » الواجبة - ان وجبت عليه - مستحقها ولم يخف سوى الله احداً من المخلوقين ، فاذا فعلوا ذلك فانهم « يكونون من المهتدين » الى الجنة ونيل ثوابها ، لأن عسى من الله واجبة ليست على طريق الشك ، وهو قول

ابن عباس والحسن . وقال قوم : انما قال عسى ليكونوا على طريق الخذر ، مما يحبط اعمالهم ويدخل في عمارة المساجد عمارتها بالصلاة فيها ، والذكر لله . والعبادة له ، لأن تجديد احوال الطاعة لله من أركد الأسباب التي تكون بها عامرة ، كما ان اهلها من اوكد الأسباب في اضرارها ، وذكر قوله : « وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » بعد ذكر قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » يدل على ان الايمان لا يقع على افعال الجوارح ، لانه لو كان الايمان متناولا لذلك اجمع لما جاز عطف ما دخل فيه عليه . ومن حمل ذلك على ان المراد به التفضيل وزيادة البيان فيما يشتمل على الايمان تارك للظاهر .

والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر تقول : خشى بخشي خشية فهو خاش . ومثله خاف يخاف خوفاً ومخافة ، فهو خائف . والخاشي نقيض الآمن والاهتداء المذكور في الآية هو التمسك بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة وفاعلها يسمى مهتدياً .

### قوله تعالى :

﴿ أَجْمَلْتُمْ سَقْيَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩) آية .

المعنى واللغة :

خاطب الله تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسقي الحجيج وعمارَةَ المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو افضل من ايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، فأخبر تعالى انها لا يستويان عند الله في الفضل ، لان

الذي آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله افضل ممن يسقى الحجيج ولم يفعل ذلك . وفي الآية حذف احد امرين : احدها - ان يكون تقديره كايمن من آمن بالله وأقام الاسم مقام المصدر ، لأن اصل السقاية مصدر ، كما قال الشاعر :

لعمرك ما الفتيان ان نذبت الاحى      ولكننا الفتيان كل فتى ندى (١)

اي فتيان نبات . والسقاية آلة تتخذ لسقي الماء . وقيل كانوا يسقون الحجيج الماء ، والشراب ويبت البئر سقاية ايضاً قال الرماني المشبه لا يجوز ان يكون مجاهداً في سبيل الله ، لأنه لا يعرف الله فيتبع امره في ذلك والمجاهد اذا عرف الله صح ان يكون مطيعاً بالجهاد لا تباعه امر الله فيه .

### النزول والمعنى :

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ( ع ) ان الآية نزلت في امير المؤمنين (ع) والعباس ( ره ) وروى الطبري باسناده عن ابن عباس انها نزلت في العباس حين قال يوم بدر ان سبقتمونا الى الاسلام والهجرة لم تسبقونا الى سقاية الحاج وسدنة البيت ، فأنزل الله الآية . وروى الطبري باسناده عن الحسن انها نزلت في علي والعباس وعثمان وشيبة . وقال الشعبي : نزلت في علي والعباس ، وبه قال ابن وهب والسدي .

وقوله : «والله لا يهدي القوم الظالمين» اخبار منه تعالى انه لا يهدي احداً ممن ظلم نفسه وكفر بآيات الله ، ووجد وحدانيته الى الجنة كما انه يهدي اليها من كان عارفاً بذلك فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته .

واختلفوا في سبب نزول الآية فقال قوم : سأل المشركون اليهود فقالوا نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد وأصحابه ، فقالت اليهود

(١) تفسير الطبري ١٤ : ١٧٢ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ .

لهم انتم أفضل عنادا للنبي (ص) واثومنين . وقال آخرون : تفاخر المسلمون الذين جاهدوا والذين لم يجاهدوا . فنزلت الآية ذكره الزجاج .

### قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

موضع (الذين) رفع بالابتداء وخبره اعظم درجة . اخبر الله تعالى ان الذين آمنوا يعني صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته ، وأقروا بنبووة نبيه ، وهاجروا عن اوطانهم التي هي دار الكفر الى دار الاسلام ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله . ومعناه يتضاعف فضلهم عند الله مع شرف الجنس . ولو قال اعلى درجة افاد شرف الجنس فقط .

وقوله : « اولئك هم الفائزون » اخبار منه تعالى ان من وصفه هم الذين يظفرون بالبغية ويدركون الطابة ، لان الفوز هو الظفر بالبغية وهو الفلاح والنجاح نظائر . وقيل انه يلحق بمثل منزلة المجاهدين من لم يجاهد بأن يجاهد في طلب العلم الديني فيتعلمه ويعلم غيره ويدعوا اليه . والى الله وربما كانت هذه المنزلة فوق تلك . فان قيل كيف قال : « اعظم درجة » من الكفار بالسقاية والسدانة ؟

قلنا : على ما روينا عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وابن عباس وغيرهم لا يتوجه السؤال عن ذلك لان المفاضلة جرت بينهم ، لان لجيمهم الفضل عند الله ومن لا يقول ذلك يجيب بجوابين :

احدهما - انه على تقدير ان لهم بذلك منزلة كما قال تعالى : « اصحاب الجنة

يومئذ خير مستقراً » (١) هذا قول الحسن وإبي علي . *بالعناية*  
 والثاني - قال الزجاج المعنى اعظم من غيرهم درجة ، والذي يجوز وصفها ولا  
 يجوز وصف (من) اذا كانت بمعنى الذي ، لأن (من) تكون تارة معرفة موصولة  
 فلذلك افترقا .

وقيل : معنى (الفائزين) انهم الظالمون بثواب الله الذي استحقوه على طاعتهم .

### قوله تعالى :

﴿ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ

فِيهَا أَنْعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

في الآية اخبار من الله تعالى بالبشارة والسلام للذين آمنوا وهاجروا برحمة من  
 جهته تعالى . والبشرى والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه تقول  
 بشرته أبشره بشرى وأبشر ابشاراً واستبشر استبشاراً وتبشر تبشيراً  
 فاما أبشره مباشرة ، فبمعنى لاقاه ببشرة ورضوان . وهو معنى يستحق بالاحسان  
 يدعوا الى الحمد على ما كان ويضاد سحق الغضبان تقول رضى رضا ورضواناً وارضاه  
 ارضاه وترضاه ترضيا وارتضاه ارتضاه واسترضاه استرضاه وتراضوه تراضيا .

وقوله : « وجنات » يعني البساتين التي يجتمع فيها الشجر وأما الرياض ، فهي الموطأة  
 للخصر التي قد يذبت فيها نبات الزهر ومنه الرياضة ، لانها توطية لتقريب العمل .  
 وقوله : « لهم فيها نعم مقيم » فالنعم لين العيش اللذيذ وهو مشتق من النعمة  
 وهي اللين وأما النعمة بكسر النون ، وهي منفعة يستحق بها الشكر لانها كنعم العيش  
 والمقيم الدائم بخلاف الراحل فكأنه قال : المقيم أبداً .

## قوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢)

آية بلا خلاف .

(خالدين) نصب على الحال من الهاء والميم في قوله : « لهم » والخلود في العرف الدوام في الشيء كالخلود في الجنة مأخوذ من قولهم : خلد هذا الكتاب في الديوان على تقدير الدوام من غير انقطاع . والابد الزمان المستقبل من غير آخر كما أن قط للماضي تقول : ما رأيت قط ، ولا اراه أبداً . وجمع الأبد آباد وابد تقول : لا افعل ذلك أبداً . وتأبد المنزل اذا اقم وأتى عليه . والابد . والاوابد الوحش سميت بذلك لطول اعمارها ، وبقائها . وقيل لم يموت وحشى حتف أتفه وانما يموت بأفة وجاء فلان بأبدة أي بدهية واتان ابد تسكن القفر متأبدة .

وقوله : « ان الله عنده اجر عظيم » اخبار منه تعالى أن عنده الجزاء أي في مقدره الجزاء الذي يستحق بالاعمال تقول : آجره يآجره اجرا وأجره أجارة واستآجره استآجاراً ومنه الاجير . وقوله : « عظيم » يعني كبير متضاعف لا تبلفه نعمة غيره من الخلق والابد قطعة من الدهر متتابعة في اللغة قال الحر ابن البغيث :

أهاج عليك الشوق اطلال دمنة      بناصفة البردين أو جانب الهجل  
أنى أبد من دون حدثان عهدا      وجرت عليها كل ناخفة شم (١)  
ومن الدليل على ان الابد قطعة من الدهر انه ورد مجموعاً في كلامهم . قالت  
صفية بنت عبد المطلب نخطب ولدها الزبير :

وخالجت آباد الدهور عليكم      وأسماء لم تشمر بذلك ايم

(١) اللسان ، شمل .



فلو كان زبر مشركاً لمذرته ولكن زبراً يزعم الناس مسلم  
ويقال : تأبّد الرقيم إذا مر عليه قطعة من الدهر وليس يمتنون أنه مر عليه أبداً  
لا غاية له قال مزاحم العقيلي :  
اعرف بانمرين داراً تأبّدت من الحمي واستبقت عليها العواصف  
فأما الخلود ، فليس في كلام العرب ما يدل على أنه بقاء لا غاية له . وإنما  
يخبرون به عن البقاء إلى مدة كما قال المخبل السعدي :  
إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم (١)  
إراد دفع الرياح عن النؤي إلى هذا الوقت هذه الأثافي التي بقيت إلى  
هذا الوقت .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ  
إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أن هذه الآية نزلت في خطاب بن بلتما  
حيث كتب إلى قريش بنحبر النبي (ص) حين أراد فتح مكة .  
هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينههم فيه عن اتخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء  
متى استحبوا الكفر ، وآثروه على الإيمان .  
و ( اتخذوا ) هو الافتعال من أخذ الشيء . واتخاذ أعداد الشيء - لأمر من  
الأمور . واتخاذهم أولياء : هو أن يعتقدوا مواليتهم ووجوب نصرتهم فيما ينوبهم .

(١) مر هذا البيت في ٢ : ٢٨ .

وليس ذلك بمائع من صلتهم ، والاحسان اليهم ، لأنه تعالى حث على ذلك ، فقال :  
« وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها وصاحبها في الدنيا  
معروفاً » (١) . والاب والوالد نظائر . والاخ الشقيق في النسب من قبل الأب  
والأم وكل من رجع مع آخر الى واحد في النسب من والد ووالدة ؛ فهو أخ .  
والأولياء جمع ولي وهو من كان مختصاً بإيلاء التصرف في وقت الحاجة .

وقال الحسن : من تولى المشرك ، فهو مشرك . وهذا إذا كان راضياً بشركه ،  
ويكون سبيله سبيل من تولى الفاسق أن يكون فاسقاً .

وقوله : « ان استحبوا الكفر على الايمان » معناه إن طلبوا محبة الكفر على  
الايمان . وقد يكون استحب بمعنى أحب كما ان استجاب بمعنى اجاب . ثم اخبر  
تعالى ان من استحب الكفار على المؤمنين فانهم أيضاً ظالمون نفوسهم والباخسون  
حظها من الثواب ، لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ  
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا  
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي  
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

## القراءة والحجة :

قرأ ابو بكر عن عاصم و « عشيرتكم » على الجمع . الباقر على التوحيد .  
من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة ، فاذا جمع قال : وعشيرتكم .  
ومن افرد قال العشيرة تقع على الجمع . وقال ابو الحسن : العرب لا تجمع العشيرة  
عشيرات . وانما تقول عشائر .

## اللغة والمعنى :

امر الله تعالى بهذه الآية نبيه (ص) ان يخاطب هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة  
الى دار الاسلام . واقاموا بدار الكفر ، وقال الجبائي : هو خطاب للمؤمنين اجمع  
وتحذير لهم من ترك الجهاد وحث عليه ، فأمره ان يقول لهم : « إن كان آباؤكم »  
الذين ولدوكم « وأبناؤكم » الذين ولدتموهم ، وهم الأولاد الذكور « وأزواجكم »  
جمع زوجة وهي المرأة التي عقد عليها عقدة نكاح صحيح ، لأن ملك اليمين والمعقود  
عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة « وعشيرتكم » وهي الجماعة التي ترجع الى عقد كمقد  
العشرة . ومنه المباشرة ، وهي الاجتماع على عقد بعم . ومنه المشار النوق التي اتى  
على حملها عشرة اشهر « واما مال » جمع مال « اقتربتموها » اي اقتطعتموها  
واكتسبتموها ، ومثله الاحتراف والاقتراف اقتطاع الشيء عن مكانه الى غيره « وتجارة  
نخشون كسادهما » يعني ما اشترىتموه طلبا للربح تخافون خسرانها . ووقوفها « ومساكن »  
جمع مسكن وهي المواضع التي تسكنونها وترضونها « احب اليكم من الله ورسوله »  
يعني آثر في نفسوكم وأقرب الى قلوبكم . والمحبة ارادة خاصة للشيء . فمن احب الجهاد  
فقد اراد فعله ومن احب الله اراد شكره وعبادته . ومن احب النبي اراد اجلاله  
وإعظامه والذي اقتضى نزول هذه الآية محبتهم التي منعتهم الهجرة . وقوله :  
« فتربصوا » اي فنتبثوا . والتربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته . والتربص

والتنظر والتوقف نظائر في اللغة . ونقضيه التمجيل بالامر .  
وقال مجاهد قوله : « حتى يأتي الله بأمره » من عقوبة عاجلة او آجلة وقوله :  
« والله لا يهدي القوم الفاسقين » معناه انه لا يهديهم الى الثواب والجنة لانه تعالى  
قد هداهم الى الايمان فقال : « واما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » (١) .

### قوله تعالى :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ  
إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ آية بلا خلاف

### اللغة والأعراب والمعنى :

اقسم الله تعالى في هذه الآية - لان لام (لقد) لام القسم - بأنه نصر المؤمنين في مواطن  
كثيرة ومواطن في موضع جر بـ (في) وانما نصب ، لأنه لا ينصرف ، لأنه جمع لانظير  
له في الآحاد ، فلا ينصرف . وجر كثيرة على الموضع وأنته على اللفظ . ومواطن جمع  
موطن . ومعنى النصر الغلبة على العدو . والمعونة قد تكون في حمل الثقل ، وتكون في  
شراء متاع وتكون في قضاء حاجة ولا يكون النصر إلا المعونة على العدو خاصة .  
والموطن هو الموضع الذي يقبم فيه صاحبه ، وإنما قد قاموا في هذه المواطن للقتال .  
ومعنى كثيرة روي عن ابي عبد الله (ع) انها كانت ثمانين موطناً والكثيرة  
عدة زائدة على غيرها فهي كثيرة بالاضافة الى ما دونها قليلة بالاضافة الى ما فوقها .  
وقوله : « ويوم حنين » ، وحنين اسم واد بين مكة والطائف في قول قتادة ،  
وقال عروة : هو واد الى جانب ذي المجاز . فلذلك صرف ويحوز ترك صرفه على أنه

اسم للبقعة قال الشاعر :

أصروا نبيهم وشدوا أزره      بحنين يوم تواكل الإبطال (١)  
وقوله : « إذ أعجبتكم أكثركم » فلا عجاب السرور بما يتعجب منه والمعجب السرور  
بالنفس على الفخر بما يتعجب منه .

المعنى والقصة واللغة :

وقال قتادة : انه كان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى  
كثرة المسلمين يوم حنين لانهم كانوا اثني عشر ألفاً ، فقال : ان نغلب اليوم عن قلة  
فانهزموا بعد ساعة . وقيل : انهم كانوا عشرة آلاف . وقال بعضهم : ثمانية آلاف  
والأول أشهر .

ولما انهزموا لم يبق مع النبي (ص) الا تسعة نفر من بني هاشم وأبى بن ام  
إيمن . والعباس بن عبد المطلب . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعلي بن ابي  
طالب (ع) في آخرين فأخذ النبي (ص) كفاً من الحصباء فرمى به ، وقال : شامت  
الوجوه ، فانهزم المشركون .

وقوله : « فلم تغن عنكم شيئاً » معناه لم تغن أكثرتم شيئاً . والاغناء اعطاء  
ما يرفع الحاجة . ولذلك قيل في الدعاء اغناك الله .

وقوله : « فلم تغن عنكم شيئاً » معناه لم تعطلكم ما يرفع حاجتكم .  
وقوله : « وضافت عليكم الأرض بما رحبت » معناه ليس فيها موضع يصلح لكم لفراركم  
عن عدوكم . والضيق مقدار ناقص عن مقدار . والرحب السعة في المكان ، وقد يكون  
في الرزق . والسعة في النفقة .

وقوله : « ثم وليتم مدبرين » فالادبار الذهاب الى جهة الخلف والاقبال الى

(١) قائله حسان بن ثابت . ديوانه : ٣٣٣ ومعاني القرآن للفرام : ١ : ٢٩ ؛

واللسان وحنن ، .

جهة القدام . والمعنى وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم الادبار وكانت غزوة حنين عقيب الفتح في شهر رمضان أو في شوال سنة ثمان ، فان قيل كيف قال انه نصرهم في مواطن كثيرة ، والمؤمنون منصورون في جميع الأحوال ؟ قلنا عنه جوابان : احدهما - ان ذلك اخبار بأنه نصرهم دفعات كثيرة ، ولا يدل على انه لم ينصرهم في موضع آخر ، وقلنا : لأنهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين وكان ذلك منهم خطأ وان وقع مكفراً .

### قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ  
الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه حين انهزم المسلمون وبقي النبي ( ص ) في نفر من قومه انه انزل السكينة ، وهي الرحمة التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف حتى رجعوا اليهم وقاتلهم وهزمهم الله تعالى بأن انزل النصر وانزل السكينة . وقيل السكينة هي الطمأنينة والامنة . وقال الحسن : هي الوقار قال الشاعر :

لله قبر غاها ماذا يجن لقد اجن سكينته ووقارا (١)

وقوله : « وانزل جنوداً لم تروها » والجنود هي الجموع التي تصلح للحروب . والمراد بها هنا الملائكة ، جند واجناد وجنود فانزل الله الملائكة مدداً للمؤمنين . وقال الجبائي : إنما نزلت الملائكة يوم حنين من جهة الخاطر الذي يشجع قلوبهم ويجبن عنهم اعداءهم ، ولم تقا تل إلا يوم بدر خاصة .

(١) مجمع البيان ٣ : ١٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٨٦ .

محققين ، فأما اعتقادهم لشريعة التوراة قائما وصف بأنه غير حق لاصريين :

احدهما - انها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق .

الثاني - ان التوراة التي هي معهم مغيرة مبدلة لقوله : « يحرفون الكلام عن

مواضعه » (١) ويقلبونه عن معانيه .

وقوله : « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » معناه انهم لا يعترفون بالاسلام

الذي هو الدين الحق ، ولا يسمعون لأمر الله الذي بعث به نبيه محمد (ص) في

تحريم حرامه وتحليل حلاله . والدين في الاصل الطاعة قال زهير :

لئن حلت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت يفتننا فذك (٢)

وقوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد » فالجزية عطية عقوبة جزاء على الكفر

بالله على ما وضعه رسول الله (ص) على اهل الذمة - وهو على وزن جلسة ، وقعدة -

لنوع من الجزاء . وإنما قيل « عن يد » ليفارق حال الغصب على اقرار أحد . وقال

ابو علي : معناه يعطونا من ايديهم يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم

إذا قدروا عليه ، فيكون اذل لهم . وقال قوم : معناه عن نقد كما يقال : باع يداً

ييد . وقال آخرون : معناه عن يد لكم عليهم ونعمة تحدونها اليهم بقبول الجزية منهم

وقال الحسين بن علي المغربي : معناه عن قهر ، وهو قول الزجاج .

وقوله : « وهم صاغرون » فالصغار الذل والتمكال الذي يصغر قدر صاحبه صغر

يصغر صغاراً ، فهو صاغر . وقيل : الصغار اعطاء الجزية قائماً . والأخذ جالس ذهب

اليه عكرمة والجزية لا تؤخذ عندنا إلا من اليهود والنصارى والمجوس . وأما غيرهم

(١) سورة النساء آية ٤٥ وسورة المائدة آية ١٤ .

(٢) ديوانه : ١٨٣ وبجاء القرآن ١ : ٢٨٦ وتفسير الطبري ١٤ : ١٩٨ وجمع

البيان ٣ : ٢١ .

من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الأصنام والأوثان ، والصابئة وغيرهم فلا يقبل منهم غير الاسلام أو المسيحية . وانما كان كذلك لما علم الله تعالى من المصلحة في اقرار هؤلاء على كفرهم ومنع ذلك في غيرهم ، لأن هؤلاء على كفرهم يقرون بألسنتهم بالتوحيد وبعض الأنبياء ، وان لم يكونوا على الحقيقة عارفين . واولئك يحددون ذلك كله ، فلذلك فرق بينهما .

وان قيل : اعطاء الجزية منهم لا يخلوا ان يكون طاعة او معصية ، فان كان معصية فكيف امر الله بها . وان كان طاعة وجب ان يكونوا مطيعين لله . قلنا : اعطائهم ليس بمعصية . واما كونها طاعة لله فليس كذلك ، لأنهم انما يعطونها دفعا للقتل عن انفسهم لا طاعة لله ، فان الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال ، لأنه لو فعل طاعة لله لاستحق الثواب والاحباط باطل ، فكان يجب ان يكون مستحقا للثواب وذلك خلاف الاجماع .

### قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة والاعراب :

قرأ (عزير) بالتنوين عاصم والكسائي وعبد الوارث عن ابي عمرو . والباقون بترك التنوين . وقرأ عاصم وحده ( يضاهون ) بالهمزة الباقون بغير همزة . من ترك التنوين في « عزير بن الله » قيل في وجه ذلك ثلاثة اقوال : احدها -



انه اعجمي معرفة لا ينصرف ، الثاني - لأن ابن هاهنا صفة بين علمين والخبر محذوف والتقدير مبهودنا أو نبينا عزيز ابن الله. الثالث - انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين تشبيهاً بحرف اللين ، كما قال الشاعر :

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلاً (١)

هذا الوجه قول القراء : وعند سيبويه هو ضرورة في الشعر قال ابو علي : من نونه جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره ولا بد مع ذلك من التنوين في حال السعة ، والاختيار لأن أبا عمرو وغيره يصرف عجمياً كان أو عربياً . ومن حذف التنوين يحتمل وجهين :

احدهما - انه جعل الموصوف والصفة بمنزلة اسم واحد ، كما يقال : لا رجل ظريف . وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين ، كما يحرك يا زيد العاقل ، لأن الساكنين كأنهما النقيض في تضاعيف كلمة واحدة ، فحذف الأول منها ولم يحرك لكثرة الاستعمال . والوجه الآخر ان يجعل مبتدأ والآخ الخبر مثل من نون وحذف التنوين لالتقاء الساكنين .

وعلى هذا قراءة من قرأ « قل هو الله احدالله » فحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

المعنى :

فان قيل كيف اخبر الله عن اليهود بانهم يقولون عزيز ابن الله . واليهود تنكر هذا ! قلنا : إنما اخبر الله بذلك عنهم ، لأن منهم من كان يذهب اليه والدليل على ذلك ان اليهود في وقت ما انزل الله القرآن سميت هذه الآية فلم تنكرها . وهو كقولك الخوارج تقول بتعذيب الأطفال ، وإنما يقول بذلك الازارقة منهم خاصة . قال ابن عباس : القائل لذلك جماعة جاهاوا الى النبي (ص) ، فقالوا له ذلك ، وهو سلام

(١) مر تخريجه في ٢ : ٧٦ تعليقة ٣ .

ابن مشكم وزمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف ، فانزل الله فيهم الآية .  
وقوله : « ذلك قوطهم بافواهم » معناه انه لا يرجع الى معنى صحيح ، فهو  
لا يجاوز افواهم ، لأن المعنى الصحيح ما رجع الى ضرورة العقل او حجته او برهانه  
او دليل سمعي .

اللغة :

وقوله : « بضاهون قول الذين كفروا من قبل » معناه يشابهون . ومنه قوطهم  
امرأة ضهيا التي لا تحيض ، ولا يخرج نديها ما اي اشبهت الرجال . وقال ابو علي  
الفارسي : ليس بضاهون من قوطهم امرأة ضهيا ، لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية  
لأنه ليس في الكلام شيء على وزن فعيلا ، ويشبه ان يكون ذلك لغة ، كما قالوا ارجأت  
وارجيت . واختار الزجاج ان تكون الهمزة اصلية ، كما جاء كثير من الأشياء على  
وزن لا يطرده نحو ( كنهيل ) وهو الشجر العظيم ، وكذلك ( قرنفل ) لا نظيره .  
ووزنه فعنل .

المعنى :

وقال ابن عباس : « الذين كفروا » اراد به عبدة الأوثان وقال الفراء :  
يشابهونهم في عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . وقال قوم في قوطهم :  
الملائكة نبات الله . وقال الزجاج : شابهوهم في تقليد سلافهم في هذا القول .

وقوله : « قاتلهم الله » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس معناه لعنهم الله .

الثاني - معناه قتلهم الله كقوطهم عاقاه الله من الموت .

الثالث - كالمقاتل لغيره في عداوة الله .

وقوله : « انى يؤفكون » معناه كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذي هو

وقوله: « وعذب الذين كفروا » معناه هاهنا القتل والأسر وسلب الأموال مع الاذلال والصغار . ثم قال : « وذلك » يعني ذلك العذاب « جزاء » من جحد نعم الله وانكر وحدانيته ، وجحد نبوة نبيه . مع ما اعد لهم من عذاب النار .

### قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ (٢٧) آية بلا خلاف .

### الاعراب :

معنى ( ثم ) هاهنا المطف على الفعل الاول ، وقد ذكرت ( ثم ) في ثلاثة مواضع متتالية : فالاول - عطف على ما قبلها . والثانية - عطف على وليم مدبرين « ثم انزل الله سكينته » . والثالثة - عطف على ( انزل ) ثم يتوب . وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه مشاكلة فان الاول تذكير بنعمه والثاني وعد بنعمه .

### المعنى :

والتوبة هي الندم على ماضي من القبيح والعزم على أن لا يعود إلى مثله أما في الجذس أو في القبيح على الخلاف فيه فشرط الندم بالعزم ، لأن الندم إنما هو على الماضي والعزم على ما يستقبل ، فلو لم يجتمعا لم تكن توبة .

ومعنى « ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » انه يقبل التوبة من بعد هزيمة من انهزم ويجوز أن يكون المراد بعد كفر من كفر يقبل توبة من يتوب ويرجع إلى طاعة الله والاسلام ، ويندم على ما فعل من القبيح « على من يشاء » وإنما علاقه بالمشيئة ، لأن قبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل عندنا . ونو كان ذلك واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة كما لم يعلق الثواب على الطاعة والمعرض على الا لم في موضع

بالمشيئة . ومن خالف في ذلك قال : إنما علقها بالمشيئة ، لأن منهم من له لطف يؤمن عنده . فإله تعالى يشاء أن يلطف له مع صرف العمل في ترك التوبة الى الله .  
وقوله : « والله غفور رحيم » معناه انه ستار للذنوب لا يفضح احداً على معاصيه بل يسترها عليه إذا تاب منها ، وهو رحيم بعباده .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا  
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يخبرهم فيه أن المشركين نجاس وأمرهم أن  
يمنعوا المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الذي أشار إليه ،  
وهي سنة تسع من الهجرة التي نبذ فيها براءة المشركين . وكانت بعده حجة الوداع ،  
وهو قول قتادة وغيره من المفسرين .

والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله في قول عطاء وغيره ، وكل شيء مستقذر في  
اللغة يسمى نجساً ، فإذا استعمل مفرداً قيل : نجس - بفتح النون والجيم معاً - ويقع  
على الذكر واللاتي سواء .

وظاهر الآية يقتضي أن الكفار أنجاس ، ولا يجوز مع ذلك أن يمكنوا من  
دخول شيء من المساجد ، لأن شركهم اجري مجرى القذر الذي يجب تجنبه ، وعلى  
هذا من باشر يد كافر وجب عليه ان يفعل يده إذا كانت يده او يد المشرك رطبة .  
وإن كانت ايديهما يابستين مسحها بالحائط .

وقال الحسن : من صافح مشركاً فليتوضأ ، ولم يفصل .

واختلفوا في هل يجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلك السنة أم لا؟، فروي عن جابر ابن عبد الله ، وقتادة انه لا يدخله احد إلا ان يكون عبداً أو احداً من اهل الذمة .

وقال عمر بن عبد العزيز : لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام ، ولا يدخل احد من اليهود والنصارى شيئاً من المساجد بحال . وهذا هو الذي نذهب اليه .

وقال الطبري وقتادة : سمو انجاساً ، لأنهم لا يغتسلون من جنابة .

وقوله : « فان خفتم عيلة » فالعيلة الفقير تقول : عال يعبل إذا افتقر قال الشاعر :

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعبل (١)

وكانوا خانوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين ، فقال الله تعالى : « وان خفتم عالة » يعني فقرا بانقطاعهم فانه يعنيكم من فضله إن شاء - في قول قتادة ومجاهد - وإنما علقه بالمشيئة لاحد امرين :

احدهما لان منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به ، لأنه يجوز ان يموت

قبله - في قول ابي علي .

الثاني لتمتعهم الآمال الى الله تعالى ، كما قال : « لتدخلن المسجد الحرام ان

شاء الله آمنين » (٢) .

وقوله : « ان الله عليم حكيم » معناه عالم بمصالحكم حكيم في منع المشركين من

دخول المسجد الحرام .

(١) مر هذا البيت وتخرجه في ٣ : ١٠٩ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٥٥ والجمهرة

لابن دريد ٢ : ١٩٣ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٧ .

## قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف.

قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » امر من الله تعالى لنبيه وللمؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يعترفون بتوحيد الله ، ولا يقرون باليوم الآخر والبعث والنشور . وذلك يدل على صحة مذهبنا في اليهود ، والنصارى وأمثالهم انه لا يجوز ان يكونوا عارفين بالله وان افروا بذلك بلسانهم . وانما يجوز ان يكونوا معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم . والآية صريحة بأن هؤلاء الذين هم اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وانه يجب قتالهم « حتى يعطوا الجزية عن يد » .

ومن قال انهم يجوز ان يكونوا عارفين بالله تعالى ، قال : الآية خرجت مخرج الذم لهم ، لأنهم بمنزلة من لا يقربه في عظم الجرم ، كما انهم بمنزلة المشركين في عبادة الله بالكفر .

وقال الجبائي : لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه ، وانما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم .

وقوله : « ولا يدينون دين الحق » يدل على ان دين اليهودية والنصرانية غير دين الحق ، وذلك يقوي انهم غير عارفين بالله ، لأنهم لو كانوا عارفين كانوا في ذلك

الكذب ، ورجل مأفوك عن الخير وارض مأفوكه صوف عنها المطر قال الشاعر :

انى الم بك الخيال تطيف

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَتَّخِذُ الْأَحْبَارَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود والنصارى الذين حكى حكايتهم انهم اتخذوا احبارهم ، وهو جمع حبر ، وهو العالم الذي صناعته تحبير الماني يحسن البيان عندنا . وقبل حبر وحبر - بفتح الباء وكسرها - حكاة الفراء . والرهبان جمع راهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه للناس الخشية . وقد كثر استعماله في متنسكي النصارى . وروى عنه (ع) ان معنى اتخذهم ارباباً انهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما امر الله تعالى . وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ، فسمى الله ذلك اتخذهم ايام ارباباً من حيث كان التحريم والتحليل لا يسوغ إلا لله تعالى . وهو قول اكثر المفسرين .

وقوله : « والمسيح ابن مريم » عطف على الارباب اي واتخذوا عيسى رباً .  
وقوله : « وما امروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً » معناه ان الله تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم إلا بمباداة الله وحده لا شريك له . ثم اخبر فقال : « لا إله إلا هو سبحانه » يعني تزبهاً عما يشركون . ومعنى سبحانه براءة من الله من سوء كما قال الشاعر :

اقول لما جاءني نخره سبجان من علقمة الفاخر (١)

(١) قائله الاعشى . وقد مر تخريجه في ٣ : ٨١ .

والآية تدل على ان المشرك مع الله في التحليل والتحريم على مخالفة امر الله كالمشرك في عبادة الله ، لأن استحلال ما حرم الله كفر بالاجماع . وكل كافر مشرك ولا يلزم على ذلك أن يكون من قبل من الشيطان باغوائه فان تكب المعاصي أن يكون كافراً على ما استدل به بعض الخوارج ، لأن إذا قبل من الشيطان ما يعتقد انه معصية ولا يقصد بذلك طاعة الشيطان ولا تعظيمه يكون فاسقاً ، ولا يكون كافراً . وليس كذلك من ذكره الله تعالى في الآية ، لأنهم كانوا يقبلون تحريم علمائهم وأجبارهم ويتصدقون بذلك تعظيمهم . ولا يلزم على ذلك قبول المعاصي من العالم ، لأن العاصي يعتمد بالرجوع الى العالم فيقبل منه ما أدى اجتهاده اليه وعلمه ، فاذا قصد العالم وافتاه بغير ما علمه فهو المخطيء دون المستفتي . وليس كذلك هؤلاء ، لأنهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع الى الاجبار والقبول منهم لأنهم لو كانوا تعبدوا بذلك لما ذمهم الله على ذلك .

### قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) آية اجماعاً

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم « يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم » والاطفاء اذهاب نور النار . ثم استعمل في اذهاب كل نور . و « نور الله » القرآن ، والاسلام في قول المفسرين : السدي والحسن . وقال الجبائي : نور الله : الدلالة والبرهان ، لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالانوار . وواحد الأفواه فم في الاستعمال . وأصله فوه فخذفت الهاء وأبدلت من الواو ميم ، لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها . ولما سمي الله تعالى الحجج والبراهين نورا سمي معارضتهم له ، اطفاء . وأضاف ذلك الى الأفواه ، لأن



الاطفاء يكون بالافواه ، وهو النفخ ، وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم ، لأن النفخ يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ذكره الحسين بن علي المغربي .

قوله : « وبأبي الله الا ان يتم نوره » والاباء الامتناع مما طلب من المعنى .

قال الشاعر :

وان ارادوا ظلمنا ايينا

أي ممنعناهم من الظلم ، وايس الاباء من الكراهة في شيء على ما يقول المجرب ، لأنهم يقولون : فلان بأبي الضيم ، فيمدحونه ولا مدحة في كراهة الضيم لتساوي الضعيف والقوي في ذلك . وإنما المدح في المنع خاصة . ولذلك مدح عورة بن الورد بأنه أبا للضيم بمعنى انه ممتنع منه . وقوله : ( وان ارادوا ظلمنا ايينا ) يدل على ذلك لأنه لا مدحة في أن يكرهوا ظلم من يظلمهم . وإنما اندحة في منع من أراد ظلمهم : والمنع في الآية بمنع الله إلا إتمام نوره . وإن كره الكافرون . ولا يجوز على قياس « وبأبي الله إلا ان يتم نوره » أن تقول ضربت الا اخاك لأن في الاباء معنى النبي ، فكانه قال : لا يمكنهم الله إلا أن يتم نوره . وإذا لم يكن في اللفظ مستثنى منه لم تدخل ( إلا ) في الابجاب وتدخل في النبي على تقدير الحذف قال الشاعر :

وهل لي أم غيرها ان تركتها      أبا لله إلا أن اكون لها إينا (١)  
والتقدير في الآية وبأبي الله كل شيء الا إتمام نوره . في قول الزجاج ، وأنكر أن يكون في الآية معنى الجحد .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ ﴾

(١) تفسير القرطبي ٨ : ٨١٢١ ومعاني القرآن ١ : ٤٣٣ .

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ آية .

اخبر الله تعالى انه « هو الذي ارسل رسوله » (ص) وحمله الرسالة التي يؤديها الى امته « بالهدى » يعني بالحجج والبيّنات والبيان لما يؤديهم العمل به الى ابواب الجنة . و « دين الحق » هو الاسلام وما تضمنه من الشرائع ، لانه الذي يستحق عليه الجزاء والثواب وكل دين سواه باطل ، لانه يستحق به العقاب . ومن شأن الرسول ان يكون افضل من جميع امته من حيث يجب عليهم طاعته وامثال ما يأمرهم به بما هو مصلحة لهم ، ولانه رئيس لهم في الدين . ويقسح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان افضل فيه .

وقوله : « ليظهره على الدين كله » معناه ليعلى دين الاسلام على جميع الاديان بالحكم والغلبة والقهر لهم . وقال البلخي : ظهوره على جميع الاديان بالحكم ، لان جميع الاديان نال المسلمون منهم وغزوا فيهم واخذوا سبيهم وجزيتهم . وفي الآية دلالة على صدق نبوته (ص) لانها تضمنت الوعد بظهور الاسلام على جميع الاديان ، وقد صح ظهوره عليها .

وقال ابو جعفر (ع) ان ذلك يكون عند خروج القائم (ع) .  
وقال ابن عباس [ ان الهاء في « ليظهره » عائدة الى الرسول (ص) أي ليعلمه الله الاديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها ] (١) .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ  
لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ  
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يعلمهم ان كثيراً من احبار اليهود ، وعلماؤهم  
ورؤسائهم وكثيراً من رهبان النصارى ليا كلون اموال الناس بالباطل من حيث  
كانوا يأخذون الرشا في الاحكام في قول اسحاق والجبائي .

واكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها اخذه .

وقيل في معنى : « ليا كلون اموال الناس بالباطل » وجهان :

احدهما انهم يتملكون ، فوضع يا كلون موضعه ، لأن الاكل غرضهم .

والثاني - يا كلون اموال الناس من الطعام ، فكأنهم يا كلون الاموال ،

لانها من الماء كقول الشاعر :

ذر الاكلين الماء لوماً فا ارى ينالون خيراً بعد اكلهم الماء (١)

اي ثمن الماء . وقوله : « ويصدون عن سبيل الله » معناه يمنعون غيرهم من  
اتباع الاسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها . والغرض بذلك التحذير من  
اتباعهم والتهوين على المسلمين مخالفتهم .

وقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله » معناه  
الذين يحبون اموالهم من غير ان يخرجوا زكاتها ، لأنهم لو اخرجوا زكاتها وكنزوا  
ما بقي لم يكونوا ملومين بلا خلاف . وهو قول ابن عباس وجابر وابن عمر ، والحسن  
والصدي والجبائي . قال : وهو اجماع .

واصل الكنز كبس الشيء بمضه على بعض . ومنه قولهم كنز الخمر والطعام

قال الهذلي :

(١) اللسان ( أكل ) وروايته ( من ) بدل ( ذر ) و ( ظلماً ) بدل ( لوماً ) .

لا دردري ان اطعمت نازلكم قرف الحتي وعندى البر مكنوز (١)  
الحتي سويق المفل . وقوله : « ولا ينفقونها في سبيل الله » اي إنما لم يقل  
ولا ينفقونها إلا حـ . د امرين : احدهما - ان تكون السكناية عائدة الى مدلول عليه  
وتقديره ولا ينفقون المكنوز أو الأموال .  
والآخر - ان يكون اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز ومثله : « إذا رأوا  
نجارة أو لهواً اتفصوا اليها » وقال حسان :

[ ان شرخ الشباب والشعر الاسـ . ود ما لم يعاص كان جنونا ] (٢)  
وقال الآخر :

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف (٣)  
وكان يجب ان يقول راضيان . ومعنى البيت نحن بما عندنا راضون وأنت بما  
عندك راض وحذف الخبر من الاول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني  
لدلالة الأول عليه في قوله : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (٤) والتقدير  
والذاكرات الله . ومثل ذلك الآية . وتقديرها والذين يكثرون الذهب ولا ينفقونه  
في سبيل الله ويكثرون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله .  
وموضع « والذين يكثرون » يحتمل وجهين من الاعراب : احدهما ان يكون  
نصباً بالعطف على اسم (ان) وتقديره : وبأكلون الذين يكثرون الذهب . والثاني -  
ان يكون رفماً على الاستئناف .

(١) مقاييس اللغة ٢ : ١٣٦ واللسان وكنز .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ١٢٨ و مجاز القرآن ١ : ٢٥٨ وتفسير الطبري ١٤ : ٢٢٩  
وهذا البيت كله ساقط من المطبوعة مع وجود ( قال حسان ) .

(٣) تفسير القرطبي ٨ : ١٢٨ ومعاني القرآن ١ : ٤٣٤ ، ٤٤٥ وغيرها وقد مر  
في موارد كثيرة من هذا الكتاب .

(٤) سورة الاحزاب آية ٣٥



التي كنزوا فلهاء في قوله : « عليها » عائدة على الكنوز او البفضة .  
والاحماء جعل الشيء حاراً في الاحماس ، وهو فوق الاسخان ، وضده التبريد  
نقول : حمى حمأ وأحماء احماء إذا امتنع من حر النار .  
وقوله : « تكوى » فالكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن . ومنه قولهم  
اخر اداء الكي لفظ امره كقطع العضو إذا عظم فسادة تقول : كواه يكويه كياً  
واكتوى اكتوا .

وقوله : « جباههم » جمع جبهة وهي صفحة اعلى الوجه فوق الحاجبين . وجبهه  
بالمكروه يجبهه جبهاً إذا استقبله به . وجنوبهم جمع جنب والجنب والضلع والابطال  
نظائر ، وظهورهم جمع ظهر ، وهو الصفحة العليا من خلف المقابلة للبطن ، يقال : كتب  
في ظهر الدرج وبطنه إذا كتب في جانبه .

والمعنى ان الله يحمي هذه الكنوز بالنار ليكوي بها جباه من كنزها ولم  
يخرج حق الله منها وجنوبهم ، فيكون ذلك اشد لعذابهم وأعظم لحزيبهم .  
وقوله : « هذا ما كنزتم » اي يقال لهم : هذا ما ذخرتموه لا تفسك « فذوقوا  
ما كنتم تكفرون » ومعناه فاطعموا جزاء ما كنتم تدخرونه من منع الزكوات  
والحقوق الواجبة في اموالكم .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ  
اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ  
الَّذِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا  
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ( ٣٦ ) آية  
بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر « اثنا عشر » واحد عشر وتسعة عشر بسكون الشين فيهن إلا  
 النهرواني روي عنه حذف الالف التي قبل العين .  
 لما ذكر الله تعالى وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها  
 من الحقوق التي لله منه ، اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله ، وهو الظلم في  
 الاشهر الحرم التي تؤدي الى مثل حاله او شر منها في سوء المنقلب ، فآخبر تعالى « ان  
 عدة الشهور » في السنة على ما تعبد المسلمون بأن يحملوه لسنتهم دون ما يعتبره  
 مخالفوا الاسلام « اثنا عشر شهراً » وانما قسمت السنة اثني عشر شهراً لتوافق امر  
 الاله مع نزول الشمس في اثني عشر برجاً تجري على حساب متفق ، كما قال :  
 « والشمس والقمر بحسبان » ( ١ ) والشهر مأخوذ من شهرة امره لحاجة الناس اليه  
 في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم ، وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشريعة .  
 وقوله : « في كتاب الله » معناه فيما كتبه الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب  
 المنزلة على انبيائه .

وقوله : « يوم خلق السماوات والارض » متصل بـ « عند الله » والعامل فيها  
 الاستقرار . ثم بين امر هذه الاثني عشر شهراً « اربعة حرم » وهي ذو القعدة ،  
 وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب : ثلاثة سرد وواحد فرد كما يعتقده العرب .  
 ومعنى (حرم) انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها ، وكانت  
 العرب تعظمها حتى ان الرجل لو اتي قاتل ابيه لم يهجه لحرمة .  
 وانما جعل الله تعالى بعض الشهور اعظم حرمة من بعض لما علم في ذلك من  
 المصلحة في الكف عن الظلم فيها فعظم منزلتها وانه ربما ادى ذلك الى ترك الظلم

اصلاً لا نظفاً، النائرة تلك المدة وانكسار الحمية، فان الأشياء نجر الى اشكالها .  
 وقوله : « ذلك الدين القيم » معناه التدين بذلك هو الدين المستقيم .  
 وقوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » نهي منه تعالى مخلقه عن ان يظلموا أنفسهم  
 لأن من فعل قبيحاً يستحق عليه العقاب ، فقد ظلم نفسه بذلك بادخال الضرر عليها .  
 وقال ابو مسلم : معناه لا تدعوا قتال عدوكم في هذه الأشهر بأجمعكم ، ولا  
 تمتنعوا من احد الا من دخل تحت الجزية والصغار ، وكان من اهلها بدلالة قوله :  
 « وقاتلوا المشركين كافة » وكافة مشتق من كفة الشيء . وهي طرفه وانما اخذ من ان  
 الشيء إذا انتهى الى ذلك كلف عن الزيادة ، ولا يثنى كافة ولا يجمع .  
 وقوله : « وقاتلوا المشركين كافة » امر منه تعالى بقتال المشركين اجمع : امر  
 الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوهم كما ان المشركين يقاتلونهم كذلك ، والضمير في قوله :  
 « فيهن » ، يحتمل ان يكون عائداً على الشهور كلها على ما قال ابن عباس ، ويحتمل ان  
 يعود على الأربعة الحرم على ما قال قتادة لعظم امرها واختار الفراء رجوعها الى  
 الأشهر الحرم . قال : لانه لو رجم الى الاثني عشر لقال فيها . والصحيح ان الجميع  
 جائز وانما خص الأربعة اشهر بذلك في قول قتادة لتماظم الظلم لا ان الظلم يجوز  
 فعله على حال من الأحوال .

وقوله : « ذلك الدين القيم » معناه ذلك الحساب الصحيح هو الدين القيم لا  
 ما كانت عليه العرب من النسبي . وقيل معناه ذلك التدين هو الدين القيم . وقوله :  
 « كافة » نصب على المصدر ، ولا يدخل عليها الالف واللام ، لأنه من المصادر التي  
 لا تنصرف لوقوعه ، موقع معاً وجمعاً بمعنى المصدر الذي هو في موضع الحال  
 المذكورة ، فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة .

وقوله : « اعلّموا ان الله مع المتقين » لما صيهم وما يؤدي الى عقابه ويكون



مهم بالنصرة والولاية دون الاجتماع في مكان ار محل ، لان الله لا يجوز عليه ذلك  
لانه من امارات الحدث .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا  
مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سِوَأُ عَمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾  
(٣٧) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة واللغة :

قرأ أبو جعفر وابن فرج عن البري انما « النسبي » من غير همز قلب الهمزة  
ياء وادغم الياء الاولى فيها فلذلك شدد . البا قون « النسبي » ، ممدود ، هموز على وزن  
فميسل .

وروي عن ابن مجاهد وابن مسعود عن عبيد بن عمير عن شبل عن ابن كثير  
« النس » ، على وزن النسم .

وقرأ اهل الكوفة إلا ابا بكر « يضل » بضم الياء وفتح الضاد . وقرأ يعقوب  
بضم الياء وكسر الضاد . البا قون بفتح الياء وكسر الضاد .

وقال ابو علي : وجه قراءة ابن كثير اذا قرأت على وزن النسم ان ( النسبي )  
التأخير . قال ابو زيد : نسأت الابل في ظمئها يوماً او يومين او اكثر من ذلك ،  
والمصدر ( النسبي ) ، ويقال : الابل نسأتها على الحوض وانما نسأها نسأاً اذا  
اخترتها عنه . قال : وما روي عن ابن كثير من قرأته بالياء فذلك على ابدال الياء  
من الهمزة ، ولا أعلمها لغة في التأخير ، كما ان ارجيت لغة في ارجأت . وما روي

فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمز، لأن النسبي بتشديد الياء على وزن فعيل بالتخفيف قياسي . وسيبويه لا يميز نحو هذا القلب الذي في النسبي . الا في ضرورة الشعر ، وابن زيد يراه . ويروى كثيراً عن العرب . ومن قرأ بالمد والهمز فلا أنه أكثر هذا في المعنى . قال ابو زيد : أنسأته الدين انساء اذا أخرته واسم ذلك النسبيته والنسأ وكان النسبي في الشهور تأخير حرمة شهر الى شهر ليست له تلك الحرمة فيحرمون بهذا التأخير ما احل الله ويحلون ما حرم الله .

والنسبي مصدر كالنذير والنكير وعذبر الحمي . ولا يجوز أن يكون ( فميلا ) بمعنى مفعول لأنه حمل على ذلك كأن معناه انما المؤخر زيادة في الكفر . والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر ، وانما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة .

وقال ابو عبيدة فيما روي عن الثوري من قوله : انما النسبي . زيادة في الكفر قال : كانوا قد وكلوا قوماً من بني كنانة يقال لهم : بنوا فقيم وكانوا يؤخرون المحرم وذلك نساء الشهور لا يفعلون ذلك الا في ذى الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم فينادى مناد أن افعلوا ذلك لحاجة او لحرب وليس كل سنة يفعلون ذلك فان ارادوا ان يحلوا المحرم نادوا هذا صفر وأن المحرم الاكبر صفر وربما جعلوا صفر محرماً مع ذى القعدة حتى يذهب الناس الى منازلهم اذا نادى المنادي بذلك وكانوا يسمون المحرم صفرأ ويقدمون صفرأ سنة ويؤخرنه .

وقال الفراء : والذي تقدم به رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن عمرو كان رئيس الموسم ، فبقول : انا الذي لا اعاب ولا اجاب ولا يرد لي قضاء فيقولون : نعم صدقت انسأنا شهرأ او أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في سفر وأحل المحرم فيفعل ذلك . وانما دعاهم الى ذلك توالي ثلاثة اشهر حرم لا يغيرون فيها وكان معاشهم في الغارة . والذي كان ينسأها حين جاء الاسلام هو جبارة بن عوف بن ابي امية وكان في

بني عدي ان قبل بني كنانة قال الشاعر :

السنا الناسدين على عدي شهرور الحل نجعلها حراماً (١)

المعنى :

وقال ابن عباس كانوا يجعلون المحرم صفرأ . وقال ابو علي : كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهراً وكان الذين ينسؤن بنو سليم و غطفان ، وهوازن ، ووافق حج المشركين في السنة التي حج فيها ابو بكر في ذي القعدة ، فلما حج النبي ( ص ) في العام المقبل وافق ذلك في ذي الحجة فلذلك قال : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض .

وقال مجاهد : فكان النسيء المنهي عنه في الآية تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله ، وكانوا في الجاهلية يعملون ذلك وكان الحج يقم في غير وقته واعتقاد حرمة الشهر في غير أوانه فبين تعالى ان ذلك زيادة في الكفر .

قال ابو علي : من قرأ « يضل » بفتح الياء وكسر الضاد قال الذين كفروا لا يخلوأ أن يكونوا مضلين لغيرهم أو ضالين هم في انفسهم فاذا كان كذلك لم يكن في حسن اسناد الضلال في قوله : « يضل » اشكال الا ترى أن المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره كما ان الضال في نفسه الذي لم يضلّه غيره لا يمتنع اسناد الضلال اليه .

ومن ضم الياء وكسر الضاد فمنناه ان كبراهم واتباعهم يضلونهم بأمرهم ايامهم بحملهم على هذا التأخير في الشهرور . وروى في التفسير ان رجلا من كنانة يقال له ابو ثمامة كان يقول للناس في منصرفهم من الحج ان آلهتمكم قد اقصمت لتحر من وربما قال لتحلن هذا الشهر يعني المحرم فيحلونه وبجرمون صفرأ وان حرموه احلوا

(١) قائله الكمييت . تفسير القرطبي ٨ : ١٣٨ .

صفاً وكانوا يسمونها الصفرين فهذا اضلال من هذا المنادي .  
 ومن قرأ بضم الياء وفتح الضاد وقيل انها قرأه ابن مسعود يقوي ذلك ،  
 قوله : « زين لهم سوء اعمالهم » اي زين ذلك لهم حاملوهم عليه وداعوهم اليه . وعلى  
 هذه القراءة يكون الذين كفروا في موضع رفع بأنهم فاعلون والمفعول به محذوف  
 وتقديره بضل منسؤ الشهور الذين كفروا تابعتهم والآخذين لهم بذلك .  
 ومعنى قوله : « لبواظنوا » فلمواظاة موافقة امر التوطئة والمعنى لبواظنوا  
 العدة في الاربعة اشهر .

وقوله : « زين لهم سوء اعمالهم » قال الحسن وأبو علي للزين لهم انفسهم  
 والشيطان . وقيل : زين بالشهوة وليجتنبوا المشتبهى فذكر ذلك للتحذير والاعتراف  
 به والتزين يكون بمعنى الفعل له ويكون بمعنى تقبل الطبع . وإنما سمي انساؤهم زيادة  
 في الكفر من حيث أنهم اعتقدوا أن ذلك صحيح وصواب فلذلك كان كفراً فلا  
 حجة في ذلك ان تكون افعال الجوارح كفراً .  
 وقوله : « والله لا يهدي القوم الكافرين » معناه انه لا يهديهم الى طريق  
 الجنة اذ كانوا كفاراً مستحقين لعذاب الابد .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ  
 فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى لجماعة من المؤمنين وعتاب وتوبيخ بأنهم إذا قيل لهم

على لسان رسوله « اتقوا في سبيل الله » ومعناه اخرجوا في سبيل الله يعني الجهاد وسماه سبيل الله ، لأن القيام به موصل الى معنى الجنة ورضا الله تعالى .

اللغة :

والنفر الخروج الى الشيء . لا مرهيج عليه وضده الهدوء تقول : نفر الى الثغر ينفر نقرأ ونفيراً ولا يقال النفور إلا في المكروه كنفور الدابة عما يخاف . وقوله : « اتاقلتم الى الأرض » اصله تئاقلتم وادغمت التاء في اثاء لمناسبتها لها وادخلت الف الوصل لتمكن الابتداء بها ومثله اذاركوا قال الشاعر :

تولى الضجيج إذا ما استافها خسرأ      عذب المذاق إذا ما التابع القبل (١)  
والتثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطي . وضده التسرع .

المعنى :

ومعنى قوله : « اتاقلتم الى الأرض » قيل فيه قولان :

احدهما - الى المقام بأرضكم ووطنكم .

الثاني - لما اخرج من الأرض من التمر والزرع . قال الحسن ومجاهد : دعوا الى الخروج الى غزوة تبوك بعد فتح مكة وغزوة الطائف وكان ايام ادراك الثمرة ومحبة القمود في الظل فعاتبهم الله على ذلك . والآية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون جميعهم ، لأن من المعلوم ان جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التثاقل في الجهاد ، وهو قول الجبائي وغيره . فقال الله تعالى لهم على جهة التوبيخ ، والتعنيف ارضيتم بالحياة الدنيا على الآخرة ، آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية . وهو

(١) معاني القرآن ١ ، ٤٣٨ ، وتفسير القرطبي ٨ : ١٤٠ ، والطبري ١٤ : ٢٥٢

ويجمع البيان ٣ : ٣٠ . (استاف) الشيء قرب منه وشبهه . و (القبل) - بضم القاف - جمع قبلة .

استفهام والمراد به الانكار. والرضا هو الارادة غير انه لا توصف بذلك إلا اذا تعلق بمضى من الفعل . والارادة توصف بما لم يوجد بعد قال تعالى مخبراً : «فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل» اي ليس الانتفاع بما يظهر للحواس الاقيل ومنه قولهم : تمتع بالرياض والمناظر الحسان . ويقال للاشياء التي لها ائمان متاع تشبيهاً بالانتفاع به .

### قوله تعالى :

﴿ اَلَا تَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ (٣٩) آية بلاخلاف.

هذا تحذير من الله تعالى لهؤلاء الذين استبطأهم ووصفهم بالتثاقل عن سبيل الله بقوله : « الا تنفروا » اي ان لم تخرجوا الى سبيل الله التي دعيت اليها من الجهاد يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم يقومون بنصرة نبيه ولا يتثاقلون فيه . والاستبدال جعل أحسن الشئيين بدل الآخر مع الطلب له . والتعذيب بطول وقت العذاب ، لأنه من الاستمرار وقد يكون عقاباً وغير عقاب .

وقوله : « ولا تضره شيئاً » قيل فيمن يرجع اليه قولان :

احدهما - انه يعود على اسم الله في قول الحسن ، قال : لأنه غني بنفسه عن

جميع الاشياء .

والآخر - قال الزجاج : انها تعود الى النبي (ص) لأن الله عصمه من

جميع الناس . وقوله : « والله على كل شيء قدير » معناه قادر على الاستبدال بكم وعلى

غيره من الاشياء . وفيه مبالغة .

## قوله تعالى :

﴿ الْآتِنَا نَصْرَهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُكُوتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾  
(٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وحده « وكلمة الله هي العليا » على تقدير وجعل كلمة الله هي العليا  
ومن رفع استأنف ، وهو أبلغ ، لأنه يفيد ان كلمة الله العليا على كل حال . وهذا  
ايضاً زجر آخر وتهديد لمن خاطبه في الآية الاولى بأنهم إن لم ينصروا النبي (ص) ولم  
يقاتلو معه ، ولم يجاهدوا عدوه « فقد نصره الله » أي قد فعل الله به النصر حين  
أخرجه الكفار من مكة ثاني اثنين . وهو نصب على الحال اي هو ومعه آخر ، وهو  
ابو بكر في وقت كونها في الغار من حيث « قال لصاحبه » يعني ابا بكر « لا تحزن »  
اي لا تخف ، ولا تجزع ان الله معنا اي ينصرتنا . والنصرة على ضربين :

احدها - يكون نعمة على من ينصره . والآخر - لا يكون كذلك ، فنصرة  
المؤمنين تكون احساناً من الناصر الى نفسه لأن ذلك طاعة لله ولم تكن نعمة  
على النبي (ص) .

الثاني - من ينصر غيره لينفعه بما تدعوا اليه الحكمة كان ذلك نعمة عليه مثل  
نصرة الله لنبيه (ص) .

ومعنى « ثاني اثنين » احد اثنين يقولون هذا ثاني اثنين ، وثالث ثلاثة ، ورابع  
اربعة ، وخامس خمسة ، لأنه مشتق من المضاف اليه . وقد يقولون خامس اربعة أي

خمس الأربعة بمصيره فيهم بعد ان لم يكن .

والغار نقب عظيم في الجبل قيل : وهو جبل بمكة يقال له نور ، في قول قتادة وقال مجاهد : مكث النبي (ص) في الغار مع ابي بكر ثلاثاً . وقال الحسن : انبت الله على باب الغار ثمامة ، وهي شجيرة صغيرة . وقال غيره : الهم المنكبوت فذسجت على باب الغار . وأصل الغار الدخول الى عمق الخباء . ومنه قوله : « ان اصبح مأوؤكم غوراً » (١) وغارت عينه تغور غورا اذا دخلت في رأسه . ومنه اغار على القوم اذا اخرجهم من اخبيتهم بهجومه عليهم . وقوله : « فانزل الله سكينته عليه » قيل فيمن تعود الهاء اليه قولان : احدهما - قال الزجاج : انها تعود الى النبي (ص) . والثاني - قال الجبائي : تعود على ابي بكر ، لأنه كان الخائف واحتاج الى الامن لان من وعد بالنصر ، فهو ساكن القلب والاول اصح ، لأن جميع السكنايات قبل هذا وبمده راجعة الى النبي (ص) الا ترى ان قوله : « الا تنصروه » الهاء راجعة الى النبي (ص) بلا خلاف ، وقوله : « فقد نصره الله » فالهاء ايضاً راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله . وقوله : « اذا اخرجته » يعني النبي (ص) « اذ يقول لصاحبه » يعني صاحب النبي (ص) ثم قال : « فانزل الله سكينته عليه » وقال بمده : « وايدته بجنود » يعني النبي (ص) فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره ، وتأيد الله اياه بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه ومن القاء اليأس في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين .

وقوله : « وجمل كلمة الذين كفروا السفلى » أي جعلها نازلة دنية وأراد بذلك ان يسفل وعيدهم النبي (ص) ونحو يفهم اياه وأبطله ، ونصر رسول الله والمؤمنين عليهم فعبّر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم كذلك ، لانه خلق كلمتهم كما قال : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » (٢) .

(١) سورة الملك آية ٣٠ . (٢) سورة الزخرف آية ١٩ .



وقيل ان كلمة الذين كفروا الشرك ، وكلمة الله التوحيد ، وهي قول : لا اله الا الله . وقيل كلمتهم هو ما تفاخروا عليه من قتله . و « كلمة الله » ما وعد به من النصر والنجاة . ثم اخبر ان « كلمة الله هي » المرتفعة أي هي المنصورة بغير جعل جاعل ، لأنها لا يجوز أن تدعوا الى خلاف الحكمة .

وقوله : « والله عزيز » معناه قادر لا يقهر « حكيم » واضع الاشياء مواضعها ليس فيها وجه من وجوه القبيح .

وليس في الآية ما يدل على تفضيل ابي بكر ، لأن قوله : « ثاني اثنين » مجرد الاخبار أن النبي (ص) خرج ومعه غيره ، وكذلك قوله : « اذ هما في الغار » خبر عن كونها فيه وقوله : « اذ يقول لصاحبه » لامدح فيه ايضاً ، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى ان الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك » ( ١ ) وقد يسمون البهيمة بأنها صاحب الانسان كقول الشاعر :

#### وصاحبي بازل شمول

وقد يقول الرجل المسلم لغيره : أرسل اليك صاحبي اليهودي ، ولا يدل ذلك على الفضل . وقوله : « لا تحزن » ان لم يكن ذماً فليس بمدح بل هو نهي محض عن الخوف . وقوله : « ان الله معنا » قيل ان المراد به النبي (ص) ، ولو اريد به ابو بكر معه لم يكن فيه فضيلة ، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد ، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن الله معنا ، يريد انه متطلع علينا ، عالم بحالنا .

والسكينة قد بينا أنها نزلت على النبي (ص) بما بيناه من ان التأييد بجنود

الملائكة كان يختص بالنبي (ص) فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد . ولم نذكر هذا للطعن على أبي بكر بل بينا ان الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح .

### قوله تعالى :

﴿ إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١)

آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين أن ينفروا الى جهاد المشركين خفافاً وثقالاً .  
وقيل في معنى « خفافاً وثقالاً » ثمانية أقوال :

احدها - قال الحسن ومجاهد والضحاك والجبائي : إن معناه شباناً وشيوخاً .  
وثانيها - قال صالح : معناه اغنياء وفقراء .

وثالثها - قال ابن عباس وقتادة : نشاطاً وغير نشاط .

ورابعها - قال ابو عمرو : ركباناً ومشاة .

وخامسها - قال ابن زيد : ذا صنعة وغير ذي صنعة .

وسادسها - قال الحكم : مشاغبل وغير مشاغبل .

وسابعها - قال الفراء : ذو العيال ، والميسرة : هم الثقال ، وذو المسرة وقلة

العيال : هم الخفاف .

وثامنها - أن يحمل على عمره فيدخل فيه جميع ذلك ، وهو الأولى والأليق بالظاهر ، وهو اختيار الطبري ، والرمانى ويكون ذلك على حال خفة النفير وثقله لأن هذا الذي ذكر يجري مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به .

وقوله : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » أمر من الله لهم بأن يجاهدوا في

قتال أعدائه بأموالهم وأنفسهم . والجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس ، وهو الاتفاق في سبيل الله ، وظاهر الآية يدل على وجوب ذلك بحسب الامكان ، فمن لم يطق الجهاد إلا بالمال فعليه ذلك إيمان به من ليس له مال .

وظاهر الآية يقتضي وجوب مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار ، لأنه جهاد في سبيل الله ، ولقوله : « فقاتلوا التي تبغى حتى تقمى الى امر الله » ( ١ ) فأوجب قتال البغاة الى حين يرجعوا الى الحق .

وقوله : « ذلكم خير لكم » اشارة الى الجهاد ، وتقديره ذلك الجهاد خير لكم . وإنما قال : « خير لكم » وان لم يكن في ترك الجهاد خير لأحد أمرين : احدهما خير من تركه الى المباح . والثاني - ان فيه الخير لكم لا في تركه ، فلا يكون خير بمعنى أفعال من كذا .

وقوله : « ان كنتم تعلمون » معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير . وقال أبو علي : معناه « ان كنتم تعلمون » صدق الله فيما وعد به من الثواب الدائم .

وقال أبو الضحى : أول ما نزل من سورة براءة اتفروا .

وقال مجاهد : أول ما نزل قوله : « لقد نصركم الله » .

وقال ابن عباس : نسخ هذه الآية قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ( ٢ )

وقال جعفر بن قيس : هذا ليس بمسوخ ، لأن المنسوخ ما لا يجوز فعله .

وهذا ليس بصحيح ، لأنه يجوز ان يكون وجوبه زال الى الندب أو الاباحة .

قوله تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِن

( ١ ) سورة الحجرات آية ٩ . ( ٢ ) سورة التوبة آية ١٢٣ .

بِمَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا  
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)  
آية بلا خلاف .

هذه الآية في قوم تخافوا عن النبي (ص) ولم يخرجوا معه الى غزوة تبوك .  
وحسن الكناية عنهم وإن لم يجز لهم ذكر لـ «كـ» منهم داخلين في جملة الذين أمروا  
بالخروج مع النبي (ص) الى الجهاد وأن ينفروا معه . والمعنى لو كان المدعو اليه عرضاً  
قريباً من الغنيمة وما يطمع فيه من المال . وقوله : «وسفراً قاصداً» معناه سفراً سهلاً  
بافتقاده من غير طول في آخره وسمي المدل قاصداً ، لأنه مما ينبغي أن يقصد  
« لا تبوءك » يعني خرجوا معك وبادروا الى اتباعك « ولكن بمدت عليهم الشقة »  
اي بمدت عليهم المسافة ، لأنهم دعوا الى الخروج الى تبوك ناحية الشام ، فالشقة  
القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها . ويحتمل ان يكون من  
الشق ويحتمل ان يكون من المشقة . والشقة الصفر والمشافة . وقريش يضمون الشين ،  
وقيس يكسرها . وقريش يضمون العين من ( بمدت ) .

وقوله : « سيعلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم » اخبار منه تعالى ان  
هؤلاء الذين ذكرهم يحلفون ويقسمون على وجه الاعتذار اليك ويقولون فيما بعد « لو  
استطعنا لخرجنا معكم » اي لو قدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم . ثم اخبر  
تعالى انهم يهلكون انفسهم بذلك واخبر تعالى انه يعلم انهم يكذبون في هذا الخبر  
الذي اقسموا عليه . وفي الآية دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل لانهم لا يخلون  
من احد امرين : إما أن يكونوا مصتطيعين من الخروج وقادرين عليه ولم يخرجوا  
أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا انهم لو قدروا في المستقبل لخرجوا ، فان كان  
الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وإن كان المراد الثاني فقد اكذبهم الله في ذلك

وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك ايضاً تقدم القدرة على المقدور وليس لهم ان يحملوا الاستطاعة على آلة السفر وعدة الجهاد ، لأن ذلك ترك الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة . وانما يشبه غيرها بها على ضرب من المجاز على انه إذا كان عدم الالة والعدة تعذر صاحبها في التأخر فمن ليس فيه قدرة اولى بأن يكون معذورا . وفي الآية دلالة على التوبة لأنه اخبر انهم سيحلفون في المستقبل على ذلك بالله « لو استطعنا لخرجنا معكم » فخاؤا فيما بعد وحلفوا اعلى ما اخبر به .

### قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَدَبَّرَ بَيْنَ يَدَيْكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَآلَهُ لِمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

هذا خطاب فيه بعض العتاب للنبي (ص) في اذنه من استأذنه في التأخر فأذن له فأخبر الله بأنه كان الاولى ان لا تأذن لهم وتزيمهم الخروج معك حتى اذا لم يخرجوا ظهر تفاقهم لأنه متى اذن لهم ثم تأخروا لم يعلم بالنفاق كان تأخرهم ام بغيره . وكان الذين استأذنوه منافقين . وحقيقة العفو الصفح عن الذنب . ومثله الغفران ، وهو ترك المؤاخذة على الاجرام . وقد كان يجوز ان يعفو الله عن جميع المعاصي كفرأ كان او غيره غير انه أخبر انه لا يعفو عن عقاب الكفر لاجماع الامة على ذلك وما عداه من الفسق باق على ما كان عليه من الجواز .

وانما قال : « عفا الله عنك » على غير لفظ المتكلم لأنه انخم من الكناية لأن هذا الاسم من اسماء التعظيم كما ان قولك ان رأي الامير انخم من قولك اني رأيت . وقال ابو علي الجبائي : في الآية دلالة على ان النبي (ص) كان وقع منه ذنب في هذا الاذن . قال : لأنه لا يجوز ان يقال لم فعلت ما جعلت لك فعله كما لا يجوز ان يقول لم فعلت ما امرتك بفعله . وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن قوله : « عفا

الله عنك « إنما هي كلمة عتاب له (ص) لم فعل ما كان الأولى به ان لا يفعله ، لا أنه وان كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فان الأولى ان لا يفعله كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب اخاً له لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه ؟ وان كان له معاتبته وكلامه بما يشق عليه . وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع آخر : « فان استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم » وإنما اراد الله انه كان ينبغي ان ينتظر تأكيد الوحي فيه . ومن قال هذا ناسخ لذلك فعليه الدلالة .

وقوله : « لم اذن » فالاذن رفع التبعة ، عاتب الله تعالى نبيه (ص) لم اذن لقوم من المتأخرين عن الخروج معه الى تبوك وإن كان له اذنهم . لكن كان الأولى ان لا يأذن « حتى يتبين لك » حتى يظهر لك « الذين صدقوا » في قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لأنه كان فيهم من اعتل بالمرض والمعجز وعدم الجمولة « وتعلم الكاذبين » منهم في هذا القول .

### قوله تعالى :

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤) آية  
بلاخلاف .

اخبر الله تعالى نبيه بملامة المنافقين والكاذبين بأن بين انه لا يستأذن احد النبي (ص) في التأخر عنه والخروج معه الى جهاد اعدائه ولا يسأله الاذن في التأخر القوم الذين يؤمنون بالله ويصدقون به ويقرون بوحدانيته ويعترفون باليوم الآخر والاستئذان طلب الاذن من الآذن . ومعنى قوله : « ان يجاهدوا » فيه حذف وتقديره لأن لا يجاهدوا بحذف (لا) لأن ذمهم قد دل عليه - هذا قول ابي علي الجبائي .

وقال الحسن : تقديره كراهية ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم .  
 وقال الزجاج : هو موضع نصب لان تقديره في ان يجاهدوا فلما حذف حرف  
 الجر انتصب ، وعند سيبويه وغيره هو في موضع الجر .  
 وقوله : « والله عليم بالمتقين » اخبار منه تعالى بأنه يعلم من يتقى مهصية الله  
 ويخاف عقابه ، ومن لا يتقيه . قال ابن عباس هذا تعبير للمنافقين حين استأذنوه في  
 القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين ، فقال : لم يذهبوا حتى يستأذنوه . والمعنى انه لم  
 يخرجهم من صفة المتقين إلا أنه علم أنهم ليسوا منهم .  
 فان قيل اي الجهادين افضل الجهاد السيف ام جهاد العلم ؟  
 قيل : هذا بحسب الحاجة اليه والمصلحة فيه وكذلك الجهاد بالمال والجهاد  
 بالنفس . وإنما يقم التفاضل مع استواء الأحوال الا بمقدار الخصلة الزائدة من  
 خصال الفضل .

وأجاز الرماني الجهاد مع الفساق إذا عاونوا على حق في قتال الكفار ، لأنهم  
 يطيعون في ذلك الفاعل كما هم مطيعون في الصلاة والصيام وغير ذلك من شريعة  
 الاسلام . والظاهر من مذهب اصحابنا انه لا يجوز ذلك إلا ما كان على وجه الدفع  
 عن النفس وعن بيضة الاسلام .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥)  
 آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه انما يستأذن النبي (ص) في التأخر عن الجهاد

والقعود عن القتال معه القوم « الذين لا يؤمنون بالله » اي لا يصدقون بالله ولا يعترفون به ، واليوم الآخر ، يعني بالنبم والنشور « وارتابت قلوبهم » يعني اضطربت وشكت . والارتباب هو الاضطراب في الاعتقاد بالتقدم مرة والتأخر اخري . والريبة شك معه تهمة: زاني ريباً وريبة وارتاب ارتياباً ، واستراب استرابة .

وقوله : « فهم في ريبهم يترددون » معناه فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة ، مثل المتحير ، رده ردّاً ورده ترديداً وتردد تردداً وارتد ارتداداً ، وراده مرادة . وتراد القوم ترداداً ، واسترده استرداداً .

وقوله : « في ريبهم يترددون » يدل على بطلان قول من يقول : ان المعارف ضرورة ، لأنه تعالى اخبر انهم في شكهم يترددون ، صفة الشاك المتحير في دينه الذي ليس على بصيرة من امره .

وقيل في معنى اليوم الآخر قولان :

احدهما - ان آخر يوم من ايام الدنيا والمؤذن بالكرة الاخيرة .

الثاني - وهو الأقوى - انه يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة وهو

الأظهر من مفهوم هذه اللفظة .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا أَعْدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ

اللَّهُ أَنْبِعَانَّهُمْ وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين لو ارادوا الخروج مع النبي (ص) نصره

له ورغبة في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك لأعدوا للخروج عدة ، وهو ما يتهبأ

لهم معها الخروج ، ولكن لم يكن لهم في ذلك نية وكان عزمهم على ان النبي (ص)



ان لم يأذن لهم في الاقامة فخرجوا ، افسدوا عليك وضرروا بين اصحابك ، وفسدوا قلوبهم فكرّم الله خروجهم على هذا الوجه ، لأن ذلك كفر ومعصية . والله لا يكره الخروج الذي امرهم به ، وهو ان يخرجوا لنصرة نبيه وقتال عدوه والجهاد في سبيله كما خرج المؤمنون كذلك فثبّطهم الله عن الخروج الذي عزموا عليه ولم يثبّطهم عن الخروج الذي امرهم به ، لأن الاول كفر . والثاني طاعة .

وقوله : « وقيل اقمدا مع القاعدين » بحتمل شيئين :

احدهما - ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي نصرة له ورغبة في الجهاد .

الثاني - ان يكون ذلك من قول النبي (ص) لهم على وجه التهديد لا على وجه الاذن ، ويجوز ان يكون اذنه لهم في القعود الذي عاتبه الله عليه . وأنه كان الأولى ان لا يأذن لهم فيه ، ولا يجوز ان يكون ذلك من قول الله ، لأنه لو كان كذلك لكان مباحاً لهم التأخر . اللهم إلا ان يكون ذلك على وجه التهديد ، فيجوز ان يكون ذلك من قول الله .

والمدة والاهبة والالة نظائر . والانبعاث الانطلاق بسرعة في الامر ، ولذلك يقال : فلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها . والتثبّط التوقف عن الامر بالتهديد فيه ومثله التعقبيل .

وقوله : « مع القاعدين » يعني مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى ، ومن ليس به حراك .

قال ابن اسحاق : كان الذين استأذنوه اشرافاً ورؤساء كمبداً الله بن ابي بن ابي سلول و اجد بن قيس . وزاد مجاهد رفاة بن التابوت وأوس بن قبطي .

### قوله تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضْعًا  
خَلَاكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاءُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) آية بلاخلاف .

### المعنى :

بين الله تعالى في هذه الآية الوجوه في كراهية اتباعهم ووجه الحكمة في تثبيطهم عن ذلك وهو ما علم ان في خروجهم مفسدة للمؤمنين ، لأنه قال : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا » قال الفراء : لو قال ما زادوكم يريد خروجهم لكان جائزاً ، وهذا من سعة العربية .

### اللغة :

والخبال الفساد والخبال الموت والخبال الاضطراب في الرأي بزبين أمر لقوم وتقييحه لاخرين ليختلفوا وتفرق كلمتهم .

وقوله : « ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » والايضاع الاسراع في السير

بطرح العلق قال الشاعر :

ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب (١)

وقال آخر :

يا ليتني فيها جذع اخب فيها وأضع (٢)

(١) مر تخريجه في ١ : ٣٧٢ .

(٢) قائله دريد بن الصمة قاله يوم حنين : اللسان (وضع) وسيرة ابن هشام ٤ : ٨٢

وتفسير الطبري ١٤ : ٢٧٨ .

وربما قالوا للراكب : وضع بغير الف ، ومنه وضعت النافذة تضع وضعاً ،  
وأوضعتها ايضاعاً .

المعنى :

ومعنى الايضاع هاهنا اسراعهم في الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على  
وجه التخويق . قال الحسن : معناه مشوا بينكم بالتحيمه ، لافساد ذات بينكم .

وقوله : « وفيكم سماعون لهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال قتادة وابن ابي اسحاق : فيكم القائلون منهم عند سماع قولهم .  
وقوله : « إلا خبالا » استثناء منقطع وتقديره ما زادوكم قوة وانكن طلبوا لكم  
الخبال ويحتمل ان يكون المعنى انهم على خبال في الرأي فيعقده حتى يصير خبالا  
فملى هذا يكون الاستثناء متصلاً .

الثاني - قال مجاهد وابن زيد : لهم عيون منهم ينقلون اخباركم الى المشركين .  
وقوله : « يبغونكم الفتنة » معناه يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة . قال  
الحسن : يبغونكم ان تكونوا مشركين .

اللغة :

وأصل الفتنة اخراج خبث الذهب بالنار ، تقول : بغيتك كذا بمعنى بغيت  
لك . ومثله جلبتكم وجلبت لك وخلالكم اي بينكم مشتق من التخلل ، وهي الفرجة  
تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ، ومنه قول النبي (ص) تراصوا في الصفوف  
لا يتخللكم اولاد الخذف .

المعنى :

وقوله : « والله عليم بالظالمين » معناه هاهنا عالم بمن يستأذن النبي (ص)

في التأخر شكاً في الاسلام ونفاقاً وعلماً بمن سمع حديث المؤمن وينقله الى المنافقين فان هؤلاء ظالمون انفسهم وباخصون لها حظها من الثواب .

### قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٤٨) آية .

اقسم الله تعالى ان هؤلاء المنافقين « ابتغوا » أي طلبوا إفساد ذات بينكم واقتراق كلمكم في يوم احد حتى انصرف عبد الله بن ابي بصحابه وخذل النبي (ص) وكان هو وجماعة من المنافقين يبتغون للاسلام الفوائل قبل هذا ، فسلم الله المؤمنين من فننتهم وصرفها عنهم .

وقوله : « وقلبو لك الامور » فالتقلب هو تصريف الشيء بجعل اسفله اعلاه مرة بعد اخرى ، فهؤلاء صرفوا القول في المعنى للحيلة والمكيدة .  
وقوله : « حتى جاء الحق » اي حتى اتى الحق « وظهر امر الله وهم كارهون » اي في حال كراحتهم لذلك ، فهي جملة في موضع الحال . والظهور خروج الشيء الى حيث يقم عليه الادراك وقد يظهر المعنى للنفس . اذا حصل العلم به .

### قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤٩) آية .

### النزول :

قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد : نزلت هذه الآية في الخلد بن قيس وذلك

ان النبي (ص) لما دعا الناس الى الخروج الى غزوة تبوك لقتال الروم جاءه الحد  
ابن قيس ، فقال : يا رسول الله اني رجل مستهتر بالنساء فلا تمنني ببنت الاصفر ،  
قال الفراء : سمي الروم اصفر ، لأن حبشياً غلب على ناحية الروم ، وكان له بنت قد  
اخذن من بياض الريم وسواد الحبشة فكان صفرأ لهما ، فنزلت هذه الآية فيه .

### المعنى :

وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة وأبو علي والزجاج : معني ولا تمنني ولا  
تؤممني بالعصيان في المخالفة التي توجب العرقة فتضمنت الآية ان من جملة المنافقين من  
استأذن النبي (ص) في التأخر عن الخروج والاذن رفع التبعة في الفعل ، وهو  
والاباحة بمعنى . وقال له : « لا تمنني » اي لا تؤممني بأن تكلفني المشقة في ذلك  
فأهم بالعصيان او لا تمنني ببنت اصفر على ما حكيناه ، فقال الله تعالى : « الا في  
الفتنة سقطوا » اي وقعوا في الكفر والمعصية ، وبهذا القول وبهذا الفعل .

### اللغة :

والسقوط الوقوع الى جهة السفلى ووقوع الفعل حدوثه وسقوطه ايضاً .  
وقوله : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » اخبار منه تعالى ان جهنم مطيعة  
بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين . والاحاطة والاطافة والاحداق نظائر في اللغة  
ولا يدل ذلك على انها لا تحيط بغير الكفار من الفساق الا ترى انها تحيط بالزبانية  
والمتولين للعقاب ، فلا تعلق للخوارج بذلك .

### قوله تعالى :

﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا

قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا هُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾  
آية بلاخلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه (ص) بأن هؤلاء المنافقين الذين ذكروهم متى نال النبي (ص) والمؤمنين «حسنة» أي نعمة من الله تعالى وظفر بأعدائهم وغنيمة ينالونها ساءهم ذلك وأحزنهم وإن تصبهم «مصيبة» أي آفة في النفس أو الأهل أو المال . وأصلها الصوب ، وهو الجري إلى الشيء . يقال : صاب بصوب صوباً ، ومنه صوب الأنا . إذا ميله للجري ، والصواب إصابة الحق «يقولوا» يعني هؤلاء المنافقين «قد أخذنا أمرنا من قبل» ومعناه قد حذرنا واحترزنا في قول مجاهد وغيره ، ومعناه أخذنا أمرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه «ويتولوا» أي يمرضوا «وهم فرحون» أي فرحين بتأخرهم وسلامتهم مما نال المؤمنين من المصيبة . والأصابة وقوع الشيء بما قصد به .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) آية بلاخلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول هؤلاء المنافقين الذين يفرحون بمصيبات المؤمنين وسلامتهم منها «لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا» وقيل في معناه قولان : احدهما - ان كل ما يصيبنا من خير او شر فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا ، وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهلنا من غير ان نرجع في امرنا الى تدبير ربنا هذا قول الحسن .

الثاني - قال الجبائي والزجاج : يحتمل ان يكون معناه لن يصيبنا في عاقبة

امرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا .  
وقال البلخي : يجوز ان يكون ( كتب ) بمعنى علم ويجوز ان يكون بمعنى حكم ، والأولان اقوى .  
فان قيل : ما الفائدة في كتب ما يكون من افعال العباد قبل كونها ؟ قلنا في ذلك مصلحة للملائكة ما يقابلون به فيجدونه متفقاً في الصحة مع ان تصور كثرة اهل في النفس وأملاً للصدر .

وقوله : « هو مولانا » يحتمل معنيين :

احدهما - انه مالكننا ونحن عبيده .

والثاني . فان الله يتولى حياطينا ودفم الضرر عنا .

وقوله : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » امر منه تعالى للمؤمنين ان يتوكلوا عليه تعالى دون غيره . والتوكل تعويض الامر الى الله ، والرضا بتقديره والثقة بحسن اختياره ، كما قال : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١) وحرف الجر الذي في معنى الظرف متعلق بالامر في قوله : « فليتوكل » وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون . وانما جاز تقديمه لانه لا يلبس ، ولا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لانه يلبس بالجزاء في الجواب .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْتَيَيْنِ وَنَحْنُ  
تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْ يَدِينَا  
فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

(١) سورة الطلاق آية ٣ .

روى ابن فليح والبري إلا النقاش « هل تربصون » بتشديد الباء ، وجهه انه اراد تربصون فادغم احدى التائين في الاخرى .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين « هل تربصون بنا » والتربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ولذلك قيل تربص بالطعام إذا تمسك به الى حين زيادة سمره ، وقوله : « إلا احدى الحزنيين » واحدى الشيعيين واحدة منها ، واحدة العشر واحد منها ، واحدى النساء معناه واحدة منهن . والحسنيان عظيمان في الحسن من النعم ومما نيتها هاهنا إما الغلبة بنصر الله عز وجل والشهادة المؤدية الى الجنة في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم .

وهل حرف من حروف الاستفهام والمراد هاهنا التقريع بالتربص المؤدي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه .

وقوله : « ونحن تربص بكم » اي قل لهؤلاء ، ونحن ايضاً نتوقع بكم ان يوقع بكم عذاباً « من عنده » يهلككم به « او بأيدينا » بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا .

وقوله : « فتربصوا » صورته صورة الأمر والمراد به التهديد ، كما قال : « اعملوا ما شئتم » (١) واستقر زمن استطعت ، (٢) وانما قلنا ذلك لأن تربص المنافقين بالمؤمنين تمسك بما يؤدي الى الهلاك وذلك فيبيح لا يريد الله ولا يأمر به .

وقال الفراء : العرب تدغم لام هل وبل في التاء خاصة وهو كثير في كلامهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَتَفْقَهُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ لَأَنْتُمْ

(١) سورة حم السجدة آية ٤٠ . (٢) سورة الاسرى آية ٦٤ .



كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ آية .

أمر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين « انفقوا » وصورته صورة الامروفيه ضرب من التهديد وهو مثل قوله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (١) وإنما هو بيان عن توسعة التمكين من الطاعة والمعصية ، وقال قوم : معناه الخبر الذي يدخل ان فيه للجزاء كما قال كثير :

اسيئي بنا او احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تفلت (٢)

كانه قال : ان احسنت أو اسأت لم تلامي ، وإنما حسن ان يأتي بصيغة الأمر على معنى الخبر بتوسعة التمكين لأنه بمنزلة الأمر في طلب فعل ما يتمكن الذي قد عرفه المخاطب ، كأنه قيل اعمل بحسب ما يوجبه الحق فيما مكنت من الامرين . ووجه آخر أن كل واحد من الضربين كالمأمور به في انه لا يعود وبال العائد الاعلى للمأمور . وقوله : « طوعا » فالطوع الانقياد بارادة لمن عمل عليها . والكراهة فعل الشيء بكراهة حمل عليها .

وقوله : « لن يتقبل منكم » معناه لا يجب لكم به الثواب على ذلك مثل تقبل الهدية ووجوب المكافاة وتقبل التوبة وايجاب الثواب عليها ، ومثله في كل طاعة . وقوله : « إنكم كنتم قوماً فاسقين » اخبار منه تعالى وخطاب لهؤلاء المنافقين بأنهم كانوا فاسقين متمردين عن طاعة الله فلذلك لم يقبل تقفاتهم وإنما كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله للربا ودفواً عن انفسهم .

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) مر هذا البيت في ١ : ٣٢٧ وهو في تفسير الطبري ٢ : ٢٩٤ ، ١٤ : ٢٩٣ .

ومعاني القرآن ١ : ٤٤١ .

## قوله تعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف .

## القرائة والحجة :

قرأ اهل الكوفة الا عاصما « ان يقبل » بالياء . الباقر بن ابي عمير .  
وجه قراءة من قرأ بالياء ان التأنيث ليس بحقيقي فجاز ان يذكر كقوله : « فمن جاءه موعظة » ومن قرأ بالتاء فعلى ظاهر التأنيث .

## المعنى والاعراب :

المنع امر يضاد الفعل وينافيه . والمعنى هاهنا ان هؤلاء المنافقين منعوا انفسهم ان يفعل بهم قبول نفقاتهم ، كما يقول القائل : منعه بري وعطائي .  
وقوله : « ان تقبل » في موضع نصب ، وتقديره وما منعهم من ان تقبل وحذف (من) .

وقوله : « إلا انهم كفروا بالله ورسوله » انهم في موضع رفع والعام - ل في اعراب انهم يحتمل احد امرين : احدهما - ما منعهم من ذلك إلا كفرهم . والثاني - ان يكون تقديره ما منعهم الله منه إلا لا أنهم كفروا بالله . وعندنا ان الكافر لا يقع منه الانفاق على وجه يكون طاعة ، لأنه لو أوقفها على ذلك الوجه لاستحق الثواب . والاحباط باطل ، فكان يؤدي الى ان يكون مستحقاً للثواب . وذلك خلاف الاجماع

وعند من خالفنا من المعتزلة وغيرهم يصح ذلك غير انه ينحيط بكفره . فأما الصلاة فلا يصح ان تقم منهم على وجه تكون طاعة بلا خلاف ، لأن الصلاة طريقها الشرع فمن لا يعترف بالشرع لا يصح ان يوقعها طاعة ، وليس كذلك الاتفاق ، لأن المعتزل دال على حسنه غير انهم وإن علموا ذلك لا يقم منهم كذلك على ما بيناه .

وقوله : « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى » اي يقومون اليها على وجه الكسل وذلك ذم لهم بأنهم يصلون الصلاة على غير الوجه الذي امروا به ، من النفاق الذي يبعث على الكسل عنها دون الايمان الذي يبعث على النشاط لها .

وقوله : « ولا ينفقون إلا وهم كارهون » اخبار منه تعالى بأنهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعة بل ينفقونه كارهين لذلك وذلك يقوي ما قلناه .

### قوله تعالى :

﴿ قَلَّا نَحْبِبُكَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ( ٥٥ ) آية  
بلا خلاف .

### المعنى :

هذا نهي للنبي (ص) والمراد به المؤمنون والمعنى : لا يروق ناظركم ايها المؤمنون ظاهر حسنها يعني اموال المنافقين والكفار واولادهم تستحسنونه بالطبع للبشري . وانما قلنا ذلك ، لأن النبي (ص) مع زهده لا يجوز ان يعجب بها اعجاب مشتته لها .  
وقوله : « انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » وقيل في معنى ذلك وجوه :

احدها - قال ابن عباس وقتادة والفراء : ان فيه التقديم والتأخير والتقدير

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة  
فيكون الظرف على هذا متعلقاً بأموالهم وأولادهم ، ومثله قوله تعالى : « قالقه اليهم  
ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون » ( ١ ) وتقديره قالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم  
تول عنهم .

الثاني - قال ابن زيد : معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع  
حرمان النفقة بها .

والثالث - قال الجبائي : تقديره انما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا عند  
تمكن المؤمنين من اخذها وغنمها فيتحسرون عليها ويكون ذلك جزاء على كفرهم نعم  
الله تعالى بها .

والرابع قال البلخي والزجاج : ان معناه فلا تعجبك اموالهم ، فانها وبال  
عليهم ، لأن الله يعذبهم بها اي بما يكافهم من اتفاقها في الوجوه التي امرهم بها  
فترهق انفسهم لشدة ذلك عليهم لا اتفاقهم ، وهم مع هذا كله كانوا وعاقبتهم النار  
فيكون قوله : « وهم كافرون » اخباراً عن سوء احوالهم وقلة نعم المال والولد لهم  
ولا يكون عطفاً على ما مضى .

والخامس - أن يكون المعنى ان مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب  
عليهم شديد ، لأنهم يفارقون النعم ولا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت فيكون  
حينئذ عذاباً عليهم بمعنى أن مفارقتها غم وعذاب . ومعنى « وترهق انفسهم » اي  
تهلك وتذهب بالموت يقال : زهق بضاعة فلان اي ذهبت اجمع .

السادس - قال الحسن : اخبر الله تعالى عن عاقبتهم انهم يموتون على النفاق .  
وقال : ليعذبهم بزكاتها واتفاقها في سبيل الله ، وهو قول البلخي ايضاً والزجاج مع  
اعتقادهم ان ذلك ليس بقربة ، فيكون ذلك عذاباً ألياً .

اللغة :

واللام في قوله : « ليعذبهم » يحتمل ان يكون بمعنى ان والتقدير إنما يريد الله ان يعذبهم .

والزهق الخروج بصعوبة . وأصله الهلاك ، ومنه قوله : « قل جاء الحق وزهق الباطل » (١) وكل هالك زاهق ، زهق يزهق زهوقاً . والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن ، لأنه هالك يثقل بدنه في السير ، والكر والقر . وزهق فلات بين ايدي القوم إذا زهق سابقاً لهم حتى يهلك منهم .

والاعجاب السرور بما يعجب منه تقول : اعجبني حديثه اي سرني بظرف حديثه . وليس في الآية ما يدل على ان الله تعالى اراد الكفر على ما يقوله المجبرة ، لأن قوله : « وهم كافرون » في موضع الحال كقولك اريد ان تذمه فهو كافر واريد ان تضربه وهو عاص وأنت لا تريد كفره ولا عصيانه بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه ، وتقدير الآية إنما يريد الله عذابهم وازهاق انفسهم اي اهلاكها في حال كونهم كافرين ، كما يقول القائل للطبيب : اختلف الي كل يوم وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ويقول لعلامه : اختلف الي وأنا محبوس ، ولا يريد حبس نفسه .

قوله تعالى :

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (٥٦) آية .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يقسمون بالله انهم لمنكم يعني من المؤمنين وعلى دينهم الذي يدينون به ثم قال الله تعالى مكذباً لهم : « وما هم منكم » اي ايسوا

(١) سورة الاسرى آية ٨١ .

مؤمنين مثلكم ولا مطيعين لله في اتباع دينه كما انتم كذلك واسكنهم قوم يفرقون  
 اخبار منه تعالى ان هؤلاء المنافقين يفرقون من اظهار الكفر اثلاً يقتلوا .  
 والفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر . وأصله من مفارقة الامن الى حال الانزعاج .

### قوله تعالى :

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجِئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ

يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب « أو مدخلا » بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها . وقرأ ، شاذ  
 مدخلا بضم الميم وسكون الدال .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم لو وجدوا ملجئاً . ومعناه لو ادركوا  
 مطلوبهم ، يقال : وجدت الضالة وجداناً ووجدت على الرجل وجداً وموجدة . والملجأ  
 الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل ، والمعتمصم والمنقصر .  
 وقال ابن عباس : معناه ها هنا حرزا . وقال مجاهد : أي حصناً ، ومثله يستعمل  
 في الناصر والمساعد .

وقوله : « أو مغارات » اي لو وجدوا مغارات ، وهي جمع مغارة وهي المدخل  
 العائر من دخل فيه .

وقال ابن عباس : معناه المغارات والغيران . والفار الثقب الواسع في الجبل ،  
 ومنه غارت العين من الماء إذا غابت في الأرض وغارت عينه إذا دخلت في رأسه  
 والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه وهو مفتوح من الدخول كالمتلج من  
 الولوج . وأصله متدخل .

وقال ابن عباس وأبو جعفر (ع) والفراء : المدخل الاسراب في الارض .  
 وقوله : « لولوا اليه وهم يجمعون » فالجراح مضي الماء مسرعاً على وجهه لا يرده

شيء عنه . وقال الزجاج : فرس جموح ، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام . وقيل هو المشي بين المشيين قال مهمل :

لقد جمحت جماحاً في دمائهم حتى رأيت ذوي اجسامهم جدوا (١)  
وقال الزجاج : معنى (مدخلا) اي او وجدوا قوماً يدخلون في جملتهم أو قوماً يدخلونهم في جملتهم يمتصمون بهم لفعلوا .

### قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَاِنْ اَعْطَوْا مِنْهَا رِضْوَانًا  
وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ (٥٨) آية .

قرأ يعقوب « يلمزك » بضم الميم . الباقون بكسرها ، وهما لغتان ، وهذه الآية فيها اخبار أن من جملة المنافقين الذين ذكروهم من يلمزك يا محمد (ص) في الصدقات اي يميمك في قول الحسن . واللمز العيب على وجه المساترة ، والهمز العيب - بكسر العين وهمزها - في قول الزجاج - تقول : لمزه يلمزه ويلمزه - بالكسر والضم - وهي صفتهم قال الشاعر :

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وان تغيبت كنت الهامز الهمزة (٢)  
وقال رؤبه :

قاربت بين عنقي وجمزي في ظل عصري باطلي ولمزي (٣)  
وقال ابو عبيدة : يلمزك معناه يميمك . وقال قتادة : معناه بطعن عليك .

(١) مجمع البيان ٥ : ٤٠ ، طبع ايران سنة ١٣٧٣ .

(٢) قائله زياد الاعمى مجاز القرآن ١ : ٢٦٣ واللسان وهمز ، ومقاييس اللغة ٦ : ٦٦ والطبرى ١٤ : ٣٠١ وفيه اختلاف كثير في الرواية .

(٣) ديوانه : ٦٤ وتفسير الطبرى ١٤ : ٣٠٠ .

والهمز الغيبة . ومنه قوله : « هاز مشاء بنميم » . وقبل لاعرابي : انهمز الفأرة ؟ قال :  
 الهز يهزها ، فأوقع الهمز على الاكل ، والهمز كالهمز ، ومنه قوله : « ايجب احدكم  
 ان يأكل لحم اخيه ميتا » . والصدقات جمع صدقة وهي العطية للفقير على وجه البر  
 والصلة . والصدقة الواجبة في الأموال حرام على رسول الله [وأهل بيته] صلى الله عليه  
 وآله كأنهم جعلوا في تقدير الاغنياء ، فأما البر على وجه التطوع فهو مباح لهم .  
 وقوله : « فان اعطوا منها رضوا » يعني من الصدقات رضوا بذلك وحمدوك  
 عليه « وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » يعني إذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات  
 سخطوا وغضبوا . والصدقة محرمة على من كان غنياً .

واختلفوا في حد الغني ، فقال قوم : هو من ملك نصاباً من الماء . وقال آخرون :  
 هو من كانت له مادة تكفيه ، ملك النصاب أو لم يملك ، والذي كان يلمز النبي (ص)  
 في الصدقات بلمعة بن حاطب ، وكان يقول : إنما يعطي محمد الصدقات من يشاء فربما  
 اعطاه النبي (ص) فيرضى وربما منعه فسخط فتكلم فيه فنزلت الآية فيه .

### قوله تعالى :

﴿ وَكَوَّأَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا

اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٥٩)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات  
 وعابوك بها لو رضوا بما اعطاهم الله ورسوله « وقالوا » مع ذلك « حسبنا الله » اي  
 كما انا الله وانه سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا : « انا  
 الى الله راغبون » والجواب محذوف والتقدير لكان خيراً لهم واعدود عليهم وحذف



الجواب في مثل هذا ابلغ لأنه لتأكيد الخبر به استغنى عن ذكره .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه ليست الصدقات التي هي زكاة الاموال إلا للفقراء والمساكين ومن ذكرهم في الآية .

واختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين ، فقال ابن عباس والحسن وجابر وابن زيد والزهري ومجاهد : الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل ، ذهبوا الى انه مشتق من المسكنة بالمعالة . وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : ( ليس للمسكين الذي تردّه الا كلة والا كلتان والتمرتان ولا يكن المسكين الذي لا يجد غنى فيغنيه ولا يسأل الناس الخافاً ) . وقال قتادة : الفقير ذو الزمانة من اهل الحاجة . والمسكين من كان صحيحاً محتاجاً . وقال قوم : هما بمعنى واحد إلا انه ذكر بالصفتين لتأكيد امره قال الشاعر :

انا الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبب (١)

ويسمى المحتاج فقيراً تشبيهاً بأن الحاجة كأنها قد كسرت فقار ظهره يقال : فقر الرجل فقراً وأفقره الله افتقاراً وافتقر افتقاراً ، وتفاقر تفاقراً . وسمى المسكين بذلك تشبيهاً بأن الحاجة كأنها سكنة عن حال اهل السعة والثروة . وقال الله تعالى :

(١) اللسان ( وفق ) . الحلوبة : الناقة التي تحلب . ( وفق العيال ) على قدر حاجتهم و ( السبب ) كناية عن القليل . وأصله الوز ، وهو الشعر الضعيف .

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر » (١) فمن قال : المسكين احسن حالا احتج بهذه الآية. ومن قال لها سواء قال : السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم الشيء اليسير .

وقوله : « والعاملين عليها » يعني سعاة الزكاة وجباتها ، وهو قول الزهري وابن زيد وغيرهم .

وقوله : « والمؤلفة قلوبهم » معناه اقوام اشراف كانوا في زمن النبي (ص) فكان يتألفهم على الاسلام ويستعين بهم على قتال غيرهم ويعطيهم منها من الزكاة. وهل هو ثابت في جميع الاحوال ام في وقت دون وقت ؟ فقال الحسن والشامي : ان هذا كان خاصاً على عهد رسول الله (ص) . وروى جابر عن ابي جعفر محمد بن علي (ع) ذلك . واختار الجبائي انه ثابت في كل عصر الا ان من شرطه ان يكون هناك امام عدل يتألفهم على ذلك .

وقوله : « وفي الرقاب » يعني المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشتري به عبد مؤمن إذا كان في شدة ويعتق من مال الزكاة ، ويكون ولاؤه لارباب الزكاة ، وهو قول ابن عباس وجعفر بن مبشر .

وقوله : « والغارمين » قال مجاهد وقتادة والزهري وجميع المفسرين ، وهو قول ابي جعفر (ع) انهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا إسراف فتقضى عنهم ديونهم ، و« في سبيل الله » يعني الجهاد بلا خلاف ، ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين ، وهو قول ابن عمر وعطاء . وبه قال الباخي ، فإنه قال : تبني به المساجد والقناطر وغير ذلك ، وهو قول جعفر بن مبشر . و« ابن السبيل » وهو المسافر المنقطع به فإنه يعطى من الزكاة وان كان غنياً في بلده من غير ان يكون ديناً عليه ،

وهو قول مجاهد وقتادة قال الشاعر :

انا ابن الحرب ربتي وليدأ  
الى ان شبت واكتهلت لداتي (١)  
وقال بعضهم : جعل الله الزكاة لامرين : احدهما - سدخلة . والآخر - تقوية  
ومعونة لمر الاسلام . واستدل بذلك على ان المؤلفات قلوبهم في كل زمان .  
واختلفوا في مقدار ما يعطى الجاني للصدقة ، فقال مجاهد والضحاك : يعطى  
الثلث بلا زيادة . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وابن زيد : هو على قدر  
عمالته ، وهو المروي في اخبارنا .

وقال ابن عباس وحذيفة وعمر بن الخطاب وعطاء وابراهيم وسعيد بن جبير ،  
وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام : ان لقاسم الزكاة ان يضمها في اي  
الاصناف شاء .

وكان بعض المتأخرين لا يضمها الا في سبعة اصناف لأن المؤلفات قد اقرضوا .  
وان قسمها الانسان عن نفسه ، ففي ستة لأنه بطل سهم العامل ، وزعم انه لا يجزى  
في كل صنف اقل من ثلاثة . وعندنا ان سهم المؤلفات والسماه وسهم الجهاد قد سقط  
اليوم ، ويقسم في الخمسة الباقية كما يشاء رب المال وان وضعها في فرقة منهم جاز .  
وقوله : « فريضة من الله » نصب على المصدر اي فرض ذلك فريضة وكان  
يجوز الرفع على الابتداء ولم يقرأ به ، ومعناه ان ما فرضه الله وقدره واجب عليكم .  
وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بمصالحكم حكيم فيما يوجبه عليكم من  
اخراج الصدقات وغير ذلك .

(١) لم اعرف قائله . تفسير الطبري ١٤ : ٣٢٠ ، وجمع البيان ٥ : ٤٢ طبعة

## قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنٌ قل اذنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ( ٦١ )  
آية بلا خلاف .

قرأ نافع « اذن خير » بالتخفيف الباقون بالثقل وكلمه اضاف ، ورفع ورحمة الا ابا عمرو ، فانه جر ( ورحمة ) ، وكان يجوز النصب على ( ورحمة ) يفعل ذلك . ولم يقرأ به احد .

## اللغة والاعراب :

قال ابو علي : تخفيف اذن من اذن قياس مطرد نحو طنب وطلب ، وعنق وعنق وظفر وظفر لأن ذلك تخفيف وتثقيب لا تماقها في الوزن وفي جمع التفسير تقول اذان وأطناب وأعناق وأظفار ، فأما الاذن في الآية فانه يجوز ان يطلق على الجملة وان كان عبارة عن جارحة فيها ، كما قال الخليل في الناب من الابل سميت به لمكان الناب البازل فسميت الجملة كلها به . ويجوز ان يكون ( فعلا ) من اذن يأذن اذا استمع . ومعناه انه كثير الاستماع مثل شلل وانف وشحج ، قال ابو زيد : رجل اذن ويقن اذا كان يصدق بكل ما يسمع فكما ان يقن صفة كبطل كذلك اذن كشلل ويقولون اذن يأذن اذا استمع . ومنه قوله : « واذنت لربها » ( ١ ) اي استمعت . وقوله : « ائذن لي » اي استمع . وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغني بالقرآن

قال الشاعر :

في سماع يأذن الشيخ له      وحديث مثل مأذى مشار (١)  
 والمعنى - في الاضائة - مستمع خير لكم وصلاح ، ومصنع اليه لا مستمع شر  
 وفساد ومن رفع (رحمة) فالعنى فيه اذن خير ورحمة اي مستمع خير ورحمة ، فجملة  
 للرحمة لكثرة هذا المعنى فيه ، كما قال : « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢) ويجوز  
 ان يقدر حذف المضاف من المصدر . وأما من جر فمطفه على (خير) كأنه قال اذن خير  
 ورحمة ، وتقديره مستمع خير ورحمة . وجاز هذا كما جاز مستمع خير ، لأن الرحمة من  
 الخير وإنما خص تشریفاً ، كما قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ثم قال : « خلق  
 الانسان من علق » (٣) وان كان قوله تعالى : « خلق » عم الانسان وغيره . والبعد  
 بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف ألا ترى ان من قرأ « وقيله يارب »  
 انما جمعه عطفاً على « وعنده علم الساعة » وعلم قبيله .

وروي ان الاعمش قرأ قل « اذن خير ورحمة » وهي قراءة ابن مسعود .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان من جملة هؤلاء - المنافقين الذين وصفهم  
 وذكرهم - من يؤذي النبي (ص) والأذى هو ضرر ربما تنفر منه النفس في عاجل  
 الامر وانهم يقولون هو اذن يعنون النبي (ص) ومعنى ( اذن ) انه يصفني الى كل  
 احد فيقبل ما يقوله - في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك - وقيل اصله من  
 اذن اذا استمع على ما بيناه قال عدي بن زيد :

ايها القلب تعلق بددن      ان همي في سماع واذن (٤)

(١) اللسان ( اذن ) نسبة الى ( عدى ) .

(٢) سورة الانبياء آية ١٠٧ . (٣) سورة العلق آية ٢ .

(٤) اللسان ( اذن ) وامالى المرتضى ١ : ٣٣ وتفسير الطبرى ١٤ : ٣٢٥ .

وقيل السبب في ذلك : ان قوماً من المنافقين تكلموا بما ارادوه ، وقالوا ان بلغه اعتذرتنا اليه ، فانه اذن يسمع ما يقال له ، فقال الله تعالى : « قل » يا محمد « اذن خير لكم ، لا اذن شر ، وليس بمعنى اقبل . وانما معناه اذن صلاح ولو رفع خيراً لكان معناه اصلح ، وهي قراءة الحسن والاعشى والبرجمي . وانما قال بعد ذلك : « يؤمن بالله » لأن معناه انه لا يمانه بالله بعمل بالحق فيما يسمع من غيره . وقيل يصغى الى النوحى من قبل الله .

وقوله : « ويؤمن للمؤمنين » قال ابن عباس : معناه ويصدق المؤمنين . وقيل دخلت اللام كما دخلت في قوله : « ردف لكم » (١) وتقديره ردفكم ، واللام مقحمة ومثله « لرهبون » (٢) ومعناه يرهبون رهبهم . واللام مقحمة .

وقال قوم : دخلت اللام لافرق بين ايمان التصديق وايمان الامان .

وقوله : « ورحمة للذين آمنوا منكم » يعني ان النبي (ص) رحمة للمؤمنين منكم وانما خص المؤمنين بالذكر وان كان رحمة للكفار ايضاً من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفار . ثم قال : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم » اي مؤلم موجه جزاء لهم على اذاهم للنبي (ص) .

### النزول :

وقال ابن اسحاق : نزلت هذه الآية في نبتل بن الحارث كان يقول : اني لانا من محمد ما شئت . ثم آتته اعتذر اليه وأحلف له فيقبل فجاء جبرائيل الى رسول الله (ص) فقال : انه يجلس اليك رجل ادلم نائر شعر الرأس اسفم الخدين احمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده اغلظ من كبده الجمل ينقل حديثك الى المنافقين فأحذره ، وكان ذلك صفة نبتل بن الحارث من مناقبي الانصار ، فقال

(١) سورة النحل آية ٧٢ . (٢) سورة الاعراف آية ١٥٣ .

رسول الله (ص) من اختار أن ينظر الى الشيطان فليتنظر الى نبتل بن الحارث ، ذكره ابن اسحاق .

### قوله تعالى :

﴿ يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢) آية .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين يتسمون بالله انهم على دينكم وأن الذي بلغكم عنهم باطل « ليرضوكم » ومعناه يريدون بذلك رضاكم لتحمدوهم عليه . ثم قال تعالى : « والله ورسوله احق ان يرضوه » اي الله ورسوله أولى بأن يطلبوا مرضاتها « ان كانوا مؤمنين » مصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه .

والفرق بين الاحق والاصح ان الاحق قد يكون موضعه غير الفعل ، كقولك : زيد احق بالمال . والاصح لا يقع هذا الموقع ، لأنه من صفات الفعل . وتقول : الله احق ان يطاع ولا تقول اصح .

وقيل في رد ضمير الواحد في قوله : « والله ورسوله احق ان يرضوه » قولان : احدهما - انه لما كان رضا رسول الله رضا الله ترك ذكره ، لأنه دال عليه والتقدير والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف (١)

والثاني - انه لا يذكر على طريق المجمل مع غيره تعظيما له بافراد الذكر المعظم بما لا يجوز إلا له ، ولذلك قال النبي (ص) لمن سمعه يقول : ( من اطاع الله ورسوله هدى ومن عصمه فقد غوى ) وانما اراد ما قلناه .

## قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ

جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٣) آية بلاخلاف .

يقول الله تعالى على وجه التهديد والتقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين « ألم يعلموا » اي أو ما علموا « انه من يحادد الله » اي يجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ان لا يتجاوزوها، فالمحادة مجاززة الحد بالمشاققة ومثله المباعدة . والمعنى مصيرهم في حد غير حد أولياء الله . فالمخالفة والمحادة والمجانبة والمعاداة نظائر في اللغة .

وانما قال : لمن لا يعلم « ألم يعلموا » لاحد امرين :

احدهما - على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه .

والآخر - انه يجب ان تعلموا الآن هذه الاخبار .

وقال الجبائي : معناه ألم يخبرهم النبي (ص) بذلك .

وقوله : « فان له نار جهنم » يحتمل ان يكون على التكرير ، لأن الأولى

للتأكيد مع طول الكلام ، وتقديره فله نار جهنم او فان له نار جهنم . قال الزجاج :

ولو قرئ . فان بكسر الهمزة على وجه الاستئناف ، كانت جائزاً غير انه لم يقرأ

به احد .

وقوله : « ذلك الخزي العظيم » معناه ذلك الذي ذكرناه من ان له نار جهنم

هو الخزي يعني الهوان بما يستحق من مثله . تقول : خزي خزيا اذا انقمع للهوان

فأخزاه اخزاه وخزيا .

## قوله تعالى :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا



فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ آية  
بلاخلاف .

قيل في معنى يحذر المنافقون قولان :

أحدهما - قال الحسن ومجاهد واختاره الجبائي : ان معناه الخبر عنهم بأنهم  
كانوا يحذرون ان تنزل فيهم آية يفتضحون بها - لا أنهم كانوا شاكين ، حتى قال  
بمضممهم : لوددت ان اضرب كل واحد منكم مئة ولا ينزل فيكم قرآن ذكره ابو جعفر  
وقال : نزلت في رجل يقال له مخشى بن الحمير الاشجعي .

الثاني - قال الزجاج : انه تهديد ومعناه ليحذروا ، وحسن ذلك لأن موضوع

الكلام على التهديد .

والحذر اعداد ما يتقي الضرر ، ومثله الخوف والفرع تقول : حذرت جذرا  
وتحذرت تحذرا وحاذره محاذرة وحذاراً وحذره تحذيراً . والمنافق الذي يظهر من  
الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر واشتق ذلك من نفاقه اليربوع لأنه يخفي باباً  
ويظهر باباً ليكون إذا أتى من أحدهما خرج من الآخر .

وقوله : « تنبئهم بما في قلوبهم » اي تخبرهم ، غير ان تنبئهم يتعدى الى ثلاثة

مفاعيل بمنزلة اعلمت .

وقوله : « قل استهزؤا » أمر للنبي (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين (استهزؤا)

اي اطلبوا الهزء والهزء اظهار شيء وابطان خلافه للتهزؤ به وهو بصورة الأمر  
والمراد به التهديد .

وقوله : « ان الله يخرج ما تحذرون » اخبار من الله تعالى ان الذي تخافون

من ظهوره فان الله يظهره بأن يبين لنبيه (ص) باطن حالهم ونفاقهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَاتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ لِيَكُونُوا بِلَهُمْ رَبَّاءُ وَيَسْتَعِزُّوا بِهِمْ فَانْتَبَسُوا وَاثْمًا وَيَتْلَوْهُنَّ عِزًّا وَقَالُوا هَؤُلَاءِ ضَلُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٦٥) آية .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) فأقسم ، لأن اللام لام القسم بأنك يا محمد (ص) ان سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به ، ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قال الحسن وقتادة: هؤلاء قالوا في غزاة تبوك : أبرجوا هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحضونها هيهات هيهات ، فأطمع الله نبيه (ص) على ما قالوه ، فلما سألهم النبي عن ذلك على وجه التأنيب لهم والتقبيح لفعالهم لم طعنتم في الدين بالباطل والزور فأجابوا بما لا عذر فيه بل هو وبال عليهم بأننا كنا نخوض ونلعب .

والخوض دخول القدم فيما كان مأتماً من الماء او الطين هذا في الأصل ثم كثر حتى صار في كل دخول منه اذى وتلوث . والعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتحصيل اللذة من غير سראطة الحكمة كفعل الصبي ، وقالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره .

فقال الله تعالى لنبيه (ص) : «قل لهم» أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن» قال ابو علي: ذكر الاستهزاء هاهنا مجاز ، لا نه جعل الهزه بالمؤمنين وآيات الله هزه آ بالله . والهزه ايها امر على خلاف ما هو به استصغاراً لصاحبه .

### قوله تعالى :

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدَهُمْ بَاطِلٌ فَاسِدٌ ﴾ (٦٦) آية بلا خلاف .

## القراءة والحجّة :

قرأ عاصم « ان نعف » بنون مفتوحة وضم الفاء « نعتب » بالنون وكسر  
الذال « طائفة » بالنصب . الباقيون بضم الياء في يعف . « نعتب طائفة » بضم التاء  
ورفع طائفة .

من قرأ بالنون فلقوله تعالى : « ثم عفونا عنكم » (١) . ومن قرأ بالتاء ، فالمعنى  
ذاك بعينه . وأما « نعتب » فمن قرأ بالتاء ، فلان الفعل في اللفظ مسند الى مؤنث .

## المعنى :

قوله تعالى : « لا تمتدروا » صورته صورة النهي والمراد به التهديد . والمراد  
ان الله تعالى امر نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يخلفون بأثامهم ، ما قالوا  
ما قالوه إلا لعباً وخوضاً على وجه التهزئ . « آيات الله » لا تمتدروا « بالمعاذير الكاذبة  
فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه  
مؤمن ، ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ، ثم يرتدون لما  
قلناه في غير موضع : ان المؤمن لا يجوز عندنا ان يكفر لأنه كان يؤدي الى اجتماع  
استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم ، لبطلان التحابط . والاجماع يمنع من ذلك .  
والاعتذار اظهار ما يقتضى العذر . والعذر ما يسقط الذم عن الجنابة ، وقوله :  
« ان نعف عن طائفة منكم نعتب طائفة » اخبار منه تعالى انه ان عفا عن قوم منهم  
إذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا ، والعفو رفع التبعة عما وقع من المصيبة وترك  
العقوبة عليها . ومثله الصفح والغفران .

وقوله : « بأنهم كانوا مجرمين » معناه انه انما يعذب الطائفة التي يعذبها  
لكونها مجرمة مذنبه مرتكبة لما يستحق به العقاب . والاجرام الانقطاع عن الحق

الى الباطل ، وأصله الصرم تقول : جرم الثمر يجرمه جرماً وجراماً إذا صرمه . والجرم مصرم الحق بالباطل وتجرمت السنة إذا تصرمت قال البيد :

دمن تجرم بمـد عهد انيسها حجج خلون حلالها وحرامها (١)

قال الزجاج والفراء : نزلت الآية في ثلاثة نفر فهزي . اثنان وضحك واحد قال ابن اسحاق : كان الذي عفا عنه نخشى بن حصين الاشجعي حليف بني سلمة ، لأنه انكر منهم بعض ما سئم فجمعت طائفة للواحد ويراد بها نفس طائفة . وأما في اللغة فيقال للجماعة طائفة ، لأنهم يطيفون بالشيء .

وقوله تعالى : « وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين » (٢) يجوز ان يراد به واحد على ما فسرناه .

### قوله تعالى :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ أَسْأَأَ لِلَّهِ  
فَدَسِيحُهُمْ إِنْ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى بأن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويسرون الكفر بعضهم من بعض . والمعنى ان بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق ، كما يقول القائل لغيره انت مني وأنا منك . والمعنى ان امرنا واحد لا ينفصل . وقيل بعضهم من بعض فيما يلحقهم من مقت الله وعذابه اي منازلهم متساوية في ذلك ثم أخبر ان هؤلاء المنافقين يأمرن غيرهم بالمنكر الذي نهى الله عنه وتوعد عليه من الكفر بالله ونبهه وجحد آياته

(١) اللسان «جرم» .

(٢) سورة النور آية ٢ .

« وينهون عن المعروف » يعني الأفعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها ، وأنهم يقبضون أيديهم أي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته ، وهو قول قتادة .

وقال الحسن ومجاهد : أراد امساكها عن الاتفاق في سبيل الله .

وقال الجبائي : أراد به امساك الأيدي عن الجهاد في سبيل الله .

وقوله : « نسوا الله فأنسيهم » معناه تركوا أمر الله يعني صار بمنزلة المنسي بالسهو عنه فجازاهم الله بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وذكر ذلك لازدواج الكلام .

وقال قتادة : « نسوا » أي نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر .

ثم أخبر تعالى فقال : « إن المنافقين » الذين يخادعون المؤمنين بانظار الإيمان مع ابطائهم الكفر هم الخارجون عن الإيمان بالله وبرسوله وعن طاعاته « هم الفاسقون » .

### قوله تعالى :

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴾ (٦٨) آية .

أخبر الله تعالى بأنه « وعد المنافقين والمنافقات » الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر « نار جهنم » يعاقبون فيها أبد الآبدين وكذلك الكفار الذين يتولونهم ، وهم على ظاهر الكفر فلذلك افردهم بالذكر ليعلم ان الفريقين معاً يتناولهم الوعيد .  
وتقول : وعده بالشر وعيداً ووعدته بالخير وعداً وأوعده ايماداً وتوعده توعداً في الشر لا بالخير ، ووعدته مواعدة وتواعدوا تواعداً .

وقوله : « هي حسبهم » يعني نار جهنم والعقاب فيها كافيتهم ، ولعنهم الله يعني

ابعدهم الله من جنته وخيره « ولهم » مع ذلك « عذاب مقبم » ومعناه دائم لا يزول وقيل معنى « هي حسبهم » أي هي كفاية ذنوبهم ، ووظا. لجزاء عملهم واللعن الابداد من الرحمة عقاباً على المعصية ، ولذلك لا يقال لعن البهيمة كما لا يدعها بالعفو .

### قوله تعالى :

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخِلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخِلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعْتُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخِلَاقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ كَمَا نُذِي خَاضُوا وَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٩) آية

بلا خلاف .

الكاف في قوله : « كالذين » في موضع نصب ، والتقدير احذروا ان يحل بكم من العذاب والمعقوبة كالذين .

ويحتمل ان يكون المراد وعدكم الله على الكفر كما وعد الذين من قبلكم ، فشبه المنافقين في عدوهم عن امر الله للاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلكم مع ان عاقبة امر الفريقين يؤل الى العقاب مع ان الأولين كانوا أشد من هؤلاء قوة في ابدانهم وأطول اعماراً وأكثر اموالاً وأشد تمكيناً فلم يقدرُوا ان يدفعوا عن نفوسهم ما حصل بهم من عقاب الله .

وقوله : « فاستمتعوا بخلاقهم » فلا استمتاع هو طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح . ومعناه انهم تمتعوا بنصيبهم من الخير العاجل وباعوا بذلك الخير الآجل فهلكوا بشر استبدال ، كما تمتعتم ايها المنافقون بخلاقكم اي بنصيبكم والخلاق النصيب سواء كان عاجلاً او آجلاً .

وقوله : « وخضتم كالذي خاضوا » خطاب للمنافقين بأن قيل لهم خضتم في الباطل والكذب على الله كالذين بايعوهم على ذلك من المنافقين وغيرهم من الكفار « حبطت اعمالهم » لأنهم كانوا اوقفوها على خلاف ما امرهم الله به فلم يستحقوا عليها نواباً بل استحقوا عليها العقاب ، فلذلك كانوا خاسرين انفسهم ومهلكين لها بفعل المعاصي المؤدي الى الهلاك .

وروي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : ما شبه الليلة بالبارحة كذلك من قبلكم هؤلاء بنوا اسرائيل لشبهنا بهم لا اعلم إلا انه قال : ( والذي نفسي بيده لتقبضهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضبل دخلتموه ) ومثله روي عن ابي هريرة عن النبي (ص) وعن ابي سعيد الخدري مثله .

### قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ \* وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧٠) آية في الكوفي والبصري وايتان في المدينيين . آخر الاولي « وثمرود » .

قوله : « الم » صورته صورة الاستفهام ، والمراد به التقرير والتحذير . وانما حسن في الاستفهام أن يخرج الى معنى التقرير لأن الاحتجاج بما يلزمهم الاقرار به فقال الله تعالى مخاطباً لنبيه : الم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم خبر من كان قبلهم من قوم نوح وعاد وثمرود وقوم ابراهيم واصحاب مدين ، على وجه الاحتجاج عليهم فيتعظوا ، لأن الامم الماضية والقرون السالفة إذا كان الله تعالى إنما اهلكها ودمرها لتكذيبها رسلها كان ذلك واجباً في كل امة ساوونهم في هذه العلة ، فأقل احوالهم

ألا يأمنون ان ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك .

قال الرماني : والحكمة تقتضى إذا تساوى جماعة في استحقاق العقاب ان لا يجوز العفو عن بعضهم دون بعض مع تساويهم في الاحوال . وانما يجوز المدول من قوم الى قوم في ا الواحد منا للحاجة ، وهذا يتم على قول من يقول بالأصلح ومن لا يقول بذلك يقول : هو متفضل بذلك ، وله ان يتفضل على من يشاء ولا يلزم ان يفعل ذلك بكل مكلف .

وقوله : « والمؤتفات » قال الحسن وقتادة : هي ثلاث قرىات لقوم لوط ولذلك جمعها بالالف والتاء . وقال في موضع آخر : « والمؤتفة اهوى » (١) فجاء به على طريق الجنس . قال الزجاج : معناه ائتمكت بأهلها انقلبت . ومدبن ابن ابراهيم اسم له . وقوله : « اتتهم رسالهم بالبينات » معناه جاءت هؤلاء المذكورين الرسل من عند الله معها حجج ودلالات على صدقها فكذبوا بها فأهلكهم الله ، وحذف لدلالة الكلام عليه . ثم قال : « فما كان الله ليظلمهم » اي لم يكن الله ظالماً لهم بهذا الاهلاك « ولكن كانوا انفسهم يظلمون » بأن فعلوا من الكفر والمعاصي ما استحقوا به الهلاك .  
وقيل : ان الله تعالى اهلك قوم نوح بالفرق . وأهلك عاداً بالريح الصرصر العاتية وأهلك عمود بالرجفة والصاعقة . وأهلك قوم ابراهيم بالتشتيت وسلب الملك والنعمة وأهلك اصحاب مدين بعذاب يوم الظلة . وأهلك قوم لوط بانقلاب المرض كل ذلك عدلاً منه على من ظلم نفسه ، وعصى الله واستحق عقابه .

قوله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ



وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

(٧١) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بأن بعضهم من بعض بالاتفاق والتعاقد .  
 اقتضى ان يذكر المؤمنين ، ويصفهم بضد اوصافهم ، فقال تعالى : « والمؤمنون  
 والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » اي يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وان يواليه  
 وقال الرماني : العقل يدل على وجوب موالاتة المؤمنين بعضهم بعضاً ، لأنها تجري  
 مجرى استحقاق الحمد على طاعة الله والذم على معصيته . ولا يجوز ان يرد الشرع  
 بخلاف ذلك . وإذا قلنا : المؤمن ولي الله معناه انه ينصر اولياء الله وينصر دينه والله  
 وليه بمعنى اولى بتدبيره وتصريفه وفرض طاعته عليه . ثم قال : « يأمرون بالمعروف »  
 يعني المؤمنين يأمرون بما اوجب الله نعله او رغب فيه عقلاً او شرعاً وهو المعروف  
 « وينهون عن المنكر » وهو ما نهى الله تعالى عنه وزهد فيه إما عقلاً او شرعاً .  
 ويضيفون الى ذلك اقامة الصلاة اي اتيانها بكاملها والمداومة عليها ويخرجون زكاة  
 اموالهم حسب ما اوجبها الله عليهم ، ويضعونها حيث امر الله بوضعها فيه ويطيعون  
 الله ورسوله اي يمتثلون امرها ويقبضون ارادتها ورضاها .

ثم قال : « اولئك سيرحمهم الله » يعني المؤمنين الذين وصفهم ان ستناهم في  
 القيامة رحمة .

ثم اخبر عن نفسه فقال : « ان الله عزيز حكيم » فالعزيز معناه قادر لا يغلبه  
 احد من الكفار والمنافقين حكيم في عقاب المنافقين واثابة المؤمنين ، وغير ذلك من  
 الافعال . وانكار المنكر يجب بلا خلاف سمماً وعليه الاجماع وكذلك الأمر بالمعروف  
 واجب ، فأما العقل فلا يدل على وجوبها اصلاً ، لأنه لو وجب ذلك لوجب ان  
 ينعى الله من المنكر لکن يجب على المكلف اظهار كراهة المنكر الذي يقوم مقام النهي

عنه . وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الاعيان لأن الله تعالى جعل ذلك من صفات المؤمنين ، ولم يخص قوماً دون قوم .

### قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأنه كما وعد المائةين بنار جهنم والخلود فيها ، كذلك وعد المؤمنين المعترفين بوحديته وصدق رسله وكذلك المؤمنات جنات يمني بساتين يجنهنها الشجر تجري من تحتها الأنهار ، وتقديره تجري من تحت اشجارها الأنهار . وقيل انها الجنة اخايد في الأرض ، فلذلك قال : « من تحتها » وانهم فيها خالدون اي دائمون « ومسكن طيبة » معناه وعدهم مسكن طيبة . والمسكن الموضع الذي يسكن .

وروي الحسن انها قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر مبنية بهذه الجواهر .

وقوله : « في جنات عدن » فالعدن الإقامة والخلود ، ومنه المعدن قال الاعشى :

وان يستضافوا الى حلمه  
يضافوا الى راجح قد عدن (١)

وروي انها جنة لا يسكنها إلا النبيون والشهداء والصالحون .

وقوله : « رضوان من الله اكبر » قال الرماني : الرضوان معنى يدعو الى

(١) ديوانه : ١٦ ، القصيدة ٢ وروايته ( هادن قد رزن ) بدل « راجح قد

عدن ، وتفسير الطبري ١٤ : ٣٥٠ ، واللسان « وزن » ، ومجاز القرآن ١ : ٢٦٤ .

الحمد بالاجابة يستحق مثله بالطاعة فيما تقتضيه الحكمة . وانما رفع رضوان لانه استأنفه للمعظم كما يقول القائل : اعطيتك ووصلتك ثم يقول : وحسن رأي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك .

وقوله : « ذلك هو الفوز العظيم » معناه هذا النعيم الذي وصفه هو النجاح العظيم الذي لا شيء فوقه ولا اعظم منه .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصِيرُ (٧٣) آية بلاخلاف .

امر الله تعالى في هذه الآية نبيه (ص) ان يجاهد الكفار والمنافقين . والجهاد هو ممارسة الأمر الشاق والجهاد يجب باليد واللسان والقلب فمن امكنه الجميع وجب عليه جميعه . ومن لم يقدر باليد فباللسان فان لم يقدر فبالقلب . واختلفوا في كيفية جهاد الكفار والمنافقين .

فقال ابن عباس : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف ، وهو قول الجبائي .

وقال الحسن وقتادة : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باقامة الحدود عليهم ، وكانوا اكثر من يصيب الحدود .

وقال ابن مسعود : هو بالانواع الثلاثة حسب الامكان فان لم يقدر فليكفر في وجوههم وهو الاعم .

روي في قرآنة اهل البيت (ع) « جاهد الكفار بالمنافقين » .

وقوله : « واغلظ عليهم » امر منه تعالى لنبيه ان يقوي قلبه على احلال الالم بهم واسماعهم الكلام الغليظ الشديد ولا يرق عليهم . ثم قال : « وماؤاهم جهنم » اي

منزلهم جهنم ومقامهم والمأوى منزل مقام ، لا منزل ارتحال . ومثله المنوى والمسكن .  
وقوله : « وبئس المصير » اخبار منه تعالى ان مرجع هؤلاء وما لهم بئس  
المرجع والمآل .

### قوله تعالى :

﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا  
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يَمْتَأُونَ وَمَا تَنقَمُوا الْمَالَ أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا  
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) آية بلا خلاف .

### النزول :

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال عروة وابن اسحاق ومجاهد : إنها  
نزلت في الخلاس بن سويد بن الصامت بأنه قال : فان كان ما جاء به محمد حقاً لنحن  
شراً من الحجر ، ثم حلف بالله انه ما قال .  
وقال قتادة : نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حين قال : ان رجعتنا الى المدينة  
ليخرجن الاعز منها الاذل .

وقال الحسن : كان ذلك في جماعة من المنافقين .

وقال الواقدي والزجاج : نزلت في اهل العقبة فانهم ائتمروا أن يقتلوا رسول  
الله في عقبة في الطريق مرجعهم من تبوك . وأرادوا ان يقطعوا اتصاع راحتته ، واطلمه  
الله على ذلك ، وكان ذلك من معجزاته (ص) لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي

من الله تعالى ، فمار رسول الله في العقبة وحده وأمر الناس كلهم بحلوك بطن الوادي وكانوا اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه . وعرفهم واحداً واحداً وعمار بن ياسر، وحذيفة ، كان احدهما يقود ناقه رسول الله والآخر يسوقها، والحديث مشروح في كتاب الواقدي .

وقال ابو جعفر (ع) كانوا ثمانية من قريش وأربعة من العرب .

المعنى :

وقوله : « وهموا بما لم ينالوا قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها قال مجاهد : هم المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول الله .

الثاني قال قتادة : هموا بما ذكر في قوله : « ليخرجن الأعراس منها الأذل »

فلم يبلغوا ذلك .

والثالث عن مجاهد انهم هموا بقتل من انكر عليهم ذلك .

وقال بعضهم : كان المنافقون قالوا : او رجعنا وضمنا التاج على رأس عبد الله

ابن ابي فلما ارفقوا على ذلك حلفوا بأنهم ما قالوا ذلك ولا هموا به ، فاخبر الله تعالى

عن حالهم انهم يحلفون بالله ما قالوا ، ثم اقسم تعالى بأنهم قالوا ذلك ، لأن لام لقد

لام القسم ، وأنهم قالوا كلمة الكفر ، وهي كل كلمة فيها جحد لنعم الله او بلغت

منزاتها في العظم ، وكانوا يطعنون في الاسلام والنبوة وأخبر انهم هموا بما

لم يبلغوه .

والهم مقاربة الفعل بتغليب في النفس تقول : هم بالشيء . بهم همأ ، ومنه قوله :

« ولقد هممت به وهم بها » (١) وليس الهم من العزم في شيء إلا ان يبلغ نهاية العزم

في النفس . والنيل لحوق الأمر . ومنه قوله : « نال السيف ونال ما اشتهى او قدر او

(١) سورة يوسف آية ٢٤ .

تمنى ، فهؤلاء قدّروا في انفسهم من كيد الاسلام لم يبلغوه .  
 وقوله : « وما نعموا إلا ان اغنام الله ورسوله من فضله » يعني ما فتح الله  
 عليهم من الفتوح وأخذ الغنائم واستغنوا بعد ان كانوا محتاجين . وقيل في معناه  
 قولان :

احدهما - انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى ان نعموه  
 قال الشاعر :

ما نعموا من بني امية إلا انهم يحلمون ان غضبوا (١)  
 والآخر - انهم بطروا النعمة بالغنى فنعموا بطراً واشراً فهم لا يفعلون بهذه  
 الحال ، ولا بعدها . والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما ، والتفضل هو الزيادة من  
 الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وأن لا يفعله .

ثم قال تعالى : « فان يتوبوا » هؤلاء المنافقين ويرجعوا الى الحق « يك خيراً  
 لهم » في دينهم ودينهم ، فانهم يتألون بذلك رضا الله ورسوله والجنة « وأن يتولوا »  
 اي يمرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق الصحيح « يعذبهم الله عذاباً أليماً »  
 اي مؤلماً « في الدنيا » بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وأنواع المصائب « وفي  
 الآخرة » بعذاب النار « وما لهم في الارض » اي ليس لهم في الارض « ولي » اي  
 محب « ولا نصير » يعني من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله .  
 وقيل : ان خلاصاً تاب بعد ذلك ، وقال : استثنى الله تعالى لي التوبة فقبل  
 الله توبته .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾

وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم « من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » اي منه ، « وننكونن من الصالحين » بانفاقه في طاعة الله وصلة الرحم والمواساة وان نعمل الاعمال الصالحة التي يكون بها صالحاً .

النزول :

وقيل : نزلت الآية في بلتعة بن حاطب كان محتاجاً فنذر لئن استغنى ليصدقن فأصاب اثني عشر الف درهم ، فلم يتصدق ، ولم يكن من الصالحين . هكذا قال الواقدي وقال ابن اسحاق : هما بلتعة ومقنب بن قشير . وقيل سبب ذلك انه قتل مولى له فأخذ ديتة اثني عشر الف درهم اعطاه النبي (ص) .

المعنى :

فان قيل : كيف يصح ان يعاهد الله من لا يعرفه ؟

قلنا : إذا وصفه بأخص صفاته جاز منه ان يصرف عهده اليه وان جاز ان يكون غير عارف .

وقال الجبائي : كانوا عارفين وانما كفروا بالنبي (ص) والمماهدة هي ان يقول عليّ عهد الله لأفعلن كذا فانه يكون قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره ، لأن الله تعالى حكم بذلك وقدّر وجوبه عليه في الشرع .

والآية دالة على وجوب الوفاء بالهدد واللام الاولى من قوله : « لئن آتانا من فضله » والثانية من قوله : « لنصدقن » جميعها لام القسم غير ان الاولى وقعت موقع الجواب والتقدير علينا عهد الله لنصدقن إن آتانا من فضله ولا يجوز ان تكون اللام الاولى لام الابتداء لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ ، لأنها تقطع ما قبلها ان يعمل فيما بعدها إلا في باب (ان) فانها زحلت الى الخبر لئلا يجتمع

تأكيده ، ويجوز ان يقول : ان رزقي الله مالا صلحت بفعل الصلاة والصوم لأن ذلك واجب عليه أثناء مالا او لم يؤته .

### قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا آتَاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾

(٧٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين الذين عاهدوا الله وقالوا متى آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين انه آتاكم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال وانهم لما آتاكم ذلك شحت نفوسهم عن الوفاء بالمهد ، ومعنى (لما) معنى (إذا) الا أن (لما) الغالب عليها الجزاء ، وهي اسم ، لأنها تنفع في جواب (متى) على تقدير الوقت كقولك : متى كان هذا فيقول السامع : لما كان ذلك . و (لما) و (لو) لا يكونان إلا لما مضى بخلاف (ان) و (إذا) فانها لما يستقبل الا ان (لو) على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأول ، و (لما) يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول . والبخل منع الذائل لشدة الاعطاء ثم صار في اسماء الذي منع الواجب ، لأن من منع الزكاة فهو بخيل . قال الرماني : ولا يجوز ان يكون البخل منع الواجب بمسقة الاعطاء قال زهير :

ان البخيل ملوم حيث كان ولو - كمن الجواز على علته هرم (١)

قال : لأنه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة . وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص . قال الرماني : ومن منع مالا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل ، لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع الى ضرر إذ الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون

(١) اللسان (هرم) .



الجوزة بأنها لثيمة لأجل الشدة .

وقال عبد الله بن عمر والحسن ومحمد بن كعب القرظي : يعرف المنافق بثلاث خصال إذا حدث كذب وإذا وعد خلف وإذا ائتمن خان . وخالفهم عطاء ابن أبي رباح في ذلك ، وقال : ان النبي (ص) إنما قال ذلك في قوم من المنافقين . وروي ان الحسن رجع الى قول عطاء .

وقوله : « وتولوا » اي عرضوا عما عاهدوا الله عليه .

وقوله : « وهم معرضون » اخبار منه بأنهم معرضون عن الحق بالكفاية .

### قوله تعالى :

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى انه اعقب هؤلاء المنافقين . ومعناه أورتهم وادام الى نفاق في قلوبهم بخلفهم بما آناههم الله من فضله مع الاعراض عن امر الله، وهو قول الحسن . وقال مجاهد : معناه اعقبهم ذلك بحرمان التوبة كما حرم ابليس وجعل ذلك اماره ودلالة على انهم لا يتوبون ابدا لأحد شيئين :

احدهما - من قال : اعقبهم بخلفهم رد الضمير اليه . والمعنى يلقون حزاء بخلفهم . ومن ذهب الى ان الله اعقبهم رد الضمير الى اسم الله .

وقوله : « بما اخلفوا الله ما وعده » فالأخلاف نقض ما تقدم به المقدم من وعد او عزم وأصله الخلاف ، لأنه فعل خلاف ما تقدم به المقدم . والوعد متى كان بأمر واجب او نذب او امر حسن قبح الاخلاف ، وان كان الوعد وعداً بقبيح كان اخلافه حمناً .

وقوله : « وبما كانوا يكذبون » يقوي قول من قال : ان الضمير عائد الى الله

لأنه بين انه انما فعل ذلك جزاء على اخلافهم وعده وجزاء على ما كانوا يكذبون في اخبارهم عليه .

### قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٧٨) آية بلا خلاف .

الالف في قوله : « ألم يعلموا » الف استفهام والمراد به الانكار . يقول الله تعالى لنبيه (ص) : « ألم يعلموا » هؤلاء المنافقون « ان الله يعلم سرهم » يعني ما يخفون في انفسهم وما يتناجون بينهم . والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك .  
 نقول : اسره اسراراً واستسراً استسراراً وساره مسارة وسراراً وتساراً سراراً والاسرار اخفاء المعنى في النفس والنجوى وقع الحديث باظهار المعنى لمن يسلم عنده من اخراجه الى عدو فيه لأنه من النجاة تقول : ناجاه مناجاة ، وتناجوا تناجياً فكان هؤلاء المنافقون يسرون في انفسهم الكفر ويتناجون به بينهم .  
 وقيل : السر والنجوى واحد مكرر باختلاف اللفظين كما يقول القائل : آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر ، والمعنى واحد مكرر باختلاف اللفظين .  
 وقوله : « ان الله علام الغيوب » معناه يعلم كل ما غاب عن العباد مما غاب عن احساسهم أو ادراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه ، لأنها صفة مبالغة واقتضى ذكر العلم هاهنا حال المنافقين في كفرهم سرراً وإظهارهم الايمان جهراً ، فقيل لهم ان المجازي لكم يعلم سرهم ونجواهم ، كما قال : ذو الرمة في معنى واحد بلفظين مختلفين :

لمياء في شفقتها حوة لس وفي اللثات وفي انيابها شذب  
 فالهس حوة وكرر لاختلاف اللفظين ، ويمكن ان يكون لما ذكر الحوة خشبي

أن يتوهم السامع قبيحاً فبين انه لعس لأنه يستحسن ذلك .

### قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ  
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩) آية بالاخلاف .

قيل نزلت هذه الآية في عليبة بن زيد الحارثي وزيد بن أسلم العجلاني فجا . عليبة  
بصاع من تمر فنثره في الصدقة ، وقال : يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعاً  
تركته لأهلي وصاعاً اقرضته ربي ، وجاء زيد بن أسلم بصدقة فقال معتب بن قشير  
وعبد الله بن نهبك إنما اراد الرياء .

وقال قتادة وغيره من المفسرين : إن هذه الآية نزلت في حجاب بن عثمان ، لأنه  
أتى النبي (ص) بصاع من تمر وقال : يا رسول الله اني عملت في النخل بصاعين من  
تمر فتركت للعيال صاعاً وأهديت لله صاعاً وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار  
وهي شطر ماله للصدقة ، فقال المنافقون : إن عبد الرحمن لعظيم الرياء وقانوا في الآخر  
ان الله لغني عما اتى به فأنزل الله تعالى الآية فقال : « الذين يلمزون المطوعين ، أي  
ينسبونهم الى المقص في النفس بقولون : لمزه يلمزه لمزاً إذا انتقصه وعابه والمطوعين  
على وزن المتفعلين وتقديره المتطوعين فأدغمت التاء في الطاء ، ومعناه المتفعلين من  
طاعة الله بما ليس بواجب عليهم ، لأن الخير قد يكون واجباً وقد يكون ندباً وقد  
يكون مباحاً ولا يستحق المدح الا على الواجب والندب دون المباح .

وقوله : « والذين لا يجدون الا جهدهم » والجهد هو الحمل على النفس بما يشق  
تقول : جهده يجهده جهداً وجهداً بالضم والفتح - كالوجد والوجد والضعف

والضعف . وقال الشعبي : الجهد في العمل والجهد في القوت .  
 وقوله : « فيسخرون منهم » يعني المنافقين يهزؤون بالمطوعين « سخر الله منهم »  
 أي يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب « ولهم عذاب اليم » أي مؤلم موجه ،  
 ولما كان ضرر سخريتهم عائداً عليهم جاز أن يقال : « سخر الله منهم » أنه  
 يفعل السخرية .

### قوله تعالى :

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً  
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا  
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٨٠) آية بلا خلاف .

### المعنى واللغة :

قوله : « استغفر لهم » صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الأياس من  
 المغفرة أنه لو طلبها طلبه المأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في  
 أن الله لا يفعلها ، كما قال في موضع آخر : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر  
 لهم إن يغفر الله لهم » (١) .

والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى بالدعاء بها والمغفرة ستر المعصية برفع  
 العقوبة عليها . وتعليق الاستغفار بالسبعين مرة والمراد به المبالغة لا العدد المخصوص  
 ويجري ذلك مجرى قول الفائل لو قلت لي الف مرة ما قبلت . والمراد بذلك أني  
 لا أقبل منك ، وكذلك الآية المراد بها نفي الغفران جملة . وما روي عن النبي (ص)  
 أنه قال : والله لا يزيدن على السبعين خبر واحد لا يلتفت إليه ولأن في ذلك ارت

النبي (ص) استغفر للكفار وذلك لا يجوز بالاجماع . وقد روي ا ه قال : لو علمت اني لو زدت على السبعين مرة لغفر، لمعلت .

### سبب النزول والمعنى :

وكان سبب نزول هذه الآية ان النبي (ص) كان اذا مات ميت صلى عليه واستغفر له ، ولم يكن بمنزلة المنافقين بعد فاعلمه الله تعالى ان في جملة من تصلي عليه من هو منافق وان استغفاره له لا ينفع قل ذلك ام كثر ثم نهى الله نبيه ان يصلي على احد منهم وان يستغفر له حين عرفه اياهم بقوله : « ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » (١) الآية .

وقوله : « ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » اشارة منه تعالى « الى ان ارتقاع الغفران انما كان لانهم كفروا بالله ووجدوا نعمه وكفروا برسوله فوجدوا نبوته » والله لا يهدي القوم الفاسقين » ثمناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب . فلما الهداية الى الايمان بالاقرار بالتوحيد لله والاعتراف بنبوة النبي (ص) فقد هدى الله اليه كل مكلف متمكن من النظر والاستدلال بأن نصب له على ذلك الدلالة وأوضحها له .

### قوله تعالى :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) آية  
بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن جماعة من المنافقين الذين خانهم النبي (ص) ولم يخرجهم معه الى تبوك لما استأذنوه في التأخر فأذن لهم فرحوا بعودهم خلاف رسول الله .  
 والمخلف المتروك خلف من مضى . ومثله المؤخر عن مضى تقول : خلف تخليفاً  
 وتخلف تخلفاً . والفرح ضد الغم والغم ضيق الصدر بفوت المشتى ، وعند البصريين  
 من المعتزلة هو اعتقاد وصول الضرر اليه في المستقبل او دفع الضرر المظنون والمعلوم  
 عنه . ومعنى خلاف رسول الله قال ابو عبيدة بعد رسول الله وا نشد :

عقب الربيع خلفهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيراً (١)

وقال غيره : معناه المصدر من قولك خالف خالفاً وهو نصب على المصدر .  
 وقوله : « وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله » اخبار منه  
 تعالى ان هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخر وكرهوا انفاق اموالهم والجهاد بنفوسهم في  
 سبيل الله ، فالجهاد بالمال هو تحمّل المشقة الانفاق في وجوه البر والجهاد بالنفس هو  
 تمريضها لما يشق عليها اتباعاً لأمر الله وقوله : « لا تنفروا في الحر » معناه انهم قالوا  
 لنظرائهم ومن يقبل منهم : لا تخرجوا في الوقت الحار فقال الله تعالى لنبيه (ص)  
 قل لهم : « نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون » لانهم توقفوا بالعود عن الخروج حر  
 الشمس فخالفوا بذلك امر الله وأمر رسوله واستحقوا حر نار جهنم وكفى بهما  
 الاختيار جهلاً بمن اختاره . وقوله : « لو كانوا يفقهون » معناه لو كانوا يفقهون  
 وعظ الله وتحذيره وتزهيده في معاصيه .

قوله تعالى :

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَا يَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢) آية بلا خلاف .

(١) قائله الحارث بن خالد المخزومي . الاغانى ٣ : ٣٣٣ وروايته ( الرذاذ) بدل

( الربيع) واللسان (عقب) ، (خلف) .

قوله : « فليضحكوا » صيغته صيغة الأمر والمراد به التهديد ، وإنما قلنا انه بصورة الأمر ، لأن اللام ساكنة ولو كانت لام الاضافة لكانت مكسورة لأنها تؤذن بعملها للجزاء المناسب لها فلذلك ألزمت الحركة .

والمراد بالآية الاخبار عن حال هؤلاء المنافقين وانها في وجه الضحك كحال المأمور منه فيما يؤل اليه من خير او شر على صاحبه ، فلذلك دخله معنى التهديد والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والضحك هو الانسان خاصة والبكاء حال يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخد ، وهو ضد الضحك تقول : بكأ بكاءً وأبكأ الله أبكأً وبكأ تبكيةً وتباكى تباكياً واستبكى استبكأً . ومعنى الآية ان يقال لهؤلاء المنافقين : فاضحكوا بقليل تمتعكم في الدنيا فانكم ستبكون كثيراً يوم القيامة إذا حصلتم في العقاب الدائم «جزاء بما كانوا يكسبون» نصب (جزاء) على المصدر اي تجزون على معاصيكم ذلك جزاء على افعالكم التي اكتسبتموها .

### قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْمَعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْمُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٨٣) آية بلا خلاف .

قال الله تعالى لنبيه (ص) : ان رجعتك الله يعني ان ردك الله الى طائفة منهم يعني جماعة فالرجوع هو تصيير الشيء الى المكان الذي كان فيه تقول : رجعتك رجما كقولك رددته رداً وقد يكون التصيير الى الحال التي كان عليها كرجوع الماء الى

حال البرودة . والطائفة الجماعة التي من شأنها بأن تطوف ولهذا لا يقال في جماعة الحجارة طائفة وقد يسمى الواحد بأنه طائفة بمعنى نفس طائفة والأول اظهر .  
وقوله : « فاستأذنوك للخروج » اي طلبوا منك الاذن في الخروج في غزاة اخرى والاذن رفع التبعة في الفعل وأصله ان يكون بقول يسمع بالاذن . والخروج الانتقال عن محيط ، فقال الله لنبيه (ص) : قل لهم : حينئذ « لن تخرجوا معي أبداً » اي لا يقع منكم الخروج ابداً فالابد الزمان المستقبل من غير انتهاء . الى حد ونظيره للماضي (قط) إلا انه مبني كما بني امس لتضمنه حروف التعريف واعرب (الابد) كما اعرب غد ، لان المستقبل احق بالتنكير .

وقوله : « ولن تقاتلوا معي عدواً » اخبار بانهم لا يفعلون ذلك ابداً ولا يختارونه .

وقوله : « انكم رضيتم بالعمود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين » معناه اخبار منه تعالى انهم رضوا بالعمود أول مرة فينبغي ان يقعدوا مع الخالفين .

وقيل في معناه ثلاثة اقوال : احدها قال الحسن وقتادة : هم النساء والصبيان

وقال ابن عباس : هم من تأخر من المنافقين .

وقال الجبائي : هم كل من تأخر لمرض او نقص .

وقيل : معناه مع اهل الفساد مشتقاً من قولهم : خلف مخلوقاً اي تغير الى

الفساد . وقيل : الخالف كل من تأخر عن الشاخص .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٨٤) آية

بلا خلاف .



هذا نهى من الله تعالى لنبيه (ص) أن يصلي على أحد من المنافقين أو يقوم على قبره ومعناه أن يتولى دفنه أو ينزل في قبره كما يقال : قام فلان بأمر فلان .  
وقال ابن عباس وابن عمر وقتادة وجابر : صلى رسول الله (ص) على عبد الله ابن ابي بن ابي سلول والبسه قبضه قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين .  
وقال انس : أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه . وقال له : لا تصل على احد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره . والصلاة على الأموات فرض على الكفايات إذا قام به قوم سقطت عن الباقيين . وأقل من يسقط به الفرض واحد وهي دعاء ليس فيها قراءة ولا تسبيح وفيه خلاف . وفيها خمس تكبيرات عندنا وعند الفقهاء اربع تكبيرات فالتكبير الأولى يشهد بمدها الشهادتين ، ويكبر بالثانية ، ويصلي بعدها على النبي (ص) ويكبر الثالثة ويدعوا للمؤمنين والمؤمنات ويكبر الرابعة ويدعوا للميت إن كان مؤمناً وعليه إن كان منافقاً . ويكبر الخامسة ويقف يومي الى يمينه حتى ترفع الجنازة وليس فيها تسليم . وسمعت ابا الطيب الطبري وكان امام اصحاب الشافعي يقول : الخلاف بيننا وبينكم في عبارة ، لأن عندكم ينصرف بالخامسة . وعندنا بالتسليم ، جعلتم مكان التسليم التكبير . وذلك خلاف من عبارة .

وقوله : « مات » موضع (مات) جر لأنه صفة لأحد ، لأن تقديره على احد ميت منهم و « ابدأ » منصوب متصل و (احد) هذه هي التي تكون في النفي دون الايجاب لأنه يصح النهي عن الصلاة عليهم مجتمعين ومتفرقين ، كما يصح في النفي ولا يمكن في الايجاب لأنه كنه في الضدين في حال واحدة ، فانه لا يصح اثباتها في حال اصلا . والقبر حفرة يدفن فيها الميت تقول : قبرته اقبره قبراً فأنا قابرٌ وهو مقبور وأقبرت فلاناً اقباراً اذا جعلته بقبره .

وقوله : « انهم كفروا بالله ورسوله » المعنى انما نهيتك عن الصلاة عليهم ، لأنهم كفروا بالله ورسوله ، فهي لاتعليل . وانما كسرت لتحقيق الاخبار بأنهم على

الصفة التي ذكرها . وأنهم ماتوا ، وهم فاسقون . أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٨٥) آية بلا خلاف .

قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا وجه لاعادته (١) . وبيننا انه خطاب للنبي (ص) والمراد به الامة ينهائم الله ان يعجبوا بما اعطى الله الكفار من الأموال والأولاد في الدنيا حتى يدعوم ذلك الى الصلاة عليهم ، ولا ينبغي ان يغتروا بذلك فانما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ، لأنهم لا ينفقونها في طاعة الله ولا يخرجون حق الله منها . ويجوز ان يعذبهم بها في الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام وتشدد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم وان نفوسهم تزهق اي تهلك بالموت « وهم كافرون » اي في حال كفرهم ، فلذلك عذبهم الله في الآخرة .

والاعجاب هو ايجاد السرور بما يتمجب منه من عظيم الاحسان تقول : اعجبني امره اعجاباً اذا سر بموضع التمجيب منه . والزهق خروج النفس بمشقة شديدة ومنه قوله : « فاذا هو زاهق » (٢) اي هالك .

وقيل : في وجه حسن تكرر هذه الآية دفعتين قولان :

احدهما - قال ابو علي : يجوز أن تكون الآيتان في فريقين من المنافقين

(١) قوله : قد مضى : في تفسير آية ٥٦ من هذه السورة .

(٢) سورة الاسرى آية ٨١ .

كما يقول القائل : لا يمجيبك حال زيد ولا يمجيبك حال عمر .

الثاني - ان يكون الفرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغي ان يحذر منه مع انه للتذكير في موطنين بعد احدهما عن الآخر ، فيجب العناية به وليس ذلك بقيبح ، لأن الواحد منا يحسن به ان يقوم في مقام بعد مقام وبكر الوعظ والزجر والتخويف ولا يكون ذلك قبيحاً .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ  
إِسْتِثْنَاءَ ذَلِكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾  
(٨٦) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية انه إذا انزل سورة من القرآن على النبي (ص) أن «آمنوا» ومعناه بأن آمنوا فحذفت الباء وجعل ان آمنوا في موضع نصب . والتقدير بالايان على وجه الأمر ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر . وإنما جاز مع (أن) للزوم الصلة والحمل على التأويل في اللفظ كما حمل على المعنى .

وهذا خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الأوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الأمر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق ثم يجاهدوا بعد ذلك بنفوسهم وأموالهم لأنه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق .

وقوله : « استأذنك اولوا الطول » ومعناه أن ذوي الغنى من المنافقين إذا انزلت السورة يأمرهم فيها بالايان والجهاد يستأذنون النبي (ص) في القعود والتأخر عنه مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشدد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم - وهو قول الحسن وابن عباس - فانها قالا : انما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد .

وقوله : « وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين » اخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين

من ذوي الغنى يقولون للنبي (ص) : اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان والزمنى والمرضى الذين لا يقدرّون على الخروج .

قال الرماني : والسورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد احاطت بها كما يحيط صور القصر بما فيه وسور الهجر بقبته من الماء .

والجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلاً لأنه مركوز في العقل وجوب التحرز من المضار ، وليس في العقل ما يدل على انه يجب على الانسان ان يمنع غيره من الظلم وإنما يعلم ذلك سمماً .

### قوله تعالى :

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن هؤلاء الذين قالوا : « ذرنا نكن مع القاعدين » من المنافقين رضوا لنفوسهم ان يكونوا مع الخوالف وهم النساء والصبيان والمرضى والمقعدون . قال الزجاج : الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة لإحرفين قولهم : فارس وفوارس . وهالك وهالك .

وقوله : « وطبع على قلوبهم » قبل في معناه قولان :

احدهما - انه تعالى يجعل نكته سوداء في قلب المنافق والكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه ممن لا يفلح ابداً .

الثاني - ان يكون المراد بذلك الدم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر ولا ينمقي عنها شر ، لأن حال الدم لها يقتضي صفات الدم ، كما ان حال المدح يقتضي صفات المدح ، كما قال جرير في قصيدة أولها :

أتصحبوا أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالراح  
 ألتم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح (١)  
 ولا تحمل إلا على المدح دون الاستفهام . والطبع في اللفظة هو الختم تقول :  
 طبعه وختمه بمعنى واحد .

### قوله تعالى :

﴿ لَكِنَّ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
 وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمفلِحُونَ ﴾ (٨٨)  
 آية بلا خلاف .

لما أخبر الله تعالى عن حال المتأخرين عن النبي (ص) والفاعدين عن الجهاد معه  
 وأنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . أخبر عن الرسول (ص) ومن معه  
 من المؤمنين المطيعين لله ورسوله بأنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بالاموال  
 التي ينفقونها في مرضاة الله وخدمة الجهاد ويقاتلون الكفار بنفوسهم . ثم أخبر عما  
 أعد لهم من الجزاء على أفعالهم تلك وانقيادهم لله ورسوله ، فقال : « أولئك » يعني  
 النبي والذين معه « لهم الخيرات » في الجنة ونعيمها وخيراتهما وأنهم المفلحون أيضاً  
 الفائزون بكرامة الله .

والخيرات هي المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح بها من النساء الحسنان وغيره  
 من نعم الجنان واحده خيرة - هذا قول أبي عبيدة . وقال رجل من بني عدي :  
 ولقد طمعت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات (٢)

(١) مر تخريجه في ١ : ١٣٢ ، ٤٠٠ ، وقد مر في ٢ : ٣٢٧ ،

(٢) مجاز القرآن ١ : ٢٦٧ واللسان (خير) . الربلات جمع ربله : وهي لمة الفخذ .

والفلاح النجاح بالوصول الى البقية من نجاح الحاجة وهو قضاؤها .

### قوله تعالى :

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى انه « أعد » هؤلاء المؤمنين والرسول « جنات » يعني بساتين « تجري من تحتها » ومعناه من تحت اشجارها « الأنهار » .  
والاعداد جمل الشيء مهيئاً لغيره تقول : أعدت إعداداً واستعدت له استعداداً وهو من العدد ، لأنه قد عدت الله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الامور ومثله الاتخاذ . والوجه في اعداد ذلك قبل مجيء وقت الجزاء أن تصوره لذلك ادعى الى الطاعة واكمد في الحرص عليها .  
ويحتمل أن يكون المراد أنه سيجعل لهم جنات تجري من تحتها الأنهار غير أنه ترك للظاهر .

وقوله : « ذلك الفوز العظيم » اشارة الى ما أعد له لهم واخبار منه بأنه الفوز العظيم . والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلاً بالنجاة وإنما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على جهة الدوام .

### قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ

الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴾ (٩٠) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقتيبة (المعذرون) بسكون العين وتخفيف الذال . الباقيون بفتح العين  
وتشديد الذال وجه قراءة من قرأ بالتخفيف انه اراد جاءوا بعذر .

ومن قرأ بالتشديد احتمل امرين :

احدهما انه اراد المعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما ادغم التاء في الذال  
لقرب مخرجها مثل قوله : يذكرون . ويدكروا ، وغير ذلك واصله يتذكرون .  
الثاني - انه اراد المفصرون والمعذر المفصر . والمعذر المبالغ الذي له عذر .  
وأما المعتذر فإنه يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبيك حولا كاملا فقد اعتذر (١)

معناه جاء بعذر . وقال الزجاج<sup>٢</sup> : يجوز ان يكون المعذرون الذين يعتذرون  
فيؤمرون ان لهم عذراً ولا عذر لهم .

وروي عن ابن عباس انه قرأ بالتخفيف ، وقال : لعن الله المعذرين اراد من  
يمتذر بغير عذر ، وبالتخفيف من بلغ اقصى العذر .

وأصل التعمير التقصير مع طلب اقامة العذر . عذر في الأمر تعذيراً إذا لم يبلغ  
فيه . والفرق بين الاعتذار والتعمير ، ان الاعتذار قد يكون بعذر من غير تصحيح  
الأمر ، والتعمير تقصير يطلب معه اقامة العذر فيه .

واختلفوا في معنى « وجاء المعذرون » على قولين :

احدهما - قال قتادة واختاره الجبائي : انه من عذر في الأمر تعذيراً

إذا قصر .

والثاني - قال مجاهد : جاء اهل العذر جملة على معنى المعتذرين .

وقال الحسن : اعتذروا بالكذب .

(١) ديوانه القصيدة : ٢١ ، وخزانة الأدب ٢ : ٢١٧ وتفسير الطبري ١ : ١١٩

١٤ : ١١٧ واللسان (عذر) .

وقال قوم : انما جاوا بنو غفار خفاف بن ايماء بن رخصه وقومه .  
ومعنى الآية ان قوماً من الأعراب جاءوا الى النبي (ص) يظهرون انهم مؤمنون  
ولم يكن لهم في الايمان والجهاد نية فيعرضون نفوسهم عليه وغرضهم ان ياؤن  
النبي (ص) لهم في التخلف ، فعملوا عرضهم انفسهم عليه عذراً في التخلف عن الجهاد .  
وقوله : « وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » يعني المنافقين ، لانهم الذين  
كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرون من الايمان ، فقال الله : « سيصيب الذين  
كفروا منهم عذاب اليم » اي ينالهم عذاب مؤلم موجه في الآخرة .

### قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩١) .

عذر الله تعالى في هذه الآية من ذكره ووصفه ، يقال : « ليس على الضعفاء ،  
وهو جمع ضعيف وهو الذي قوته ناقصة بالزمانه وغيرها » ولا على المرضى ، وهو جمع  
مريض وهم الاعلاء ، « ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ، يعني من ليست معه نفقة  
الخروج وآلة السفر » حرج ، يعني ضيق وجناح . وأصل الضيق الذي يتعمذر  
معه الأمر .

وقوله : « اذا نصحوا لله ورسوله » شرط تعالى في رفع الجناح والاسم عن  
المذكورين ان ينصحوا الله ورسوله بأن يخلصوا العمل من الغش يقال : نصح في عمله  
نصحاً وناصح نفسه مناصحة ومنه التوبة النصوح . ثم قال : « ما على المحسنين من  
سبيل » اي ليس على من فعل الحسن الجميل طريق . والاحسان هو ائصال النعم الى



الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح . ويصح أن يحسن الانسان الى نفسه ويحمل على ذلك وهو إذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب .  
وقوله : « والله غفور رحيم » معناه سائر على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم « رحيم » بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم .

وقال قتادة : نزلت هذه الآية في عابد بن عمرو المزني وغيره . وقال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن معقل المزني ، فإنه وجماعة معه جاءوا الى رسول الله (ص) فقتلوا له : احملنا فقال رسول الله (ص) لا أجد ما احملكم عليه .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ اتِّوَكُّهُمُ وَلَا أَجِدٌ مَّا أَكْرَمُوا عَلَيْهِمْ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٩٢) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على الاولى والتقدير ليس على الذين جاءرك - وسألوك حملهم حيث لم يكن لهم حملان ، فقلت لهم يا محمد (ص) « لا أجد ما احملكم عليه » أي ليس لي حملان فينبئذ « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع » يكون « حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون » في هذا الطريق ويتابعونك - حرج وأثم ولا ضيق وإنما حذف لدلالة الكلام عليه .

والحمل عطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك تقول حملة بحمله حملاً إذا اعطاه ما يحمل عليه . وحمل على ظهره حملاً وحمله الأمر تحميلاً وتحمل تحملاً واحتمله احتمالاً ، وتحامل تحاملاً . واللام في قوله : « لتحملهم » لام الفرض ، والمعنى جاؤك وأرادوا منك حملهم وتقول : وجدت في المال وجداً وجددة ووجدت الضالة وجداناً

ووجدت عليه - من المواجهة - وجداً . والفيض الجري عن امتلاء من حزن قلوبهم والحزن ألم في القلب لفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الغليظة المسلك .  
وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في نفر من مزينة ، وقال محمد بن كعب القرظي وابن اسحاق : نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى . وقال الحسن : نزلت في أبي موسى وأصحابه . وقال الواقدي : البكاؤون سبعة من فقراء الأنصار ، فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب بن نسيب الأنصري من بني المنضير ثلاثة ، ومن جملة البكائين عبد الله بن مقل . وقال الواقدي : كان الناس يتبوك ثلاثين ألفاً ، وعشرة آلاف فارس .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
(٩٣) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية أن السبيل والطريق بالمعقاب والخرج إنما هو للذين يطلبون الاذن من رسول الله في المقام ، وهم مع ذلك اغنياء يتمكنون من الجهاد في سبيل الله الراضين بكونهم مع الخوالف من الذساء والصديان ومن لا حراك به . ثم قال : وطبع الله على قلوبهم بمعنى وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيميزون بينهم وبين غيرهم من المؤمنين .

وبحتمل ان يكون المراد انه بمنزلة المطبوع في أن لا يدخلها الايمان كما لو طبعوا على الكفر . ومثله قوله : « صم بكم عمي » ومعناه لترك تلفظهم بالحق وعدوهم عن سماع الحق وانصرفهم عن النظر الى الصحيح كأنهم صم بكم عمي وهم لا يعلمون ذلك

ولا يدرون الى ما يصير امرهم من عقاب الابد ولا يعرفون ما يلزمهم من احكام الشرع ما يعرفه المؤمنون .

وقال البلخي : معناه لانهم للخلاف والمعصية كانوا لا يعلمون ، والتقدير ان حكم هؤلاء المذكورين بهذه الاوصاف بخلاف من قد تحصن من العقاب بالايمان ، لانهم قد فتحوا على انفسهم ابواب العذاب .

### قوله تعالى :

﴿ يَهْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنذِبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي (ص) من غير عذر كان يبيحهم ذلك اذا عاد النبي (ص) والمؤمنون انهم كانوا يجيئون اليهم ويعتذرون اليهم من تأخرهم بالباطيل والكذب ، فقال الله تعالى لنبيه : قل يا محمد لهم : « لا تعتذروا » فلما صدقكم على ما تقولون فان الله تعالى قد اخبرنا من اخباركم وأعلمنا من امركم ما قد علمنا به كذبكم « وسيرى الله عملكم ورسوله » أي سيعلم الله فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ؟

ويحتمل ان يكون المراد انه يحل في الظهور محل ما يرى « ثم تردون » اي ترجعون الى من يعلم الغيب والشهادة يعني السر والعلانية الذي لا يخفى عليه بواطن اموركم « فينبئكم بما كنتم تعملون » اي فيخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع .

والاعتذار اظهار ما يقتضى العذر ويمكن ان يكون صحيحاً ويمكن ان يكون  
فاسداً كاعتذار هؤلاء المنافقين والفرق بين الاعتذار والتوبة ان التوبة اقلع عن  
سيئة قد وقعت ، والاعتذار اظهار ما يقتضي انها لم تقع ولذلك يجوز ان يتوب الى  
الله ولا يجوز ان يتعذر اليه . والاعتذار الذي له قبول هو ما كان صاحبه محمداً فاما  
الاعتذار بالباطل فهو اسوء حال صاحبه قال الشاعر :

إذا اعتذر الجاني عما العذر ذنبه وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب (١)

### قوله تعالى :

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَرْضَوْا عَنْهُمْ  
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين يمتدرون بالباطل الى النبي والمؤمنين في تأخرهم  
عن الخروج معهم انهم سيقسمون ايضاً على ذلك للمؤمنين « اذا انقلبتم اليهم » يعني  
اذا رجعت اليهم « لتمرضوا عنهم » اي لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم ولا تمنفوهم .  
ثم امر الله تعالى المؤمنين والنبي (ص) ان يعرضوا عنهم اعراض المقت وبين « انهم  
رجس » اي هم كالنتن في قبحة وهم نجاس ويقال : رجس نجس على الاتباع وان  
« مأواهم » يعني مصيرهم ومآلهم ومستقرهم « جهنم جزاء » اي مكافاة على ما كانوا  
يكسبونه من المعاصي .

والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر قال احمد بن يحيى ثعلب :  
اللام في قوله : « لتمرضوا عنهم » ليست لام غرض وانما معناه لا عرضكم انما علق

هاهنا بذلك ايلا يتوعم انه اذا رضى المؤمنون بمقد رضى الله عنهم ايضاً فذكر ذلك  
ليزول هذا الالباس لأن المنافقين لم يخلفوا لهم لكي تعرضوا ، ولكنهم خلفوا تبرئاً  
من النفاق ولاعراض المسلمين عنهم وانشد :

سموت ولم تكن اهلا لتسمرا  
اراد ما كنت اهلا لاسموا .  
ولكن المضيم قد يصاب (١)

### قوله تعالى :

﴿ بِخَلْفُونَ لَكُمْ اَتَرَضُوا عَنْهُمْ فَان تَرَضُوا عَنْهُمْ فَان  
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ (٩٦) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون بالله طلباً لرضائكم عنهم « فان رضوا » ايها المؤمنون  
« فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » الخارجين من طاعته الى معصيته والمعنى  
انه لا ينفعهم رضائكم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم . رضى  
المؤمنين عنهم او لم يرضوا وانما علق هاهنا بذلك لئلا يتوعم انه اذا رضى المؤمنون فقد  
رضى الله عنهم ايضاً فذكر ذلك ليزول هذا الالباس ولأن المراد بذلك انه اذا كان  
الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم ايضاً ان لا ترضوا عنهم .

### قوله تعالى :

﴿ الأعراب أشدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَهْتَمُّوا  
حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٩٧) آية  
بلا خلاف .

(١) لم اجده في مضانه .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الاعراب الجفافة الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفتها أشد كفراً ونفاقاً وجحوداً لنعم الله وأعظم نفاقاً من غيرهم .  
وقيل : انها نزلت في اعراب كانوا حول المدينة من اسد وغطفان فكفرهم اسد ، لا نهم اقمى وأجنى من اهل المدن ، ولا نهم ابعد من سماع التنزيل ومخالطة اهل العلم والفضل ويقال : رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ، وعرابي اذا كان ساكناً في البادية . وروي ان زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قطعت يوم البامة وكان قائداً يوماً يروي الحديث والى جانبه اعرابي ، فقال له : ان حديثك يعجبني وان يدك تربيني فقال زيد : إنها الشمال ، فقال : والله ما ادري اليمين يقطعون أو الشمال فقال زيد : صدق الله ، وقرأ « الأعراب أشد كفراً » الآية .

وقوله : « واجدر » معناه اخلق وأولى وأقرب الى ان لا يعلموا حديد ما أنزل الله على رسوله من الشرائع والأحكام . وموضع أن نصب لأن تقديره اجدر بأن تحذف الباء فانصب وتقديره اجدر بترك العلم غير أن الباء لا تحذف مع المصدر الصريح ، وإنما تحذف مع (ان) للزوم العلم بها وحملها على التأويل . واجدر مأخوذ من جدر الحائط .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بأحوالهم وبواطنهم حكيم فيما يحكم به عليهم من الكفر وغير ذلك من أفعالهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَفْرَمًا وَيَتَزَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٩٨) آية  
بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « دائرة السوء » بضم السين . الباقيون بفتح السين .  
من نصب اراد المصدر وإنما اضاف الدائرة الى السوء تأكيذاً كما يقال : عيني  
رأسه وشمس النهار ، تقول : سؤته اسوءه سوءاً ومساءة ومساوية . وقوله : « ما كان  
ابوك اسراً سوء » (١) لا يجوز فيه غير فتح السين وكذلك في قوله : « وظننتم  
ظن السوء » (٢) لأن الضم بمعنى الاسم وتقديره عليهم دائرة العذاب والبلاء .  
اخبر الله تعالى أن من جملة هؤلاء المنافقين من الأعراب من يتخذ ما ينفعه في  
الجهاد وغيره من طرق الخير « مغرمًا » أي غرمًا من قوهلم : غرمته غرمًا وغرامة .  
والغرم لزوم نائبة في المال من غير جنابة . ومنه قوله : « من مغرم منقولون » (٣)  
وأصل المغرم لزوم الأسر ، ومنه قوله : « إن عذابها كان غراما » (٤) أي لازما ،  
وحبّ غرام أي لازم والغريم كل واحد من المتدائنين وغرمته كذا الزمته إياه  
في ماله .

وقوله : « وتربص بكم الدوائر » فالتربص التمسك بالشيء لعاقبة ومنه التربص  
بالطعام لزيادة الصبر ، فهؤلاء يتربصون بالمؤمنين لعاقبة من الدوائر . والدائرة جمعها -  
دوائر وهي العواقب المذمومة .

وقال الفراء والزجاج : كانوا يتربصون بهم الموت والقتل وإنما خص رفع النعمة  
بالدوائر دون رفع النعمة ، لأن النعمة اغلب وأعم لأن كل واحد لا يخلوا من نعم  
الله وليس كذلك النعمة ، لأنها خاصة . والنعمة عامة . وقد قيل : دارت لهم الدنيا  
بخلاف دارت عليهم . ثم قال تعالى : « عليهم دائرة السوء » يعني على هؤلاء المنافقين  
دائرة العذاب والبلاء - في قراءة من قرأ بالضم - وقوله : « والله سميع عليم » معناه

(١) سورة مريم آية ٢٨ . (٢) سورة الفتح آية ١٢ .

(٣) سورة الطور آية ٤٠ وسورة القلم آية ٤٦ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦٥ .

هاهنا ان يسمم ما يقوله هؤلاء المنافقون ويعلم بواطن امورهم . ولا يخفى عليه شيء من حالهم وحال غيرهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِمْدِ خَلْمِهِمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩٩) آية بلاخلاف .

قرأ ورش واسماعيل « قربة » بضم الراء ، اتبع الضمة التي قبلها . وقال ابو علي : لا يجوز أن يكون اتباعاً لما قبله لأن ذلك إنما يجوز في الوقف آخر الكلام ، وإنما الضمة فيها الأصل ، وإنما خففت في قولهم : رسل وطنب ، فقالوا : رسل وطنب . فاذا جمع فلا يجوز فيه غير ضم الراء ، لأن الحركة الأصلية لا بد من ردها في الجمع . لما ذكر الله تعالى ان من جملة الأعراب من يتخذ اتقافه في سبيل الله مغرمًا ذكر ان من جملتهم ايضاً « من يؤمن بالله » اي يصدق به وباليوم الآخر يعني يوم القيامة ، وأنه يتخذ ما ينفقه في سبيل الله قربات عند الله . قال الزجاج : يجوز في قربات ثلاثة اوجه - ضم الراء واسكانها وفتحها - وما قرئ الا بالضم ، والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة وهي تدني من رحمة الله ، والتقدير انه يتخذ نفقته وصلوات الرسول أي دعاه له قربة الى الله .

وقال ابن عباس والحسن : معنى وصلوات الرسول استغفاره لهم ، وقال قتادة : معناه دعاؤه بالخير والبركة قال الأعشى :

تقول بنفي وقد قرّبت مرتحلاً ياربّ جنّابِ ابني الأوصاب وانوجما



عليك مثل الذي صليت فأغتمضي      نوما فإن لجنب المرء مضطجما (١)  
 ثم قال : « الا انها قربة » بمعنى صلوات الرسول « قربة لهم » اي تقربهم الى  
 نواب الله . ويحتمل ان يكون المراد ان نفقتهم قربة الى الله .  
 وقوله : « سيدخلهم الله في رحمته » وعد منه لهم بأن يرحمهم ويدخلهم فيها  
 وفيه مبالغة فان الرحمة وسعتهم وغمرتهم ولو قال فيهم رحمة الله لأفاد انهم اتبعوا الرحمة  
 من الله تعالى .  
 وقوله : « ان الله غفور رحيم » معناه انه يستر كثيراً على العصاة ذنوبهم ولا  
 يفضحهم بها لرحمته بخلقه « وغفور رحيم » جميعاً من الفاظ المبالغة فيها وصف به نفسه  
 من المغفرة والرحمة .

### قوله تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾  
 ( ١٠٠ ) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده « جنات تجري من تحتها » باثبات ( من ) وكذلك  
 هو في مصاحف اهل مكة . الباقون بحذف ( من ) ونصبوا تحتها على الظرف .  
 وقرأ يعقوب « والآنصار والذين » بضم الراء . الباقون بجرها .  
 من رفع عطف على قوله : « والسابقون الأولون » رفع على الابتداء والخبر  
 قوله : « رضى الله عنهم » .

(١) ديوانه ٧٢٠ القصيدة ١٣ وقد مر البيت الثاني في ١ : ١٩٣ .

ومن جر عطفه على المهاجرين كأنه قال : من المهاجرين ومن الانصار .  
ومن اثبت (من) فلان في القرآن مواضع لا تخصي « جنات تجري من تحتها »  
ومن اسقطها تبع مصحف غير اهل مكة . والمعنى واحد .

اخبر الله تعالى ان الذين سبقوا اولاً الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بها  
من الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة ومن الانصار الذين سبقوا اولاً  
غيرهم الى الاسلام من نظرائهم من اهل المدينة والذين تبعوا هؤلاء بأفعال الخير  
والدخول في الاسلام بعدهم وسلوكهم منهاجهم .

وقال الفراء : يدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيامة وقال الزجاج : مثله .  
ثم اخبر ان الله رضي عنهم ورضي افعالهم ورضوا هم ايضاً عن الله لما اجزل لهم  
من الثواب على طاعتهم وايمانهم به وبذييه .

والسبق كون الشيء قبل غيره . ومنه قيل في الخيل السابق ، والمصلي هو الذي  
يجيء في اثر السابق يتبع صلاه وانما كان السابق الى الخير افضل لانه داع اليه بسبقه  
والثاني تابع فهو امام فيه ، وكذلك من سبق الى الشرك كان اسوء حالاً لهذه العلة .  
والاتباع طلب الثاني لحال الاول ان يكون على مثلها على ما يصح ويجوز ، ومثله  
الاقتداء .

والاحسان هو النفع الواصل الى الغير مع تعربه من وجوه القبح . فأما قولهم  
احسن فمن فعله فقد يكون بفعل النفع وبفعل الضرر ، لأنه تعالى اذا فعل في الآخرة  
العقاب يقال انه احسن لـكن لا يقال : أحسن اليه .

وقوله : « واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » اخبار منه تعالى انه  
مع رضاه عنهم ورضاهم عنه أعد لهم الجنات يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها  
الأنهار ، وقيل : ان انهارها اخايد في الأرض فلذلك قال : تحتها «خايدن فيها ابدأ»  
اي يبقون فيها ببقاء الله لا يفنون ، منعمين .

وقوله : « ذلك الفوز العظيم » معناه ان ذلك النعم الذي ذكره هو الفلاح العظيم الذي تصغر في جنبه كل نعمة .

واختلفوا فيمن نزلت فيه هـ . هذه الآية ، فقال ابو موسى وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة : نزلت فيمن صلى القبلتين ، وقال الشعبي : نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية ، وقال : من اسلم بهـ ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأولين .

وقال ابو علي الجبائي : نزلت في الذين اسلموا قبل الهجرة .  
وروي أن عمر قرأ والأنصار بالرفع الذين اتبعوهم باسقاط الواو ، فقال ابي :  
والذين اتبعوهم بأمر المؤمنين فرجعوا الى قوله .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ  
مُردُّوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعُدُّهُمْ مَرَّتَيْنِ  
يَمْ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١) آية بلا خلاف .

معنى قوله : « ومن حولكم » من جملة من حولكم يعني حول مدينتكم . وحول الشيء المحيط به ، وهو مأخوذ من حال يحول إذا دار بالانقلاب . ومنه المحالة لأنها تدور في المحول . وقوله : « من الأعراب » والأعراب هم الذين يسكنون البادية إذا كانوا مطبوعين على العربية وليس واحد منهم عرباً ، لأن العرب قد يكونوا حاضرة والأعراب بادية .

وقوله : « منافقون » معناه من يظهر الايمان ويبطن الكفر « ومن أهل المدينة » ايضاً منافقون وانما حذف لدلالة الأول عليه « مردوا على النفاق » يقال :

مرد على الشيء يبرد مروداً فهو مارد ومريد إذا عتا وطفى وأعبا خبثاً ومنه (شيطان مارد، ومريد) .

وقال ابن زيد : معناه أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم .

وقال ابن إسحاق : معناه لجوا فيه وابوا غيره . وقال الفراء : معناه سرنوا عليه ونجروا عليه . وقال الزجاج : فيه تقديم وتأخير والتقدير وممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة أيضاً مثل ذلك .

وأصل المرود الملاسة . ومنه قوله : « صرح بمرد من قوارير » (١) ، أي ماس ومنه الأُمرد الذي لا شعر على وجهه ، والمرودة والمرداء الرملة التي لا تفتت شيئاً والخراد بيت صغير يتخذ للحمام ملبس بالطين ، والمرداء الصخرة الملبساء .

« لا تعلمهم » معناه لا تعرفهم يا محمد « نحن نعلمهم » أي نعرفهم .

وقوله : « سنعذبهم مرتين » قيل في معناه أقوال :

أحدها - قال الحسن وقتادة والجبائي : يعني في الدنيا وفي القبر . وقال ابن عباس : نعذبهم في الدنيا بالفصيحة لأن النبي (ص) ذكر رجالاً منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته قال : اخرجوا فانكم منافقون ، والآخرى في القبر . وقال مجاهد : يعني في الدنيا بالقتل والسبي والجوع . وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن أحدها إقامة الحدود عليهم والآخرى عذاب القبر . وقال الحسن : أحدهما - أخذ الزكاة منهم والآخرى عذاب القبر وقال ابن إسحاق : أحدهما - غيظهم من أهل الإسلام والآخرى عذاب القبر . كل ذلك محتمل غير أننا نعلم أن المرين معاً قبل أن يردوا إلى عذاب النار يوم القيامة .

وقوله : « ثم يردون إلى عذاب عظيم » معناه ثم يرجعون يوم القيامة إلى عذاب عظيم مؤبد في النار . وروي أن الآية نزلت في عيينة بن حصين وأصحابه .

## قوله تعالى :

﴿ وَآخِرُونَ إِعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ  
سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠٢) آية

بلا خلاف .

روى عن ابن عباس انه قال : نزلت هذه الآية في عشرة انفس تخلفوا عن  
غزوة تبوك فيهم ابو لبابة فربط سبعة منهم انفسهم الى سوارى المسجد الى ان قبلت  
توبتهم . وقيل كانوا سبعة منهم ابو لبابة .

وقال ابو جعفر «ع» : نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره ، وكان سبب نزولها  
فيه ما جرى منه في غزاة بني فريظة ، وبه قال مجاهد . وقال الزهري : نزلت في  
ابي لبابة خاصة حين تأخر عن تبوك . واكثر المفسرين ذكروا ان ابا لبابة كان من  
جملة المتأخرين عن تبوك .

وروي عن ابن عباس انها نزلت في قوم من الأعراب . وقيل نزلت في خمسة  
عشر نفساً ممن تأخر عن تبوك .

هذه الآية عطف على قوله : « ومن اهل المدينة » اي ومنهم « آخرون  
اعترفوا بذنوبهم » اي اقرؤا بها مع معرفتهم بها فان الاعتراف هو الاقرار بالشيء  
عن معرفة والاقرار مشتق من قر الشيء إذا ثبت . والاعتراف من المعرفة .

وقوله : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » معناه انهم يفعلون افعالاً جميلة  
ويفعلون افعالاً سيئة قبيحة ، فيجتمعان وذلك يدل على بطلان القول بالاجباط ، لانه  
لو كان صحيحاً لكان احدهما إذا طرىء على الآخر ابطأه فلا يجتمعان فكيف  
يكون خلطاً .

وقوله : « عسى الله ان يتوب عليهم » قال الحسن وكثير من المفسرين : إن ( عسى ) من الله واجبة . وقال قوم : انما قال : ( عسى ) حتى يكونوا على طمع واشفاق فيكون ذلك ابعث من الانكسار على العفو واهمال التوبة ، والتقدير في قوله : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » اي بآخر سيء . ومثله قولك : خلطت الماء واللبن اي باللبن . وقد يستعمل ذلك في الجمع من غير امتزاج كقولهم : خلطت الدراهم والدنانير . وقال قوم : هو يجري مجرى قولهم : استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة . وقال اهل اللغة : خلط في الخير مخففاً وخلط في الشر مشدداً .  
وقوله : « ان الله غفور رحيم » تعليل لقبول التوبة من العصاة لانه غفور رحيم .

### قوله تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ  
إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) آية بلا خلاف .  
قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر « ان صلاتك » على التوحيد ونصب التاء .  
الباقون على الجمع وكسر التاء ، لانه جمع السلامة .

فمن قرأ على التوحيد فلا نه مصدر يقع على القليل والكثير ، فلا يحتاج الى جمعه . ومثله « لصوت الحمير » (١) ومما ورد في القرآن بلفظ التوحيد والمراد به الجمع قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه » (٢) وقوله : « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٣) ومن جمع فلاختلاف الصلاة ، كما ان قوله : « ان انكر

(١) سورة لقمان آية ١٩ . (٢) سورة الانفال آية ٣٥ .

(٣) سورة النساء آية ٧٦ وسورة الحج آية ٧٨ وسورة النور آية ٥٦ والمجادلة

آية ١٣ والمزمل آية ٢٠ .

الأصوات ، (١) جمع في اختلاف ضروبه ،

والصلاة في الله الدعاء قال الأعشى في الحمر :

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتمس (٢)

ومعنى « صلّ عليهم » ادع لهم « فان دعائك سكن لهم » بمعنى تسكن اليه نفوسهم وتطيب به ، ولفظ التوحيد — دها هنا احسن لأن المراد دعاء النبي (ص) لهم لا اداء الصلوات ، واجتمع على ضروب دعائه . وقولهم : صلى الله على رسول الله وعلى ملائكته ولا يقال انه دعاء لهم من الله كما لا يقال في نحو ( ويل للمكذبين ) أنه دعاء عليهم لكن المعنى أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا اللغو من الكلام . ومثله قوله : « بل عجبت ويسخرون » (٣) فيمن ضم التاء هذا مذهب سيديويه ، وذكر الفراء وغيره أن هؤلاء الذين تابوا وأقلموا قالوا للرسول : خذ من اموالنا ما تريد فقال رسول الله : لا افعل حتى يؤذن لي فيه ، فأنزل الله « خذ من اموالهم صدقة » فأخذ منهم بمضاً وترك الباقي . وروي ذلك عن ابن عباس وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك . وهي في ابي لبابة وجد بن قيس وأوس وحذام .

وقوله : « خذ من اموالهم صدقة » امر من الله تعالى أن يأخذ من المالكين النصاب الزكاة ، الورق إذا بلغ مئتين والذهب إذا بلغ عشرين مثقالاً ، والابل إذا بلغت خمساً . والبقر إذا بلغت ثلاثين والغنم إذا بلغت اربعين . والغلات اذا بلغت خمسة أوسق .

وقوله : « خذ من اموالهم » يدل على ان الأخذ من اختلاف الأموال ، لأنه جمعه . ولو قال : خذ من مالهم أفاد وجوب الاخذ من جنس واحد متفق . و (من)

(١) سورة لقمان آية ١٩ .

(٢) ديوانه : ٢٩ القصيدة ٤ وقد سلف في ١ : ٥٦ ، ١٩٣ .

(٣) سورة ص آية ١٢ .

دخلت للتبويض ، فكأنه قال : خذ بعض مختلف الأموال .  
 وظاهر الآية لا يدل على انه يجب أن يأخذ من كل صنف لأنه لو اخذ من  
 صنف واحد لكان قد اخذ بعض الأموال وإنما يعلم ذلك بدليل آخر . والصدقة  
 عطية ماله قيمة للفقر والحاجة . والبر عطية لاجتلاب المودة . ومثله الصلة .  
 وقوله : « تطهرهم وتزكئهم بها » إنما ارتفع تطهرهم لأحد امرين :  
 احدهما - ان تكون صفة للصدقة وتكون الناء للتأنيث . وقوله : « بها » تبين  
 له والتقدير صدقة مطهرة .

والثاني - ان تكون الناء خطاباً للنبي (ص) والتقدير فانك تطهرهم بها وهو  
 صفة للصدقة ايضاً الا انه اجزأً بذكر ( بها ) في الثاني عن الأول .  
 وقيل : انه يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال أولى ، ولا  
 يجوز ان يكون جوباً للأمر لأنه لو كان كذلك لكان مجزوماً .  
 وقوله : « وتزكئهم » تقديره وأنت تزكئهم على الاستئناف .  
 وقيل في هذه الصدقة قولان :

احدهما - قال الحسن : انها هي كفارة الذنوب التي اصابوها ، وقال ابو علي :  
 هي الزكاة الواجبة .

وأصل التطهير ازالة النجس ، والمراد هاهنا ازالة النجس الذنوب بما يكفرها  
 من الطاعة .

وقوله : « وصل عليهم » امر من الله تعالى للنبي ان يدعو لمن يأخذ منه الصدقة .  
 وقال الجبائي : يجب ذلك على كل ساع يجمع الزكوات ان يدعو لصاحبها بالخير  
 والبركة ، كما فعل رسول الله (ص) .

وقوله : « والله سميع عليم » معناه انه تعالى يسمع دعائك لهم بنياتهم في الصدقة  
 التي يخرجونها .



## قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ  
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٤) آية بلا خلاف .

الألف في قوله : « ألم يعلموا » الف استفهام والمراد بها التنبيه على ما يجب ان يعلم المخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوباً . وإنما وجب أن يعلم ان الله يقبل التوبة ، لأنه اذا علم ذلك كان ذلك داعياً له الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة اليها ، وما هذه صورته وجب عليه ان يعلمه ليتخلص به من العقاب ويحصل له الثواب . وسبب ذلك انهم لما سألوا النبي (ص) ان يأخذ من مالهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبي من ذلك وقال : حتى يؤذن لي فيه فبين الله تعالى انه ليس الى النبي قبول توبتكم وان ذلك الى الله تعالى دونه . فانه الذي يقبل التوبة ويقبل الصدقات . وفعل التوبة يستحق به الثواب لأنها طاعة فأما اسقاط عقاب للمعاصي المتقدمة عندها فالعقل لا يوجب ذلك . وإنما علم ذلك سمماً لأن السم قطع العذر بأن الله يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة . وقد بينا في غير موضع فيما تقدم ان التوبة التي يسقط العقاب عندها قطعاً هي الندم على القبيح والمزم على ان لا يعود الى مثله في القبيح ، لأن الامة مجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيما خالف هذه التوبة خلاف .

وقوله : « يأخذ الصدقات » معناه انه يأخذها بتضمن الجزاء عليها كما تؤخذ الهدية كذلك . وقال ابو علي الجبائي : جعل الله اخذ النبي (ص) والمؤمنين للصدقة أخذاً من الله على وجه التشبيه والجاز من حيث كان بأمره . وقد روي عن النبي (ص) ان الصدقة قد تقم في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها .

وقوله : « وان الله هو التواب الرحيم » عطف على قوله : « الم يعملوا »  
ولذلك فتح ( أن ) لأنها مفعول بها . والتواب في صفة الله معناه انه يقبل التوبة  
كثيراً وفي صفة العبد يفيد انه يفرغ — ل التوبة كثيراً . وقيل في معنى « تاب الله  
عليكم » (١) صفح عنكم ولم يكونوا اذنبوا فيتوبوا ليتوب الله عليهم وكذلك قوله :  
« علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم نتاب عليكم » ( ٢ ) بمعنى صفح لانهم  
لم يتوبوا .

### قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ اَعْمَلُوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون  
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾  
(١٠٥) آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى لنبيه (ص) ان يقول للمكافين : « اعملوا » ما امركم  
الله به من الطاعة واجتنبوا معاصيه فان الله « سيرى عملكم ورسوله والمؤمنون »  
وفي ذلك ضرب من التهديد ، كما قال مجاهد ، والمراد بالرؤية هاهنا العلم الذي هو  
المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد ، ولو كان بمعنى العلم الذي ليس بمعرفة لتعدى  
الى مفعولين ، وليس لأحد ان يقول : ان اعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها  
لمكان هذه الآية ، لأنه لو كان المراد بها العلم لعداه الى الجملة وذلك أن العلم الذي  
يتعدى الى مفعولين ما كان بمعنى الظن ، وذلك لا يجوز على الله ، وانما يجوز عليه  
ما كان بمعنى المعرفة . وروي في الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبي (ص) في  
كل اثنين وخميس فيعلمها . وكذلك تعرض على الأئمة (ع) فيعرفونها ، وهم المعنيون

بقوله : « والمؤمنون » ، وإنما قال : « فيرى الله » على وجه الاستقبال ، وهو عالم بالأشياء قبل وجودها . لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة وكونه عالماً بأنها ستوجد من كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يحدد حال له بذلك . وقوله : « وستردون الى عالم الغيب والشهادة » معناه سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية « فينبئكم » بما كنتم تعملون ، ويجازيكم عليه .

### قوله تعالى :

﴿ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠٦) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة عن أبي بكر « مرجون » بغير همزة . الباقون بالهمزة . والوجه فيها انها لغتان ... ويقال : أرجأت وأرجيت بمعنى واحد .

وهذه الآية عطف على قوله : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ... وآخرون اعترفوا بذنوبهم .. وآخرون مرجون لأمر الله » والأرجاء تأخير الأمر الى وقت يقال : أرجأت الأمر أرجاء وأرجيته بالهمزة وترك الهمزة لغتان .

وقوله : « إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ » فلفظة ( إِمَّا ) لوقوع احد الشئتين والله اعلم بما يصير اليه امرهم إلا ان هذا للعباد ، خوذبوا بما يعلمون . والمعنى وليكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء . والآية تدل على صحة قولنا في جواز العفو عن العصاة ، لأنه تعالى بين ان قوماً من هؤلاء العصاة امرهم مرجأ الى الله ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ، فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة على وجه التخيير لأنهم ان تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم واسقاط العقاب عنهم ، وان اصرأوا ولم يتوبوا فلا يعفى عنهم ، فلا معنى للتخيير على قولهم ، وإنما يصح ذلك على ما نقوله : من أن مع حصول التوبة تحسن

المؤاخذة فان عفا فبفضله وان عاقب فبمدله .

وقوله : « وإما يتوب عليهم » معناه واما يقبل توبتهم . وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بما يؤل اليه حالهم « حكيم » فيما يفعله بهم .  
والفرق بين الآخر والآخر ان الآخر يفيد انه بعد الاول والآخر مقابل لاحد في تفصيل ذكر اثنين احدهما كذا والآخر كذا .

وقال مجاهد وقتادة : الآية نزلت في هلال بن امية الرامي وفزارة بن ربهى وكعب بن مالك من الأوس والخزرج ، وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه ، وانما تخلف توابياً عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ولم يتعذر اليه بالكذب . وقال : والله مالي من عذر ، فقال (ص) : صدقت فقم حتى يقضي الله فيك وجاء الرجلان الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين وجميع المتخلفين ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلك خمسين ليلة حتى هجرهم ولدانهم ونساؤهم طاعة لرسول الله (ص) بأمره . وبني كعب خيمة على سلم يكورن فيها وحده . وقال في ذلك :

أبعد دور بني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سمف (١)  
ثم نزلت التوبة عليهم في الليل فأصبح المسلمون يبتدرونهم يبدشرونهم ، قال كعب : فجئت الى رسول الله في المسجد وكان اذا سر يستبشر كأن وجهه فلقة قر فذال لي ووجهه يبرق من السرور : ابشر بخير يوم طلعت عليك شرفة منذ ولدتك امك قال كعب ، فقلت له : أمن عند الله او من عندك يا رسول الله ؟ قال فقال : من عند الله . وتصديق كعب بثلك ماله شكراً لله على توبته .

(١) مجمع البيان (صيدا) ٣ : ٦٩ .

## قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ  
 إِنْ أُرِدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٧) آية  
 بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وأهل المدينة « الذين اتخذوا » باسقاط الواو . الباقون  
 بانباء الواو .

فمن اثبت الواو ، عطفه على ما تقدم من الآيات وتقديره : ومنهم الذين  
 اتخذوا مسجداً ضراراً ومن حذفها ابتداءً الكلام وحذف الخبر لطول الكلام ، قال  
 الزهري وبزيد بن رومان وعبد الله بن ابي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة .  
 نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين قال الفراء : كانوا من بني عمرو  
 ابن عوف من الأنصار . وقال غيره : كانوا من بني غيم ابن عوف من الأنصار  
 الذين بنوا مسجد الضرار وقيل انهم كانوا خمسة عشر رجلاً منهم عبد الله بن نفيل  
 في قول الواقدي - وقال ابن اسحاق : هو نفيل بن الحارث ولم يذكر عبد الله ،  
 وهذا المختلف في اسمه هو الذي كان ينقل حديث النبي الى المنافقين فأعلم الله نبيه  
 ذلك . وأخبر الله عنهم انهم بنوا المسجد الذي بنوه ضراراً اي مضارة . ونصب على  
 انه مفعول له اي بنوه للمضارة .

والضرار هو طلب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق تقول : ضاره  
 مضارة وضراراً .

والآية تدل على ان الفعل يقع بالارادة على وجه القبح دون الحسن او الحسن

دون القبيح ، لأنهم لو بنوا المسجد للصلاة فيه لكان حسناً لكن لما قصدوا المضارة كان ذلك قبيحاً ومعصية .

وقوله : « وتفريقاً بين المؤمنين » اي بنوه للمضارة والكفر والتفريق بين المؤمنين . وانما يكون تفريقاً بين المؤمنين بأن يتحزبوا لحزب يصلي فيه وحزب يصلي في غيره لتختلف الكلمة وتبطل الالفة . واتخذوا ايضاً ليكفروا فيه بالظن على النبي (ص) والاسلام والمسلمين .

وقوله : « وارصاداً لمن حارب الله ورسوله » معناه اتخذوه له ليكون متى اراد الاجتماع معهم حضره وأنس به ، وهو رجل يقال له ابو عامر الراهب لحق بقبصة . فتنصر وبعث اليهم سائئيك بمجنون فخرج به محمداً وأصحابه فبنوه يترقبونه ، وهو الذي حارب الأحزاب وحارب مع المشركين ، فلما فتحت مكة هرب الى الطائف ، فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر ، وابنه عبد الله قتل يوم احد وهو قتيل الملائكة ذهب اليه اكثر المفسرين كابن عباس ومجاهد وقتادة .

وأصل الارصاد الارتقاب تقول : رصد برصده رصداً وأرصد له وراصده مراصدة وتراصد تراصداً وارنصده إرنصاداً .

وقوله : « وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى » معناه ان هؤلاء يحلفون على انهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلا الحسنى يعني إلا الفعلة الحسنى ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم : « والله يشهد انهم لكاذبون » وكفى بمن يشهد الله بكذبه خزيماً . ووجه رسول الله (ص) قبل قدومه من تبوك عاصم بن عون العجلاني ومالك بن الدخيم وكان مالك من بني عوف ، وقال لها : ( انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه ثم حرقاها ) فخرجا يشتدان سريمين على اقدامها ففعلا ما امرها به فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترقت البتة .

## قوله تعالى :

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رَجُلٌ يَحِبُّ أَنْ يُتَطَهَّرَ رَوَى اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (١٠٨) آية بلا خلاف .

نهى الله نبيه - وعنى معه جميع المؤمنين - أن يقوموا في المسجد الذي بني ضراراً « ابداء » او يصلوا فيه . وأقسم ان المسجد الذي « اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه » وقيل في المسجد الذي اسس على التقوى قولان : احدهما - قال ابن عباس والحسن وعطية انه مسجد قباء .

وقال ابن عمرو وابن المسيب : هو مسجد المدينة .

وقال عمر بن شبة : المسجد الذي اسس على التقوى مسجد رسول الله (ص) والذي اسس على تقوى ورضوان مسجد قباء كذلك فصل بينها . ورواه عن اشيأه .

والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة ، والمتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب . وواو (تقوى) ابدلت من الياء ، لأنه من تقيت وإنما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة في الابدانية . ومثله شروى من شريت ، فأما الصفة فنحو خزيباً . ولو قيل كيف يبني فعلى من قصيت ؟ قلت : قصوى في الاسم وقصي في الصفة .

وقوله : « من اول يوم » معناه اول الأيام اذا ميزت يوماً يوماً ، لأن افعال بعض ما اضيف اليه . ومثله اعطيت كل رجل في الدار اي كل الرجال إذا ميزوا رجلاً رجلاً . والفرق بين من اول يوم ومنذ اول يوم ان منذ اذا كانت حرفاً فهي الوقت

الخاص كقولك منذ اليوم ومنذ الشهر ، ومنذ السنة وليس كذلك (من) واذا كانت اسما وقع على ما بعدها على تقدير كلامين و ( من ) على النهاية لأنها تقيض ( الى ) قال زهير :

لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر (١)  
وقوله : « احق ان تقوم فيه » مع ان القيام في الآخر قبيح منهى عنه ، وانما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجة بأنه لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا احق . ويجوز على هذا ان تقول : عمل الواجب اصلح من تركه . وقيل : المراد به القيام فيه حق ظاهراً وباطناً اذا كانت الصلاة في المساجد على ظاهرها حق .

وقوله : « فيه رجال » والاول ظرف للقيام . والثاني ظرف لكون الرجال .  
وقوله : « يحبون ان يتطهروا » قال الحسن : معناه يريدون ان يتطهروا من الذنوب . وقيل : يتطهرون بالماء عن الغائط والبول ، وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) ثم قال : « والله يحب المطهرين » اي يريد منافع المتطهرين من الذنوب وكذلك المتطهرين من النجاسة بالماء . وروي عن النبي (ص) انه قال لا اهل قباه : ( ماذا تعملون في طهركم فان الله احسن عليكم الثناء ) قالوا : نغسل اثر الغائط ، فقال : ( انزل الله فيكم والله يحب المطهرين ) .

وقيل : ان سبب نزول هذه الآية ان اهل مسجد ضرار جاءوا اليه ، فقالوا يا رسول الله بذينا مسجداً للضعيف في وقت المطر نسألك ان تصلي فيه وكان متوجهاً الى تبوك فوعدهم ان يفعل اذا عاد فنهاه الله عن ذلك .

وقوله : « والذين اتخذوا مسجداً » مبتدأ وخبره في قوله : « لا تقم فيه ابدأ » كما نقول : والذي يدعوك الى الغي فلا تسمع دعاه . والنقدير في الآية لا تقم في مسجدهم ابدأ واسقط ذلك اختصاراً .



## قوله تعالى :

﴿ اٰمَنَ اَسَسٌ بُنْيَانُهُ عَلٰى تَقْوٰى مِنْ اَللّٰهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ اَمٍّ  
مِّنْ اَسَسٍ بُنْيَانُهُ عَلٰى شِفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانَهَا رَبُّهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ  
وَ اَللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ﴾ (١٠٩) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عباس « اسس بنيانه » بضم الهمزة وكسر السين ورفع النون من بنيانه  
في الموضعين جميعاً . الباقون بفتح الهمزة ونصب النون من بنيانه .  
وقرأ ابن عامر إلا الداخوني عن هشام وحمة وخلف وأبو بكر إلا الأعشى  
والبرجمي « جرف » بسكون الراء . الباقون بضمها .

وقرأ أبو عمرو والكسائي والداخوني عن أبي ذكوان وهبة الله عن حفص من  
طريق النهرواني والدوري عن سليم من طريق ابن فرج وأبو بكر إلا الأعشى والبرجمي  
« هار » بالامالة . وافقهم على الوقف علي بن مسلم وابن غالب ومحمد في الوقف من  
طريق السوسي من طريق ابن جيش .

قال أبو علي الفارسي : البنيان مصدر وهو جمع كشعير وشعيرة لأنهم قالوا في  
أواحد بنيان قال أوس

كبنيانه القرى موضع رحلها وأثار نسعتها من الدف ابلق (١)  
وجاء بناء المصادر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو : الغفران . وليس  
بنيان جمع بناء ، لأن فعلاناً إذا كان جمعاً نحو كشبان وقضبان لم تلحقه تاء التأنيث ،  
وقد يكون ذلك في المصادر ، نحو : اكل وأكله وضرب وضربه من ذلك . وقال  
أبو زيد يقال : بنيت ابني بنياناً وبناءً وبنية وجمعها البنى وأنشد :

(١) بجمع البيان ٣ : ٧١ (صيدا) .

بني السماء فحوهاها بدنيتهما ولم تمد باطناب ولا عمد (١)

فالبناه والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً » (٢) فالبناه لما كان رفعاً للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء . ومن ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصبته وان لم يكن مبنيّاً فأما من فتح الهمزة وبنى الفعل للفاعل ، فلأنه الباني والمؤسس فأسند الفعل اليه وبناء له كما اضاف البنيات اليه في قوله : « بنيانه » فكما ان المصدر مضاف الى الفاعل كذلك يكون الفعل مبنيّاً له . ومن بني الفعل للمفعول لم يعمد ان يكون في المعنى كالأول ، لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له . والأول أقوى لما قلناه .

وقال ابو علي : و ( الجرف ) - بضم العين - هو الأصل ، والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل . ومثله الطنب والطنب . والعنق والعنق ، يجوز في جميعه التنقيط والتخفيف . وكلاهما حسن .

وقال ابو عبيدة : « على شفا جرف هار » مثل ، قال : لأن ما يبني على التقوى فهو اثبت اساساً من بناء يبني على شفا جرف . ويجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البنائين ، ويجوز ان تكون بين البناءين ، فإذا عادت بين البنائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقناً خير ام المؤسس بنيانه غير متقن ، لأن قوله : « على شفا جرف » يدل على ان بانيه غير متقن لله . ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف كأنه قال : ابنا من أسس بنيانه على تقوى خير ام بناء من أسس على شفا جرف . والبنيان مصدر يراد به المبني ، كما ان الخلق يراد به المخلوق إذا اردت ذلك ، وضرب الامير اذا اردت به المضروب . وكذلك نسج المن يراد به المنسوج ، فانما قلنا ذلك لأنه لا يجوز ان

(١) بجمع البيان ٣: ٧١ وقد مر في ١ : ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢ .

يراد به الحدث ، لأنه إنما يؤسس المبنى الذي هو عين ، يبين ذلك قوله : « على شفا جرف » والحدث لا يكون على شفا جرف . والجار في قوله : على « تهورى » وفي قوله : « على شفا جرف » في موضع نصب ، والتقدير افن اسس بنيانه متقياً خيراً ام من اسس بنيانه معاقباً على بنيانه ، وفاعل (انهار) البنيان ، وتقديره انهار البنيان بالبنائى في نار جهنم ، لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الفّرار والكفر والتفريق بين المؤمنين .

ومن امال « هار » فقد احسن لما في الزاء من التكرير فكأنك لفظت براهين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة .

ومن لم يعمل فلان كثيراً من العرب لا يميلون هذه الالقات . وترك الامالة هو الأصل . وأما الف « هار » فنقلبة عن الواو ، لأنهم قالوا : تهور البناء إذا تساقط وتداعى . والانهار والانهيال متقاربان في المعنى . والالف في قوله : « افن » الف استفهام يراد بها هاهنا الانكار ومعنى « خير » في الآية افضل . وليس فيه اشتراك يقولون : هذا خير وهذا شر ولا يراد به افعال قال الشاعر :

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبعم والشر محذور (١)

وأما قوله لهم : وافعل الخير معناه افعلوا الأفضل . و (الشفا جرف) الشبي وشفيره وجرفه نهايته في المساحة وينمى شفوان . والجرف جرف الوادي وهو جانبه الذي ينحفر بالماء اصله فيبقى وهياً وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشبي من اصله .

ومعنى ( انهار ) انصدع بالتهدم هار الجرف يهور هوراً فهو هائر وتهور تهوراً وانهار انهياراً . ويقال ايضاً : هار يهار . وأصلها هار هائر إلا انه قلب كما قال الشاعر :

(١) مجمع البيان ٣ ٧٣ .

لا ث به الاشاء والمعري ( ١ )

اي لا يث بمعنى دائر ومثله شاك في الصلاح وشائك . والاشاء النخل والمعري  
السدر الذي على ساقى الأ نهار ، ومعنى لا ث اي مطيف به .  
شبه الله تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضرار ببناءه يبنى على شفير جهنم ،  
فانهار ذلك البناء بأهله في نار جهنم ، ووقع فيه . وروي عن جابر بن عبد الله انه  
قال : رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان وهو قول ابن جريج .

قوله تعالى :

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ  
قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ( ١١٠ ) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحزمة وحفص وأبو جعفر ويعقوب « تقطع » بفتح التاء . الباقر  
بضمها . وقرأ يعقوب وحده « الى ان » على انه حرف جر .

وقوله : « لا يزال » من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر . وإنما عمل في  
الاسم والخبر لأنه إنما يتعلق في معنى الجملة فيدل على انه يدوم إذ المعنى فيه ان يكون  
الشيء على الصفة ابداً . قال ابو علي : البنيان مصدر واقع على المبنى وتقديره لا يزال  
بناء المبنى الذي بنوه ريبة اي شكاً في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتاً على  
النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى لا يخلص لهم ايمان ولا ينزعون عن النفاق  
الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى .

ومن قرأ « الى ان تقطع » فانه يريد حتى تبلى وتقطع بالبلى اي لا تنلج قلوبهم  
بالايمان ابداً ولا ينزعون عن الخطيئة في بناء المسجد ولا يتوبون .  
ومن ضم الياء اضاف الفعل الى المقطع المبلى للقلوب بالموت .

( ١ ) اللسان ( عبر ) ( لثي ) والتاج ( عبر ) وبجاز القرآن ١ : ٢٦٩ .

ومن فتحها اسند الفعل الى القلوب لما كانت هي البالية ، كما قالوا : مات زيد  
ومرض عمرو ، ووقع الحائط .

وفي قراءة ابي ( حتى المات ) .

ومعنى قوله : « الذي بنوا » مع قوله : « بنياهم » إنما هو ليعلم ان البناء ماض  
دون المستقبل اذ قد تجوز الاضافة على جهة الاستقبال كقولك للغير : أقبل  
على عملك .

وقيل في معنى الريبة في الآية ثلاثة اقوال :

احدها - ان هذا البنيان الذي بنوه لا يزال شكاً في قلوبهم . وقيل معناه حزازة  
في قلوبهم ، وقيل حسرة في قلوبهم يترددون فيها .

وقوله : « إلا ان تقطع قلوبهم » موضع « ان تقطع » نصب والتقدير الا على  
تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع (أن) ولا يحذف مع المصدر . ومعنى  
(الا) هاهنا (حتى) لأنه استثناء من الزمان المستقبل ، والاستثناء منه منته اليه  
فاجتمعت مع (حتى) في هذا الموضع على هذا المعنى . قال الزجاج : يحتمل ان يكون  
المراد الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفریطهم .  
وقوله : « والله عليم حكيم » اي عالم بنيةهم في بناء مسجد الضرار « حكيم »  
في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه .

### قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ إِشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمِ الْجَنَّةَ  
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَيْتٌ لَوْ وَوَيْقَاتُلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي  
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِئْتَمِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ آية  
بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « فيقتلون ويقتلون » على مفعول وفاعل . الباقون على  
فاعل ومفعول . من قدم الفعل المسند الى الفاعل ، فلا نهم يقتلون اولاً في سبيل الله  
ويقتلون ، ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول جاز ان يكون  
اراد ذلك المعنى ايضاً لأن المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم . وان لم يقدر  
ذلك كان المعنى يقتل بعضهم ويقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل منهم ، كما أن  
قوله : « فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله » (١) ومعناه ما وهن من بقي منهم لقتل  
من قتل من المؤمنين .

وحقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى ، لأن المشتري انما يشتري ما لا يملك  
والله تعالى مالك الأشياء كلها . وانما هو كقوله : « من ذا الذي يقرض الله قرصاً  
حسناً » (٢) في انه اجري بحسن المعاملة والتلفظ في الدعاء الى الطاعة مجرى ما لا  
يملكه المعامل فيه ولما كان الله تعالى رغب في الجهاد وقتال الاعداء وضمن على ذلك  
الثواب عبر عن ذلك بالاشتراء فجعل الثواب ثمناً والطاعات مثنياً على ضرب من المجاز  
وكما ان في مقابلة الطاعة الثواب فكذلك في مقابلة الالم العوض غير أن الثواب مقترن  
بالاجلال والاكرام والعوض خال منها . والمثاب محسن مستحق على احسانه المدح  
وليس كذلك العوض .

اخبر الله تعالى انه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بما ضمن لهم على بذلها  
من الثواب في قوله : « بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » اعداء الله واعداء نبيه  
فيقتلون اعداء الله ويقتلهم اعداء الله فيصبرون على ذلك .

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦ . (٢) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

ومن قدم المفعول اراد يقتل بعضهم فيقتل الباقيون اعداء الله .  
 وقوله : « وعدا عليه حقاً » نصب وعدا على المصدر بما دل عليه اشترى اذ  
 يدل على انه وعد . ومثله « صنم الله الذي اتقن كل شيء » (١) و« فطرة الله التي فطر  
 الناس عليها » (٢) والوعد خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره والوعيد خبر بما يفعله المخبر  
 من الشر بغيره .

وقوله : « حقاً » معناه يتبين الوعد بالحق الواجب من الوعد بما لم يكن واجباً .  
 فالوعد بالثواب دل على وجوبه من وجهين :  
 احدهما - من حيث انه جزاء على الطاعة .  
 والثاني - انه ايجاز الوعد .

وقوله : « في التوراة والانجيل والقرآن » معناه ان هذا الوعد للمجاهدين  
 مذكور في هذه الكتب . قال الزجاج : وذلك يدل على ان الجهاد كان واجباً على  
 اهل كل ملة .

وقوله : « ومن اوفى بعهده من الله » معناه لا احد احق بالوفاء بالعهد من  
 الله « فاستبشروا » ايها المؤمنون « ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »  
 يعني ذلك الشراء والبيع هو الفلاح العظيم الذي لا يقارنه شيء .

### قوله تعالى :

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ  
 الَّذِينَ يَمُنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ  
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) آية بلا خلاف .

(١) سورة النمل آية ٨٨ . (٢) سورة الروم آية ٣٠ .

قيل في ارتفاع قوله : « التائبون » ثلاثة اقوال :  
احدها - انه ارتفع بالمدح والتقدير هم التائبون .  
الثاني - بالابتداء وخبره محذوف بمسد قوله : « والحافظون لحُدود الله »  
لهم الجنة .

الثالث - على ان يكون بدلا من الضمير في « يقاتلون » اي إنما يقاتل في  
سبيل الله من هذه صفة . وقيل هو كقوله : « لكن الرسول والذين آمنوا معه » (١)  
التائبون . وقرأ ابي كل ذلك بالانصب على انه صفة للمؤمنين .  
وصف الله تعالى المؤمنين الذين اشتروا منه انفسهم وأموالهم بأنهم التائبون .  
ومعناه الراجعون الى طاعة الله المنقطعون اليه والنادمون على ما فعلوه من قبيح  
« العابدون » اي يعبدون الله وحده لا شريك له « الحامدون » يعني الشاكرون  
لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص له . وقال الحسن : هم الذين بحمدون الله على كل  
حال في سراة كانوا او ضراء ، وبه قال قتادة . « السائحون » قيل معناه الصائمون وقال  
المؤرج : السائحون الصائمون بلغة هذيل . وروي عن النبي (ص) انه قال : ( سياحة  
امتي الصوم ) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد .  
وقال الحسن : هم الذين يصومون ما افترض الله عليهم . وقال غيره : هم الذين يصومون  
دائماً وكذلك قال في قوله : « الراكعون الساجدون » انهم الذين يؤدون ما افترض  
الله عليهم من الصلاة والركوع والسجود .

وأصل السباح الاستمرار بالذهاب في الأرض كما يسبح الماء فالصائم مستمر على  
الطاعة في ترك المشتبه من الأكل والمشرب والمنكح .

وقوله : « الراكعون الساجدون » معناه الذين يقيمون الصلاة التي فيها الركوع  
والسجود « والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » معناه الذين يأمرون بما امر



الله به من الواجبات والمندوبات وينهون عما نهى الله عنه وزهد فيه من القبائح .  
 وإيضا عطف الناهون بالواو دون غيره من الصفات لأنه لا يكاد يذكر على  
 الافراد بل يقال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجاءت الصفة مصاحبة للاولى :  
 فأما قوله : « والحافظون » فلا نه جاء وهو اقرب الى المعطوف . ومعنى  
 « الحافظون لحُدود الله » انهم يحفظون ما أمر الله به ونهى عنه فلا يتجاوزونه  
 الى غيره .

وقوله : « وبشر المؤمنين » امر للنبي (ص) أن يبشر المؤمنين المصدقين بالله المعترفين  
 بذبوتهم بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة وخاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف على كمالها  
 وتامها دون غيرهم .

### قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ  
 كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣)  
 آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يكن « للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا » ومعناه ان  
 يطلبوا المغفرة « للمشركين » الذين يعبدون مع الله إلهآ آخر والذين لا يوجدونه  
 ولا يقرّون بالالهية « وان كان » الذي يطلب لهم المغفرة اقرب الناس اليهم بعد أن  
 يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود في النار . والقربى معناه القرب في النسب بالرجوع  
 الى اب او ام باضافة قريبة .

ومعنى قوله : « ولو كانوا اولى قربي » اي القرابة وان دعت الى الخنو والرقبة  
 فإنه لا يلتفت الى دعائها في الخصلة التي نهى الله عنها .

## قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا  
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾  
(١١٤) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى انه ليس للنبي والذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين ،  
بين الوجه في استغفار ابراهيم لابيه مع انه كان كافراً سواء كان أباه الذي ولده او  
جده لأمه او عمه على ما يقوله اصحابنا . وهو ان قال : وجه حسن ذلك انه كان  
تقدم ذلك موعده فلاجلها وجب عليه الوفاء به .

وقيل في معنى الموعدة التي كانت عليه في حسن الاستغفار قولان :

احدهما - ان الموعدة كانت من ابي ابراهيم لابراهيم انه يؤمن ان استغفر له  
فاستغفر له لذلك وطلب له الغفران بشرط ان يؤمن « فلما تبين » بعد ذلك : « انه عدو  
لله تبره منه » .

والثاني - ان الوعد كان من ابراهيم بالاستغفار ما دام يطعم في الابل ،  
كما قال : « إلا قول ابراهيم لأبيه لا تستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء »  
فاستغفر له على ما بصح ويجوز من شرائط الحكمة « فلما تبين انه عدو لله » وآيس  
من ايمانه « تبرأ منه » . والذي عندي وهو الأقوى ان اياه اظهر له الايمان وصار  
اليه وكان وعده ان يستغفر له ان آمن فلما اظهر الايمان استغفر له ، فأعلم الله ان  
ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه « فتبرأ منه » وبقوي ذلك قوله : « واغفر لأبي انه كان  
من الضالين » (١) اي فيما مضى ، ويجوز ان يكون اظهر الكفر بعد ذلك فلما تبين

ذلك تبرأ منه .

فأما من قال ان الوعد كان من ابراهيم فالسؤال باق ، لأن لقائل ان يقول ولم وعد كافراً ان يستغفر له ؟

فان قلنا : وعده بأن يستغفر له ان آمن كان الرجوع الى الجواب الآخر .  
والعداوة هي الابداد من النصر الى اعداء العقوبة . والولاية التقريب من النصر من غير فاصلة بالحياة والكرامة .

وقوله : « ان ابراهيم لأواه حلیم » قيل في معنى « أواه » ثمانية اقوال :  
فقال ابن عباس في معنى ( أواه ) تواب . وقال ابن مسعود : معناه دعا . وقال الحسن وقتادة : معناه رحيم . وقال مجاهد : معناه موقن . وقال كعب : معناه إذا ذكر النار قال اوه . وقال الضحاك : معناه المؤمن الموقن بالخشية الرحيم . وقال آخرون : معناه فقيه . وقال ابو عبيدة : معناه المتوجع المتضرع الى الله خوفاً وإشفاقاً .

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع والتحزن تقول : تأوه تأوها وأوه تأويها ، قال المثقب العبيدي :

إذا ما قمت ارحلها بليل تأوه أهة الرجل الحزين (١)

والعرب تقول : أوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال الشاعر :

فأوه بذكراها إذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وساء (٢)

والعامية تقول اوه يقال ايضاً اوه بسكون الواو وكسر الهاء وينشد البيت المتقدم

ذكره كذلك وقال الجعدي :

(١) ديوانه : ٢٩ وبجاز القرآن ١ : ٢٧٠ واللسان (أوه) وطبقات خول الشعراء

٣٣١ والمفضليات ٥٨٦ . وتفسير الطبري ١٤ : ٥٣٥ يصف ناقته بأنها تحن الى الديار .

(٢) اللسان (أوه) والطبري ١٤ : ٥٣٥ .

صروح صروح يتبع الورق بعدما بعرس شكوى اهة وتتمرا (١)  
وقال الزاجر :

فأوه الداعي وضوضاء اكلبه (٢)

ولو جاء منه فعل يفعل لكان آه يؤوه اوهاً على وزن قال بقول قول لا . والحليم هو الممهل على وجه حسن . والحلم الامهال على ما تقتضيه الحكمة . وهي صفة مدح والله حليم عن العصاة بأمهاله لهم مع قدرته على تمجيل عقوبتهم . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة انما تبين عداوته لما مات على كفره . وقال ابو علي الجبائي لما آيس من فلاحه عند نصيبه على بعد الوعد في الايمان بالله الذي كان وعد باظهاره في وقت بعينه .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) آية بلا خلاف .

قال مجاهد : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو انه لما حرم الله تعالى على المؤمنين استغفار المشركين بين انه لم يكن الله لياخذكم به الا بعد ان يدللكم على تحريمه وانه يجب عليكم ان تتقوه .

وقوله : « ليضل قوماً » معناه هاهنا لم يكن الله ليحكم بضلال من عدل عن طريق الحق على وجه الذم له الا بعد ان ينصب له على ذلك الدليل، والهدى هو الحكم بالاهتداء الى الحق على وجه الحمد له . والبيان والبرهان والحجة والدلالة بمعنى

(١) ديوانه : ٣٣ ، ٥٢ وجمهرة اشعار العرب : ١٤٦ والطبرى ١٤ : ٥٣٤

ويروى (خوف) و (ظروح) و (طروح) بدل (صروح).

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ٥٣٥ .

واحد ، و فرق الرّماني بين البيان والبرهان ، فقال : البيان اظهار المعنى في نفسه بمثل اظهار نقيضه . والبرهان اظهار صحته بما يستحيل في نقيضه كالبيان عن معنى قدم الاجسام ، ومعنى حدوثها ، فالبرهان يشهد بصحة حدوثها وفساد قدمها .  
وقال مجاهد : معناه حتى يبين لهم ما يتقون من ترك الاستغفار للمشركين لأنهم كانوا يستغفرون لهم ، فلما نهوا عنه انتهوا .

وقوله : « ان الله بكل شيء عليم » معناه انه يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه . وقال الحسن : مات قوم من المسلمين على الاسلام قبل فرض الصلاة والزكاة وغيرها وفرائض الدين ، فقال المسلمون : يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم ؟ فقال الله تعالى : « وما كان الله ليضلّ قوماً » وهم مؤمنون ولم يبين لهم الفرائض .

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦) آية بلا خلاف .

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم ، لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض بأمر فيهم ما يشاء ويدبرهم على ما يشاء فأخبر الله ان « له ملك السماوات والأرض » ومعناه انه قادر على التصرف فيها وليس لأحد منعه منها . والملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير . وخزائن الله لا تقنى وملكه لا يبديد ولا يبلى ، وكل ذلك يرجع الى مقدوراته في جميع اجناس المعاني .

وقوله : « يحيي ويميت » معناه انه يحيي الجماد ويميت الحيوان . والحياة معنى يوجب كون الحيوان حياً والحى المختص بصفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً

والموت عند من اثبتته معنى هو ما يضاد الحياة . ومن لا يثبتته معنى يقول : هو عبارة عن فساد بنية الحياة .

وقوله : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » فالولي هو المقرب بالنصرة من غير فاصلة . والانسان ولي الله ، لأنه يقربه بالنصرة من غير فاصلة . والله وليه بهذا المعنى ، والنصير ، والاستنصار طلب النصر والانتصار والانتصاف بالنصرة .

### قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ حمزة وحفص « يزيف » بالياء . الباقون بالتاء . قال ابو علي النحوي : يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء :

احدها - ان يضم فيه الفصة أو الحديث ويكون (تزييف) الخبر وجاز ذلك للزوم الخبر لها فأشبهه الموامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر لها ، ولا يجوز ذلك في عسى ، لأن عسى يكون فاعله المفرد في الاكثر ولا يلزمه الخبر . نحو قوله : « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم » (١) فاذا كان فاعله المفرد في كثير من الأمر لم يحتمل الضمير الذي احتمله كاد كما لم تحتمله سائر الأفعال التي تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتدأ . وما يجيء في الشعر من كاد ان يفعل . وعسى يفعل فلا يمتد به ، لأنه من ضرورة الشعر .

الثاني - من فاعل كاد ان يضمه ذكراً مما تقدم ، لما كان النبي (ص) والمهاجرون والأَنْصَار قبيلًا واحدًا وفريقاً جاز ان يضم في (كاد) ما يدل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق . وقال : منهم من حملة على المعنى كما قال : « من آمن بالله واليوم الآخر » ثم قال : « فلا خوف عليهم » (١) فكذلك فاعل كاد .

والثالث - من فاعل كساد ان يكون فاعلها القلوب كأنه من بهـ مد ما كاد قلوب فريق منهم تزبغ وإنما قدم ( تزبغ ) كما قدم خبر كساد في قوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (٢) وجاز تقديمه وإن كساد فيه ضمير من القلوب ولم يكن ذلك من الاضمار قبل الذكر ، لأن النية به التأخير .

ومن قرأ بالياء يجوز ان يكون جعل في (كساد) ضمير الحديث فاذا اشتغل كساد بهذا الضمير ارتفع القلوب بـ (تزبغ) فذكر وان كان (كساد) فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل . ومن قرأ بالتاء جاز ان يكون ذهب الى ان القلوب مرتفعة بـ (كساد) فلا يكون يرفع فعلاً مقدماً فاذا لم يكن مقدماً قبض التذكير لتقدم ذكر الفاعل كما قبض في قول الشاعر :

ولا ارض اقبل ابقاها (٣)

ولم يصح اقبل ارض ويجوز ان يكون الفعل المسند على القصة والحديث يؤنث اذا كان في الجملة التي تفسيرها مؤنث كقوله : « فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا » (٤) ويجوز الحاق التاء في كساد من وجه آخر وهو ان يرفع تزبغ قلوب بكاد فتلحقه علامة التأنيت من حيث كساد مسنداً الى مؤنث كقوله : « قالت

(١) سورة البقرة آية ٦٢ ، وسورة المائدة آية ٧٢ .

(٢) سورة الروم آية ٤٧ .

(٣) مر تخريجه في ١ : ١٢٦ . (٤) سورة الانبياء آية ٩٧ .

الأعراب ، (١) فعلى هذا يكون في (تزيغ) ضمير القلوب ، لأن النية في (تزيغ) التأخير .

### المعنى والقصة :

اقسم الله تعالى في هذه الآية - لأن لام (لقد) لام القسم - بأنه تاب على النبي والمهاجرين والأَنْصار بمعنى أنه رجع إليهم ، وقبل توبتهم ، الذين اتبعوه في ساعة العسرة ، يمضي في الخروج معه إلى تبوك . و (العسرة) صعوبة الأمر وكاربت ذلك في غزاة تبوك لأنه لحقهم فيها - مشقة شديدة من قلة الماء حتى نحرروا الإبل وعصروا كروشها ومصوا الذوا ، وقل زادهم وظهرهم ، في قول : مجاهد وجابر وقتادة . وروي عن عمر أنه قال : أصابنا عطش شديد فأمر الله السماء بدعاء النبي (ص) فعمشنا بذلك « من بعد ما كاد بزيع قلوب فريق منهم » والتزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله : « فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم » (٢) . ومنه قوله : « لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » (٣) . وكان أبو خيثمة عبد الله بن خيثمة نخلف إلى أن مضى من مسير رسول الله عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له - في يوم حار - عريشيين لها قد رشتاهما وبردتا الماء وهياتا له الطعام فقام على العريشيين ، فقال : سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهياً وامرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ، ثم قال : والله لا أكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشاً حتى الحق بالنبي (ص) فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامرأناه نكلانه ولا يكلمها ثم سار حتى إذا دنا من تبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق فقال النبي (ص) :

(١) سورة الحجرات آية ١٤ . (٢) سورة الصف آية ٥ .

(٣) سورة آل عمران آية ٨ .



كن ابا خيثمة ، فلما دنا قال الناس : هذا أبو خيثمة يا رسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله (ص) فقال له النبي (ص) أولى لك ، فحدثه الحديث ، فقال له خيراً ، ودعا له ، فهو الذي زاغ قلبه للمقام . ثم ثبته الله . وقيل ان من شدة ما لحقهم هم كثير منهم بالرجوع فتاب الله عليهم ، وقيل من بعد ما كان شك جماعة منهم في دينه ثم تابوا فتاب الله عليهم . وقوله : « ثم تاب عليهم » اي رجع عليهم بقبول توبتهم « انه بهم رؤوف رحيم » اخبار منه تعالى انه بهم رؤوف ظرافة أعظم من الرحمة ، قال كعب بن مالك الانصاري :

نطيع نبينا ونطيع رباً هو الرحمن كان بنا رؤوفاً (١)  
وقال آخر :

ترى للمسلمين عليك حقاً كمثل الوالد الرؤف الرحيم (٢)  
قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رُحِبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٨) آية  
بلا خلاف .

### النزول والقصة :

تقدير الكلام وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا . وقيل نزلت هذه الآية بحسب

(١) مر تخريجه في ٢ : ١٢ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٠ .

(٢) اللسان (رأف) نسبة الى جرير وروايته ( يرى للمسلمين عليه ) . و(كفعل)

بدل (كثل) ومجاز القرآن ١ : ٢٧١ .

الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوك ولم يخرجوا مع النبي (ص) لا عن فراق - لكن عن توان ، ثم ندموا . فلما ورد النبي (ص) جاءوا واعتذروا ، فلم يكلمهم النبي (ص) وتقدم الى المسلمين بأن لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وأهاليهم وجاءت نساؤهم الى رسول الله (ص) تعتذر لهم ، فقال : لا ولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة ، فخرجوا الى رؤس الجبال ، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض : قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد ، فهلاً نتهاجر نحن ايضاً فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان ، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً . وقيل سنة يضمرون الى الله تعالى ويتوبون اليه ، فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم ، وأنزل فيهم هذه الآية . والثلاثة هم : كعب بن مالك وهلال بن امية ، وفزارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجابر .

### اللغة والمعنى :

والتخليف تأخير الشيء عن مضي ، فأما تأخير الشيء عنك في المكان ، فليس بتخليف . وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه . وقال مجاهد : خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين ، كما قال تعالى فيما مضى : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » (١) .  
وقال قتادة : « خلفوا » عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم . وبه قال الحسن .  
وفي قراءة أهل البيت (ع) « خالفوا » قالوا لأنهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب .

وقوله : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » فالضيق ضد السعة ومنه ضيق الصدر ، خلاف اتساعه ، بالهم الذي يحدث فيه فيشغله عن غيره . وليس كذلك

السرور لأنه لا يشغل عن ادراك الامور .

ومعنى « بما رحبت » اي بما اتسعت تقول : رحبت رحباً ، ومنه مرحباً وأهلاً اي رحبت بلادك وأهلت . وضيق انفسهم هاهنا بمعنى ضيق صدورهم ، بالهم الذي حصل فيها .

وقوله : « وظنوا ان لا مجأ من الله إلا اليه » معناه وعلموا انه لا يعصمهم منه موضع إذا اعتصموا به والتجؤوا اليه كأنه قال : لا معتصم من الله إلا به : لجأ يلجأ لجأه وألجأه الى كذا إلجاء إذا صيره اليه بالمنع من خلافه . والتجأ اليه التجأه وتلاجؤا تلاجؤاً .

وقوله : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - لطف لهم في التوبة ، كما يقال في الدعاء : تاب الله عليه .

الثاني - قبل توبتهم ليمسكوا بها في المستقبل .

الثالث - قبل توبتهم ليرجعوا الى حال الرضا عنهم .

وقال الحسن : جعل لهم التوبة ليتوبوا بها ، والمخرج ليخرجوا به .

وقوله : « ان الله هو التواب الرحيم » اخبار منه تعالى بأنه ( جلّ وعز ) يقبل توبة عباده كثيراً ويغفر ذنوبهم إذا رجعوا اليه لرحمته عليهم ورأفته بهم . وكان ابو عمرو يحكي عن عكرمة بن خالد ( وعلى الذين خلقوا ) بفتح الخاء والتخفيف وكان لا يأخذ بها .

فان قيل : ما معنى التوبة عليهم واللائمة لهم وهم قد خلفوا فهلا عذروا ؟

قيل ليس المعنى انهم امروا بالتخلف ورضي منهم به بل كقولك لصاحبك : اين خلفت فلاناً ؟ فيقول : بموضع كذا ليس يريد انه امره بالتخلف هناك بل لعله ان يكون نهاء وانما يريد انه تخلف هناك .

## قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩)

آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بالله والمقربين بقبول نبية بأن يتقوا معاصي الله ويحتنبوها وان يكونوا مع الصادقين الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ، قال ابن مسعود : لا يصلح من الكذاب جد ولا هزل ، ولا ان يعد احدكم ولده شيئاً ثم لا ينجزه . ثم قرأ « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله » الآية . وقال : هل ترون في هذه رخصة ؟

وقال نافع والضحاك : امروا بأن يكونوا مع النبيين والصديقين في الجنة بالمعمل الصالح .

وقيل : ان المراد بالصادقين هم الذين ذكروهم الله في قوله : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه » (١) وهم حمزة وجعفر « ومنهم من ينتظر » يعني علياً (ع) فأمر الله تعالى بالاعتدائهم والاهتداء بهم ، وهم الذين وصفوا في قوله : « ليس البر ان تولوا وجوهكم ... » الآية الى قوله : « اولئك الذين صدقوا » (٢) فأمر بالاعتدائهم بهؤلاء .

وقال بعضهم : ان (مع) بمعنى (من) وكأنه امر بأن يكونوا في جملة الصادقين وفي قراءة ابن مسعود « وكونوا من الصادقين » .

وقيل : اراد كونوا مع كعب بن مالك واصحابه الذين صدقوا في اقوالهم ولم يكذبوا في الاعتذار .

والصادق هو الفائل بالحق العامل به ، لأنها صفة مدح لا تطلق الا على من

(١) سورة الاحزاب آية ٢٣ . (٢) سورة البقرة آية ١٧٧ .

يستحق المدح على صدقه . فأما من فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم صادق ولذلك مدح الله الصديقين وجعلهم تالين للنبیین في قوله : « فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبیین والصديقين والشهداء والصالحين » (١) .

### قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُنَّ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا أَكُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠) آية .

لما قص الله تعالى قصة الذين تأخروا عن النبي (ص) والخروج معه الى تبوك . ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرافته بهم ورحمته عليهم ، ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والازراء على ما كانوا فعلوه فقال : لم يكن لأهل المدينة ولا من يسكن حول المدينة من الاعراب والبوادي « ان يتخلفوا » بمعنى ان يتأخروا عن رسول الله « ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه » ومعناه ولا ان يطلبوا نفع نفوسهم ، لأن الرغبة طلب المنفعة ونقيضها الرهبة . ويقال رغب فيه اذا طلب المنفعة به ورغب عنه طلب المنفعة بتركه ، والترغيب ضد الترهيب . ومعنى « يرغبوا بانفسهم عن نفسه » اي يطلبون المنفعة بترفيه انفسهم دون نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها ، لحقه فيما دعاهم من الهدى الذي اهدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان .

(١) سورة النساء آية ٦٨ .

وقوله : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب » إشارة الى ما ألزمهم الله أيام من تحمل هذه المشقة لأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو شدة العطش تقول : ظمئاً يظمأ ظمأً وهو ظمئاً وظمآن وظمآن وأظماه الله اظماه . ومنه قيل : انا ظمآن الى رؤية فلان . ومعنى « ولا نصب » اي تعب تقول : نصب ينصب نصباً فهو نصب . ومثله الوصب قال النابغة :

كلبني لهم يا اميمة ناصب وليل افاسيه بطي السكواكب (١)

وقوله : « ولا نخصة » يعني مجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ومنه رجل نخيص البطن وامرأة نخصانة

وقوله : « في سبيل الله » يعني من قتال اعدائه المشركين .

وقوله : « ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار » اي لا يخطون خطوة « إلا كتب لهم اجرها » والموطئ : الأرض ، والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يشق . والغضب هو ما يدعوا الى الانتقام على ما سلف من المعصية مما هي متعلقة به ، وهو مستحق بها ولذلك جر ان يطلق الغضب على الله ولم يجز اطلاق الغيظ عليه .

وقوله : « ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح » والنيل لحوق الشيء . تقول : نلته انا له نيلاً اذا نلته بيدك وهو منيل ، وليس من للتناول لأن هذا من الواو تقول : نلته بخير انوله نولا ونوالا وانالني خيراً انالة .

والمعنى ان هؤلاء المؤمنين لا يصيدون من المشركين امراً ، من قتل او جراح او مال ، او امر يغمهم ويغيظهم الا ويكتب الله للمؤمنين « به عملاً صالحاً ان الله لا يضيع اجر المحسنين » اخبار منه تعالى انه لا يضيع اجر من فعل الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح وقد يكون فاعل الحسن لا يستحق المدح مثل فاعل المباح .

وقال قتادة : حكم هذه الآية يختص بالنبي فانه اذا غزا النبي (ص) لم يكن

لأحد أن يتخلف عنه ، فأما من بعده من الخلفاء فإن ذلك جائز ، وقال الاوزاعي وعبد الله بن المبارك والفرازي والسبعمي وأبو جابر ، وسعيد بن عبد العزيز : ان هذه الآية لأول الامة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله . وقال ابن زيد : هذا حين كان المسلمون قليلين ، فلما كثروا نسخ بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلولزم كل احد النفر لصار من فروض الأعيان .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَ الْأَعْرَابِ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢١) آية  
بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدم ذكره في الآية الاولى من قوله : « ولا يقطعون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً... ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » اي لا ينفق هؤلاء المؤمنون في سبيل الله وجهاد اعدائه نفقة صغيرة ولا كبيرة يريدون بها اعزاز دين الله ونعم المسلمين والتقرب الى الله بها ، لأن الاتفاق متى كان للشهوة او ليدكر بالجود كان ذلك مباحاً وان كان للرياء والسمعة وللمعاونة على فساد كانت معصية والصغير ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو اكبر منه ، والكبير ما زاد ثوابه على ثواب ما هو دونه ، وقوله : « ولا يقطعون وادياً » معناه ولا يتجاوزون وادياً . وقوله : « إلا كتب لهم » ثواب ذلك لهم « ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » معناه إنه يكتب طاعتهم ليجزيهم عليها احسن مما فعلوه . وقال الرماني : ذلك يدل على

انه يكون حسن احسن من حسن قال : لان لفظه افضل تقتضي التفاضل فيما شاركه في الحسن. وهذا ليس بشيء لان المعنى ان الله تعالى يجزيهم احسن ما كانوا يعملون يعني ماله مدخل في استحقاق المدح والثواب من الواجبات والمندوبات دون المباحات التي لا مدخل لها في ذلك وان كانت حسنة .

### قوله تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً قلولا نفرًا من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (١٢٢) آية بلا خلاف .

قوله : « قلولا نفر » معناه هلا نفر ، وهي للتخصيص إذا دخلت على الفعل ، فإذا دخلت على الاسم فهي بمعنى امتناع الشيء لأجل وجود غيره .  
وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن : حث الله تعالى الطائفة النافرة على التفقه لترجم الى المتخلفة فتحذرها . وقال قتادة : إن المعنى انه لم يكن لهم ان ينفروا باجمعهم في السرايا ويتركوا النبي (ص) بالمدينة وحده ، واسكن تبقى بقية لتتفقه البقية ثم تنذر النافرة وبه قال الضحاك وابن عباس ، وقال ابو علي الجبائي : تنفر الطائفة من كل ناحية الى النبي (ص) لتسمع كلامه وتتفقه عنه ، ثم يبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا اليهم . وقال مجاهد : نزلت الآية في قوم خرجوا الى البادية ، ليفقههم ولينالوا منهم خيراً ، فلما عاتب الله من تأخر عن النبي عند خروجه الى تبوك وذم آخرين خافوا ان يكونوا منهم فنفروا باجمعهم ، فقال الله : هلا نفر بعضهم ليفقه عن النبي (ص) ما يجب عليهم وما لا يجب ويرجعون فيخبرون اصحابهم بذلك ليحذروا .



والنفور عن الشيء هو الذهاب عنه لتكره النفس له والنفور اليه الذهاب اليه لتكره النفس لغيره . والتفقه تعلم الفقه . والفقه فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها وصار بالعرف مختصاً بمعرفة الحلال والحرام ، وما طريقه الشرع . قوله : « لعاهم يحذرون » . معناه لكي يحذروا ، لأن الشك لا يجوز على الله . والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة يقال : حذر حذراً وحذرته تحذيراً وحاذره محاذرة وتحذر تحذراً .

واستدل جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد بأن قالوا : حث الله تعالى الطائفة على النفور والتفقه حتى إذا رجعوا الى غيرهم لينذروهم ليحذروا ، فلولا انه يجب عليهم القبول منهم ، لما وجب عليهم الانذار ، والتخويف . والطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم بل تقع على واحد ، لأن المفسرين قالوا في قوله : « وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين » انه يكفي ان يحضر واحد .

وهذا الذي ذكروه ليس بصحيح ، لأن الذي يقتضيه ظاهر الآية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة ووجوب التفقه والانذار إذا رجعوا ، ويحتمل ان يكون المراد بالطائفة الجماعة التي يوجب خبرهم العلم ، ولو سلمنا انه يتناول الواحد أو جماعة قليلة فلم اذا وجب عليهم الانذار وجب على من يصمم القبول ؟ والله تعالى إنما اوجب على المنذرين الحذر والحذر ليس من القبول في شيء بل الحذر يقتضي وجوب البحث عن ذلك حتى يعرف صحته من فساده بالرجوع الى الأدلة ، ألا ترى ان الحاضر إذا ورد على المكلف وخوفه من ترك النظر فانه يجب عليه النظر ولا يجب عليه القبول منه قبل ان يعلم صحته من فساده ، وكذلك إذا ادعى مدع النبوة وان معه شرعا وجب عليه ان ينظر في معجزه ولا يجب عليه القبول منه ونصديقه قبل ان يعلم صحة نبوته ، فكذلك لا يمتنع ان يجب على الطائفة الانذار ويجب على المنذرين البحث والتفتيش حتى يعلموا صحة ما قالوه فيعملوا به ، وقد استوفينا الكلام في ذلك في كتاب

اصول الفقه لا تطول بذكره هاهنا .

وقيل : ان اعراب أسد قدموا على النبي (ص) في المدينة فقلت الأسمار  
ومأثوا الطرق بالعدرة فأنزل الله تعالى الآية يقول : فهلا جاء منهم طوائف ثم  
رجعوا الى قومهم فأخبروهم بما تعلموا وروى الواقدي ان قوماً من خيار المسلمين  
خرجوا الى البدو يفقهون قلوبهم فاحتج المنافقون في تأخرهم عن تبوك بأولئك  
فنزات « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » قال : وفيهم نزات « والذين يحاجون  
في الله من بعد ما استجيب له حجهم داحضة » (١) يعني ان احتجوا بتأخر هؤلاء  
في البادية فانهم مستجيبون مؤمنون ، فكيف يكون لهم اسوة او حجة في تأخرهم  
وهم منافقون مدهنون .

وقال ابو جعفر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله ان ينفر منهم طائفة  
ويقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوباً .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار  
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ (١٢٣) آية  
بلا خلاف .

روى المفضل عن عاصم (غلظة) بفتح الفين . الباؤون بكسر ها ، قال ابو الحسن :  
قراءة الناس بالكسر وهي العربية ، قال وبه اقرأ ولا أعلم الفتح لغة . وقال غيره : هي  
لغة . وذكر الزجاج ان فيه ثلاث لغات انفتح والضم والكسر ، والكسر أفصحها .  
والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم .

امر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الذين يلونهم يعني الأُقرب فالأُقرب وذلك يدل على انه يجب على اهل كل ثغر أن يقاتلوا عن انفسهم إذا خانوا على بيضة الاسلام إذا لم يكن هناك امام عادل وانما جاز من الله تعالى ان يأمر بالقتال ليدعوهم الى الحق ولم يجز ان يمنهم من الكفر ، لأن المنع ينافي التكليف . ومن قاتل الأُبعد من الكفار وترك الأُقرب فالأُقرب فان كان باذن الامام كان مصيباً وان كان بغير أمره كان مخطئاً ، ولو قال : قاتلوا الأُقرب فالأُقرب نصح لأنه يمكن ذلك . ولو قال : قاتلوا الأُبعد فالأُبعد لم يصح لأنه لا حد للأُبعد يبتدأ منه كما للأُقرب .

وقوله : « وليجدوا فيكم غلظة » معناه وليخشوا منكم بالغلظة ، والغلظة ضد اللين وخلاف الرقة ، وهي الشدة في احلال النعمة ومخرج الكلام على الأمر بالوجود ، وإنما معناه يجدون ذلك ويجوز ان يكون المراد وليعلموا منكم الغلظة .

وقوله : « واعلموا ان الله مع المتقين » امر من الله للمؤمنين ان يتيقنوا ان الله مع الذين يتقون معصيته ، بالنصرة لهم ومن كان الله ناصره في الحرب لم يغلبه احد فأما إذا نصره بالحجة في غير الحرب فانه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن زَادَاتِهِ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾  
(١٢٤) آية بلا خلاف .

(ما) في قوله : « وإذا ما » يحتمل امرين :

احدهما - ان تكون دخلت لتسلط إذا على الجزاء .  
 والثاني - ان تكون صلة مؤكدة ، وقوله : « فمنهم من يقول » الضمير عائد  
 على المنافقين في قول الحسن والزجاج ، والتقدير فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض  
 على وجه الإنكار : « أيكم زادته هذه إيماناً » وقال الجبائي : يقول المنافقون لضعفة  
 المؤمنين على وجه الاستهزاء . فأخبر الله تعالى انه متى نزلت سورة من القرآن قال  
 المنافقون على وجه الاستهزاء والإنكار : « أيكم زادته هذه إيماناً » ثم قال تعالى :  
 « فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً » للمعنى ازدادوا عندها إيماناً وإنما أضافه الى السورة  
 لأن عندها ازدادوا ، فوجه زيادة الإيمان انهم يصدقون بأنها من عند الله ويعترفون  
 بذلك ويعتقدونه وذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له .

وقوله : « وهم يستبشرون » جملة في موضع الحال ، وتقديره انهم يزدادون  
 الإيمان عندها مستبشرين بذلك فرحين بما لهم في ذلك من السرور والثواب . والزيادة  
 ضم الشيء الى جنسه لأنك لو ضمنت حجراً الى ذهب لم تكن زدت ولو ضمنت  
 ذهباً الى ذهب أو حجراً الى حجر لم تكن زدته .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ  
 وَمَانُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥) آية .

لما بين الله تعالى ان المؤمنين يزدادون الإيمان عند نزول السورة بين ان الذين  
 في قلوبهم مرض يعني شك وتفاق من الاسلام يزدادون عند ذلك رجساً الى رجسهم  
 اي تفاقاً وكفرأ الى كفرهم ، لأنهم يشكون في هذه السورة كما يشكون في الذي  
 تقدم فكان ذلك هو الزيادة . وسمى الشك في الدين مرضاً ، لأنه فساد يحتاج الى  
 علاج كالفساد في البدن الذي يحتاج الى مداواة . ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر

ودواؤه اعز وأطبأؤه اقل . والرجس والنجس واحد وسمي الكفر رجساً على وجه  
الدم ، وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس . وانما اضاف الزيادة الى السورة  
لأنهم يزدادون عندها ، ومثله كفي بالسلامة داء ، كما قال الشاعر :

ارى بصرى قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما (١)

وقوله : « وماتوا وهم كافرون » فيه بيان أن المرض في القلب اداوم الى ان  
ماتوا على شر حال لأنها تسوق الى النار فعوذ بالله منها . وانما قال : « وماتوا » على  
لفظ الماضي لأنه عطف على قوله : « زادهم رجساً الى رجسهم » والمعنى انهم يموتون  
وهم كافرون .

### قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ  
هُمْ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة ويعقوب « أولاء ترون » بالتاء . الباقون بالياء .

قوله : « او لا يرون » تنبيه وتقريع لمن غني بالخطاب . فمن قرأ بالتاء فوجهه  
ان المؤمنين نبهوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا فيه  
ويتدبروا ، لأنهم يمتحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمن معها الموت ، فلا  
يرتدعون عن كفرهم ولا ينزجرون عما هم عليه من النفاق ، فلا يقدمون عليه اذا ماتوا .  
فتبه المسلمين على قلة اعتبارهم وانعاشهم .

ومن قرأ بالياء وجه التقريع - بالاعراض عما يجب ان لا يعرضوا عنه من التوبة  
والاقلاع عما هم عليه من النفاق - الى المنافقين دون المسلمين ، لأن المسلمين قد عرفوا  
ذلك من امرهم وكان الأولى ان يلحق التنبيه من يراد تنبيهه وتقريعه بتركه ما ينبغي

(١) قائله حميد بن نور الهلالي العقد الفريد ٢ : ٣٣١ .

ان يأخذ به .

ونحتمل الرؤية في الآية على القراءتين ان تكون متعدية الى مفعولين . وان تكون من رؤية العين ، فاذا جمعت متعدية الى مفعولين سداً (ان) مسدّهما . وان جملة من رؤية العين كان اولي ، لا أنهم مبتلون في الاعراض عنه على ترك الاعتبار به ، وهذا ابلغ من التعدية الى مفعولين ألا ترى ان تارك الاستدلال اعذر ممن يكابر المشاهدات .

ولو قرىء بضم الياء وبني الفعل للمفعول به كان ( ان ) في موضع نصب بأنه مفعول الفعل الذي يتمدى الى مفعول ، وفتحت الواو في قوله : « او لا » لأنها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام ، فهو متصل بذكر المنافقين ومتصل بذكر آخرين ذكرهم بدليل العلامتين الواو والالف .

والفتنة المحنة بالقتل والسبي ونصر الله لنبيه حتى يستعلي على كل من ناواه - في قول الحسن وقتادة - وقال مجاهد : هي بالقحط والجوع . وقال الجياني : هي بالمرض الذي ينزل بهم . وقيل تهتك استارهم بما يظهره الله من سوء نياتهم وخبث سرائرهم وقال الزجاج : معناه انهم يختبرون بالدعاء الى الجهاد ، وهو قول الحسن وقتادة . واجاز الرماني ان تفعل التوبة خوفاً من العقاب ، كما يجوز ان تفعل لقبح المعصية . قال : لأن كل واحد من الأمرين يدعو اليه الفعل ، ومن جحد احد الأمرين كمن جحد الآخر . والذي عليه اكثر اهل العدل انه لا يجوز ان تفعل التوبة الا لوجه قبح المعصية . ومتى فعلت لحوف العقاب لم تكن مقبولة .

وقوله : « ثم لا يتوبون ولا هم يدركون » اخبار منه تعالى انه مع ما يمتحنهم في كل سنة دومة او دفتين فانهم لا يقلعون عن المعاصي ولا يتوبون منهم - او لا يتفكرون فيها والتذكر طلب الذكر بالفكر فيه .

## قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٢٧) آية بلا خلاف

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه متى أنزل سورة من القرآن « نظر بعضهم إلى بعض » نظراً يؤمن به « هل يراكم من احد » وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يتحذرون أن يعلم بهم ، فكانهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون .

وبحتمل أن يكون انصرفهم عن العمل بشيء مما يستمعون ، فقال الله تعالى « صرف الله قلوبهم » يعني من رحمة عقوبة لهم بأنهم قوم لا يفقهون مواضع الله ولا أمره ونهيه وإنما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة التي تحصل للمؤمنين بسماع الوحي فيحرمون ما للمؤمنين من الاستبشار بتلك الحال . والفقه فهم موجب المعنى المضمن به ، وقد صار علماء على علم الفتيا في الشريعة لأن المعتمد على المعنى ، وكانت القوم عقلاء يفقهون الأشياء ، وإنما نفى الله عنهم ذلك ، لأنهم لم ينظروا فيه ولم يعملوا بموجبه فكانهم لم يفقهوه ، كما قال « صم بكم عمي » لما لم يذنبوا بما سمعوه ورأوه .

## قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف

اقسم الله تعالى في هذه الآية بأنه قد « جاءكم رسول من أنفسكم » لأن لام

( لقد ) هي اللام التي يتلقى بها القسم . والخطاب متوجه الى جميع الخلق ومعنى « من انفسكم » اي انكم ترجمون الى نفس واحدة ، كما قال « قل انما انا بشر مثلكم » (١) ويحتمل ان يكون المراد به من العرب كما انكم كذلك . ويكون على هذا الخطاب متوجهاً الى العرب خاصة فانهم نخبرونه ويقيم على مذهبه .

وقيل انه لم يبق بطن من العرب إلا وولد النبي عليه السلام وانما ذكر ذلك لأنه اقرب الى الألف وابعد من المحك واللجاج وأسرع الى فهم الحجية ، فهو من انفسكم في اشرف نسبه منكم ، ومن انفسكم في اقرب منكم ، ومن انفسكم بالاختصاص بكم .

وقوله « عزب عليه » أي شديد عليه لأنه لا يقدر على ازالته ، والعزب في صفات الله فعنايه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد ، والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه ، وهو على ثلاثة اوجه امتناع الشيء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة .

وقوله « ما عنتم » يعني ما يلحقكم من الأذى الذي يضيق الصدر به ، ولا يهتدي للخروج منه ، ومنه قيل فلان بعنت في السؤال ، ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله لا عنتم » اي ضيق عليكم حتى لا تعتدوا للخروج منه ، والعنت إلقاء الشدة .

وقوله « حريص عليكم » فالحرص شدة الطلب للشيء على الاجتهاد فيه ، والمعنى حريص عليكم ان تؤمنوا - في قول الحسن - ثم استأنف فقال « بالمومنين رؤوف رحيم » اي رفيق بهم رحيم عليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ



وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ آية بلا خلاف .

معنى «فان تولوا» ان ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به وأعرضوا عن قوله . ونقيض التولي عنه التوجه اليه ومثل التولي الاعراض ، وقال الحسن : المعنى فان تولوا عن طاعة الله ، وقيل فان تولوا عنك .

وقوله تعالى «حسبي الله» معناه ان ذهبوا هؤلاء الكفار عنك ولم يقرؤا بنبوتك «فقل» يا محمد «حسبي الله» ومعناه كافي الله وهو من الحساب ، لأنه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حدٍ ونهاية اذ نعمه دأمة ومنه متظاهرة .

وقوله «لا إله الا هو» جملة في موضع الحال وتقديره «حسبي الله : مستحقاً لا خلاص العباد والاقرار بأن لا إله الا هو» .

وقوله «عليه توكلت» فالتوكل تفويض الأمر الى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته ، باخلاص الذية في كل شيء يحذر منه ، ومنه قوله «حسبنا الله ونعم الوكيل» (١) اي المتولي للقيام بمصالح عبادته ، وفي هذه الصفة بلطف .

وقوله «وهو رب العرش العظيم» قيل في تخصيصه الذكر بأنه رب العرش العظيم ثلاثة اقوال :

احدها - انه لما ذكر الأَعْظَم دخل فيه الأصغر .

الثاني - انه خص بالذكر تشريفاً له وتفخيماً لشأنه .

الثالث - ليدل به على انه ملك الملوك ، لأنه رب السرير الأَعْظَم .

وجر القراء كلهم (العظيم) على انه صفة للعرش . وقال الزجاج : يجوز رفعه .

بجمله صفة لب العرش و « ما » في قوله « ما عنتم » بمعنى الذي وهو في موضع رفع

بالابتداء وخبره « عزيز » قدم عليه . وقال الفراء هو رفع بمزبر .

وقال ابي بن كعب وسمييد بن جبير والحسن

وقتادة هذه آخر آية نزلت من

القرآن ولم ينزل

بعدها شيء .



## ( ١٠ ) سورة يونس

[ مكية وهي مئة وتسع آيات ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ آر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) آية بلا خلاف

القراءة والحجة :

إنما لم تعد « آر » آية كما عد (آلم) آية في عدد الكوفيين لأن آخره لا يشاكل  
رؤس الآي التي بعده إذ هي بمنزلة المردف بالياء « وطه » عد ، لأنه يشاكل رؤس الآي  
التي بعده وقرأ « آر » بالتفخيم ابن كثير ونافع وأبو جعفر وقرأ بالأمالة أبو عمرو  
وابن عامر وحمزة والكسائي. واختلف عن عاصم قرأ هبيرة عن حفص بكسر الراء  
الباقون عنه بالتفخيم .

قال أبو علي الفارسي : من ترك الإمالة فلأن كثيراً من العرب لا يعيّل ما يجوز  
فيه الإمالة ، كما يمنمها المستعلي . ومن أمال ، فلأنها اسم لما يلفظ به من الأصوات

فجازت الامالة من حيث كانت اسماً ، ولم تكن كالحروف التي تمنع فيها الامالة . وقال  
الرماني : انما جاز امالة حروف الهجاء لأن الفه في تقدير الانقلاب من ياء .

### المعنى واللغة :

وقد بينا في اول سورة البقرة معنى هذه الحروف التي في اول السور واختلاف  
المفسرين وقلنا : ان اقوى الوجوه انها اسماء السور ، فلا وجه لاعادته .

وقوله « تلك » قال ابو عبيدة معناه هذه . وقال الزجاج المعنى الآيات التي تقدم  
ذكرها ، وهو قول الجبائي . وقال قوم : إنما قال « تلك » لتقدم الذكر في « آر »  
كقوله همد هي كريمة وإنما اضيفت الآيات الى الكتاب ، لأنها ابعاض الكتاب ،  
كما ان السورة ابعاضه . وكذلك محكمه ومتشابهه واسماؤه وصفاته ووعدته ووعدته  
وأمره ونهيه وحلاله وحرامه .

والآية العلامة التي تلبى عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل  
بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات وإنما وصف الكتاب بأنه حكيم لأنه دليل  
على الحق كالناطق بالحكمة ، ولأنه يؤدي الى المعرفة التي يميز بها طريق الهدى من  
طريق النجاة . وقال ابو عبيدة « حكيم » ههنا بمعنى محكم وأنشد لأبي ذؤيب :

يواعدني عكاظ لنزلنه      ولم أشعر اذن اني خليف (١)

أي مخلف من أخلفته الوعد ويؤكد ذلك قوله « آر كتاب احسكت آياته »  
والآيات العلامات ، والكتاب اسم من اسماء القرآن وقد بيناه فيما مضى . وحكى عن  
مجاهد أنه قال « تلك » إشارة الى التوراة والانجيل وهذا بعيد لأنه لم يجزها ذكر .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٩٩ واللسان ( خلف ) ومجاز القرآن ١ : ٢٧٣ . ورواية

اللسان : تواعدني الربيعي لنزلنه      ولم تشعر اذن اني خليف

## قوله تعالى :

﴿أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ  
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدُقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ  
الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ آية بلا خلاف

قرأ ابن كثير وعاصم وحمة والكسائي « لساحر مبين » بألف . الباقون بغير  
ألف . قال ابو علي الفارسي يدل على ساحر قوله « وقال الكافرون ان هذا ساحر  
كذاب » ويدل على « ساحر » قوله « فله ا جا هم الحق قالوا هذا ساحر وانا به  
كافرون » (١) والقول في الوجهين انه قد تقدم قوله « أن أوحينا الى رجل منهم »  
فمن قال « ساحر » أراد به الرجل ومن قال « ساحر » أراد الذي أوحى « ساحر »  
أي الذي يقول انه وحي « ساحر » وليس بوحي .

ومعنى قوله « أ كان للناس عجباً » أ كان ابجاؤنا القرآن الى رجل منهم عجباً  
وانذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله الى مثله  
من البشر فمعجبوا من وحيهنا اليه الآن . فالألف ألف استفهام والمراد به الانكار  
وقال ابن عباس ومجاهد وابن جريج عجبت العرب وقريش أن يبعث الله منهم نبياً ،  
فأنزل الله الآية . وقال الحسن معناه ليس بعجب ما فعلنا في ذلك . والمعنى ألم  
يبعث الله رسولا من اهل البادية ولا من الجن ولا من الانس .

والعجب تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة الى ما يجوز كونه .  
والانذار هو الاخبار على وجه التخويف فمن حذر من معاصي الله فهو منذر . وهذه  
صفة النبي (ص) .

وقوله « ان اوحينا » في موضع رفع وتقديره « كان للناس عجيباً وحيناً و » أن  
انذر « في موضع نصب وتقديره وحيناً بأن انذر ، فحذف الجار فصار موضعه نصباً  
و « ان لهم » نصب بقوله « وبشر الذين آمنوا » ولو قرئ بالكسر كان جازماً لأن  
البشارة هي القول إلا أنه لم يقرأ به . وقوله « وبشر الذين آمنوا » أمر للنبي (ص)  
أن يبشر المؤمنين ، وهو ان يعرفهم ما فيه السرور بالخلود في نعيم الجنة على وجه  
الاكرام والاجلال بالأعمال الصالحة .  
وقوله « أن لهم قدم صدق عند ربهم » معناه ان لهم سابقة اخلاص الطاعة  
كاخلاص الصدق من شائب الكذب . وقالوا : له قدم في الاسلام والجاهلية . وهو  
كالقدم في سبيل الله ، قال حسان :

لنا القدم العليا اليك وخلقنا  
لاولنا في طاعة الله تابع ( ١ )  
وقال ذو الرمة :

لكم قدم لا ينكر الناس أنها  
مع الحصب العادي طمّت على البحر (٢)

وقال ابو سعيد الخدري وابو عبد الله ( ع ) : معناه ان محمدأ ( ص ) لهم  
شفيع يوم القيامة ، وهو المروي عن ابي جعفر ( ع ) . وقال مجاهد : معناه لهم  
قدم خير باعمالهم الصالحة . وقال قتادة : لهم سلف صدق . وقال الضحاك : لهم  
نواب صدق . وقال ابن عباس : لهم ما قدموه من الطاعات .

وقوله « قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » حكاية عن الكفار أنهم يقولون  
إن النبي ساحر مظهر أو ما أنى به سحر مبين على اختلاف القراءات .

والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم أنه معجزة . والعمل بالسحر كفر

(١) ديوانه ( شرح البرقوقي ) : ٢٥٤ و تفسير الطبري ، الطبعة الاولى ، ١١ : ٥٣  
وسميت في ٥ : ٢٤ من هذا الكتاب .

(٢) ديوانه : ١٩ و تفسير القرطبي ٨ : ٣٠٦ و الطبري ١١ : ٥٣ .

لادعاء المعجزة به ، ولا يمكن مع ذلك معرفة النبوة . وقال الزجاج : المراد  
بـ ( الناس ) في الآية أهل مكة . وقيل إنهم قالوا : لم يجد الله من يبعثه رسولا إلا  
يتيم ابى طالب ! ؟

### قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ  
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا  
مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)  
آية بلا خلاف

خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع الخلق وأخبرهم بأن الله الذي يملك تدبيركم  
وتصرفكم بين أمره ونهيه ويجب عليكم عبادته « الله الذي خلق السموات والأرض »  
فاخترعها وأنشأها على ما فيها من عجائب الصنعة وامتقن الفعل . واطلاق الرب لا يقال إلا  
فيه تعالى ، فأما غيره فإنه يقيد له ، فيقال رب الدار ، ورب الضيعة بمعنى أنه مالكها .  
وكذلك معنى قوله « رب العرش » والربوبية ملك التدبير الذي يستحق به العبادة .  
وقيل في الوجه « الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام » بلا زيادة ولا نقصان  
مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة قولان :

أحدهما - أن في إظهارها كذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم .

والثاني - لما فيه من الاعتبار إذا أخبر عنه بتصرف الحال كما صرف الله الإنسان  
من حال الى حال ، لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه .

وقوله « ثم استوى على العرش » معناه استولى عليه بإنشاء التدبير من جهته ، كما

يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدييره . قال الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق (١)  
 يعني بشر بن مروان . ودخلت ثم ، لأن التدبير من جهة العرش بعد استوائه .  
 وقوله « يدبر الأمر » فالتدبير تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها ،  
 وهو مأخوذ من الدبور ، فتجري على أحكام الدابر في الباري .

وقوله « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » فالشفيع هو السائل في غيره لاسقاط  
 الضرر عنه . وعند قوم أنه متى سأله في زيادة منعمة توصل إليه كان شفيعاً . والذي  
 افتضى ذكره ههنا صفات التعميم مع اليأس من الانكال في دفع الحق على الشفيع .  
 والمعنى ههنا أن تدبيره للأشياء وصنعتة لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع ولا  
 بتدبير مدبر لها سواه ، وأنه لا يجسر أحد أن يشفع إليه إلا بعد أن يأذن له  
 فيه من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم .

وقوله « ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » معناه ان الموصوف بهم هذه  
 الصفات هو ربكم وإلهكم فاعبدوه وحده ، لأنه لا إله لكم سواه ، ولا يستحق  
 هذه الصفات غيره . وحثهم على التذكر والتفكير في ذلك وعلى تعرف صحة  
 ما أخبرهم به .

وقيل ان العرش المذكور ههنا هو السموات والارض ، لأنهم من بنائه . والعرش  
 البناء . ومنه قوله « يعرشون » (٢) اي يبنون . واما العرش المعظم الذي تعبد الله  
 الملائكة بالخفوف به والاعظام له وعناه بقوله « الذين يحملون العرش ومن  
 حوله (٣) فهو غير هذا .

وانما ذكر الشفيع في الآية ولم يجر له ذكر ، لأن المخاطبين بذلك كانوا يقولون

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٢٥ ، ٢ : ٣٩٦ .

(٢) سورة النحل آية ٦٨ وسورة الأعراف آية ١٣٦

(٣) سورة المؤمن آية ٧ .



الاصنام إشفعاؤهم عند الله . وذكر بعدها « ويمعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة ؟ مع انه لا يشفع عنده الا من ارتضاه الله . واختار البلخي ان يكون خلق السموات والأرض في ستة ايام إنما كان لان خلقه لها دفعة واحدة لم يكن ممكناً كما لا يمكن الجمع بين الضدين ، ولا يمكن الحركة إلا في المتحرك ، وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لان خلق السموات والارض خلق الجواهر واختراعها ، والجواهر لا تختص بوقت دون وقت ، فلا حال إلا ويصح اختراعها فيه ما لم يكن فيما لم يزل . وإنما يصح ما ذكره في الاعراض التي لا يصح عليها البقاء او ما يستحيل جمعه للتضاد فأما غيره فلا يصح ذلك فيه .

### قوله تعالى

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا لِنَفْسِهِ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا  
يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ آية بلا خلاف

قرأ ابو جعفر « حقاً أنه » بفتح الهمزة . الباقون بكسرها من فتح ثمناء اليه مرجعكم ، لانه يبدأ . ومن كسر استأنف . قال القراء من فتح جعله مفعول حقاً كأنه قال حقاً انه . قال الشاعر :

أحقاً عباد الله أن لست زائراً      بثينة او يلقي الثريا رقيبها (١)

(١) تفسير الطبري ( الطبعة الاولى ) ١١ : ٥٤ وروايته « إلا على رقيب ، بدل

« او يلقي الثريا رقيبها » .

اخبر الله تعالى ان الذي خلق السموات والأرض هو الله تعالى ، وهو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اليه مرجع الخلق كلهم . والمرجع يحتمل معنيين : احدهما - ان يكون في معنى الرجوع فيكون مصدراً . والآخر - موضع الرجوع فيكون ظرفاً كأنه قال اليه موضع رجوعكم يكوّن انه إذا شاء . ومعنى الرجوع اليه يحتمل امرين :

احدهما - ان يعود الأمر الى ان لا يملك احد التصرف في ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا ، لأنه تعالى قد ملك كثيراً من خلقه التصرف في دار الدنيا ومكنهم من ذلك .

والثاني - ان يكون معناه انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت أي الى موضع جزائه . وقوله « وعد الله حقاً » نصب على المصدر وتقديره احقه حقاً او وعد الله وعداً حقاً ، لان في قوله « مرجعكم » انه وعد بذلك إلا انه لما لم يذكر الفعل اضيف المصدر الى الفاعل ، كما قال كعب بن زهير :

يسمى الوشاة جنابها وقيلهم  
انك يا ابن ابي سلمى لمقتول (١)

اي ويقولون قيلهم . وقوله « انه يبدؤ الخلق ثم يعيده » اخبار منه تعالى انه الذي انشأ الخلق ابتداء ، وهو الذي يعيدهم بعد موتهم النشأة الاخرى ليدل بذلك خلقه على انه اذا كان قادراً على الابتداء فهو قادر على الاعداد

وقوله « ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فيه بيان انه إنما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء اعمالهم من طاعة ومحبية، والعطاء اذا كان ابتداء لا يسمى جزاء . وقوله « بالقسط » معناه بالعدل ، لأنه لو زاد الجزاء او نقص لخرج عن العدل ولكن يجزيهم وفق اعمالهم حتى لا يكون الجزاء على النبوة كالجزاء على الايمان بل كل

(١) ديوانه ١٩ ومجاز القرآن ١ : ١١٢ ، ٢٧٣ وقد مر البسيت في ١ : ٣٠٠ من

هذا الكتاب

طاعة يستحق الجزاء على قدرها .

وقوله « والذين كفروا لهم شراب من حميم » معناه أن الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بوحدايته ويجحدون رسله « لهم شراب من حميم » وهو الذي اسخن بالنار اشد اسخان . قال المرقش الاصغر (١)

وكل يوم لها مقطرة فيها كباء معدة وحميم (٢)

الكباء العود الذي يتبخر به . وقوله « عذاب أليم » معناه مؤلم « بما كانوا يكفرون » اي جزاء على كفرهم .

### قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ  
مَنَازِلَ لِتَعْلَمَهُمْ وَأَعْدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا  
بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

### القراءة والحجة :

روى ابن مجاهد عن قنبل والمولى عن الربيعي ( ضياء ) بهمزة بعد الضاد مكان الياء حيث وقع . الباقر بن بياض بعد الضاد ومدة بعدها .

قال أبو علي الفارسي لا يخلو « ضياء » من أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط

(١) واسمه عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك . وقيل اسمه حرملة بن سعد . وقيل

غير ذلك

(٢) لسان العرب : « قطر ، ، دحم ، ومجاز القرآن ١ : ٢٧٤ وتفسير الطبري

« الطبعة الاولى ، ١١ : ٥٥ ورواية اللسان :

كل عشاء لها مقطرة ذات معد وحميم

وحوض وحياض ، او مصدر ( ضاء ) يضوه ضياءً مثل عاذ يموذ عيـاذاً او قام يقوم قياءً ، وعلى اي الوجهين حملته فالمضاف محذوف ، والمعنى جعل الشمس ذات ضياءً ، والقمر ذا نور او يكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيها . فأما الهمزة في موضع العين من « ضياءً » فيكون على القلب كأنه قدم اللام التي هي همزة الى موضع العين واخر العين التي هي واو الى موضع اللام ، فلما وقعت طرفاً بعد الف زائدة قلبت همزة ، كما فعلوا ذلك في ( سقاء وعلاء ) وهذا اذا قدر جمعاً كان أسوغ ، كما قالوا قوس وقسي ، فصححوا الواحد وقلبوا في الجمع واذا قدرته مصدراً كان ابعد ، لأن المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال ، والقلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن في الفعل لم يتمتع أن يكون ايضاً في المصدر ألا ترى انهم قالوا : لا ذلوا ذاً وباع بياعاً ، فصححوها في المصدر كصحتها في الفعل ، وقالوا : قام قياماً فأعلموه ونحوه ، لاعتلاله في الفعل .

وقرأ ابن كثير واهل البصرة وحفص ( يفصل ) بالياء . الباقيون بالنون .  
من قرأ بالياء فلا نه قد تقدم ذكر الله تعالى فأضمر الاسم في الفعل . ومن قرأ بالنون فهذا المعنى يريد ، ويقويه بقوله « تلك آيات الله نتلوها » وقد تقدم « اوحينا » ( ١ ) فيكون تفصل محمولا على « اوحينا » والياء اقوى ، لأن الاسم الذي يعود اليه اقرب اليه من ( اوحينا )

### المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى ان الذي يرجع اليه الخلق هو الله « الذي جعل الشمس ضياءً » والجمع وجود ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها ، فتارة يكون باحداثه واخرى باحداث غيره . والشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لما فيها من

( ١ ) سورة يونس آية ٣ .

عظم النور ، ومسيرهما بغير علاقة ولا دعامة ، وفيها أعظم الدلالة على وحدانية الله تعالى . والنور شعاع فيه ما ينافي الظلام . ونور الشمس لما كان اعظم الأنوار سماه الله ضياءً ، كما قيل للنار نار لما فيها من الضياء . ولما كان نور القمر دون ذلك سماه نوراً ، لأن نور الشمس وضياءها يغلب عليه ، ولذلك يقال أضواء النهار ، ولا يقال أضواء الليل بل يقال انار الليل ، وليلة منيرة . ويقولون في قلبه نور ، ولا يقال فيه ضياء ، لأن الضوء يقال لما يحس بكثرته .

وقوله « وقدره منازل » إنما وحده في قوله « وقدره » ولم يقل وقدرها ، لأحد أمرين :

أحدهما - أنه أراد به القمر ، لأن القمر يحصي شهور الأهلّة التي يعمل الناس عليها في معاملتهم .

والآخر - أنه معنى التثنية غير أنه وحده للإيجاز اكتفاءً بالمعلوم ، كقوله « والله ورسوله أحق أن يرضوه » (١) وقال الشاعر :

رمانى بامر كنت منه ووالدي بريناً ومن جول العلوى رمانى (٢)

وقوله « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » معناه لم يخلق ما ذكره في السموات والارض والشمس والقمر وقدرها منازل إلا حقاً .

وقوله « يفصل الآيات » أي يميز بعضها من بعض « لقوم يعلمون » ذلك ويتبينونه . وقال قوم : معناه لقوم لهم عقول يتناولهم التكليف ويصح منهم الاستدلال دون البهائم ومن لا عقل له .

(١) سورة التوبة آية ٦٣

(٢) مر تخرجه في ١ : ١٧٢ ، ٢٠٣ .

## قوله تعالى :

﴿ إِن فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (٦) آية بلا خلاف .

الاختلاف ذهاب كل واحد من الشئيين في غير جهة الآخر ، فاختلاف الليل  
والنهار ذهاب أحدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام . والليل عبارة عن  
وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وهو جمع ليلة كتمرة ونمر . والنهار عبارة  
عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس . والنهار واليوم معنيتهما  
واحد إلا أن في النهار فائدة اتساع الضياء .

وقوله «وما خلق الله في السموات والارض» معناه ما قدر فيها وفعله على مقدار  
تقتضيه الحكمة : من الحيوان والنبات وغيرها من غير نقصان ولا زيادة . ورفع السماء  
بلا عمد ، وتسكينه الارض بلا سند ، مع عظمها الأعظم آيات لمن تفكر في ذلك  
وتمعنه ، ويتقني مخالفته . والخلق مأخوذ من خلقت الأديم اذا قدرته . وإنما خص  
ما خلق في السموات والأرض بالذكر للأشعار بوجوده الدلالات إذ قد تكون  
الدلالة في الشيء من جهة الخلق ، وقد تكون من جهة اختلاف الصورة ومن جهة  
حسن المنظر ، ومن جهة كثرة النفع ومن جهة عظم الأمر . كالجيل والبحر .

وقوله «لآيات لقوم يتقون» معناه ان في هذه الاشياء التي ذكرها دلالات  
على وحدانية الله لقوم يتقون معاصيه ويخافون عقابه ، وخص المتقين بالذكر لما كانوا  
هم المنتفعين بها دون غيرهم .

## قوله تعالى

﴿ إِن الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا

بِهَا وَالَّذِينَ نَسُوا عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ آية بلا خلاف .

معنى « ان الذين لا يرجون لقاءنا » بمحتمل امرين :  
احدهما - لا يخافون عقابنا ، كما قال الهذلي :

اذا لسعته النحل لم يرج لصعها وخالفها في بيت نوب عواسل (١)

والثاني - ان يكون معناه لا يطمعون في ثوابنا ، كما يقال تاب رجاء لثواب الله وخوفاً من عقابه . والملافة وان كانت لا تجوز الا على الاجسام ، فانما اضافها الى نفسه ، لان ملافة ما لا يقدر عليه إلا الله يحسن ان يجعل لقاء الله تفخيلاً لشأنه كما جعل إتيان ملائكته آياتاً لله في قوله « هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام » (٢) وكما قال « وجاء ربك » (٣) وانما يريد وجاء امر ربك .

ومعنى قوله « ورضوا بالحياة الدنيا » فنعوا بها دون غيرها من خير الآخرة . ومن كان على هذه الصفة . فهو مذموم لا تقطاعه بها عن الواجب من امر الله .

وقوله « واطمأنوا بها » معناه ركنوا اليها على وجه التمكين فيه ، فهؤلاء مكنوا الاحوال الدنيا ، فصاحبها يفرح لها ويغتم لها ويرضى لها ويسخط لها .

وقوله « والذين هم عن آياتنا غافلون » معناه الذين يذهبون عن تأمل هذه الآيات ولا يعتبرون بها . والغفلة والسهو نظائر ، وهو ذهاب المعنى عن القلب بما يضاده وقد تستعمل الغفلة في التعرض لها ، ولذلك يقولون : تغافل ولا يقولون مثله في السهو .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

(١) مر تخريجاً في ٢ : ٢١٠ ، ٣ : ٣١٥ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٥

واللسان خلف ،

(٢) سورة الفجر آية ٢٢

(٣) سورة البقرة آية ٢١٠

«أولئك» إشارة الى الذين تقدم ذكرهم في الآية الاولى ، والكاف في «أولئك» حرف الخطاب ، مثل الكاف في قولهم أنا ذاك، ولهذا لم يجر تأكيده ولا البدل منه، ولو كان اسماً لجاز ( أولئك نفسك ) وأولاء مبني على الكسر وإنما بني لتضمنه معني الإشارة الى المعرفة لأن اصله أن يتعرف بعلامة اذ لم يوضع للشيء بعينه ، كما وضع زيد وعمر ، وبني على الحركة لالتقاء الساكنين وبني على الكسر لأنها في الاصل في حركة التقاء الساكنين إذا كثرت في الفعل ، لما يدركه من الجزم فاستحق الكسر لأنه لما يدخل في حال الاعراب و ( هؤلاء ) لما قرب و ( أولئك ) لما بعد ، كما تقول في ( هذا ) و ( ذاك ) لأن ما بعد يقتضي التعريف بالخطاب وما قرب يكفي فيه التنبيه .

اخبر الله تعالى أن الذين تقدم وصفهم في الآية الاولى مستقرهم النار جزاء بما يكسبون من المعاصي .

### قوله تعالى :

﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم  
تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الكفار وما يستحقونه من المصير الى النار في الآيات الاولى ذكر في هذه « ان الذين آمنوا » يعني صدقوا بالله ورسوله ، واعترفوا بها وأضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات « يهديهم » الله تعالى جزاء بايمانهم الى الجنة « تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها الأنهار التي فيها النعيم يعني انواع اللذات والمنافع يتنعمون فيها . ومعنى « تجري من تحتهم الأنهار » تجري بين ايديهم وهم يرونها من عل ، كما قال تعالى « وقد جعل ربك تحتك



سريا « (١) ومعلوم انه لم يجعل السري تحتها، وهي قاعدة عليه لان السري هو الجدول، وانما اراد انه جعل بين يديها. وكان حاكيا عن فرعون « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » (٢) وقيل من تحت بسايتهم وأسرتهم وقصورهم - في قول أبي علي .

ومعنى الهدى هنا الارشاد الى طريق الجنة نوابا على أعمالهم الصالحة، ألا ترى انه قال « يهديهم ربهم بايمانهم » يعني حزا على ايمانهم وذلك لا يلاق إلا بما قلناه . ويحتمل ان يكون وصفهم بالهداية على وجه المدح حزا على ايمانهم بالله تعالى .

### قوله تعالى :

﴿ دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ

دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف

معنى « دعواهم فيها » أن دعاء المؤمنين لله في الجنة ، وذكرهم له فيها هو أن يقولوا « سبحانك اللهم » ويقولون ذلك ولهم فيها لذة لا على وجه العبادة ، لانه ليس هناك تكليف . وقيل أنه اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا « سبحانك اللهم » فيؤتون به ، فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا « الحمد لله رب العالمين » هذا قول ابن جريج . وقال الحسن آخر كلام يجري لهم في كل وقت « الحمد لله رب العالمين » لانه ينقطع . والدعوى قول يدعى به الى أمر ، ومعنى « سبحانك اللهم » نزهك يا الله من كل ما لا يابق بك ولا يجوز من صفاتك من تشبيهه او فعل قبيح . وقيل معناه براءة الله من سوءه فيما يروى عن النبي (ص) قال الشاعر :

اقول لما جاءني نخره      سبحان من علقمة الفاخر (٣)

(١) سورة مريم آية ٢٣

(٢) سورة الزخرف آية ٥١

(٣) مر هذا البيت في ١ : ١٣٤ ، ٣ : ٨١ ، ٥ : ٢٤١

أي براءة منه . والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية ، قال  
نمرو بن معديكرب :

ازور بها ابو قابوس حتى      انيخ على تحيته بجند (١)  
وقال زهير بن حباب الكلابي :

من كل ما نال الفتى      قد نلته الا التحية (٢)

وهو مأخوذ من قولهم أحياك الله حياة طيبة . والمعنى تحية بعضهم لبعض سلام  
أي سلمت وامنت مما ابتلى به اهل النار .

و (ان) في الآية هي المخففة من الثقلية وجاز أن لا تعمل لخروجها بالتخفيف عن  
شبه الفعل ، كما قال الشاعر :

في فتية كسيوف الهند قد علموا      أن هالك كل من يحفى وينتمل (٣)  
والميم في اللهم بمعنى ( يا ) كأنه قال يا الله ، ولم يجعل في موضع ( يا ) لئلا يكون  
كحروف النداء التي تجرى في كل اسم .

### قوله تعالى :

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ  
أَجْلُهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ  
(١١) آية بلا خلاف .

(١) تفسير الطبري ١١ : ٥٨ (٢) تفسير الطبري ١١ : ٥٨

(٣) حاشية الصبان ١ : ٢٩٠ ، وفي القرطين ، لابن قتيبة بيت يشبهه نسبه الى الاعشى

وهو موجود في ديوانه : ٤٥ القصيدة ٦ وهو :

في فتية كسيوف الهند قد علموا      ان لا يدفع عن ذي الحيلة الخيل

قرأ ابن عامر ويعقوب « لقضى اليهم أجلهم » بفتح القاف . الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله .

قال أبو علي الفارسي اللام في قوله « لقضى اليهم أجلهم » جواب ( لو ) في قوله « ولو يعجل الله للناس » والمعنى « ولو يعجل الله للناس » دعاء « الشر » أي ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر وبطر « استعجالهم » أيه بدعاء « الخير » فأضاف المصدر إلى المفعول به وحذف الفاعل كقوله دعاء الخير ، وحذف ضمير الفاعل والتقدير « ولو يعجل الله للناس الشر » استعجالاً مثل « استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم » قال أبو عبيدة معناه الفراغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة ، فهلكوا ، وهو قريب من قوله « ويدعو الانسان الشر دعاؤه بالخير وكان الانسان عجولاً ( ١ )

وقيل لمبت مقضي كأنه قضى إذا مات وقضى فعل ، التقدير استوفى أجله ، قال ذو الرمة :

إذا الشخص فيها هزه الآل اغمضت عليه كإغماض المقضي هجولها ( ٢ )  
والمعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها ، فلم ير لقربه كإغماض المقضي ، وهو الميت . فأما قوله « لقضى اليهم » وما يتعلق بهذا الجار ، فإنه لما كان معنى ( قضى ) معنى ( فرغ ) وكان قولك ( فرغ ) قد يتعدى بهذا الحرف وفي التنزيل « سنفرغ لكم » ( ٣ ) فإنه يمكن أن يكون الفعل يتعدى باللام كما يتعدى بـ ( إلى ) كما أن أوحى في قوله « وأوحينا إليه » قد تعدى بـ ( إلى ) وفي قوله « بأن ربك أوحى لها »

( ١ ) سورة الاسرى آية ١١

( ٢ ) اللسان ، غمض ، الآل ما اشرف من البعير ، والإغماض : الاختفاء والهجول - من الارض . ومعنى البيت ان الابل تمر براكبها بسرعة هائلة .

( ٣ ) سورة الرحمان آية ٣١

تعدى باللام ، فلما كان معنى قضى فرغ ، وفرغ تعلق بها الى كذلك تعلق بقضى .  
 ووجه قراءة ابن عامر واسناده الفعل الى الفاعل ، لان الذكر قد تقدم في قوله  
 « ولو يعجل الله للناس » فقال ( لقضى ) الله - على هذا - وقوى ذلك بقوله « ثم  
 قضى اجلا وأجل مسمى عنده » (١) فقوله « قضى اجلا » اضافه الى الفاعل فكذلك  
 في هذه الآية . وقوله « واجل مسمى عنده » يعني اجل البعث بدلالة قوله « ثم  
 انتم تموتون » (٢) اي تشكون في البعث ومن ضم القاف وبنى الفعل للمفعول ، فلانه  
 في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لو عجل للخلق الشر ، والتعجيل تقديم الشيء قبل  
 حينه وقد يكون تقديم الشيء في المكان ، فلا يكون تعجيلا .

والفرق بين التعجيل والاسراع ان التعجيل بالشيء عمله قبل وقته الذي هو اولى  
 به . والاسراع عمله في وقته الذي هو احق به ، وضده الابطاء . والشر ظهور  
 ما فيه الضرر . واصله الاظهار من قولهم : شررت الثوب اذا اظهرته للشمس ، ومنه  
 شر النار لظهوره وانتشاره .

وقوله « لقضى اليهم اجلهم » قيل ان معناه لاميتوا ، كأنه قيل لقطع اجلهم  
 وفرغ منه قال ابو ذؤيب :

وعليها مسرودتان قضاها داود او صنع السوابع تبع (٢)

وقال الحسين بن علي المغربي معناه رد قطع اجلهم اليهم ليكون السبب فيه دعاؤهم .  
 وقوله « استعجالهم بالخير » نصب استعجالهم على المصدر وتقديره ولو يعجل  
 الله للناس تعجيله استعجالهم بالخير اذا دعوا . وقيل في معناه قولان :

(١ ، ٢) سورة الانعام آية ٢

(٣) مر هذا البيت في ١ : ٤٢٩ ، ٤ : ٨٨ ، ١٦٥ . وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٥

وغيره .

احدهما - قال مجاهد وقتادة : وهو كقول الرجل اولده وماله في حال غضبه :  
 اللهم لا تبارك فيه والمنة . وقال الحسن هو كقوله « ويدعو الانسان بالشر دعاؤه  
 بالخير » (١)

وقال الجبائي معناه : يطلبون الخير قبل حينه وسبيله في انه لا ينبغي أن يكون  
 كميل الشر من الاهلاك بالعقاب قبل حينه لما فيه من الاقتطاع عن التوبة والالطف .  
 وقوله « فنذر الذين لا يرجون لقاءنا » معناه ترك الذين لا يخافون لقاءنا اولا  
 يطعمون فيه بمعنى انهم لا يخافون عقاب معاصينا ، ولا يطعمون في ثواب طاعتنا  
 « في طغيانهم يعمهون » فالطغيان الغلو في ظلم العباد والطاغي والباغي نظائر . (والمنة)  
 شدة الحيرة ، وتقديره تركهم وهم يترددون في ضلالتهم ، لا انه يريد منهم العنة في  
 الطغيان ، لانه انما يتركهم ليتوبوا من ذلك ويؤمنوا لئلا ينعابهم  
 بالعقاب في الدنيا وهم مع ذلك لا يرجعون بل يترددون في الطغيان . وقيل المعنى  
 تركهم في الآخرة يتحيرون في جزاء طغيانهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا  
 كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ صَرَخَ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ  
 لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن قلة صبر الانسان اذا ناله الضر دعا ربه على  
 سائر حالاته التي يصيبه ذلك عليها سواء كان قائما او قاعداً اذا اطاقه ، أو على جنبه  
 من شدة المرض فيجتهد في الدعاء ، لأن يهب الله له العافية . وليس غرضه بذلك نيل

الثواب للآخرة . وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام فإذا كشف الله عنه ذلك الضرر ، ووهب له العافية مر معرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة وعافية ، فلا يتذكر ما كان فيه من الآلام وصار في الاعراض عن ذلك بمنزلة من لم يدع الله كشف ألمه ولا سأله ازالة الضرر عنه الذي كان به .

وقوله « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » قال ابو علي الجبائي: الشياطين الذين دعوا المسرفين الى المعاصي واغوهم بها وبترك شكر نعم الله زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والاعراض عن ذكر نعمه واداء شكره . والغرض بذلك انه ينبغي لمن وهب الله له العافية بعد المرض ان يتذكر حسن صنع الله اليه وجزيل نعمه عليه ، فيشكره على ذلك ويسأله ادامة ذلك عليه . ونبهه بذلك على انه يجب عليه الصبر عند المرض وترك الجزع عند احتساب الاجر وطلب الثواب في الصبر على ذلك وان يعلم ان الله محسن اليه بذلك ، وليس بظالم له .  
وقال الحسن الزين هو التحسين من الشيطان والغواية .  
وقال غيره هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتبه .

وقوله « او قاءداً او قائماً » نصب على الحال . وقوله « كأن » هي المنخفضة عن الثقلية وتقديره كأنه لم يدعنا ومثله قول الخنساء :

كان لم يكونوا حمى متقى اذا الناس اذ ذاك من عزبوا (١)  
اي كأنهم . وقوله « مر كان لم » أي استمر على طريقته الأولى كأنه لم يدعنا ، ولم يسألنا ذلك . وموضع الكاف نصب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله . والمعنى زين للمسرفين عملهم « كذلك » اي مثل ذلك .

## قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ  
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

( ١٣ ) آية بلا خلاف

اقسم الله تعالى في هذه الآية أنه اهلك من كان قبل هذه الامة من القرون وهو  
جمع قرن . وسمي اهل كل عصر قرناً لمقارنة بعضهم لبعض . والقرن هو المقاوم لقرينه  
في الشدة ، ويعني بذلك الذين كذبوا رسل الله الذين بعثهم الله اليهم ، فكفروا بذلك  
بربهم ، وظلموا انفسهم فأهلكهم الله بأنواع العذاب وفنون الاستئصال ، كما اهلك  
قوم لوط وقوم موسى ، وغيرهم ، وبين بقوله « وما كانوا ليؤمنوا » ان هذه الأمم التي  
أهلكنا لم يكونوا مؤمنين لو أبقاهم الله لم يؤمنوا بالرسل الذين أتوهم والكتب التي  
جاءهم بها ، ولما كان ذلك المعلوم من حالهم استحقوا من الله تعالى العذاب فأهلكهم .  
وقوله « كذلك نجزي القوم المجرمين » أي نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا  
استحقوا او كانوا ممن لا يؤمن ، ولا يصلح . وجعل ابو علي الجبائي ذلك دليلاً على  
ان تبقية الكافر اذا علم من حاله انه يؤمن فيما بعد واجبة .

## قوله تعالى :

﴿ تَمَعَلُونَ ﴾ ( ١٤ ) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى بهذه الآية انه انما جعل المخاطبين بهذا الخطاب بعد اهلاك من  
أهلك وتكليفه اياهم من طاعته وتصديق رساله مثل ما كان كلامهم لينظر كيف تعملون  
معناه انكم ان عملتم بالمعاصي مثل ما عمل بها اولئك وكذبتم الرسل ولم ترجعوا عن

الكفر أهللكم ببعض العقاب كما أهلك من تقدم . وان آمنتم أننا في الدنيا والآخرة ورضي عنكم ، فجعل قوله « لننظر كيف تعملون » دلالة لهم على اني أفعل بكم احسد هذين : الثواب ان آمنتم واطعتم ، والعذاب ان كفرتم وعصيتم . واستعمل ذلك على هذا المعنى مجازاً كما يستعمله اهل اللغة على هذا المعنى ، لأنهم لا يعلمون ما يكون من المكافئين وما يفعل بهم من الثواب والعقاب وهو عالم بذلك . ومثل ذلك يستعمله العرب فيما يعلمه الانسان يقول القائل لعلامة الذي يأمره اني سأعاقبك واضربك لأنظر كيف صبرك ، واعطيك ما لا لأنظر كيف تعمل وان كان عالماً بما يؤول اليه الامر في ذلك وموضع ( كيف ) نصب بقوله « تعملون » وانما قدم لأنه للاستفهام ولا يجوز ان يكون معمولاً « لننظر » لان ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام ولو قلت لننظر أخيراً يعملون او شرأ كان العامل في خير وشر يعملون .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَبْرُونَ أَن بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه اذا قرأ النبي (ص) على الكفار آيات الله وكلامه . و « بينات » نصب على الحال وهي الآيات التي امر فيها عباده بأشياء ونهاهم عن اشياء « قال الذين لا يرجون لقاءنا » اي عذاب الله وما وعدهم به من ثوابه ان اطاعوه « أت بقرآن غير هذا » الذي تتلوه علينا « او بدله » فاجعله على خلاف ما تقرأه علينا وانما فرق بين قوله « أت بقرآن غير هذا او بدله » لأن الاتيان بغيره



قد يكون معه ، وتبديله لا يكون الا برغمه والانيان بغيره . وانما لم يرجوا ثواب الله وعذابه لأنهم كانوا غير مقربين بالله ولا معترفين بنبوة نبيه (ص) ولا يصمدقونه فيما يخبرهم به عن الله ويذكرهم به من البعث والنشور والحساب والجزاء . وكان قولهم هذا له على وجه التعنت والتسبب الى الكفر به وتكذيبه ، واحتجاجاً عليه بما ليس بحجة لأنه (ص) كان قد بين لهم ان هذا القرآن ليس من كلامه وانه ليس له تغير به وتبديله فاردوا ان يوهموا ان الامر موقوف على رضاهم به وليس برضون بهذا فيريدون غيره .

وقال الزجاج : انه كان غرضهم اسقاط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه احلامهم ومن ذكر البعث والنشور ، فأمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم في جواب ذلك ليس لي « ان ابدله من تلقاء نفسي » اي من جهة نفسي ومن ناحية نفسي كما أنه قيل له قل ليس لي ان اتلقاه بالتبديل كما ليس لي ان اتلقاه بالرد . والتناء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ضرباً فيقال : هو تلقاه كما يقال هو حذاء وقبالته ونجابه .

قوله « ان اتبع الا ما يوحى الي ، اي ليس لي ان اتبع الا الذي يوحى الي » « اني اخاف ان عصيت ربي ، في اتباع غيره » عذاب يوم عظيم » يعني يوم القيامة . ومن استدل بهذه الآية على ان نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابعد لأنه اذا نسخ ما يتضمنه القرآن بالسنة ، فالسنة لا يقوها النبي (ص) الا بوحى من الله . وليس بنسخه من قبل نفسه . بل يكون ذلك النسخ مضافاً الى الله . وانما لا يكون قرآناً لأنه تعالى قد يوحى الي نبيه ما هو قرآن وما ليس بقرآن ، لأن جميع ما بينه النبي (ص) من الشريعة لم يبينها إلا بوحى من الله لقوله « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » (١) وان كان تفصيل ذلك ليس موجود في القرآن ، فلا استدلال

بذلك على ما قالوه بعيد .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف

حكى عن الحسن انه قرأ « ولا أدراكم به » . وقرأ ابو ريعة وفسبل الا المالكي والطار « ولا دراكم به » بجملائها (لاماً) ادخلت على (ادراكم) وأمال (أدراكم) و (ادراك) في جميع القرآن ابو عمرو وحمة والكسائي وخلف والداحوني عن ابن ذكوان ، والكسائي عن أبي بكر ، وافقهم يحيى والميمى في هذه السورة . حكى سيبويه : دريته ودريت به ، قال واكثر الاستعمال بالباء ، يبين ذلك قوله « ولا ادراكم به » ولو كان على اللغة الأخرى لقال « ولا ادراكموه » ، وقالوا : الدرية على وزن ( فعلة ) كما قالوا الشعر والفظنة ، وهي مصادر يراد بها ضمروب من العلم . فأما الدراية فمكاهداية والدلالة وكان الدراية التانى والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف في هذه الكلمة ، وقالوا : داريت الرجل اذا لا يذته وختلته فعلى هذا لا يوصف الله تعالى بالداري ، واما قول الراجز .

اللهم لا أدري وانت الداري (١)

فلا يكون حجة في جواز ذلك لأمرين :

احدهما - انه لما تقدم قوله : لا أدري استجاز أن يذكر الداري بعده ، ليزدوج الكلام ، كما قال تعالى « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » (٢) ونظائره كثيرة .

الثاني - ان الاعراب ربما ذكروا اشياء امتنع جوازها كما قال :

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤

(١) بمجمع البيان ٣ : ٩٦

لو خافك الله عليه حرمة (١)

وقال آخر :

لهم إن كنت الذي بهدي ولم تغيرك الأمور بمدي (٢)

فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن ، فلا وجه له لأن الدرء الدفع ، كما قال  
دفاعاً أو عن أنفسكم الموت ، (٣) وقال « فادراكم فيها » (٤) وقوله (ع) (ادراوا  
الحدود بالشبهات) قال الفراء ان كان ما حكى عن الحسن لغة ، والا يجوز ان يكون الحسن ذهب  
الى طبعه وفصاحته فذهب الى درأت الحد ، وقد يغلط بعض العرب في الحرف اذا  
ضارعه آخر في الهمزة فيهمز ما ليس مهموزاً سمعت امرأة من غنى تقول : رثأت  
زوجي بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج وحلات السويق . وكل ذلك غلط ، لأن  
(حلات) إنما هو من دفع الابل العطاش عن الماء ، و (لبأت) من اللبأ الذي  
يوكل ، و (رثأت) من الرثبة اذا حلبت الحليب على الرايب ، ومن أمال فتحة الراء  
وامال الألف بمدها ، فلأن هذه الألف تنقلب ياء في أدريته ، وهما مدریان . ومن  
لم يعمل فلأن الأصل عدم الامالة ، ولأن كثيراً من الفصحاء لا يعمل ذلك .

ومعنى قوله « ولا ادراكم به » قال ابن عباس ولا أعلمكم به من دريت به  
وادراني الله به . ومعنى الآية الأمر للنبي (ص) بأن يقول لهؤلاء الكفار ولو أراد  
الله ان يمنهم فأئدته ما أعلمهم به ، ولا أمر النبي (ص) بتلاوته عليهم .  
وقوله « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله » ومعناه لبثت على هذه الصفة لا أتلوه  
عليكم ولا يعلمكم الله به حتى أمرني به وشاء إعلامكم . وقال قتادة لبث في قومه  
أربعين سنة قبل ان يوحى اليه .

(١) بجمع البيان ٣ : ٩٧ وقد مر في ٢ : ١٨٥

(٢) بجمع البيان ٣ : ٩٧

(٣) سورة البقرة آية ٧٢

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٨

وقوله « أفلا » تعقلون ، معناه هلا تتفكرون فيه بمقولكم فتبينوا بذلك ان هذا القرآن من عند الله انزله تصديقاً لنبيه ( ص ) قال الرماني والمقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب . والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم أعدل من بعض اذ كان أقدر على الاستدلال من بعض .

ومعنى ذلك ان يقول لهم قد ابثت فيكم حيناً طويلاً ونشأت بين أظهركم وعرفتم منصرفي ومنقلي فلو كان ما أتيت به مخترعاً او كان ما فيه من الأخبار من عند غير الله لكنتم عرفتم ذلك اذ فيكم ولدت ونشأت ومعكم تصرفت « أفلا تعقلون » في التدبير والنظر والا نصاب فتعملون فعل من يعقل . على انه ( ص ) لو كان اخذ ذلك من غيره وخالط اهلها او لو كان شاعراً او لو كان يعلم المحرمة كما ادعوا . ثم خفي ذلك اجمع عليهم حتى لم يعرفوا الوجه الذي منه اخذ لكان في ذلك أعظم الحجة . وعلى ما روي عن قنبل يكون المعنى « لو شاء الله ما تلوته ، يكون تقياً للتلاوة » ولا دراكم ، ولأعلمكم نبوته ويكون انبأنا للعلم ، وعلى قراءة الباقيين يكون تقياً للأمرين معاً .

### قوله تعالى :

﴿ مَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ  
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

قوله « فمن اظلم ممن » ظاهره الاستفهام والمراد به الاستعظام والاخبار به أنه لا احد اظلم ممن اخترع كلاماً او خيراً ثم اضافته الى الله ويريد به النبي نفسه لو كان فعل « او كذب بآياته » يعنيهم « انه لا يفلح » اي لا يفوز المجرمون . وانما قال : لا احد اظلم ممن هذه صفة ، لأنه ظلم كفر ، وهو اعظم من ظلم ليس بكفر . والتقدير لا احد اظلم ممن يظلم ظلم كفر ، فعلى هذا من يدعي الربوبية داخل في هذه الجملة ،

لأن ظلمه ظلم كفر ، كأنه قيل لا أحد أظلم من الكافر وليس لأحد ان يقول المدعي للربوبية أظلم من المدعي للنبوة وهو كاذب . والكذاب بآيات الله ظالم لنفسه بما يدخل عليها من استحقاق العقاب وظالم لغيره ممن يجوز ان تلحقه المنافع والمضار بتكذيبه اياه وردة عليه ، لأن من شأنه ان يعمه مثل هذا التكذيب ، و(من) في الآية للاستفهام وهي لا توصل لأنها تضمنت حرف الاستفهام فعملت معاملته ، كما أنها اذا كانت بمعنى الجزاء لم توصل لتضمنها معنى (ان) التي هي ام الباب في الجزاء .

### قوله تعالى

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَهْدِيهِمْ لَمَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٨) آية بلا خلاف

قرأ اهل الكوفة الا عاصماً « عما يشركون » بالتاء ههنا وفي النحل في موضعين وفي الروم . الباقرن بالياء .

من قرأ بالتاء بناء على ما تقدم من قوله « اتنبئون الله بما لا يعلم » فلما خاطبهم بذلك وجه اليهم الخطاب بتربيه عما يشركون .

ومن قرأ بالياء بناء على الخبر عن الغائب لأن أول الآية مبني على ذلك ، وهو قوله « ويعبدون من دون الله » وكلاهما حسن .

اخبر الله تعالى على وجه الذم للكفار بأنهم يوجهون عبادتهم الى من هو دون الله من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .

فان قيل كيف ذمهم على عبادة الوثن الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لم تجز عبادته ؟ قلنا لأنه اذا كان من يضر وينفع قد لا يمتحق العبادة اذا لم يقدر

على اصول النعم ، فمن لا يقدر على النفع والضرر اصلا ابعد من ان يستحق العبادة .  
 وقوله « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » اخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفار  
 انهم يقولون انا نعبد هذه الاصنام لتشفع لنا عند الله ، فتوهموا ان عبادتها اشد  
 في تعظيم الله من قصده تعالى بالعبادة ، فحلت من هذه الجهة محل الشفاعة عند الله .  
 وقال الحسن شفعاء في صلاح معاشهم في الدنيا ، لانهم لا يقرون بالبعث بدلالة قوله  
 « واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت » والعبادة خضوع بالقلب في  
 اعلى مراتب الخضوع ، فكل طاعة فعلت على هذا الوجه فهي عبادة . وانما قال  
 « ويعبدون من دون الله » مع انهم كانوا يشركون في عبادة الله لا مشركين :  
 احدهما - ان عابد الوثن خاصة قد اشرك في استحقاق العبادة .

الثاني - ان من عبد الله وعبد الوثن فقد عبده من دون اخلاص العبادة لله .  
 وقوله « اتنبئون الله بما لا يعلم » امر منه تعالى لنبيه ان يقول لهم على وجه  
 الالزام ان يخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الاوثان وكونها شافعة لان ذلك لو  
 كان صحيحا لكان الله به عالما ولما نفي العلم بذلك نفي المعلوم .  
 وقوله « سبحانه وتعالى عما يشركون » تزيه منه تعالى لنفسه ، وتزيه من ان  
 يعبد معه االه او يتخذ من دونه معبود .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٩) آية  
 بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لم يكن الناس فيما مضى الا امة واحدة . والامة

الجماعة التي على معنى واحد في خلق او ما يستمر على عبادته بالظاهر ، فمبلى هذا الناس امة والطير امة . والمراد ههنا انها كانت على دين واحد .  
واختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم على قولين :

فقال الحسن كانوا على الشرك كما قال تعالى « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » (١)

قال الزجاج أراد بذلك العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي (ص) فأنهم كانوا مشركين ، فلما بعث النبي آمن به قوم وكفر به آخرون .

وقال الجبائي : أنهم كانوا على الاسلام ، في عهد آدم وولده وانكر الأول ، قال لأن الله تعالى قال « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٢) فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً اصلاً .

قال الرماني : لا يمتنع أن يكون الأمر على ما قال الحسن ويكون المراد التغليب كائن المسلمين كانوا قليلين ، فلا يمتد بهم فيجوز أن يقال فيهم أنهم امة مشركة ، كما روي عن النبي (ص) انه (قال ان الله نظر الى اهل الأرض فمقتهم الا بقايا من أهل الكتاب .)

وقال مجاهد : فاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه .

والاختلاف هو الذهاب في الجهتين فصاعداً من الجهات ، وحد المحتلقتين ان لا يسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته كما لم يسد السواد مسد البياض .

وقوله « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم » معناه لو لا كلمة سبقت من ربك من انه لا يعاجل العصاة بالمقوبة انعاماً عليهم في التأني بهم « لقضى بينهم » في

(٢) سورة النساء آية ٤٠

(١) سورة البقرة آية ٢١٣ .

اختلافهم بما يضطرهم الى علم الحق من المبطل وقيل معنى ذلك « لقضى بينهم ، اي فصل بينهم بأن اهلك العصاة وانجا المؤمنين ، لكنه أخرهم الى يوم القيامة تعضلا منه وزيادة في الانعام عليهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا : هلا انزل على محمد آية وأرادوا بذلك انه يضطرهم الى المعرفة ولا يحتاجون معها الى النظر والاستدلال ، ولم يطلبوا معجزة يستدل بها على صدقه لأنه قد كان اتاهم بالمعجزات التي تدل على صدقه - فلم يجيبهم الله الى ما التمسوه ، لأن التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة ، لأن الغرض بالتكليف التعريض للثواب . ولو عرفوا الله تعالى ضرورة لما استحقوا ثواباً فكان ذلك ينقض غرضهم .

وقال ابو علي طلبوا آية سوى القرآن .

والاصل في ( لولا ) امتناع الثاني لكون الأول كقولك : لولا زيد لجئتك فخرجت الى معنى التحضيض بأنه ليس يفبغي أن يمتنع ذا لكون غيره .

قوله « فقل إنما الغيب لله » معناه ان ما لا تعرفونه ولا نصب لكم عليه دليل يجب ان تسلموا علمه لله لأنه العالم بالخفيات وما يكون في المستقبل ، فلا جل ذلك لا يفعل الآية التي اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير ووجه المصلحة .

والغيب خفاء الشيء عن علم العباد ، والله تعالى عالم الغيب والشهادة لأنه عالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا يخفى عليه خافية .



وقوله « فانتظروا » معناه انتظروا ما وعدكم من نصر المؤمنين وقهر الكافرين وانزال الذل والمعقاب بهم ان أقاموا على كفرهم فـ « اني معكم من المنتظرين » لذلك.

### قوله تعالى

﴿ وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنَّا بَعْدَ ضَرَأٍ مَسَّتَهُمْ إِذَا لَهُم مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَمَكُرُونَ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف

روى روح « بمكرون » بالياء والباقون بالتاء .

اخبر الله تعالى بأنه إذا اذاق الناس يعني الكافرين « رحمة » بأن انعم عليهم وأوسع أرزاقهم وأخصب اسعارهم « من بعد ضراء » يعني بعد شدة كانوا فيها من جذب وضيق نالتهم « مكروا في آياتنا » فجواب ( اذا ) الأولى في ( اذا ) الثانية وإنما جعلوا ( اذا ) جواباً اذا كانت بمعنى الجملة على ما فيها من المفاجأة ، كما قال تعالى « وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقطنون » (١)

حقيقة الذوق تناول ماله طعم بالغم ليوجد طعمه . وإنما قال « اذقناهم » على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة . والمكر فعل الشيء الى غير وجهه على طريق الحيلة فيه ، فهو لاء محتالون لدفع آيات الله بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة او تخليط في مناظرة او غير ذلك من الأمور الفاسدة .

وقال مجاهد مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم ، فقال الله لنبيه ( ص ) « قل لهم » « الله اسرع مكرآ » يعني اقدر جزاء على المكر ، وذلك انهم جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر ، فقولوا بما هو أشد .

والمرعة عمل الشيء في وقته الذي هو احق به ، والمعنى ان ما يأتيهم من العقاب اسرع مما اتوه من المكراي وقع في حقه .

وقوله « ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ، اخبار منه تعالى ان ملائكة الله الموكلين بهم يكتبون ما يكفرون من كفرهم وتكذيبهم ، ففي ذلك غاية الزجر والتهديد على ما فعلونه من المكر والحيل في امر النبي (ص) . وقيل انما سمي جزاء المكر مكرآ ، لأنهم اذا نالهم العذاب على مكرهم بحيث لا يحتمسبون ولا يتوقعونه فكأنه مكرهم .  
قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرُّحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ آئِنَ أَنْ نَجِيئْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾  
(٢٢) آية بالاخلاق .

قرأ ابن عامر وابو جعفر « ينشركم » بالنون والشين من النشر الباقوث بالياء والسين وتشديد الياء من التسيير .

قال ابو علي حجة ابن عامر ان ( ينشركم ) مثل قوله « وبث منها رجالا كثيرا ونساء » (١) فالبث تفريق ونشر . وحجة الباقيز قوله « قل سيروا في الارض » (٢) « فامشوا في مناكبها » (٣) فالمعنيان متقاربان .

(١) سورة النساء آية ١  
(٢) سورة الانعام آية ١١ وسورة النمل آية ٦٩ وسورة العنكبوت آية ٢٠ والروم آية ٤١ .  
(٣) سورة الملك آية ١٥ .

امتّن الله على خلقه في هذه الآية وعدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال ، فقال «هو الذي يسيركم في البر والبحر» وتسميره إياه اما في البحر، فلاّنه بالريح، والله المحرك لها دون غيره ، فلذلك نسيه الى نفسه ، واما في البر فلاّنه كائن باقداره وتمكينه وتسميته ، فلذلك نسيه الى نفسه .

والتسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود ، والبر الارض الواسعة التي تقطع من بلد الى بلد ، ومنه البر لانساع الخير به . والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته وجمعه أبحر وبحور ، ويشبه به الجواد ، فيقال انما هو بحر لانساع عطاءه . وقوله « حتى إذا كنتم في الفلك » خص الخطاب براكب البحر . والفلك السفن ، وسميت فلكا لدورانها في الماء ، وأصله الدور ، ومنه فلكة المغزل ، والفلك الذي تدور فيه النجوم . وتلك ندي الجارية اذا استدار . والفلك - هنا - جمع ، وقد يكون واحداً . كقوله « في الفلك المشحون » (١)

وقوله « وجرين بهم بريح طيبة » عدل عن الخطاب الى الأخبار عن الغائب تصرفاً في الكلام مع انه خطاب لمن كان في تلك الحال واخبار لغيره من الناس ، قال لبيد :

باتت تشكي إلى النفس مجهشة      وقد حملتك سبعا بعد سبعينا (٢)

وقوله « وفرحوا بها » يعني بالريح الطيبة « جاءها ريح عاصف » يعني ربحاً شديدة يقولون : عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ، ومنهم من يقول : اعصفت فهي معصف ومعصفة . والريح مؤنثة وانما قال عاصف ، لأنه لا يوصف بذلك غير الريح فجرى مجرى قولهم امرأة حائض قال الشاعر :

(١) سورة يس آية ٤١ والشعراء : ١١٩

(٢) مر تخريجها في ١ : ٣٥ ، ٤٧٢ .

حتى اذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل (١)  
 وقوله « وجاءهم الموج من كل مكان » معناه جاء راكبي الفلك الأمواج العظيمة  
 الهائلة من جميع الوجوه . « وظنوا أنهم احيط بهم » أي ظنوا أنهم هالكون لما  
 احاط بهم من الأمواج « دعوا الله مخلصين له » أي عند هذه الشدائد والأهوال  
 والتجؤوا الى الله ودعوه على وجه الاخلاص ، ولم يذكروا الأوثان والاصنام لهم .  
 بأنهم لا تنفع ههنا شيئاً وقالوا « لئن انجيتنا » يارب من هذه الشدة « لنكونن »  
 من جملة من يشكرك لنعمك ، ويقوم بأدائها . ويقال لمن اشرف على الهلاك أحيط به ،  
 ومنه قوله « واحيط بثمره » (٢) أي اهلكت .

### قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
 إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ  
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « متاع الحياة » بنصب العين . الباقرن بالرفع من رفع يحتمل أمرين :  
 احدهما - ان يكون رفعاً بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ قوله « بغيكم »  
 الثاني - ان يكون بغيكم مبتدأ ، وقوله « على انفسكم » خبره . ورفع متاع على  
 تقدير ذلك متاع الحياة الدنيا .

ومن نصب فعلى المصدر . قال ابو علي الفارسي « على انفسكم » يحتمل أمرين :  
 احدهما - ان يكون متعلقاً بالمصدر ، لأن فعله متعد بهذا الحرف ، كما قال « بغي

(١) تفسير الطبري ، الطبعة الاولى ، ١١ : ٦٣ وجمع البيان ٣ : ١٠٠

(٢) سورة الكهف آية ٤٣ .

بعضنا على بعض، (١) وقال «ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصر نه الله» (٢) فإذا جملت الجار من جملة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا والمعنى بغى بعضكم على بعض متاعاً في الحياة الدنيا .

ويجوز ان تجعله متملقاً محذوف ، ولا تجعله من صلة المصدر ، وفيه ذكر يعود الى المصدر . والتقدير انما بغى بعضكم على بعض عائد على انفسكم ، فعلى هذا يتعلق بالمحذوف دون المصدر المبتدأ وهو في المعنى كقوله « ولا يحيق المكر السبيء الا بأهله » (٣) وقوله « فمن نكث فأنا ينكث على نفسه » (٤) فإذا رفعت متاع الحياة على هذا كان خبر مبتدأ محذوف كأنك قلت ذلك متاع الحياة الدنيا او هو متاع .  
ومن نصب احتمل وجهين :

احدهما - ان يجعل من صلة المصدر ، فيكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغى ، ويكون خبر المبتدأ محذوفاً وحسن ذلك لطول الكلام ، لأن بغىكم يدل على تبغون .

والآخر - ان يجعل على انفسكم خبر المبتدأ ويكون نصب متاع على أحد وجهين :  
احدهما - يتمعون متاع الحياة فيدل انتصاب المصدر عليه .  
والآخر - ان يضم تبغون كأنه قال تبغون متاعاً ، فيكون مفعولاً له ، ولا يجوز أن يتعلق بالمصدر اذا جعلت ( على ) خبراً ، لقوله انما بغىكم على انفسكم ، لفصلك بين الصلة والموصول .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين اذا رأوا الأحوال والشدائد

(٢) سورة الحج آية ٦٠

(٤) سورة الفتح آية ١٠

(١) سورة ص آية ٢٢

(٣) سورة فاطر آية ٤٣

في الغلث في البحر فزعدوا الى الله ودعوه مخلصين له الدين ، وقالوا متى انجيتنا من هذه  
« لنكونن من الشاكرين » انه اذا انجاهم وخلصهم من تلك الشدائد عادوا الى البغي  
وهو الاستعلاء بالظلم . واصل البغي العطب . تقول بغاه يبغيه اذا طلبه والبغية  
الطلبية ، والنجاة التخلص من الهلاك . والتخلص من الاختلاط لا يسمى نجاة .  
ومعنى « لما » ايجاب وقوع الشئ انى بالاول كقولك : لما قام قت ، ولما جاء زيد قام  
عمرو ، والحق وضع الشيء في موضعه على ما يدعوا العقل اليه ، والحق والحسن  
معناها واحد . وقوله « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم » خطاب من الله تعالى  
للخلق بأن بغيكم على انفسكم من حيث ان عقابه يلحقكم دون غيركم « متاع الحياة  
الدنيا » معناه انكم تطلبون بالبغي بغير الحق من التمتع في الحياة الدنيا . ثم بعد ذلك  
ترجعون الى الله بعد موتكم فيجازيكم بأعمالكم بعد ان يعلمكم ما عملتموه وما  
استحققتم به من انواع العقاب .

وقال مقاتل : معنى « يبغون في الأرض بغير الحق » يعبدون غير الله . وقال غيره  
معناه كلما انعمنا عليهم بغوا للدين واهله الغوائل .

### قوله تعالى :

﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به  
نبات الأرض مما يأكل الناس والآنعام حتى اذا اخذت الأرض  
زخرفها وازيدت وظن أهلها أنهم قادرون عليها اناها أمر ناليلاً  
أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل  
الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف

المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول . وقيل مثل الحياة الدنيا صفة الحياة الدنيا . وقيل في المشبه والمشبه به في الآية ثلاثة أقوال :

أحدهما - قال الجبائي انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه الله تعالى في الاغترار به والمصير الى الزوال كالنبات الذي يصير الى مثل ذلك .

الثاني - انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من المتاع ثم الانقطاع

الثالث - انه شبه الحياة الدنيا بحياة مقدره على هذه الأوصاف ، لما يقتضيه « وظن أهلها أنهم قادرون عليها » اى علموا الانتفاع بها ، وقوله « فأخذه لمطأ به نبات الأرض » فلاختلاط تداخل الأشياء بمضها في بعض فربما كان على صفة مدح ، وربما كان على صفة ذم .

وقوله « حتى اذا اخذت الأرض زخرفها » فالزخرف حسن الألوان كالزهر الذي يروق البصر ، ومنه قيل زخرفت الجنة لأهلها . وتواه « وظن أهلها أنهم قادرون عليها » معناه ظنوا أنهم قادرون على استصحاب تلك الحال منها - جعلها على غير شيء منها ، لأن القادر عليهم وعليها اهلها .

وقوله « وازينت » أصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي واجلبت الهمزة لامكان النطق بها . وقرأ الأعرج وغيره « وازينت » على وزن أفعلت ، والأول أجود لأن عليه القراء .

وقوله « كأن لم تكن بالأمس » معناه كان لم تقم على تلك الصفة فيما قبل ، يقال : غنى بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل قال النابغة :

غنيت بذلك اذ هم لك حيرة      منها بعطف رسالة وتودد (١)

وقوله « كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون » معناه مثل ذلك نميز الآيات ونبينها

لقوم يفكرون ويمتبرون بها ، لان من لا يفكر فيها ولا يعتبر بها كأنها لم تفصل له ،  
فلذا خصصهم بالذكر .

### قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾ ( ٢٥ ) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى بأنه الذي يدعو عباده الى دار السلام . والدعاء طلب الفعل بما يتم  
لأجله ، والداعي الى الفعل خلاف الصارف عنه . وقد يدعو اليه باستحقاق المدح  
عليه .

والفرق بين الدعاء والامر ، ان في الامر ترغيباً في الفعل ، وزجراً عن تركه ، وله  
صيغة تنبيه عنه ، وليس كذلك الدعاء ، وكلاهما طلب . وأيضاً الامر يقتضي ان يكون  
المأمور دون الأمر في الرتبة . والدعاء يقتضي أن يكون فوقه . وفي معنى دار  
السلام : قولان :

احدهما - قال الحسن السلام هو الله وداره الجنة وبه قال قتادة .

الثاني قال الجبائي والزجاج : معناه دار السلامة .

وقوله « ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » قيل في الهداية ههنا ثلاثة اقوال :

احدهما - يفعل الألفاظ التي تدعوهم الى طريق الحق لمن كان المعلوم أن  
له لطفاً .

الثاني - الاخذ في الآخرة الى طريق الجنة .

الثالث - قال ابو علي : يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الاطعالم والمجانين .

والاستقامة المرور في جهة تؤدي الى البقية ، فالادلة طرق الى العلم على الاستقامة  
لأنها تؤدي اليه .



## قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦)  
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بان الذين يفعلون الحسن من الطاعات التي امرهم الله بها جزاء على ذلك « الحسنى » وهي الجنة ولذاتها . وقيل جامعة المحاسن من السرور والذات على أفضل ما يكون وهي تأنيث الاحسن .

وقوله « وزيادة » معناه ان لهم زيادة التفضل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب ، وهي المضاعفة المذكورة في قوله « فله عشر امثالها (١) » ذهب اليه ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعلقمة بن قيس .

وقال ابو جعفر (ع) « وزيادة » معناه ما أعطاهم الله في الدنيا لا بحاسه . بهم به في الآخرة .

وقوله « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » فالرهق لحاق الامر ، ومنه راهق الغلام اذا لحق حال الرجال ، ورهقه في الحرب اذا ادركه . و(الرهاق) الاعجال . و(القترة) القبار . و(القترة العبرة) . ومنه الاقتار في النفقة لقلته ، قال الشاعر :

متوج برداً الملك يقبمه موج يرى فوقه الرايات والقترا (٢)

والذلة صغر النفس بالاهانه . والذلة نقيض العزة . وقد يكون صغر النفس

(١) سورة الانعام آية ١٦٠ .

(٢) قاتلة الفرزدق ديوانه : ٣٩٠ . وتفسير الطبرى ١١ : ٦٩ . ومجاز القرآن ٢٧٧

وتفسير القرطبي ٨ : ٣١١ واللسان « قتر » . ورواية الديوان « معتصب » بدل « متوج » .

بضيق المقدرة .

وقوله « أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » اخبار منه تعالى بأن الذين وصفهم الملازمون للجنة على وجه الخلود والنعيم فيها ولا زواى لذلك عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَامًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ( ٢٧ )  
آية بلا خلاف .

لما وصف الله تعالى المطيعين ، وما لهم من الثواب الجزيل في الجنة والخلود فيها ذكر حكم العصاة والذين يرتكبون السيئات ويكسبون بها وان لهم جزاء كل سيئة مثلها يعني قدر ما يستحق عليها من غير زيادة ، لان الزيادة على قدر المستحق من العتاب ظلم ، وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب ، لان ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء .

فالمثل - في الآية - المراد به مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان . والكسب فعل يجتلب به نفع او يدفع به ضرر ، وقد يكتسب الانسان الحسنه والسيئة ، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالكسب .

وقوله « وترهقهم ذلة » اي يلحقهم هوان في انفسهم . « وما لهم من الله من عاصم » اي ما لهم مانع من عقاب الله .

وفي رفع ( جزاء ) في الآية وجهان :

احدهما - ان تقديره فلم جزاء سيئة بمثلها ايها كل « للذين احسنوا » .

والآخر - ان يكون الخبر يمثلها والباء زيادة كزيادتها في قولك ليس زيد بقائم .  
وقوله « كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » شبه سواد وجوههم بقطع  
من الليل المظلم وانما ذكر ووجد مظلم لاحد أمرين :

احدهما - ان يكون حالا من الليل .

والثانى - على قول الشاعر :

لو ان مدحة حبي تشرن احدأ      احيا اباكن يا ليلي الاماديج (١)  
و ( القطع ) قرأه بتسكين الطاء ابن كثير والحكمانى . البا فون بالتحريك ،  
وهما لغتان .

وقوله « اصحاب النار هم فيها خالدون » اخبار منه تعالى بأن من وصفهم ملازمون  
لنار خالدون فيها غير زائل عذابها .

قال ابو عبيدة « قطعاً من الليل » وهو بعض الليل تقول اتيته لقطع من الليل  
اي ساعة من الليل ، وقطم واقطاع . وقال ابو علي : القطع الجزء من الليل الذي فيه  
ظلمة فأما قوله « مظلماً » اذا اجرته على ( قطع ) فيحتمل نصبه وجهين :  
احدهما - ان يكون صفة من القطع وهو احسن ، لانه على قياس قوله « وهذا  
كتاب أنزلنا مبارك » ( ٢ ) وصف الكتاب بالمفرد بمد ما وصفه بالجملة واجراه  
على النكرة .

والثانى - يجوز ان يكون حالا من الذكر الذي في الظرف .

ومن قرأ « قطعاً » لم يكن مظلماً صفة لـ ( قطع ) ولا حالا من الذكر الذي في  
قوله « من الليل » ولكن يكون حالا من الليل المظلم فلما حذف الالف واللام نصب على  
الحال .

(٢) سورة الانعام آية ٩٢ ، ١٥٥

(١) مجمع البيان ٣ : ١٠٤

## قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ  
 أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلُنَا إِلَهُتَهُمْ وَقَالَ لَشُرَّاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا  
 تَعْبُدُونَ ﴾ ( ٢٨ ) آية بلا خلاف .

اخبر تعالى في هذه الآية أنه يوم يحشر الخلائق أجمعين . والحشر هو الجمع من كل أوب الى الموقف ، وإنما يقومون من قبورهم الى أرض الموقف « ثم نقول للذين أشركوا ، يعني من أشرك مع الله في عبادته غيره ، والشرك بالاطلاق لا يقال إلا فيمن أشرك في العبادة ، لأنها صفة ذم مثل كافر وظالم .

وقوله « مكانكم » معناه انتظروا مكانكم « جميعاً » نصب على الحال و ( مكانكم ) نصب على الامر ، كأنه قال انتظروا مكانكم حتى تفصل بينكم . ويقول المتوعد لغيره : مكانك فانتظر ، يستعمل ذلك في الوعيد .

وقوله « انتم وشراؤكم » يعني انتظروا انتم مع شركائكم الذين عبدتموهم من دون الله .

وقوله « فزيلنا بينهم » مأخوذ من قولهم زات الشيء عن مكانه أزيله ، وزيلنا - للكثرة من هذا - اذا نحيت عن مكانه ، وزايلت فلاناً إذا فارقته . وقال القتيبي : وهو مأخوذ من زال يزول ، وهو غلط ، وخلاف لقول جميع المفسرين ، وأهل اللغة . والزيل التفريق .

والمعنى فرقنا بين المشركين بالله وما أشركوا به .

وقوله « وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون » قيل في معناه قولان : أحدهما - قال مجاهد : انه ينطق الاوثان يوم القيامة فيقولوا ما كنا نشعركم بأنكم

إيانا تعبدون .

والثاني - ان ذلك قول من كانوا يعبدونهم من الشياطين  
وفي كيفية جحدهم لذلك قولان :

احدهما - أنهم يقولون ذلك على وجه الالهانة بالرد عليهم . والمعنى ما اذنا نذرنا  
بذلك لكم .

والآخر - انه في حال دهش ككذب الصبي . وقال الجبائي يريد انكم لم تعبدونا  
بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوها أصلاً لان ذلك كذب وهو لا يقم في الآخرة  
لكونهم ملجئين الى ترك القبيح . وهذه الآية نظيرة قوله « اذ تبرأ الذين اتبعوا  
من الذين اتبعوا » (١) وكان مجاهد يقول : الحشر ههنا هو الموت . والاول اولي .

### قوله تعالى :

﴿ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَدِينُنَا وَيَدِينُكُمْ ۗ إِنَّ كُنْتُمْ عَنْ عِبَادَتِكُمْ  
لَغَافِلِينَ ﴾ ( ٢٩ ) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى عن شركاه المشركين من الآلهة والأوثان يوم القيامة  
حين قال المشركون انا انما اياكم كنا نعبد ، وانهم يجحدون ذلك يقولون : حسبنا الله  
شاهداً بيننا وبينكم ايها المشركون بأنه تعالى عالم إنا ما علمنا ما تقولون ، وانا كنا  
عن عبادتكم ايانا غافلين ، لا نشعر به ولا نعلمه . وانما قال « شهيداً بيننا » ولم يقل  
علينا ، لأنه إذا قال بيننا فمعناه لنا وعلينا ، فهو أعم واحسن .

ونصب ( شهيدا ) على التمييز ، وتقديره وكفى بالله من الشهداء . وقال الزجاج  
نصب على الحال ، وتقديره كفى بالله في حال الشهادة .

وقوله « ان كنا » فهذه ( ان ) المخففة عن الثميلة بدلالة دخول اللام في الخبر للفرق بين ( ان ) الجحد و ( ان ) المؤكدة . وقال الزجاج : هي بمعنى ( ما ) ومعناه ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين .

### قوله تعالى :

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ( ٣٠ ) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة الاعاصم « تنلوا » بالتاء من التلاوة . والباقون بالباء ومعناه تخبر من قوله « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » ( ١ ) اي اختبرناهم ، ومنه قولهم : البلاء ثم الثناء اي الاختبار للثناء عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون عن علم بما يوجبه . ومعنى اختبار النفس ما اسلفت ان قدم خيراً او شراً جزى عليه ، كما قال « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ( ٢ ) وغير ذلك .

ومن قرأ بالتاء من التلاوة . ويقوي ذلك قوله « فاولئك يقرؤن كتابهم » ( ٣ ) وقوله « اقرأ كتابك » ( ٤ ) وقوله « ورسلنا لديهم يكتبون » ( ٥ ) ويكون ( تلو ) بمعنى تتبع ويكون المعنى هنالك تتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة وسيئة ، فمن أحسن جوزي بالحسنات ومن اساء جوزي به ، فعلى هذا يكون المعنى مثل قراءة من قرأ بالباء .

( ٢ ) سورة الزلزال آية ٧ - ٨

( ٤ ) سورة الاسرى آية ١٤

( ١ ) سورة الاعراف آية ١٦٧

( ٣ ) سورة الاسرى آية ٧١

( ٥ ) سورة الزخرف آية ٨ .

وقال ابن زيد معنى « تلبو » تماين . وقال الفراء : معناه تقرأ ، وقال غيره تتبع  
وقال ابن عباس معنى ( تلو ) تخبر قال الشاعر :

قد جمعت دلوي تستليني ولا احب تبع القرين ( ١ )

اي تتبعني من ثقلها ، ومعنى « هنالك » في ذلك المسكن وهو ظرف في - ( هنا )  
للقرين و ( هنالك ) للبعيد و ( هنالك ) لما بينها قال زهير :

هنالك ان يستخبوا المال يخبلوا وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا ( ٢ )

والاسلاف تقديم أمر لما بعده ، فن أسلف الطاعة لله جزى بالثواب . ومن اسلف  
المعصية جزى بالعقاب .

وقوله « وردوا الى الله » فالرد هو الذهاب الى الشيء بعد الذهاب عنه ، فهو لاء  
ذهبوا عن امر الله فأعيدوا اليه . والرد والرجع نظائر ، ويجوز ان يكون الرد بمعنى  
الذشأة الثانية ، وهو الأليق ههنا .

وقوله « مولايم الحق » فالولى المالك للبعيد ، ومعناه مالكم لانه يملك أمرهم ،  
وهو أملك بهم من أنفسهم .

وقوله « وضل عنهم ما كانوا يفترون » يعني ما كانوا يدعونهم - بافترائهم من  
الشركاء - مع الله يضلون عنهم يوم القيامة ويبطلون .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

(١) بجمع البيان ٣ : ١٠٥

(٢) ديوانه ١١٢ واللسان د خبل ، وقد اختلفت روايته فروى د ان يستخولوا  
المال يخولوا ، و د ان يستخبوا المال يخبوا ، وغير ذلك . والشاعر يمدح قوماً بأنهم  
كرما . ومعنى د ييسروا ، من اليسر وهو القمار . ومعنى ( يغلوا ) اي يأتون بجزور  
سمين او انهم يغالوا أى يكثروا

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ  
وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾  
آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه ( ص ) ان يقول لهؤلاء الكفار وغيرهم من خلقه «من يرزقكم من السماء» بانزال المطر والغيث ، ومن الارض باخراج النبات وانواع الثمار .  
والرزق العطاء الجاري يقال : رزق السلطان الجند ، الا ان كل رزق ، فله رازق به ، لانه لو لم يطلقه على يد الانسان لم يجيء منه شيء . والواحد منا يرزق غيره إلا انه لا يطلق اسم رازق إلا على الله ، كما لا يقال : رب بالاطلاق إلا في الله . وفي غيره يقيد ، فيقال رب الدار ورب الفرس . ويطلق فيه لأنه يملك الجميع غير مملك ، وكذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق ، ولا يجوز ان يخلق الله حيواناً يريد تبقيته إلا ويرزقه ، لأنه اذا اراد بقاءه فلا بد له من الغذاء ، فان لم يرد تبقيته كالذي يولد ميتاً فإنه لا رزق له في الدنيا .

وقوله «ام من يملك السمع والأبصار» يعني من الذي له التصرف فيها بلا مانع يمنعه منها وان شاء اصحها وان شاء امرضاها . و «من يخرج الحي من الميت» معناه من الذي يخلق الحيوان ويخرجه من امه حياً سوياً اذا ماتت امه «ويخرج الميت من الحي» يعني من يخرجه غير تام ولا بالغ حد الكمال .

وقيل معناه انه يخرج الحي من النطفة ، وهي ميتة ويخرج النطفة من الحي .  
وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

و «من يدبر الأمر» اي ومن الذي يدبر جميع الامور في السماء والارض؟ وليس جواب ذلك لمن انصرف ولم يكابر الا ان يقول : الله الفاعل لجميع ذلك . واذا قالوا



ذلك واعترفوا به قبل لهم « أفلا تتقون » ومعناه فهلا تتقون خلافه وتحذرون معاصيه .؟

وفي الآية دلالة على التوحيد لأن ما ذكره في الآية يوجب أن المدبر واحد ولا يجوز أن يقع ذلك اتفاقاً ، لاحالة العقل ذلك ، ولا يجوز أن يقع بالطبيعة ، لأنها في حكم الموات لو كانت معقولة ، فلم يبق بعد ذلك إلا أن الفاعل لذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء ، وهو الله تعالى ، مع أن الطبيعة مدبرة - مفعولة - فكيف تكون هي المدبرة . وإنما دخلت ( أم ) على ( من ) لان ( من ) ليست اصل الاستفهام بل أصله الالف فلذلك جاز الجمع بينها .

### قوله تعالى :

﴿ فذُكِرْكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصِرُّفُونَ ﴾ ( ٣٢ ) آية بلا خلاف .

« ذلك » اشارة الى اسم الله الذي ذكره في الآية الاولى ، وصفه بأنه الذي يخرج الحي من الميت ، والميت من الحي ويرزق الخلق من السماء والارض و ( الكاف والميم ) للمخاطبين ، وإنما جمع لأنه أراد جميع الخلق ، فأخبر الله تعالى ان الذي وصفه في الآية الأولى هو « الله ربكم » الذي خلقكم ويملك تصرفكم . وإنما وصفه بأنه « الحق » لأن له معنى الالهية دون غيره من الأوثان والأصنام ، وهو الرب تعالى وحده . وقوله « فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ » صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير على موضع الحجة ، لأنه لا يجد المجيب محيداً عن الاقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه ، وكما تدعوا اليه الحكمة على اختلافه فهو حق ، والمراد انه ليس بعد الاقرار بالحق ، والانقياد له إلا الضلال والعدول عنه .

وقوله « فَأَنْتَ تُصِرُّفُونَ » أي كيف تصرفون وتمدلون عن عبادته مع وضوح

الدلالة على أنه لا معبود سواه ، والصرف هو الذهاب عن الشيء ، فالصرف عن الحق  
ذهاب إلى الباطل ، وقد أنكر الله ذلك . وفيه دلالة على أنه من فعل غيره من الغواة  
لأنه لو كان من فعله لما أنكره ، كما لم ينكر شيئاً من أفعال نفسه .

### قوله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة وابن عامر (كلمات) - ههنا وفي آخرها . وفي المؤمن - على الجهم  
الباقون على التوحيد .

قال أبو علي : من قرأ على التوحيد احتمل في ذلك وجهين :

أحدهما - أن يكون جمل ما أوعده به الفاسقين كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات،  
لأنهم قد يسمون الفصيحة والخطبة كلمة ، فكذلك ما ذكرناه .  
والثاني - أن يريد بذلك الجنس وقد وقع على بعض الجنس كما وقع اسم الجنس  
على بعضه في قوله « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » (١) ومن جمع فإنه جعل  
الكلمات التي يوعدون بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع ، فقال : كلمات . وأما قوله « كلمة  
الله هي العليا » (٢) فيجوز أن يكون عنى بها قوله « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » (٣)  
كما فسر قوله « وألزمهم كلمة التقوى » (٤) أنه لا إله إلا الله ، ذكره مجاهد .  
والكاف في قوله كذلك في موضع نصب والتقدير مثل أفعالهم جازاهم ربك . وقبل  
في المشبه به « كذلك حقت كلمة ربك » قولان :

(٢) سورة التوبة آية ٤١

(١) سورة الصافات آية ١٣٧

(٤) سورة الفتح آية ٢٦

(٣) سورة المجادلة آية ٢١

احدهما - المعنى في انه ليس بعد الحق الا الضلال فشيبه به كلمة الحق بأنهم لا يؤمنون في الصحة .

الثاني - ما تقدم من العصيان شبه به الجزاء بكلمة العذاب في الوقوع على المقدار وانما اطلق في الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ، لأنه اريد به الذين تمردوا في كفرهم .  
(و أنهم ) في موضع نصب على قول الفراء والتقدير بأنهم أو لا أنهم لا يؤمنون  
فقوله « أنهم لا يؤمنون » بدل من كلمة ربك .

فأعلم الله أنهم باعمالهم قد منعوا من الايمان ، وجائز ان تكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب .

والفسق في الشرع هو الخروج في المعصية الى الكبيرة فان كانت كفراً فالخروج الى الكبره وكذلك ان كانت منع حق . وفائدة الآية الابانة عن الحال التي لا يفلح صاحبها ليحذر من مثلها ، لأنه قد يكون في المعلوم أنه من بلغ ذلك الحد لم يفلح ، قال وأصل المعنى حقت كلمة ربك ان الفساق والكفار ما داموا كفاراً فساقاً فلا يكونون مؤمنين . وقال الجبائي : معناه وجدانكم إياهم على الكفر والاصرار عليه دليل على أن ما أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون حق وصدق .

### قوله تعالى

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ قُلْ  
اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ فَأَنِي تَوَفَّيْكُونَ ﴾ ( ٣٤ ) آية بلا

خلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله آلهة يعبدونها « هل من شركائكم من يبدؤ الخلق » بأن ينشئهم ويخترعهم . ثم اذا آمنهم

يعيدهم ويحييهم لينبئهم بذلك على أنه لا يقدر على ذلك إلا الله القادر لنفسه الذي لا يعجزه شيء .

وقيل في معنى شركاءكم قولان :

أحدهما - انهم الذين جعلوهم شركاء في العبادة .

الثاني - الذين جعلوهم شركاء في اموالهم من اوثانهم ، كما قالوا « هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » (١) والاعادة ايجاد الشيء ثانياً ، وقال لنبيه قل لهم : الله تعالى القادر لنفسه هو الذي يبدؤ الخلق فينشئهم ، ثم يميتهم ثم يعيدهم لا يعجزه شيء عن ذلك .

وقوله « فاني تؤفكون » معناه اني تصرفون عن الحق وتقبلون عنه ، ومنه الافك ، والكذب ، لانه قلب المعنى عن جهته .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَمَّ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

قرا اهل الكوفة الا عاصما « يهدي » بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال .

وقراه اهل المدينة الا ورشا بفتح الياء ، وسكون الهاء ، وتشديد الدال .

وقراه ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ،

الا ان السوسي من طريق ابن حبش لا يشعب بفتح الهاء ، وكذلك روى الحماني عن

(١) سورة الانعام آية ١٣٦ .

شجاع .

وقرأه يعقوب وحفص والاعشى والبرجمي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال . ورواه ابو بكر الا الاعشى والبرجمي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال . قال ابو علي من قرأ « يهدى » بفتح الياء والهاء وتشديد الدال فقد نسبهم الى غاية الذهاب عن الحق في معادلتهم الآلهة بالله تعالى الا ترى ان المعنى افن يهدى غيره الى طريق التوحيد والحق احق ان يتبع ام من لا يهتدى هو الا ان يهدى والتقدير افن يهدى غيره فحذف المفعول الثاني . فان قيل هذه التي اتخذوها آلهة لا تهتدي وان هديت لانها موات من حجارة وادنان ونحو ذلك .

قيل تقدير الكلام على انها ان هديت اهتدت وان لم تكن في الحقيقة كذلك لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن الذي يجب له العبادة، كما قال « ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السماوات والارض شيئاً ولا يستطيعون » (١) وقال « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم » (٢) فاجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم كانه قال ام من لا يهدى الا ان يهدى اي ام من لا يعلم حتى يعلم ، ومن لا يستدل على شيء حتى يدل وان كان لودل او اعلم لم يعلم ولم يستدل واراد الله بذلك تعجيبهم من انفسهم وتبيين جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم .

وقرا حمزة والسكسائي « ام من لا يهدى » . معناه ام من لا يهدى غيره ، ولكن يهدى اي لا يعلم شيئاً ولا يعرفه ولا سكن . يهدى اي لا هداية له ولو هدى ايضاً لم

(١) سورة النحل آية ٧٣ .

(٢) سورة فاطر آية ١٤ .

يهد غير ان اللفظ جرى عليه كما قلناه فيما تقدم .

ومن شدد ، فلان اصله يهتدى فادغم التاء في الدال ومن حرك الهاء التي حركة الحرف المدغم على الهاء لانها من كلمة واحدة ومن كسر الهاء لم يلق الحركة تشبيهاً بالمنفصل وكسر الهاء لالتقاء الساكنين . ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين . ومن اشم فلان الاشمام في حكم التحريك ومن كسر اليا اتبع اليا ما بعدها من الكسر لان اصله يفتعل .

وقال قوم : معنى « ام من لا يهدى الا ان يهدى » لا يتحرك حتى يحرك . امر الله تعالى نبيه ان يقول ايضاً لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله شركاء في العبادة « هل من شركاءكم » الذين تعبدونهم من دون الله او تشركون بينهم في العبادة من يهدى غيره الى الحق والى طريق الرشاد ، ثم قال قل يا محمد « الله يهدى للحق » وافعال الخير ثم قال « ان يهدى غيره الى الحق » والى الصراط المستقيم اولى « ان يتبع » ويقبل قوله « ام من لا يهدى الا ان يهدى » اى الابد ان يهدى . وحكى البلخي انه قال هدى واهتدى بمعنى واحد .

وقوله « فما لكم كيف تحكمون » اى بما تدعونه من عبادة من دون الله ، فالهداية المعرفة بطريق الرشاد من النقي فكل هداية فائدة الى سلوك طريق النجاة بدلا من طريق الهلاك . وقال الزجاج « ما لكم » كلام تام ، كانه قال اى شي لكم في عبادة الاوثان ثم قال لهم « كيف تحكمون » على اى حال ، فوضع ( كيف ) نصب بـ ( تحكمون ) ويقال هديته للحق والى الحق بمعنى واحد .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْدًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ( ٣٦ ) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار الا الظن الذي لا يجزي شيئاً من تقايد آبائهم ورؤسائهم . ثم قال تعالى : « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » لان الحق انما ينتفع به من عرفه وعلمه حقاً لان الظن حقيقة ما قوي كون المظنون عند الظان على ما ظنه مع تجويز أن يكون على غيره ، فاذا كان معه تجويز كون المظنون على خلاف ما ظنه ، فلا يكون مثل العلم . وقد يكون للظن حكم إذا قام على ذلك دليل اما عقلي او شرعي ويكون صادراً عن امارات معروفة بالعادة والخبر او رده الى نظيره عند من قال بالقياس ، وكل ذلك اذا اقترن به دليل يوجب العمل به ، وكل موضع يمكن أن يقوم عليه دليل ويعلم صحته من فساده ، فلا يجوز أن يعمل فيه على الظن ، لأنه بمنزلة من ترك العلم وعمل على ظن غيره .

وقوله « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » معناه انه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو امكان وجوده وانما يعبد الله في الشرع في مواضع بالرجوع الى الظن مع أنه كان يمكنه ان ينصب عليه دليلاً يوجب العلم لما في ذلك من المصاحبة .

وقوله « ان الله عليم بما يفعلون » فيه ضرب من التهديد ، لأنه أخبر أنه تعالى يعلم ما يفعلونه ولا يخفى عليه منه شيء فيجازيهم على جميعه على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب .

### قوله تعالى :

﴿ وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولا كُنَّ تصديقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ( ٣٧ ) آية بلا خلاف

نفى الله تعالى في هذه الآية ان يكون هذا القرآن الذي أنزله على نبيه

محمد (ص) مفترى من دون الله . والافتراء الاخبار على القطع بالكذب ، وهو مأخوذ من فرى الاديم وهو قطعه بمد تقديره ، والقرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظم والجزالة ، وكل شيء منه فيه فائدة وكل فصل منه فيه فائدة أخرى .

وقوله « ولكن تصديق الذي بين يديه » شهادة من الله له بأنه صدق وبأنه شاهد لما تقدم من التوراة والانجيل والزبور بأنها حق ، وشاهد ايضاً من حيث انه مصدق لها اذا جاء على ما تقدمت البشارة به فيها . وقيل مصدق لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب .

وقوله « وتفصيل الكتاب » اي تبين الفصل من المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته . والتفصيل والتميز والتقسيم نظائر وضده التلبيس والتخليط .  
وقوله « لا ريب فيه » اي لا شك فيه « من رب العالمين » اي نازل من عند مالك العالمين . وقيل : ان معنى « تفصيل الكتاب » اي تفصيل الفروض الشرعية .  
والكتاب ههنا المفروض .

وقال الفراء : معنى « وما كان هذا القرآن ان يفترى » اي لا ينبغي ان يكون افتراءً ، كما قال تعالى « وما كان لنبي ان يفل » (١) اي لا ينبغي له . وقال غيره تقديره وما كان هذا القرآن مفترى .

### قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) آية بلاخلاف .



معنى « أم » ههنا تقرير على موضع الحجج بعد مضي حجة أخرى و تقديره بل أتقونون افتراء ، فالزموا على هذا الاصل الفاسد امكان أن يأتوا بمثله .  
 وقوله « فأتوا بسورة مثله » صورته صورة الامر والمراد به التحدي باتيان سورة وهو الزام لهم على اصلهم اذ اصلهم فاسد بوجب عليهم ان يأتوا بسورة مثله فالتحدي يطلب ما يوجبهم اصلهم عليهم .  
 وقوله « فأتوا بسورة مثله » معناه سورة منه . وقيل في معناه قولان :  
 احدهما - ان فيه حذفاً وتقديره فأتوا بسورة مثل سورته ذكره بعض البصريين  
 والآخر - ائتوا بسورة مثله في البلاغة ، وهو احسن الوجهين .  
 والسورة منزلة محيطة بآيات الله كاحاطة سور البناء من أجل الفاتحة والخاتمة وكل منزلة من سورة البناء محيطة بما فيها .

وقوله « فادعوا من استطعتم من دون الله » معناه ادعوا الى الموازنة على المعارضة بسورة مثله أي استمعينوا بكل من قدرتم عليه . والاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع . والقدرة من القدر ، فهي معنى يمكن أن يوجد به الفعل وان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى .  
 وقوله « ان كنتم صادقين » معناه ان كنتم صادقين في أن هذا القرآن مفترى من دون الله فأنتم تقدرون على معارضته ، فحيث لا تقدرون على ذلك علم أن الامر بخلاف ما تذكرونه من انه من عند غير الله ، وصح أنه من عند الله ، لأنه لو قدر محمد (ص) على افتراءه لقدرتهم على معارضته لمشاركنكم اياه في النشوء والفصاحة .

### قوله تعالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَكَلَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ

كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ( ٣٩ )  
آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين حكى عنهم أنهم قالوا ان محمداً (ص) افتري هذا القرآن ولم ينزله الله عليه بأنهم « كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » ومعناه بما لم يعلموه من كل وجوهه لان في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ، ويحتاج الى الفكر فيه والرجوع الى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه ، فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به ، وقالوا انه افتري على الله كذبا ، ومعنى كذبوا أنهم شهدوا بان الدعاء الى الله والدعاة الى الحق من المؤمنين كاذبون جهلا منهم وتوها لا حقيقة لهم ولا حجة معهم به .

وقوله « ولما يأتهم تأويله » معناه ما يؤول أمره اليه وهو عاقبته . ومعناه متأوله من الثواب والعقاب . ثم حكى الله أنه مثل ذلك كذب الذين من قبلهم أنبياء الله ورسوله فأهلكهم ودمرهم . ثم قال لنبيه « فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » يعني ما أدى الى اهلاكهم بعذاب الاستئصال على ما تقدم من ظلمهم لانفسهم وغيرهم في كذبهم .

وقيل في موضع « كيف كان » نصب بأنه خير كان ، ولا يكون معمول (انظر) لان ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ  
أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ ( ٤٠ ) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان من جملة هؤلاء الكفار الذين كذبوا بالقرآن و نسبوه الى  
الافتراء من سيئون من به اى بالقرآن في المستقبل ، و منهم من لا يؤمن بل  
يموت على كفره .

وقوله « و ربك اعلم بالفسدين » معناه من يدوم على الفساد بمن يتوب ،  
وإنا بقام الله لما في معلومه انه يتوب منهم . وإنا جاز ان يقول « اعلم » وان لم يكن  
هناك كثرة علوم لاحد امرين :

احدهما - ان الذات تغنى عن كل علم .  
والثاني - انه براد كثرة المعلوم .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ  
مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيه ( ص ) فقال « ان كذبوك هؤلاء الكفار ولم يصدقوك  
وردوا عليك بذلك و نسبوك الى الكذب « فقل لي عملي » و إن كنت كاذباً فوباله  
علي « ولكم عملكم » اي ان كنتم غير محقين فيما تردونه علي و تكذبوني فلکم جزاء  
عملكم فانتم تبرؤن مما عمل وانا ابرأ من اعمالكم . وفائدة ذلك الاخبار بأنه لا يجازى  
احد الا على عمله ، و لا يؤخذ احد مجرم غيره كما قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر  
اخرى » (١) والبرائة قطع المعلقة التي توجب رفع المطالبة وذلك كالبرائة من الدين ،  
والبرائة من العيب في البيع ، ولم يقل النبي ( ص ) هذا القول شكاً منه فيما يجازى  
الله الكفار والمؤمنين به من الثواب و العقاب . و انا قال على وجه التلطف لخصمه

(١) سورة الانعام آية ١٦٤ والاسرى : ١٥ وفاطر : ١٨ والزمر : ٧

وحسن المشورة ، وان لا يستقبلهم بما يكرهونه من الخطاب فربما كان داعياً لهم ذلك الى الانقياد والنظر في قوله .  
وقال ابن زيد : هذه الآية منسوخة بآية الجهاد ، وعلى ما قلناه لا يحتاج الى ذلك .

### قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَكَوْنُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢) آية بلا خلاف .

أخبر الله ان من جملة هؤلاء الكفار « من يستمع اليك » يا محمد . والاستماع طلب السمع ، فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم ، فلذلك لزمهم الذم ، فهم اذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يسموه حيث لم ينتفعوا به .  
وقوله « افانت تسمع الصم » خطاب للنبي ( ص ) بأنه لا يقدر على استماع الصم الذين لا يسمعون ، وبهم صمم وهم الذين ولدوا صماً و الاصم المفسد السمع بما يمنع من ادراك الصوت ، وقد صم صمماً . والسمع ادراك الشيء بما به يكون مسموعاً وتسمى الاذن السليمة سمماً ، لانه يسمع بها .

وقوله « ولو كانوا لا يعقلون » تشبيهه من الله تعالى لهؤلاء الكفار في ترك إصغافهم الى النبي ( ص ) و استماع كلامه طلباً للفائدة بالذين لا يسمعون اصلاً . وان النبي ( ص ) لا يقدر على استماعهم على وجه ينتفعون به اذا لم يستمعوا بنفوسهم ، للعكر فيه ، كما لا يقدر على استماع الصم .

وقوله « من » يقع على الجرم كما يقع على الواحد ، فلذلك أخبر عنه بلفظ الجرم بقوله « يستمعون اليك » و ( لو ) في اكثر الامر يكون ما بعدها اقل مما قبلها

تقول اعطني دابة ولو حماراً ، وقد يجيء ما بعدها أكثر مما قبلها ، كما يقول الرجل  
 انا اقاتل الاسد فيستمعظم ذلك منه ، فيقال انت تقاتل الاسد ولو كان ضارياً ، وعلى  
 هذا يخرج الآية قال الزجاج : والمعنى ولو كانوا جهالاً كما قال الشاعر :

اصم عما ساءه سميع (١)

### قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا  
 لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن من جملة الكفار « من ينظر اليك » يا محمد (ص) فلم يخبر  
 بلفظ الجمع لانه حمله على اللفظ ، واللفظ لفظ الواحد . والنظر المذكور في الآية  
 .معناه تقيب الحدقة للصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته وقيل معناه من ينظر الى أدلتك  
 والنظر يكون بمعنى الاعتبار والفكر ، وهو الموازنة بين الامور حتى يظهر الرجحان  
 او المساواة ، وذلك الجمع بين الشيين في التقدير بما يظهر به شهادة احدهما بالآخر  
 قال « افأنت هدى العمي ولو كانوا لا يبصرون » اي نظرم اليك لا على وجه الاستفادة  
 بمنزلة نظر الاعمي الذي لا يبصر ، فكما لا يقدر ان يهدي الاعمي فكذلك هؤلاء  
 لا ينتفعون بنظرم اليك ، فكأنهم لا يبصرون .

والعمي آفة تمنع من الرؤية ، وهو على وجهين : عمى العين ، وعمى القلب  
 وكلاهما يصلح له هذا الحد . والابصار ادراك المبصر بها به يكون مبصراً كما ان السمع  
 إدراك المسموع بها به يكون مسموعاً .

(١) مر فيما سلف في ٢ : ٨٠ ، ٤ : ١٣٤

## قوله تعالى :

﴿ ان الله لا يظلمُ النَّاسَ شَيْئاً وَاَكُنَّ النَّاسُ اَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴾ ( ٤٤ ) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية على وجه التمدح به بأنه لا يظلم احداً شيئاً وانما الناس هم الذين يظلمون انفسهم بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح فيستحقون بها عقاباً ، فكانهم الذين ادخلوا عليها ضرراً ، فلذلك كانوا ظالمين لانفسهم . والمعنى ههنا ان الله لا يمنع احداً الانتفاع بها كمنعهم الانتفاع به من القرآن وادلته ، و لكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به و تقويتهم انفسهم الثواب وإدخالهم عليها العقاب .

ففي الآية دلالة على انه لا يفعل الظلم ، لان فاعل الظلم ظالم ، كما ان فاعل الكسب كاسب ، وليس لهم ان يقولوا يفعل الظلم ، ولا يكون ظالماً به ، كما يفعل العلم ولا يكون به عالماً ، وذلك ان معنى قولنا ظالم انه فعل الظلم ، كقولنا ضارب انه يفيد انه فعل الضرب . وكذلك يكون ظالماً بما يفعله من الظلم في غيره ، وليس كذلك العالم لانه يفيد انه على صفة مخصوصة ، ولذلك قد يكون عالماً بما يفعله من العلم ، ولا يكون ظالماً بما يفعله من الظلم . ويكون عالماً بما يفعله من العلم وليس كذلك الظلم ، فبان الفرق بينهما .

وليس لاحد ان يقول : ان الانتفاء من الظلم كالانتفاء من السنة والنوم في

انه ليس بنفي الفعل .

وذلك ان الظلم مقدور قبل العدل وليس كذلك النوم واليقظة لانهما

يستهيلان عليه .

و « ليكن » اذا كانت مشددة عملت عمل ( أن ) واذا خففت لم تعمل ، لأن المخففة تدخل على المفرد ، كما يدخل حرف العطف . والثقبلة تدخل على الجملة فتزيل الابتداء .

### قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ  
يَتَمَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا  
مُهْتَدِينَ ﴾ ( ٤٥ ) آية بلا خلاف .

قرأ حفص : يحشرهم ، بالياء . الباقر بن النون . قال ابو علي الفارسي - في قوله « كأن لم يلبثوا » يحتمل ثلاثة أوجه :  
احدها - ان يكون صفة اليوم .  
والآخر - أن يكون صفة للمقدر المحذوف .

الثالث - ان يكون حالا من الضمير في « يحشرهم » فاذا جعلته صفة لليوم احتمل امرين :

احدهما - أن يكون التقدير « كأن لم يلبثوا » قبله « الا ساعة » كما قال « فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف » ( ١ ) اي امسكوهن قبله ، وكذلك قوله « فان فاءوا فان الله » ( ٢ ) معناه فان فاءوا قبل انقضاء الاربعة أشهر .  
ويحتمل ان يكون المعنى « كأن لم يلبثوا » قبله فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه . ثم حذفت الهاء من الصفة ، ومثله « وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو

( ١ ) سورة البقرة آية ٢٣١ وسورة الطلاق آية ٢

( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٢٦

واقع بهم» (١) والتقدير وجزاؤه واقم بهم . وان جعلته صفة للمصدر ، كان على هذا التقدير الذي وصفناه ومثله « كان لم يلبثوا » قبله فحذف وأقام المضاف اليه مقام المضاف ثم حذف العائد من الصفة ، كما يحذف من الصلابة في نحو قوله « أهذا الذي بعث الله رسولا » (٢) وان جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء في اللفظ ، لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال .

والمعنى يحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة . ويحتمل ان يكون معمولا بما دل عليه قوله « كأن لم يلبثوا » فاذا جعلته معمولا لـ ( يتعارفون ) انتصب ( يوم ) على وجهين :

احدهما - ان يكون ظرفاً .

والآخر - ان يكون مفعولا على السعة ، على يا سارق الليلة أهل الدار .

ومعنى « يتعارفون » يحتمل أمرين :

احدهما - ان يكون المعنى يتعارفون مدة إقامتهم التي وقع حشرهم بعدها ، وحذف المفعول للدلالة عليه او يكون اعلم الفعل الذي دل عليه يتعارفون ألا ترى انه قد دل على سببهم اذ يتعارفون ، فعلى هذا يكون قوله « ويوم يحشرهم » معمول « يتعارفون » .

والآخر - ان يكون « يوم يحشرهم » معمول ما دل عليه قوله « كأن لم يلبثوا » لأن المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث ، فعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمنع المعنى من أن يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم : أكل يوم لك ثوب ، واذا جعلت « يتعارفون » العامل في « يحشرهم » لم يجوز ان يكون صفة اليوم ، على انك كأنك وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا ويتعارفون ، فوصفت يوم يحشرهم بمجملتين ، لم يجوز ان يكون معمولا لقوله « يتعارفون » لأن الصفة لا تعمل

(٢) سورة الفرقان آية ٤١

(١) سورة الشورى آية ٢٢



في الموصوف ، وجاز وصف اليوم بالجميل وان اضيف ، لأن الاضافة ليست محضة ، فلم تعرفه .

ومن قرأ بالنون فلقوله « وحش—رناهم فلم نغادر » (١) وقوله « جُمعناهم جماعاً » (٢) وقوله « ونحشره يوم القيامة أعمى » (٣)

ومن قرأ بالياء فلقوله « ليجمعنكم الي يوم القيامة » (٤) والنون والياء متعارفان في مثل هذا بدلالة قوله « وكذلك نجزي من انصرف ولم يؤمن بآيات ربه » (٥) فعلم من هذا ان كل واحد منها يجزي مجرى الآخر .

يقول الله تعالى في هذه الآية انه يوم يحشر الخلق الى الحشر والموقف « كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار » عند انفسهم لقلته بقائهم فيها وسرعة تصرفها عنهم مع طول وقوفهم يوم القيامة ومع علمهم بدوام بقائهم في الآخرة شبيهه قرب الوقت الى ذلك الحين بساعة من النهار لأن كل ما هو آت قريب، كما قال « اقتربت الساعة » (٦) ودل بذلك على انه لا ينبغي لاحد ان يغتر بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا اذ كان عاقبة ذلك الى الزوال .

وقوله « يتعارفون بينهم » اخبار منه تعالى ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت خسراهم ويتذاكرونه .

وقوله « قد خسر الذين كذبوا بقاء الله » اخبار منه تعالى بأن الذين كذبوا بالبعث والذشور ولقاء ثواب الله ولقاء عقابه يخسرون نفوسهم . والخسران ذهاب رأس المال فالنفس اكبر من رأس المال

(١) سورة الكهف آية ٤٨	(٢) سورة الكهف آية ١٠٠
(٣) سورة طه آية ١٢٤	(٤) سورة النساء آية ٨٦ وسورة الانعام آية ١٢
(٥) سورة طه آية ١٢٧	(٦) سورة القمر آية ١

وقوله « وما كانوا مهتدين » معناه لا يكونون مهتدين الى طريق الجنة لكونهم مستحقين للعقاب .

وقال الزجاج معنى الآية قرب ما بين موتهم وبعثهم كما قالوا « لبشنا يوماً او بعض يوم » (١) و « يعمارفون بينهم » اي يعرف بعضهم بعضاً وفي ذلك توبيخ لهم واثبات الحجة عليهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف .

نون التأكيد في الجزاء لا تجوز الا مع ( ما ) كما لا يجوز الجزاء بـ ( اذا ، وحيث ) الا مع ( ما ) يخرجونها عن اخواتها فدخلت ( ما ) لتقريبها منها ، فالنون تدخل في الأمر والنهي والاستفهام والعرض وكله طلب ، وكله غير واجب . وليس في الجزاء طلب الا انه يشبه غير الواجب .

وقوله « نرينك » من رؤية العين لانها لو كانت من رؤية الاعلام (٢) لتعدى الى مفعولين . والبعض شيء يفصل من الكل ، والبعض والقسم والجزء نظائر والتوفي القبض على الاستيفاء بالأمانة ، لأن الروح تخرج من البدن على تمام وكال من غير نقصان .

ومعنى الآية ان اريناك يا محمد بعض ما نعد هؤلاء الكفار من العذاب عاجلاً بأن

(١) سورة المؤمنون آية ١١٣ . وسورة الكهف آية ١٩

(٢) اي الرؤية القلبية ومعنى الاعلام الاخبار وسماها رؤية الاعلام لانها تدخل

على الجملة الاخبارية .

نزل عليهم ذلك في حياتك ، وان اخبرنا ذلك عنهم الى بعد وفاتك ووفاتهم ، فان ذلك لا يفوتهم لانه الينا مرجعهم والله شاهد بأعمالهم ، وعالم بها وحافظ لها فهو يوفيه عقاب معاصيهم .

وقال مقاتل : معنى اما نريك بعض الذي نعد المؤمنين من النصر والاعلاء وهو يوم بدر .

وقوله « الله » سمعطف في قول الفراء ، وقال غيره : ( ثم ) بمعنى الواو .

### قوله تعالى :

﴿ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ

بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ( ٤٧ ) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان لكل جماعة على دين واحد طريقة واحدة كأمة محمد وأمة موسى وعيسى ( ع ) رسولا بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤديها اليهم ليقوم بأدائها .

وقوله « فاذا جاء رسولهم » يعني يوم القيامة - في قول مجاهد - وقال الحسن في الدنيا بما اذن الله تعالى من الدعاء عليهم .

وقوله « قضى بينهم » معناه فصل بينهم الامر على الحتم . والله تعالى يقضي بين الخصوم اي يفصل بينهم فصلا لا يرد « بالقسط » يعني بالعدل . والمقسط العادل والقاسط الجائر ، ومنه قوله « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » ( ١ ) والأصل واحد ، والمقسط العادل الى الحق والقاسط العادل عن الحق .

وقوله « وهم لا يظلمون » انما نفى عنهم الظلم بعد ان وصف انه يقضي بينهم بالعدل ليكون العدل في جميع الاحوال من الابتداء الى الانتهاء ، لأنه كان يمكن

ان يكون العدل في اوله والظلم في آخره ، فنفي بذلك نفياً عاماً ليخلص العدل في كل احوالهم .

### قوله تعالى

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨)

آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الكفار والذين تقدم وصفهم أنهم « يقولون متى هذا الوعد » الذي آمدونا به من البعث والنشور والثواب والعقاب « ان كنتم صادقين » في كون ذلك . والقول كلام مضمن في ذكره بالحكاية وقد يكون كلام لا يعبر عنه ، فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية ، فلا يكون قولاً ، لأنه انما يكون قولاً من أجل تضمين ذكره بالحكاية .

و « متى » سؤال عن الزمان . و ( اين ) سؤال عن المكان ، وهما ظرفان يتصلان بالفعل من غير حرف اضافة تقول : متى يكون هذا ، ولا يجوز أن تقول ما يكون هذا على معنى الظرف ، ولكن فيم يكون هذا . والوعد خير ما يعطي من الخير . والوعيد خير ما يعطي من الشر هذا اذا فصل . فان اجل وقع الوعد على الجميـم . والصدق الاخبار عن الشيء على ما هو به .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْتِدُّ مَوْنٌ ﴾

(٤٩) آية بلا خلاف .

لما حكى الله تعالى عن الكفار استبطاءهم ما وعد الله ، وقولهم « متى هذا الوعد » امر الله نبيه ( ص ) ان يقول لهم على وجه الانكار عليهم اني « لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً » من الثواب والعقاب بل ذلك الى الله ، ولا املك الا ما ملكني الله فكيف املك لكم .

والملك هو القدرة على التصرف في الشيء على وجه ليس لأحد منعه منه فالانسان لا يملك الا ما ملكه الله ، لان له تعالى منعه منه . وقد يملك الطفل ومن لا عقل له من المجانين بالحكم .

والنعم هو اللذة او السرور او ما ادى اليها او الى واحد منها . والضرر الالم نفسه او الغم او ما ادى اليها او الى واحد منها . وقوله « الا ما شاء الله » ان يملكني اياه من نعم او ضرر فيمكنه مما جعل له اخذه او اوجب عليه تركه .

والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر ، كأجل الدين واجل البيع واجل الانسان واجل المسافر ، فأخبر تعالى انه اذا اتى اجل الموت الذي وقته الله لكل حي بحياة ، لا يتأخر ذلك ساعة ولا يتقدم على ما قدره الله تعالى .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ بُيُوتًا أَوْ نَهَارًا مَا ذَا يَسْتَعْجِلُ

مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ( ٥٠ ) آية بلا خلاف

امر الله تعالى نبيه بهذه الآية ان يقول لهؤلاء الكفار الذين استبطأوا وعد الله « أرايتم » اي اعلمتم ، لانها من رؤية القلب ، لانها دخلت على الجملة من الاستفهام « ان أناكم عذابه » يعني عذاب الله . والعذاب الالم المستمر واصله الاستمرار ، ومنه

المذوبة لاستمرارها في الحلق « بيانا » وهو اتيان الشيء ليلا يقال بيته تبييتا وبيانا  
وبات بيتوته ، وفلان لا يستبييت اذا لم يكن له ما يبيت به . وجواب « ان » محذوف  
وتقدير الكلام ارايتم ما ذا يستعجل المجرمون من العذاب ان اتاكم عذابه بيانا او  
نهارا ، ووقع « ان اتاكم » في وسط الكلام موقع الاعتراض .  
ومعنى ( ما ) في قوله « ماذا » للانكار ، لان يكون في العذاب شيء يستعجل به  
وجاء على صيغة الاستفهام ، لانه لا جواب لصاحبه يصح له .

وقال ابو جعفر (ع) هو عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة اهل القبلة . فعوذ بالله منه .  
وقال الزجاج موضع ( ماذا ) رفع من وجهين : احدهما - ان يكون ( ذا ) بمعنى  
( الذي ) والتقدير ما الذي يستعجل منه المجرمون . ويجوز ان يكون ( ماذا ) اسما  
واحدا ، والمعنى اي شيء يستعجل منه . والهاء في قوله « منه » عائدة على العذاب  
ويجوز ان تكون عائدة على الاستعجال .

### قوله تعالى :

﴿ اٰتَمُّ اِذَا مَا وَقَعَ اٰمَنْتُمْ بِهِ الْاَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهٖ  
تَسْتَعْجِلُوْنَ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف

« اتم » دخلت الف الاستفهام على ( ثم ) ليدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى  
مع ان للألف صدر الكلام . وقال الطبري معنى ( ثم ) - ههنا - هنالك ، وهذا  
غلط ، لان ( ثم ) بالفتح تكون بمعنى هنالك ، وهذه مضمومة فلا تكون الالفاظ .  
والعامل في ( اذا ) يحتمل امرين :

احدهما - ان يكون « آمنتم به » على ان تكون ( ما ) صلة .

الثاني - ان يكون العامل ( وقع ) وتكون ( ما ) مسلطة على الجزاء . وانما جاز

ان يعمل الفعل الأول في الجزاء دون الثاني ولم يجز في (إذا) لثلاثي مختلط الشرط بجزائه وليس كذلك (إذا) لأنها مضافة إلى الفعل الذي بعدها . والوقوع الحدوث . وقوله « الآن » مبني على الفتح ، لأن تعريفه كتعريف الحرف في الانتعاش قال من معنى إلى معنى . ومعناه عند سيويوه أنحن من هذا الوقت نفعل كذا ، وفتحت لالتقاء الساكنين وقال الفراء أصلها (آن) دخات عليها الألف والسلام وبنيت كالذين ، ودخول الألف واللام على الزوم لا يمكنه ، كما لا يمكن الذي .

ومعنى الآية أتأمنون حلول هذا العذاب بكم . ثم يقال لكم إذا وقع بكم العذاب وشاهدتموه الآن آمنتم به وكنتم به تستعجلون . وفائدتها الإبانة عما يوجب استعجال العذاب من التوبيخ عند وقوعه حين لا يمكن استدراك الأمر فيه بعد أن كان ممكناً لصاحبه .

### قوله تعالى :

﴿ تُمْ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ  
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

قوله (ثم) عطف على الإيمان الذي وقع في حال الإلجاء إليه و « قيل » لهم بعد ذلك هذا القول على وجه التوبيخ والتقريع ، لأنها ليست حال استدراك لما فات . والمأمى أنه يقال لهؤلاء الذين آمنوا حين نزل العذاب بهم . وقيل لهم الآن وقد استكبرتم « ذوقوا عذاب الخلد » يعني الدائم . ويقال لهم « هل تجزون » بهذا العقاب إلا بما كنتم تكسبون من المعاصي .

والذوق طلب الطعم بالفم في الابتداء ، شبهوا بالذائق لأنه أشد احساساً . وقيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم .

## قوله تعالى :

( وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ لِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا

أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ) ( ٥٣ ) آية بلا خلاف .

معنى « ويستنبئونك » يستخبرونك أي يطلبون النبأ الذي هو الخبر « أحق هو » يعني هذا الوعيد الذي ذكره الله في هذه الآية الأولى ، فقال الله لنبيه « قل أي وربي » أي نعم وحق الله انه الحق . والحق في الدين ما شهدت به الادلة الموجهة للعلم او اقتضاءه غالب الظن فيما طريقه الظن .

وقوله « وما انتم بمعجزين » أي لستم تقدرّون على اعجاز الله عما يريد من

انزال العذاب بكم .

## قوله تعالى :

( وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ

وَأَسْرًا وَالنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ يَدَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ

لَا يَظُنُّ لِمَؤُنَّ ) ( ٥٤ ) آية بلا خلاف .

اخبر الله على وجه التعظيم لهذا العذاب وشدته بأنه لو كان لمن ظلم بارتكاب

المعاصي « ما في الارض » من الاموال « لافتدت به » من هول ما يلحقه من العذاب

وفتحت ( ان ) بعد ( لو ) لانها مبنية على ما هو بمنزلة العامل لاختصاصها بالفعل .

والتقدير لو كان ان لاكل نفس إلا انه لا يظهر المعنى عن اظهاره بطلب ( ان ) له . وجاز

ان تقع ( أن ) بعد ( لو ) ولم يحجز المصدر ، لان فتحها يدل على ضمير العامل اللفظي

وايس كذلك المصدر ، لانه مما يعمل فيه الابتداء .



والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه يقال: فداءه يفديه فدية وفداءه .  
 وافتداه ابتداءه ، وفاداه مغاظة وتمادى تمادياً ، وفداءه تقدية .  
 وقوله « واسرروا الندامة لما رأوا العذاب » اي اخفوا الندامة . وقيل « واسرروا  
 الندامة » رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة . وقيل « اسرروا الندامة » اي اخلصوها .  
 والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وهي حالة معقولة يتأسف صاحبها  
 على ما وقع منه ويود انه لم يكن اوقعه . وقال ابو عبيدة : « اسرروا » معناه اظهروا  
 قال الازهري هذا غلط إنما يكون بمعنى الاظهار ما كان بالشين المنقطة من فوق .  
 وقوله « وقضي بينهم بالقسط » اي فصل بينهم بالعدل « وهم لا يظلمون » في القضاء  
 والحكم بينهم وما يفعل بهم من العقاب ، لأنهم جروه على انفسهم بارتكاب المعاصي .  
 وروى انه قيل لرسول الله (ص) ما يغنيهم اسرار الندامة وهم في النار ؟ . قال :  
 ( يكرهون شماتة الاعداء ) . وروى مثله عن ابي عبد الله ( ع ) .

### قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
 وَلَسٰكِنٌ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَآئِهٖم مَّعٰوُنَ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف .

« ألا كلمة تستعمل في التنبية وأصلها ( لا ) دخلت عليها حرف الاستفهام تقريراً  
 وتأكيذاً ، فصارت تنبيهاً وكسرت ( ان ) بعد ( الا ) لان ( الا ) تستأنف ما بعدها لينبه  
 بها على معنى الابتداء . ولذلك وقع بعدها الامر والدعاء كقول امرئ القيس :  
 ألا انعم صباحاً ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي (١)  
 ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أحد أمرين :

(١) ديوانه ١٥٨ وهو مطلع قصيدة له مشهورة .

أحدها - للآيات بعد النفي لان ما قبلها تقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك لله تعالى .

الثاني - ان يكون معناه من يملك السموات والارض يقدر على ايفاع ما توعد به . والسموات جمع سما . وهو مأخوذ من سمو الذي هو العلو ، وهي المزيونة بالكواكب وهي سقف الأرض ، وهي طبقات كما قال سبع سموات طباقاً . وجمعت السموات ، ووحدت الأرض في جميع القرآن لان طبقاتها الصبع خفية عن الحس وليس كذلك السموات .

وقوله « الا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » صفة ذلك لجهلهم به تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز وجهلهم بصحة ما أتى به النبي (ص)

### قوله تعالى :

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٦) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار منه تعالى ان الذي يملك التصرف في السموات والارض هو الذي يحيي الخلق بعد كونهم امواتاً وهو الذي يميتهم اذا كانوا احياء . ثم يرجعون اليه يوم القيامة فيجازيهم بمثل اعمالهم ان كانوا مطيعين بالثواب الدائم ، وان كانوا كفاراً بالعقاب الدائم . قال ابو علي : في هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة الا الله لانه تعالى تمدح بكونه قادراً على الاحياء والاماتة ، فلو كان غيره قادراً على الحياة لما كان في ذلك مدح . وفيها دلالة على كونه قادراً على الاعادة لان من قدر على النشأة الاولى يقدر على النشأة الثانية .

### قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي

الصدورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين من الناس يخبرهم الله تعالى بأنه أتاهم موعظة من الله . والموعظة ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن القبيح بما يتضمنه من الرغبة والرغبة ويدعو الى الخشوع والنسك ويصرف عن الفسوق والاثم ، ويريد بذلك القرآن وما أتى به النبي ( ص ) من الشريعة .

وقوله « وشفاه لما في الصدور ، فالشفاء معنى كالدواء لازالة الداء فداه الجهل أضر من داء البدن وعلاجه أعسر وأطباؤه اقل والشفاء منه اجل . والصدور جمع صدر وهو موضع القلب ، وهو أجل موضع في الحمي لشرف القلب .

وقوله « وهدى ورحمة للمؤمنين » وصف القرآن بأنه يقال عما يؤدي الى الحق ودلالة تؤدي الى المعرفة ونعمة على المحتاج ، لأنه لا يقال للملك اذا اهدى الى ملك آخر جوهرة انه قد رحمه بذلك وان كانت نعمة يجب بها شكره ومكافأته . وانما أضافه الى المؤمنين لانهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لم ينتفعوا به ، كما قال « هدى للمتقين » وان كان هدى لغيرهم .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ( ٥٨ ) آية بلا خلاف .

قرا الحسن « فلتفرحوا ، بالتاء . وبه قرأ ابو جعفر المدني ورويس . وروي ذلك عن ابي ابن كعب . الباؤون بالياء . وكان الكسائي يعيب القراءة بالتاء وأجازها الفراء واحتج بقولهم : لتأخذوا مصافكم . والسلام في قوله « فليفرحوا » لام الامر وانما احتجج اليها ليؤمر الغائب بها . وقد يجوز أن يقم في الخطاب للتصرف في الكلام .

وقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس «نجمون» بالتاء . الباؤون بالياء . قال أبو علي :  
الجار في قوله « فبذلك » يتعلق بقوله « فليفرحوا » لان هذا الفعل يصل به  
قال الشاعر :

فرحت بما قد كان من سيديكما ( ١ )

والفاء في قوله « فبذلك فليفرحوا » زائدة لان المعنى فافرحوا بذلك ومثله  
قول الشاعر :

فاذا هلكت فعمد ذلك فأجزعي ( ٢ )

فالفاء في قوله فأجزعي زيادة مثل التي في « فليفرحوا » وقال الفراء : « فبذلك »  
بدل من قوله « بفضل الله وبرحمته »

ومن قرأ بالياء جملة أمراً للغائب ، واللام انما تدخل على فعل الغائب لان المواجهة  
استغني فيها عن اللام بقولهم : ( افعل ) فصار مشبهاً للماضي في قوله ( يدع ) الذي  
استغني عنه به . ( ترك ) ، ولو قلت بالتاء لكنت مصدراً لما هو كالمرفوض ، وان  
كان الاصل . ولا يرجح القراءة بالتاء ، لكونها هي الاصل لانه اصل مرفوض .  
ومن قرأ بالتاء اعتبر الخطاب الذي قبله من قوله « قد جاءكم موعظة . . . فلتفرحوا »  
وزعموا انها في قراءة أبي فافرحوا ، قال أبو الحسن : وزعموا انها لغة وهي قليلة بمعنى  
لتضرب ، وانت مخاطب .

فان قيل كيف جاء الامر للمؤمنين بالفرح ، وقد ذم الله ذلك في مواضع من

( ١ ) قائلة زهير ابن ابي سلمى ديوانه : ١٠٩ وروايته

فرحت بما خبرت من سيديكما وكانا امرأين كل شأنهما يعلوا

( ٢ ) قد مر في ٥ : ٢٠٤

القرآن كقوله « ان الله لا يحب الفرحين » (١) وقال « انه لفرح نخور » (٢) وغير ذلك؟ .

قيل : اكثر ما جاء مقترناً بالذم من ذلك ما كان مطلقاً ، فاذا قيد لم يكن ذمّاً كقوله « يرزقون فرحين » وفي الآية مقيد بذلك فأما قوله « فرح المخلفون بمقدم خلاف رسول الله » (٣) فانه مقيد ومع ذلك ، فهو مذموم ولكنه مقيد بما يقتضي الذم ، كما جاء مقيداً بما لا يقتضي الذم ، فطـلقه يقتضي الذم ، ومقیده بحسب ما يقيد به ، فان قيد بما يقتضي الذم أظاد الذم وان قيد بما يقتضي المدح أظاد المدح . فأما قوله « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا باعندهم من العلم » (٤) وقوله « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » (٥) والفرح بنصر الله للمؤمنين محمود ، كما ان القمود عن رسول الله بالتقييد في الموضوعين مذموم

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول للمكلفين افرحوا بفضل الله ، وهو زيادة نعمه وانا جاز ان يقول : فضل الله ، وانا هو من افضال الله ، لانه في موضع افضال الله ، كما ان النبات في موضع انبات في قوله « انبتكم من الارض نباتاً » (٦) وايضاً فان اضافة الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له .

والفرح لذة في القلب بادراك ما تحب وان شئت قلت هو لذة في القلب بنيل المشتبه ، وقد حسنه الله في هذه الآية ، فدل على انه لا يحب الفرحين بمعنى البطرين . وقوله « هو خير مما يجمعون » قيل فضل الله هو القرآن ، ورحمته هو الاسلام « خير مما يجمعون » من الذهب والفضة . ذكره ابن عباس وابو سعيد الخدري

(٢) سورة هود آية ١٠

(٤) سورة المؤمن آية ٨٣

(٦) سورة نوح آية ١٧

(١) سورة الفصص آية ٧٦

(٣) سورة التوبة آية ٨٢

(٥) الروم آية ٤ - ٥

والحسن وقتادة ومجاهد .

ومن قرأ بالياء غنى به المخاطبين ، والغيب ، غير انه غلب الغيب على المخاطبين ، كما غلب التذكير على التأنيث ، فكأنه اراد المؤمنين وغيرهم .

ومن قرأ بالتاء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اي افرحوا بفضل الله ، فان ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما في الصدور خير مما يجمع غيركم من اعراض الدنيا .

وقال ابو جعفر ( ع ) « بفضل الله » يعني الاقرار برسول الله و « برحمته »

الانعام بعلي ( ع ) « خير مما » يجمع هؤلاء من الذهب والفضة .

واذا حملت الآية على عمومها كان هذا ايضاً داخل فيها .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا  
وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَعَزُّ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ( ٥٩ ) آية بلا  
خلاف .

قال الحسن: المعنى بهذه الآية مشركوا العرب قال الله لهم « أرايتم ما انزل الله لكم من رزق ، ان ارزاق العباد من المطر الذي ينزله الله «جعلتم منه حراماً وحلالاً» يعني ما حرموا من السائبة الوصيلة والحام ، وما حرموا من زروعهم . قل يا محمد لهم «آله اذن لكم أم على الله تفترون ، معناه انه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على الله .

واستدل قوم بذلك على ان القياس في الاحكام لا يجوز .

قال الزجاج ( ما ) في قوله «ما انزل الله» في موضع نصب بد ( انزل ) والمعنى انكم جعلتم البحائر والموائب حراماً ، والله تعالى لم يحرم ذلك وتكون ( ما ) بمعنى

الاستفهام . ويحتمل ان تكون ( ما ) بمعنى الذي وتكون نصباً بـ ( أرأيتم ) .  
والرزق منسوب كله الى الله لأنه لا سبيل للعبد اليه الا باطلاقه بفعله له او اذنه فيه  
اما عملاً او سمياً . ولا يكون الشيء رزقاً بمجرد التمكين لانه لو كان كذلك لسكان  
الحرام رزقاً ، لان الله مكّن منه .

قال الرماني : التحريم عقد بمعنى النهي عن الفعل والتحليل حل بمعنى النهي  
بالاذن .

### قوله تعالى :

( وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ  
اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ) (٦٠)  
آية بلا خلاف .

المعنى اي شيء يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيامة على افتراءهم  
على الله ، اي لا يبني ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب والمعقاب ، وجعل  
ذلك زجراً عن الكذب على الله . ثم اخبر تعالى « ان الله لذو فضل على الناس »  
بما فعل بهم من ضروب النعم « ولكن اكثرهم لا يشكرون » نعمه ولا يعترفون به  
ويجحدونه ، وهذا خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب ، وان كانت بصورة  
الاستفهام وتقديره أيؤديهم الى خيرام شر؟ . وافتراء الكذب الحش من فعل الكذب  
بتزويره وتنميقه فالزاجر عنه اشد .

وقيل معنى قوله « لذو فضل على الناس » اي لم يضيق عليهم بالتحريم لما لا  
مصلحة لهم في تحريمه كما ادعيتم عليه .

وقيل : معناه انه لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة الكذاب بالمعقوبة في الدنيا ،

وامهاله اياه الى يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ الكسائي « يعزب » بكسر الزاي هنا وفي صبا . الباقون بضمها ، وهما لغتان . وان كان الضم أفصح وأكثر . وقرأ حمزة وخلف ويعقوب « ولا اصغر . . . . ولا اكبر » بالرفع فيها . الباقون بفتحها .

فمن فتح الراء فلأن ( افعل ) في الموضمين في موضع جر ، لأنه صفة المجرور الذي هو قوله « مثقال ذرة » وانما فتح ، لأن ( افعل ) اذا اتصل به متكرر كان صفة لا تنصرف في النكرة . ومن رفعه حمله على موضع الموصوف ، لأن الموصوف الذي هو « من مثقال ذرة » الجار والمجرور في موضع رفع ، كما كانا في موضعه في قوله « كفي بالله » (١) ومثل قوله « من آله غيره » (٢) فمن رفع يجوز ان يكون صفة بمنزلة ( مثل ) ويجوز ان يكون استثناء كما تقول : مالكم من إله الا الله .

(١) سورة النساء آية ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٣١ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ويونس : ٢٩ ، والرعد : ٤٥ ، والاسرى : ٩٦ ، والعنكبوت : ٥٢ ، والاحزاب : ٣ ، ٤٨ ، والفتح : ٢٨

(٢) سورة هود آية ٥٠ ، ٦١ ، ٨٣ ، والمؤمنون : ٢٣ ، ٣٢



ومثله « فاصدق واكن من » (١) وغير ذلك . ويجوز ان يعطف قوله « ولا اصغر » على « ذرة » فيكون التقدير وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال اصغر ، فعلى هذا لا يجوز الا الجزر ، لانه لا موضع للذرة غير لفظها ، كما كان لقولك من مثقال ذرة موضع غير لفظه ، ولا يجوز على قراءة حمزة ان يكون معطوفاً على ( ذرة ) كما جاز في قول الباقيين ، لأنه اذا عطف على ( ذرة ) وجب ان يكون اصغر مجروراً ، وانما فتح ، لأنه لا ينصرف وكذلك يكون على قول من عطفه على الجار الذي هو ( من )

### اللغة والمعنى :

معنى قوله « وما تكون في شأن » ليس تكون في حال من الاحوال ، لان الشأن والبال والحال نظائر وجمعه شؤون . والشأن معنى مفخيم على طريق الجملة يقال : ما شأنك وما حالك وما بالك .

وقوله « وما تتلومنه من قرآن » اي ليس تتلو من القرآن فتكون الهاء كناية عن القرآن قبل الذكر لتفخيم ذكر القرآن ، كما قال « انه ان الله العزيز الحكيم » (٢) ويحتمل ان تكون الهاء عائدة على الشأن وتقديره وما يكون من الشأن .

وقوله « وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً » اي ليس يخفى على الله شيء من اعمالكم بل يعلمها كلها ويشهدها .

والمشاهدة الادراك بالحاسة . والمشاهد المدرك بحاسة اي ذات يعني عن حاسة يقال : شاهد ومشهود وشهدها .

وقوله « اذ تفيضون فيه » فالافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه ، وهو الانبساط اليه في العمل مأخوذ من فيض الاناء اذا انصب من جوانبيه .

(٢) سورة النمل آية ٩

(١) سورة المنافقين آية ١٠

ومنه قوله « افضتم في عرفات » ( ١ ) اي تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء . ومثله أفاض الماء عليه وافاض في الحديث .

وقوله « وما يعزب عن ربك » فالعزوب الذهاب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس . وتم زب اذا انفرد عن اهله .

رقال ابن عباس معنى لا يعزب لا يغيب .

وقوله « من مثقال ذرة » فالذر صغار النمل واحده ذرة ، وهو خفيف الوزن جدا . ومعنى مثقال ذرة وزن ذرة يقال : خذ هذا فإنه أخف مثقالا اي اخف وزناً .

وقوله « ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » معناه لا يخفى عليه ما وزنه مثقال ذرة ولا ما هو اصغر منها ولا ما هو اكبر الا وقد بينه في الكتاب المحفوظ وكتبته ملائكته وحفظوه .

### قوله تعالى

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢)

آية بلا خلاف

بين الله تعالى في هذه الآية أن اولياءه لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب « ولا هم يحزنون » اي ولا يخافون . وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سبأ الخير والاخبات . وقال ابن زيد : هم الذين آمنوا وكانوا يتقون . وقد بينهم في الآية بعدها . وقال قوم : هم المتحابون في الله . ذكر ذلك في خبر مرفوع .

والاولياء جمع ولي وهو الذي يستحق من الله ان يوليه ثوابه وكرامته ، وهو

المطيع لله الذي يتولى اجلاله واعظامه . وقيل الولي النصير ولا يسمى المتولي الانعام على غيره انه وليه ، لانه قد يتولى الانعام عليه للمظاهرة بالجميل في امره واستصلاحه الذي يصرف عن القبيح، وان كان عدوه . ولا يجتمع الولاية والعداوة . والخوف انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه . والخوف والفزع والجزع نظائر وضده الامن . والحزن غلظ الهم مأخوذ من الحزن ، وهي الارض الغليظة وضده السرور .

وقال الجياني هذه الآية تدل على ان المؤمنين المستحقين للثواب لا يخافون يوم القيامة اصلاً بخلاف ما يقول قوم انهم يخافون الى ان يجوزوا الصراط . وقال البلخي ليس يمتنع ان يخافوا من احوال يوم القيامة وان علموا ان مصيرهم الى الجنة والثواب . وعلى ما نذهب اليه من انه يجوز ان يعاقب الله بعض الفساق . ثم يردم الى الثواب يذنبني ان تكون الآية مخصوصة بمن لا يستحق العقاب اصلاً . او نقول المراد بذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لذلك . وروي عن الحسين ( ع ) انهم ادوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا ، ورجبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من الرزق لمعاشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر . ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فوائلك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويشابون على ما قدموا منه لا آخرتهم .

### قوله تعالى

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ( ٦٣ ) آية بلا خلاف .

يحتمل موضع الدين ثلاثة اوجه من الاعراب :

احدها - ان يكون نصيباً بأن يكون صفة للاوليا .

الثاني - ان يكون رفماً على المدح .

الثالث - ان يكون رفعاً بالابتداء وخبره « لهم البشرى »  
اخبر الله تعالى ان الذين آمنوا هم الذين يصدقون بالله ويمترفون بوحدانيته وهم  
مع ذلك يتقون معاصيه .

والفرق بين الايمان والتقوى ان التقوى مضمن باتقاء المعاصي مع منازعة النفس  
اليها والايمان من الاًمن بالعمل من عائد الضرر .

والفرق بين الايمان بالله والطاعة له ان الطاعة من الانطباع بجاذب الاًمر  
والارادة المرغبة في الفعل . والايمان هو الاًمن المنافي لانزعاج القلب .  
وقوله « يتقون » فلانقاء اصله من ( وقيت ) فقلبت الواو ، وادغمت في ياء  
الافتعال كما قلبت في نجاة وراث .

### قوله تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ  
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ( ٦٤ ) آية بلا خلاف .

ذكر الله تعالى ان الدين وصفهم في الآية الاولى من انهم يؤمنون بالله ويتقون  
معاصيه « لهم البشرى » وهي الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه . والبشرى  
والبشارة واحد .

وقوله في الحياة الدنيا قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها - قال قتادة والزهري والضحاك والجبائي هو بشارة الملائكة ( ع ) انها  
الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل او يرى له .

وقال ابو جعفر ( ع ) البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او يرى  
له في الآخرة الجنة .

الثالث بشرى القرآن بصفة الايمان ذكره الفراء والزجاج وغيرها .  
 وقوله « لا تبديل لكلمات الله » معناه لا خلف لما وعد الله تعالى من الثواب  
 بوضع كلمة اخرى مكانها بدلا منها ، لانها حق والحق لا خلف له بوجه .  
 وقوله « ذلك هو الفوز العظيم » اشارة الى هذه البشرى المتقدمة بأنه الفوز  
 الذي يصغر كل شيء في جنبه .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ ﴾ (٦٥) آية بلا خلاف .

ظاهر قوله « ولا يحزنك قولهم » ظاهره النهي والمراد به التسمية للنبي (ص)  
 عن قولهم الذي يؤذونه به والنهي في اللفظ القول . وإنما هو عن السبيل المؤدي  
 الى التأذي بالقول . ومثله لا اراك ههنا والمعنى لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيت  
 فكذلك المراد بالآية لا تعباً بالأذى فيمن عني به اذا .

وقوله « ان العزة لله جميعاً » كسرت ( ان ) بالاستئناس بالتذكير لما يفهم  
 الحزن لا انها معمول القول ، لانها ليست حكاية عنهم ، لانهم لم يقولوا ان العزة لله .  
 ولا يجوز نصبها على ان تكون معمول القول لانهم لو قالوا لما احزن ذلك النبي (ص)  
 ولو فتحت ( ان ) على معنى ( لان ) جاز .

والعزة القدرة على كل جبار بالقهر بأن لا يرام ولا يضمم : عز يعز عزاً فهو  
 عزيز . والمعنى انه الذي يعزك وينصرك حتى تصير اعز بمن ناولك .  
 وقوله « هو السميع العليم » معناه انه يسمع قولهم ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما  
 تقتضيه حالهم ويدفع عنك شرهم .

## قوله تعالى :

﴿ اَلَا اِنَّ لِّلّٰهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ  
الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ شُرَكَاءُ اِنَّ يَتَّبِعُوْنَ اِلَّا الظَّنَّ وَاِنْ  
هُمْ اِلَّا يَخْرُصُوْنَ ﴾ (٦٦) آية بلاخلاف .

قد بينا فيما مضى ان اصل ( ألا ) ( لا ) وانما دخلت عليها حرف الاستفهام  
تفصيها . والفرق بين ( ألا ) و ( اما ) ان ( ألا ) للاستقبال ولا تقع به . و ( اما )  
الا مكسورة . و ( اما ) تكون بمعنى حقا كقولهم اما انه منطلق ، لأنها للحال  
وبجوز بعد ( اما ) كسر ( ان ) وفتحها .

لما سلى الله النبي (ص) فقال « لا يحزنك » قول هؤلاء الكفار في « ان العزة  
لله » يعني القدرة والقهر فانهم لا يفوتونه ، بين بعد ذلك ما يدل عليه وينبه على صحته  
وهو ان له تعالى « من في السموات ومن في الارض » يعني العقلاء . واذا كان له  
ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم ، ووجب ان يكون ملكاه . وانما خص العقلاء  
تعظيما للاسر .

وقوله « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء » تحتمل ( ما ) في قوله « وما  
يتبع » وجهين :

احدهما - ان تكون بمعنى ( اي ) كأنه قال واي شيء يتبع الذين يدعون من  
دون الله شركاء ، تقييحا لمعلمهم .

الثاني - ان تكون نافية ، وتقديره وما يتبعون شركاء في الحقيقة والمعرفة .  
وقوله « ان يتبعون الا الظن » معناه ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء الا  
الظن لتقليدهم اسلافهم في ذلك او لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك الى الله

تعالى وبين إمد ذلك أنهم ليسوا إلا كاذبين بهذا القول والاعتماد في قوله « ان هم  
 إلا بخرصون » .  
 وقائدة الآية الابانة عن انه يجب اخلاص العبادة لمن يملك السموات والارض  
 وان لا يشرك معه في العبادة غيره .

### قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا  
 انَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ ( ٦٧ ) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية ان الذي يملك من في السموات ومن في الارض « هو  
 الذي جعل الليل ، اي خلقه « لتسكنوا فيه » ، اي خلقه وعرضه لتسكنوا فيه ، وانه  
 بالسكون فيه ولاجل ذلك خلقه ليزول التعب الكلال وجعل « النهار مبصرآ » وانا يبصر  
 فيه تشبيهاً ومجازاً واستعارة في صفة الشيء بعينه على وجه المبالغة ومثله قول جرير :

لقد لمتنا يا أم عيلان في السرى      ونمت وما ليل المطي بنأم ( ١ )  
 وقال روبة :

### ونام ليلى ونجلى همي ( ٢ )

والفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشيء قد يكون باحداث غيره كجعل الطين  
 خزفاً ولا يكون فعله إلا باحداثه . والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون  
 الا بتغييره على خلاف ما كان ، وجعله يكـون بتغييره على مثل  
 ما كان كجعل الانسان نفسه ساكناً على استدامة الحال .

( ١ ) ديوانه ( نشر الصاوي ) ٥٤٤ و ( الطبعة الاولى ) : ١٢٨ وتفسير الطبري

( الطبعة الاولى ) ١١ : ٨٩ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٩ وجمع البيان ٣ : ١٢١

( ٢ ) ديوانه : ١٤٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٩ ، وجمع البيان ٣ : ١٢١

وقوله « ان في ذلك لايات لقوم يسمعون » اخبار منه تعالى وتبنيه على ان هذا الجمل لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وانه لا يصح الا من عالم قاصد ، وانه نعمة على الخلق بما لهم في ذلك من النفع والصلاح ، وانه من الامور اللازمة الدائرة ، وانه منصوب للفكر لا يغيب عنه طرفة عين .

### قوله تعالى :

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَ كُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ( ٦٨ ) آية بلا خلاف .

اضاف اتخاذ الولد اليه طائفتان :

احداها - كفار قريش والعرب ، فأنهم قالوا الملائكة بنات الله .  
والاخرى - النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، فكذب الله الفريقين . ولا يجوز اتخاذ الولد على الله على وجه التبني ، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله على التعظيم ، لانه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه للمبني عليها .

وحقيقة الولد من ولد على فراشه او خاق من مائه ، ولذلك لا يقال : تبني الشاب شيخاً ، ولا تبني الانسان بهيمة لما كانت ذلك مستحيلاً ، وهذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى ، فاستحال مجازها أيضاً . واتخاذ الخليل جاز ، لان الخلة اصلها المودة التي توجب الاطلاع على سره ثقة به . وان كان مشتقاً من الخلة - بفتح الخاء - فهو لافتقار اليه ، لان الخلة هي الحاجة . ويجوز ان يقال المسيح روح الله ، لان الارواح كلها ملك لله . وانما خص المسيح بالذكر تشریفاً له بهذا الذكر كما خص الكعبة بأنها بيت الله ، وان كانت الارض كلها لله تعالى .



وقوله « سبحانه هو الغني » تزيه من الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد لكونه غير محتاج الى ذلك ، لانه مالك ما في السموات والارض .  
 وقوله « ان عندكم من سلطان بهذا » إخبار منه أنه ليس مع هؤلاء الذين يتخذون مع الله ولداً برهان ولا حجة ، لأنّ السلطان هو البرهان الظاهر ، ويخبرهم على قولهم ذلك فقال « اتقولون على الله ما لا تعلمون » لأن من أقدم على الاخبار عما لا يعلم صحته ولا يأمـن كونه كذباً مقبح عند العقلاء .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (٦٩) مَتَاعٌ  
 فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَلَيْنَا مَصْرُجَهُمْ ثُمَّ نَذِيْقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا  
 كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿ ٧٠ ﴾ آيتان عند الجميع .

قوله « لا يفلحون » وقف تام . أمر الله تعالى نبيه ( ص ) ان يقول للمكافين « إن الذين ، يكذبون على الله باتخاذ الولد وغير ذلك « لا يفلحون ، اي لا يفوزون بشي من الثواب .

وكسرت (إن) بعد القول ، لانها حكاية لما يستأنف الاخبار به ولذلك دخلت لام الابتداء في الخبر ، لانها تؤذن بأنه موضع ابتداء .

والكذب يتعاطم الاثم عليه بحسب تعاطم الضرر به وكثرة الزواجر عنه ، فالكذب على الله أعظم لكثرة الزواجر عنه لما فيه من تضييع حق المنعم بأجل النعم .

وقوله « متاع في الدنيا » رفع بأنه خبر الابتداء . وتقديره ذلك متاع أو هو متاع . ويجوز أن يكون على تقدير لهم متاع . وإنما خص بالدنيا لئلا يفتر به . والمتاع ما يقع به الانتفاع من أمثا أو غيره . والانتفاع حصول الالتذاذ . وإنما جاز أن

يتمتعوا في الدنيا دون الآخرة ، لان الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء ، ولذلك كان التكليف في الدنيا دون الآخرة .

وقوله « ثم أينا مرجعهم » فالمرجع المصير الى الشيء بعد الذهاب عنه ، فهو لا .  
ابتداءً من الله ثم يصيرون الى الهلاك بالموت . ثم يرجعون بالانشاء ثانية .

وقوله « ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون » معناه انا لا تقتصر على بعثهم بعد موتهم بل نوصل اليهم العذاب الشديد ونزله بهم جزاء بما كانوا يكفرون في دار الدنيا .

### قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكَرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

قرا نافع في رواية الأصمعي عنه « فاجمعوا » من جمع الباقون بقطع الهمزة .  
وقرا يعقوب « وشركاؤكم » بالرفع الباقون بالنصب . قال أبو علي : ما رواه الأصمعي عن نافع من وصل الهمزة من جمعت ، والاكثر في الامر يقال أجمعت ، كقوله « وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم » (١) وكما قال الشاعر :

\* هل اغدون يوماً وأسري بجمع \* (٢)

اي مفرد ويمكن أن يكون المراد ، واجمعوا ذوي الامر منكم أي رؤساءكم

(١) سورة يوسف آية ١٠٢ (٢) تفسير الطبري ١١ : ٩٠ والقرطبي ٨ : ٣٦٢

وصدره :

بأيت شعري والمانى لا تنفع

ووجوهكم ، كما قال « وأولى الأمر منهم » ( ١ ) فحذف المضاف وأجرى على المضاف إليه ما كان يجرى على المضاف لو ثبت . ويجوز أن يكون جمل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم ثم الذين يكيدونه به . فيكون بمنزلة قوله « فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً » ، على أن أبا الحسن يزعم أن وصل الألف في « واجمعوا أمركم وشركاءكم » أكثر في كلام العرب . قال وإنما يقطعون الهمزة إذا قالوا أجمعوا على كذا وكذا ، قال والقراءة بالقطع غريبة . ومن وصل الهمزة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر لانك جمعت الشركاء وجمعت القوم ، وعلى هذا قال « ذلك يوم مجموع له الناس » ( ٢ ) ومن قطع الهمزة أضمر للشركاء فعلا آخر كأنه قال فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم أو ادعوا شركاءكم قال الشاعر :

\* علفتها تبناً وماء بارداً \* ( ٣ )

وقال آخر

\* شراب البان ونمر واقط \*

وفي قراءة أبي « وادعوا شركاءكم » ويجوز أن يكون انتصاب الشركاء على أنه مفعول معه ، وهو قول الزجاج ، كما قالوا استوى الماء والخشبة . وجاء السبرد والطياصة . وقالوا لو ترك الفصيل وأمه لرضع من لبنها . ومن رفع « وشركاءكم » كيعقوب والحسن حمله على الضمير ، وتقديره فاجمعوا أنتم وشركاؤكم . قال الزجاج وحسن ذلك لدخول المنصوب بينهما ولو لم يدخل لما حسن . ولا يجوز أن تقول اجمعوا وشركاؤكم . وإنما يجوز العطف على الضمير إذا أكد .

( ١ ) سورة النساء آية ٨٢ . ( ٢ ) سورة هود آية ١٠٤

( ٣ ) ناويل مشكل القرآن ١٦٥ وإمالي المرتضى ٢ : ١٧٠ واللسان ( علف )

وشواهد المغنى : ٣١٤ وألفية بن عقيل ٥٠٤ الشاهد ١٦٦

وزعم ابو الحسن أن قوماً يقيسون هذا الباب . وقوماً يقصرونه على ما سمع . قال ابو علي الفارسي والاول عندي أقيس .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يقرأ على هؤلاء الكفار أخبار نوح (ع) حين « قال اقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي » بين أظهركم « وتذكري ، اياكم » بايات الله « وحججه وهمتم بقتلي واذاي فافعلوا ما بدا لكم فاني على الله توكلت . وإنما جعل جواب الشرط « فعلى الله توكلت » مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم أنه متوكل في هذا على التفصيل لما في إعلامه ذلك من زجرهم عنه لان الله تعالى يكفيه امرهم .

والتوكل والتعمد جعل الامر الى من يدبره للثقة به في تدبيره فمن فوض أمره الى الله ، فقد توكل عليه .

وقوله « ثم لا يكن أمركم عليكم غممة » معناه ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكون مغفياً مغفياً مستوراً من غممت الشيء اذا سترته ، فالغممة ضيق الامر الذي يوجب الحزن ، والغممة والضغط والكربة والشدة نظائر ، ونقيضه الفرجة . وقيل ( غممة ) معناه مغفياً نغفية حيرة مأخوذة من غم الهلاك .

وقوله « فاجمعوا امركم وشركاءكم » فيه تهديد . وقوله « ثم اقصوا الي ولا تنظرون » معناه افعلوا ما تريدون على وجه التهديد لهم ، وانه اذا كان الله ناصرهم وعليه توكله فلا يبالي بمن عاداه واراد به السوء فان الله يكفيه امره . وقرئ بالقاء ومعناها متقاربان ، ولان معنى اقصوا توجهوا الي . وقال ابن الانباري معنى « اقصوا » امضوا يقال قضى فلان إذا مات ومضى . ومعنى « ولا تنظرون » ولا تؤخرون .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلْتُمْ مِمَّنْ آجُرِينَ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ

اللَّهِ وَأُصِرَّتْ أُنْ أَاكُونُ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) تمام ما حكاه عن نوح انه قال لقومه إن «توليتم» اي هربتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه. والتولى والاعراض والانصراف نظائر . وقوله «فما سألتكم من اجر» اي لا اطلب منكم اجراً على ما اؤديه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم . والاجر النعم المستحق بالعمل . والاجرة مظمنة بشرطية او او مجرى عادة .

وقوله «ان اجري الاعلى الله» اي ليس اجري في القيام باداء الرسالة الا على الله . وقوله «وامرت ان اكون من المسلمين» معناه قل لهم امرني الله بأن اكون من المسلمين لا امر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكسبه العباد .

### قوله تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَمَجِّنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَمَلْنَا لَهُمْ خَلَائِفًا  
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾

(٧٣) آية بلا خلاف .

لما حكى الله تعالى ما قال نوح لقومه في الآيتين الاوليتين ذكر ما كان من قومه في مقابلة ذلك وهو انهم كذبوه اي نسبوه الى الكذب فيما ذكره من انه نبي الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته ، وانه تعالى عند ذلك نجى نوحاً اي خلصه ، وخلص الذين معه في السفينة وجعلهم خلائف معه ، انه جعل الذين نجوا مع نوح لمن هلك بالغرق عبرة . وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً .

وقال البلخي يجوز ان يكون اراد به حمل منهم رؤساء في الارض واهلك باقي اهل الارض اجمع لتكذيبهم لنوح .

والفرق الاهلاك بالماء الغامر، وقد يفرق الحصة بالماء على هذا المعنى . واما التفريق في رحمة الله ، فانهو تشبيه بما اكتنفه الماء الغامر . ثم قال لنبيه (ص) « انظر كيف كان عاقبة الذين » خوفوا بالله وعذابه فلم يخافوه كيف اهلكهم الله ليهملهم بذلك ان حكم هؤلاء الذين كذبوه وجحدوا نبوته حكم اولئك في الله يهلكهم ويدمر عليهم، يسليه بذلك عن ترك انقيادهم له .

### قوله تعالى :

( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ) (٧٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه بعث رسلا - بعد نوح وإهلاك قومه - إلى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا فأتوهم بالحجج والمعجزات الدالة على صدقهم وانهم مع ذلك « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل، ويحتمل ذلك امرين :  
احدهما - أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل : من توحيد الله وتصديق انبيائه .

والثاني - قال البلخي ما كانوا ليؤمنوا بالحجج والبيئات بعد اتيان الانبياء بهما بما كذبوا به من قبل يخبر عن عنادهم وعتوهم .  
وقال « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » معناه إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ، وتعرفهم بها وإنا مثل ذلك نفعل بقلوب المعتدين . وليس المراد بالطبع في الآية المنع من الايمان ، لان مع المنع من الايمان لا يحسن تكليف الايمان .

والطبع جعل الشيء على صفة غيره بمعنى فيه . والمعتمدون هم الظالمون لنفوسهم - هم الذين تعدوا حدود الله .

### قوله تعالى :

﴿ تُمْ بِمَثَلِنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ قُرْعُونَ وَمَلَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ( ٧٥ ) آية بلاخلاف .

هذا اخبار من الله تعالى انه - بعد ارسال من ارسل من الانبياء بعد نوح واهلاك قومه وما ذكره من انهم لم يؤمنوا به وانه طبع على قلوبهم عقوبة لهم على ذلك - بعث ايضاً بعدهم موسى وهارون ( ع ) نبيين مرسلين « الى فرعون وملائته » يعنى رؤساء قومه « بآياتنا » اي بادلتنا وحججنا وأنهم استكبروا عن الاقياد لها والايان بها « وكانوا قوماً مجرمين » في ذلك مستحقين للعقاب الدائم .

والملائة الجماعة الذين هم وجوه القبيلة مأخوذ من انهم تملأ الصدور هيبتهم عند منظرهم . ومنه قوله ( ص ) في قتلى بدر ( اولئك الملائة من قريش ) .  
والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق فاما المتكبر في اوصاف الله فهو الظاهر فان له اعلى مراتب الكبر ، وهو صفة ذم في العباد ومدح في صفة الله تعالى .  
والاجرام اكتساب السيئة وهي صفة ذم واصل الاجرام القطع يقال جرم التمر يجرمه جرماً فهو جارم والجمع جرام إذا صرمه وزمن الجرام زمن الصرام ونجرت السنة اذا انصرت . وفلان جريمة اهله اي كاسبهم . وقوله « لاجرهم ان لهم النار » ( ١ ) اي لا بد لهم النار قطعاً قال الشاعر :

ولقد طعنت ابا عينية طعنة جربت فزاره بعدها ان يفضبوا ( ٢ )

اي حملتهم على الغضب بقطعها اياهم وانجرم الجسم ، والجرم الصوت ، والجرم

( ١ ) سورة النحل آية ٦٢ ( ٢ ) مرتخرجه في ٣ : ٢٣ : ٤ .

الذنب .

وزن ( موسى ) مفعول وهو محمول على قياس العربية فزيادة الميم اولا اكثر من زيادة الالف اخيراً وكذلك زيادة همزة الفعل في اقل لهذه العلة .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٧٦)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن قوم فرعون الذين ذكرهم واخبر عنهم بالاستكبار انهم قالوا مع ذلك حين جاءهم الحق من عند الله ان هذا الذي اتى به موسى من المعجزات والبراهين سحر ظاهر .

( ولما ) تدل على ما مضى ولا بد لها من الجواب و( اذ ) لما مضى وامتغني عن الجواب كقولك : مضى اليه اذ قدم اي يوم قدم . ( واذا ) تكون للمستقبل كحرف الجزاء . والحق معنى معتقده على ما هو به ، وهو ما ات به الرسل من البيان والبرهان عن الله تعالى .

والسحرا يهام المعجزة على طريق الحيلة ويشبهه به البيان في خفاء السبب قال الشاعر :  
وجديشها السحر الحلال لو آتته لم يجن قتل المسلم المتحرز  
والساحر الذي يمتدح صحة سحره كافر لأنه لا يمكنه مع ذلك معرفة النبوة فان كان يخرق بالسحر ويعلم انه باطل لم يكفر ولم يطلق عليه صفة ساحر .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ

السَّاحِرُونَ ﴾ (٧٧) آية بلا خلاف .



حكى الله تعالى عن موسى أنه قال لقومه الذين نسبوه إلى السحر « اتقوا - ولون  
للحق لما جاءكم أسحر هذا » ويريد بذلك تبكيثهم وتهجينهم . ثم قال موسى « ولا  
يفلح الساحرون ، اي لا يفوزون بشيء من الخير . ويجوز ان يكون ذلك اخباراً من  
الله تعالى لا حكاية عن موسى وذلك يدل على بطلان السحر أجمع .  
وقبل في تكرير الف الاستفهام في قوله « اسحر هذا » بعد ان قال « اتقولون »  
ثلاثة اقوال :

احدها - انه يكون لتأكيد التقريع على الحذف كأنه قال اتقولون للحق لما  
جاءكم ان هذا لسحر . بين اسحر هذا .

الثاني على وجه التكرار كقولك اتقول اعندك مال .

الثالث ان يكون حكاية قولهم وان اعتقدوا انه السحر كما يقول الرجل للجارية  
اذا اتته أحق هذا ، فيقولونه على التعجب . ولو قالوا الحق لا يكون سحراً . ولكن  
ليس بحق لغال لهم فلو كان حقاً كيف كان الا هكذا من قلب الجماد حيواناً برونه  
عياناً وغير ذلك من الآيات .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا اجِئْتَنَا بِلُحُوبٍ أَمْ عَلِيمٌ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ  
لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِكُلِّ بَشَرٍ مِّنْكُمْ ﴾ (٧٨)

آية بلا خلاف .

روى العليمي « ويكون » بالياء . الباقون بالتاء .

وجه الياء انه تأنيث غير حقيقي ، وقد فصل بينهما . ومن قرأ بالتاء فلان

الكبرياء لفظها لفظ التأنيث .

اخبر الله تعالى عن قوم موسى انهم قالوا لما اظهر لهم المعجزات ودعاهم الى التصديق بنبوته « اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه ابائنا » اي لتصرفنا عن ذلك واللفت الصرف عن امر تقول : لفته يلفته لفتاً ولفت عنقه اذا لواها ، قال رؤبة :  
\* ولفت لفات لها حصاد \*

وقال ايضاً

لفتاً وتهزيماً سواء آلفت ( ١ )

• التهزيم الدق واللفت اللي

وقوله « وتكون لكما الكبرياء في الارض » قال مجاهد الكبرياء الملك . وقال قوم هي العظمة . وقال آخرون هي السلطان . والكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلى المراتب .

والالف في قوله « اجئتنا » الف استفهام ، والمراد به الانكار على طريق اللجاج والحجاج منهم فتعلقوا بالشبهة في انهم على رأي آبائهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر امره انه يريد التأمر عليهم .  
وقوله « وما نحن بؤمنين » حكاية انهم قالوا لموسى وهارون لسنا بمصدقين لكما فيما تدعيانه من النبوة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ ( ٧٩ ) آية

بلا خلاف .

( ١ ) مجاز القرآن ١ : ٢٨٠ وروايته :

بدق صلبان العظام لفتى لفتاً وتهزيع سواء اللفت

قرا اهل الكوفة الا عاصمًا بكل سحار ، بتشديد الحاء والفاء بعدها  
 الباقون ( ساحر ) على وزن فاعل . وقد بينا الوجه في ذلك في الاعراف .  
 حكى الله تعالى عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى ، ولم يكن  
 له في دفعها حيلة قال لقومه ائتوني بكل ساحر عليم بالسحر بليغ في علمه .  
 ( وفرعون ) لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة ، وهو منقول في حال تعريفه ولو  
 نقل في حال تنكيره انصرف كبقاوت : ووزن فرعون فعلول ، الواو زائدة ، لانها  
 لحقت عند سلامة الثلاثة . ومثله فردوس .

وإنا طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا  
 يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم . وإنما توهم مقاومة السحرة لموسى مع قول  
 موسى له قد علمت ما انزل هؤلاء إلا رب السموات والارض ، لانه إنما عرف ذلك فيما  
 بعد لما بهرهم الامر فكان قبل ذلك على الجهل لتوهمه ان السحر يقاوم الحق .

### قوله تعالى :

﴿ قَالَهُ أَجَاءَ السَّحَرَةُ قَالَتْ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مَلَاقُونَ ﴾

( ٨٠ ) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى ان السحرة الذين طلبهم فرعون وامر باحضارهم لما جاؤا فرعون  
 وموسى حاضر « قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون » وهذا ظاهره الامر ويحتمل امرين :  
 احدهما - ان يكون قال ذلك على سبيل التحدي والالزام بمعنى : من كان عنده  
 انه يقاوم المعجزات لزمه ان يأتي بها معه حتى تظهر منزلته ، وانما جاز إزام الباطل على الخصم  
 ليتبين ان اصله الفاسد يوجب عليه اعتماد ذلك الباطل ، كما ان الشيطان يوجب الفساد  
 ويدعه الى الضلال .

الثاني ان يكون ذلك امرأ على الحقيقة بدليل ان كان معه قوله « القوا ما انتم ملقون » انما لم يقتصر على قوله « القوا » لان المراد به القوا جمع ما انتم ملقون في المستأنف فلا يكفي منه القوا .

والالقاء اخراج الشيء عن اليد الى جهة الارض ويشبهه بذلك قولهم والقي عليه مسألة والقي عليه كلمة ، والالقاء والطرح نظائر وفي الكلام حذف ، لان تقديره قال فرعون ائتوني بكل ساحر عليهم فأتوه بهم فقال لهم موسى .

### قوله تعالى

﴿ فَلَمَّا آتَوْا الْقَوْمَ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهٖ السَّحْرَ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَيُضِلُّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ( ٨١ ) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمر ووحده «السحر» على الاستفهام . الباقون على الخبر . قال ابو علي الفارسي في قراءة ابي عمر وما يرفع بالابتداء ، وجئتم في موضع الخبر والكلام استفهام ، لان الكلام يستقبل بقوله جئتم به . ولو كانت موصولة احتاج الى خبر آخر .

وهذا الاستفهام المراد به التقرير كما ، قال « أنت قلت للناس » ( ١ ) لان موسى كان عالماً بأن ذلك السحر . وانما الحق الف الاستفهام بقوله « السحر » لان السحر بدلا من « ما » المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في انه استفهام الاتري انه - ليس في قولك السحر استفهام ، وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون ام ثلاثون ، فجعلت العشرون بدلا من كم فالحقت ام لانك في قولك كم درهماً مالك مدع ان له مالا .

ومن قرأ على الخبير جعل ( ما ) موصولة ( وجئتم به السحر ) صلة والهاء  
مجرورة عائدة على الموصول والسحر خبر المبتدأ الذي هو الموصول .  
وحكى الفرّاء ، انه دخل الالف واللام في قوله « السحر » للعهد ، لانهم قالوا لما  
أتى به موسى إنه سحر ، قال موسى ما جئتم به فهو من السحر .  
وفي قراءة أبي ما جئتم به سحر بلا الف ولام .  
ومن قرأ بالاستفهام جعل ( ما ) في قوله « ما جئتم به » للاستفهام .  
ومن قرأ على الخبير جعل ( ما ) بمعنى الذي وفسرت ما بالواحد في السحر ، لان  
المعنى عليه ، وإنما ذكر للتوبيخ كقولك ما صنعت الفساد .

حكى الله تعالى انه لما القوا السحرة سحرهم قال لهم موسى الذي جئتم به السحر  
فمن قرأ على الخبير ، واي شيء جئتم به السحر مقررأ لهم ثم اخبر ان الله سيبطل  
هذا السحر الذي فعلتموه « ان الله لا يصلح عمل المفسدين » فالاصلاح تقديم العمل  
على ما ينفع بدلا مما يضر . والاصلاح استقامة العمل على هذا الوجه . والافساد تعويج  
العمل الى ما يضر بدلا مما ينفع . والفساد اضطراب العمل على هذا الوجه . والاصلاح مضمن  
بالنفع لانه اذا اضيف ظهر معنى النفع فيه كقولك صلاح لزيد ، وهو اصلح له اي  
انعم له وان كان فيه فساد على غيره .

### قوله تعالى :

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ( ٨٢ )

آية بلاخلاف .

هذا عطف على قوله « قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان  
الله لا يصلح عمل المفسدين » وبحق الله الحق بكلماته ، وقيل في معناه ثلثة اقوال

اولها - قال الحسن بوعده لموسى .  
 الثاني - قال ابو علي بكلامه الذى يبين به معاني الآيات التي اتاها نبيه ( ص )  
 الثالث - بها سبق من حكمة في اللوح المحفوظ بأن ذلك يكون .  
 واحقاق الحق معناه اظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والآيات البينة حتى يرجع  
 الطاعن عليه حسيراً والمناسب له مفلولاً .  
 وقوله « ولو اكره المجرمون » معناه انه يحق الحق وان كرهه من هو مجرم .  
 وفي الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم لنصره اياهم بالحجة فاما بالغلبة  
 في كل حال فوقوف ، لان المصلحة قد تكون بالتخلية نارة وبالحيلولة اخرى . والحق  
 على ضربين :

احدهما ما كان يمكن ان يكون حقاً وغير حق ، فهذا لا يصير حقاً إلا بأن يقصد  
 فاعله على ايقاعه حقاً ، فجاز ان يقال انه حق بالفاعل . والآخر لا يؤثر فيه قصد فاعله  
 فلا يقال في ذلك انه حق بالفاعل .

### قوله تعالى :

﴿ فَمَا مِنْ لُؤْسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ  
 وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّه لَكُنَّ  
 الْمُسْرِفِينَ ﴾ ( ٨٣ ) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يصدق لموسى بالنبوة الا ذرية من قومه مع خوفهم من  
 فرعون ورؤساء قومه ان يفتنوم . ( والذرية ) الجماعة من نسل القبيلة . وحكى ابن  
 عباس انه اراد الا قليل من قومه . وقيل كان امهاتهم من بني اسرائيل وآبائهم من  
 القبط . وقيل سموا ذرية لانهم اولاد الذين ارسل عليهم موسى فلم يستجب الابهاء وقيل

هم قوم من بني اسرائيل اخذهم فرعون بتعلم السحر وجعلهم من اصحابه . ويحتمل ان يكون ذرية على وزن فعلية ماخوذاً من الذر كقمرية والثاني - أن يكون على وزن فعلية من الذرو في تذروه الرياح كقولك مزقته ، ويجوز أن يكون من ذرأ الله الخلق فترك همزه . والفتنة في الدين الامتحان الذي يصرف عنه وقد يكون ذلك بالاكراه تارة وبالهدى اخرى ، وبالشبهة الى الضلال .

وقوله « ان فرعون لعال في الارض » فالعوفى الامر عظم الشأن فيه وكل معنى لا يخلوا من ان يكون في صفة عالية او دانية او فيما بينهما من الجلالة والضعفة .  
والضمير في قوله « وملائهم » قيل فيمن يمود اليه ثلاثة اقوال :  
احدها - الى الذرية فقط .

الثاني - الى فرعون واتباعه . الثالث الى فرعون ، لانه معلوم .

وقوله « وانه لمن المسرفين » اخبار منه تعالى ان فرعون لمن جملة من ابعث في مجاوزة الحق . والاسراف قد يكون في القتل وفي الاكثار من المعاصي .

### قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَهَلْ يَؤْتِيهِ نَؤُكُورًا  
إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ۝ (٨٤) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى انه قال لقومه ان كنتم صدقتم بتوحيد الله فتوكلوا عليه . وقوله « ان كنتم مسلمين » بعد قوله « ان كنتم امنتم بالله » ليتبين المعنى بالصفتين من الايمان والاسلام وبالتقييد والاطلاق على ان الثقة بالله توجب الاستسلام لامره . والتوكل التوثق باسناد الامر الى الله . والوكالة عقد الامر لمن يقوم به مقام مالك . والله عز وجل املك بالعباد من نفسه فهو احق بهذه الصفة . ويوجب التوكل على الله النجاة من كل

محذور ، والفوز بكل سرور وحبور اذا اخلص فيه وسلمت النية فيه .  
 وحذفت ياء الاضافة من قوله « يا قوم » اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء  
 احسن من اثباتها لقوة النداء على التغيير .  
 وفائدة الآية البيان عما يعمل عليه عند نزول الشدة من ان من كان يؤمن بالله  
 فليتوكل على الله ويعلم امره اليه ثقة بحسن تدبيره له .

### قوله تعالى :

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا فِتْنَةً لِأَقْوَامِ الظَّالِمِينَ ﴾

( ٨٥ ) ﴿ وَتَجْنَّبْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ( ٨٦ ) آيتان بلا

• خلاف

الفاء في قوله « فقلوا » فاء العطف وجوب الامر كما يقال قال السائل كذا  
 فقال المجيب كذا . وانما جازت الفاء في الجواب ولم تجز الواو ، لان الفاء ترتيب من  
 غير مهلة ، فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالاول وليس كذلك الواو .  
 لما حكى الله تعالى قول موسى اقومه « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا »  
 حكى ما اجاب به قومه من قولهم : توكلنا على الله . وانهم سألوا الله وقالوا « ربنا  
 لا تجعلنا فتنة » اي محنة واعتباراً « للقوم الظالمين » وخلصنا « برحمتك من القوم » الذين  
 كفروا بآياتك ، وكل كافر ظالم لنفسه بتعرضه للمعاقب وليس كل ظالم كافراً .  
 والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر الامور الباطنة يقال : فتنت الذهب اذا احرقته  
 بالنار ليظهر الخالص وقوله « يوم هم على النار يفتنون » ( ١ ) اي بحرقون بما فيه  
 من اظهار حالهم في الظلال . وقوله « الفتنة اشد من القتل » ( ٢ ) معناه التعذيب للرد عن  
 الدين ، لما فيه من اظهار النصره اشد ، ومعنى « لا نجعلنا فتنة للقوم الظالمين » لانهم



من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا - في قول مج - اهد وقال ابو الضحى والجبائي معناه : لا يظهروا علينا فيروا آثم خير منا .  
وقوله « ونحننا » معناه خلصنا مما فيه المخافة والشكاة . وانما جاز وصف الله تعالى بالرحمة مع كثرة استمهاها في الرقة لدلالة التعظيم على انتفاء معنى الرقة ان نعمه في الاسباغ والكثرة تقع موقع ما تبعث عليه الرقة . وانما سألوا النجاة من استعباد فرعون وملائه اياهم وأخذهم بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة .

### قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ بِمِصْرَ  
يُيُوتَا وَاجْعَلُوا لِيُؤْتِكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٧)  
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه أوحى الى موسى وأخيه بمعنى ألقى اليها في خفاء والابحاه والايامه والاشارة نظائر ، وكله بيان ودلالة .

وحكى الرماني أن قوماً أجازوا أن يوحى الله الى من ليس بنبي برؤياً أو إلهام ، قال : وليس يجوز عندنا على المعنى الذي يقع الوحي الى الانبياء ، لأنه إنما يقع على خلاف مجرى العادة بمعجزة تشهد بأنه تعالى ألقى المعنى اليه . ولا يجوز أن يطلق الصفة بالوحي الا لنبي فان قيد ذلك على خلاف هذا المعنى كان جائزاً ، كقوله « وأوحى ربك الى النحل » ( ١ ) .

ومعنى قوله « تبوءا » اتخذوا يقال : بوأته منزلاً أي اتخذته له . وأصله

الرجوع من « و باؤوا بغضب من الله » (١) أي رجعوا والمبوء المنزل لأنه يرجع إليه للمقام فيه ومنه قولهم ( بوء بشسم كليب ) أي ارجع به . وقوله « واجعلوا بيوتكم قبلة » معناه مصلى . وقيل قبلة: مسجداً ، لأنهم كانوا خائفين فأمروا بأن يصلوا في بيوتهم في قول ابن عباس ومجاهد وإبراهيم والسدي والضحاك والربيع - وقال الحسن يعني قبلة نحو الكعبة .

ولم يصرف ( مصر ) لأنه مؤنث معرفة كقولك هند ، ولو صرفته اخففته كما صرفت هند ، كان جائزاً وترك الصرف أقيس .

وقوله « وأقيموا الصلاة » أمر من الله إياهم باقامة الصلاة والدوام على فعلها « وبشر المؤمنين » أمر منه لموسى ان يبشر المؤمنين بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم .

### قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية عن موسى (ع) أنه قال يا « ربنا انك اعطيت فوعون وملائه » يعني قومه ورؤساهم « زينة واموالا في الحياة الدنيا » وإنما اعطاهم الله تعالى ذلك للانعام عليهم مع تعريه من وجوه الاستفساد .

و( الزينة ) ما يزين به من الحلي والثياب والمتاع . ويجوز أن يراد به حمن الصورة « ليضلوا عن سبيلك » فهذه لام العاقبة ، وهي ما يؤل إليه الأمر كقوله « فالتقطه »

(١) سورة البقرة آية ٦١ وسورة آل عمران آية ١١٢ .

آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، ( ١ ) ويحتمل ان يكون المعنى لثلاثا يضلوا عن سبيك ، فحذفت ( لا ) كقوله « من ترضون من الشهداء ان تفضل احداها » ( ٢ ) اي لثلاثا تفضل احداها ، وكقوله « ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » ( ٣ ) اي لثلاثا يقولوا ولا يجوز ان يكون لام الغرض ، لأن الله لا يفعل بهم الزينة ويعطيهم ويريد منهم ان يضلوا بل إنما يفعل لينتفعوا ويطيعوه ويشكروه .

وقال قوم : لو كان اراد منهم الضلال لكانوا إذا ضلوا مطيعين ، لان الطاعة هي موافقة الارادة وذلك باطل بالاتفاق .

وقوله « ربنا اطمس على اموالهم » إخبار عن موسى انه دعا على قومه فسأل الله ان يطمس على اموالهم .

والطمس محو الأثر تقول : طمست عينه اطمسها طمساً وطموساً وطمست الريح آثار الديار .

فدعا موسى (ع) عليهم بأن يقلب حالهم عن الانتفاع بها كقوله « من قبل ان نطمس وجوهاً » ( ٤ ) والطمس تغير الى الدبور والدروس قال كعب بن زهير :  
من كل نضاخة الذفرى إذا عرفت عرصتها طامس الاعلام مجهول ( ٥ )  
وقال قتادة والضحاك وابن زيد و ابو صالح : صارت اموالهم حجارة .  
وقوله « واشدد على قلوبهم » معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد اهلاك اموالهم فيكون ذلك اشد عليهم .

وقولهم « فلا يؤمنوا » يحتمل موضعه وجهين من الاعراب :

( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

( ٤ ) سورة النساء آية ٤٦ .

( ١ ) سورة القصص آية ٨ .

( ٣ ) سورة الاعراف آية ١٧١ .

( ٥ ) انظر ١ : ٢٢٦ تعليقه ١ و ٣ : ٢١٦ .

احدهما - النصب على جواب صيغة الامر بالفاء او بالعطف على « ليضلوا »  
وتقديره لئلا يضلوا فلا يؤمنوا .

الثاني - الجزم بالدعاء عليهم ، كما قال الاعشى :

فلا يفسط من بين عيديك ما انزوى ولا تلقني إلا وانفك راغم (١)  
وقال الفراء : ذلك دعاء عليهم بأن لا يؤمنوا . وحكى الجبائي عن قوم ان  
المراد بذلك الاستغفار والانكار كما قال : إنك لا تفعل ذلك ليضلوا  
عن سبيلك .

وقال احمد بن يحيى ثعلب : هذه لام الاضافة ، والمعنى لضلالتهم عن سبيلك  
« اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم » .

وحكى البلخي انه لا يجوز ان يكون ذلك على التقديم والتأخير وتقديره  
ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا ربنا اطمس على اموالهم .

وقيل إن قوله « فلا يؤمنوا » خرج مخرج الجواب الامر ومعناه الاخبار ، كما  
يقولون انظر الى الشمس تغرب .

وقيل ان المعنى لا يؤمنون ايمان الجاه حتى يروا العذاب الاليم وهم مع ذلك  
لا يؤمنون ايمان اختيار اصلا .

وقال بعضهم اللام لام كي وانه اعطاهم الاموال والزينة لكي يضلوا عقوبة  
وهذا خطأ ، لانه يوجب ان يكون ضلالهم عن الدين طاعة لله .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقْبَا وَلَا تَدْبِرَاهُنَّ سَبِيلَ

(١) ديوان الاعشى والاعشىين ٥٨ قصيد ٩ و تفسير القرطبي ٨ : ٢٧٥

الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى أنه أجاب موسى وهارون ، فقال لهما « قد اجيبت دعوتكما »  
والجواب موافقة الدعوة فيما طلب به . لوقوعها على تلك الصفة . فأنه تعالى يجيب الدعاء  
إذا وقع بشروط الحكمة .

واختلفوا في هل يجوز أن يجيب تعالى دعوة الكافر أو لا ؟

فقال ابو علي الجبائي لا يجوز لان إجابته إكرام له كما يقولون : فلان مجاب  
الدعوة اي هو رجل صالح . والكافر ليس بهذه المنزلة .

وقال ابو بكر بن الاخشاد : يجوز ذلك إذا كان فيه ضرب من المصلحة .  
والاجابة قد تكون من الاعلى للادون من غير ترغيب المدعو . والطاعة لا  
تكون إلا من الأدنى للأعلى . ولا يجوز عند اكثر المحصلين ان يدعو نبي على  
قومه من غير إذن مسمي ، لانه لا يأمن ان يكون منهم من يتوب مع اللطف في  
التبعية ، فلا يجاب . ويكون ذلك فتنة .

والدعوة طلب الفعل بصيغة الامر وقد يدعى بصيغة الماضي كقولك : غفر الله  
لك واحسن اليك ، وجزاك الله خيراً .

وإنما قال « اجيبت دعوتكما » والداعي موسى لان دعاء موسى كان مع تأمين  
هارون - على ما قاله الربيع وابن زيد وعكرمة ومحمد بن كعب وأبو العالية - والمؤمن  
داع ، لان المعنى في التأمين اللهم اجب هذا الدعاء .

وقوله « فاستجبنا » امر منه تعالى لها بالاستقامة في دعائها على فرعون وقومه على  
ما أمرتكما به ولا تتبعنا سبيل الجاهلين لوعدي ووعيدي فإنه لا خلف له .

وقال ابن جريج : مكث فرعون بعد هذه الامور اربعين سنة .

وقوله « ولا تتبعنا سبيل الذين لا يعلمون » نهي منه تعالى لموسى وهارون ان

يتبعها طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه .

وقرأ ابن عامر وحده « ولا تتبعان » مخففة النون الا الدا جوني عن هشام ،  
فانه خير بين تخفيفها وتشديدها . وقرأ ابن عامر وحده « ولا تتبعان » ساكنة  
التاء مخففة مشددة النون . وفي قراءة الاخفش الدمشقي عن ابن عامر بتخفيف التاء  
والنون . البا قون بتشديد التاء والنون .

قال ابو علي النحوي من شدد النون فلأن هذه النون الثقيلة إذا دخلت على  
(تعمل) فتح لام الفعل ، لدخولها وبينى الفعل معها على الفتح نحو ( لتعلمن ) وحذفت  
النون التي بنيت في ( تعلمان ) في حال الرفع مع النون الشديدة ، وحذف الضم في  
( لتعلمن ) ، وإنما كسرت الشديدة بعد ألف التنثية لوقوعها بعد الف التنثية ، فأشبهت  
التي تلحق الألف في رجلان ، لما كانت في هذه مثلها ، وداخلة لمعنى كدخولها ،  
ولم يعتد بالنون قبلها ، لأنها ساكنة ، ولأنها خفيفة فصارت المكسورة  
كأنها وليت الألف .

ومن خفف النون يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة كما خففوا (رب) و(ان) ونحوها  
وحذفوا الاولى من المثلين كما ابدلوا الاولى من المثلين في نحو ( قيراط ودينار ) لان اصلها  
( قراط ودينار ) فأبدلوا من إحدى النونين ياء . ويحتمل ان يكون حالا من قوله « فاستقيا »  
وتقديره فاستقيا غير متبمين . ويحتمل ان يكون على لفظ الخبر والمراد به الامر .

### قوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأْتَبَهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ  
بَغِيًّا وَعَدَوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ( ٩٠ ) آية

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً « آمنت انه » بكسر الالف . الباقون بفتحها .  
قال أبو علي : من فتح الهمزة فلأن هذا الفعل فصل بحرف الجر في نحو  
« يؤمنون بالغيب » (١) و « يؤمنون بالجبت » (٢) فلما حذف الحرف وصل الفعل  
إلى ( ان ) فصار في موضع نصب أو خفض على الخلاف في ذلك .  
ومن كسر الالف حمـله على القول المضمّر كأنه قال « آمنت » فقلت إنه  
واضمار القول في نحو هذا كثير . وهذا أحسن لأن قوله ( انه لا إله إلا الله ) في  
المنى إيمان ، وإذا قال آمنت فكأنه ذكر ذلك .

وقال الرماني من كسر ( إن ) جملة بدلاً من ( آمنت ) . ومن فتح جعله معمول  
( آمنت ) وفي الكلام حذف ، لأن تقديره فأتبعهم فرعون وجنوده بنياً وعدواً فيه  
ففرقتاه حتى إذا أدركه الفرق .

حكى الله تعالى إنه جاوز بيني إسرائيل البحر بمعنى أخرجهم منه بأن جفف  
لهم البحر وجعله طرقاتاً حتى جاوزوه .

و المجاوزة الخروج عن الحد من أحد الجهات الأربعة ، لأنه لو خرج عن  
البحر بقليل وهو متعلق عليه لم يكن قد جاوزه . والبحر مستقر الماء الواسع  
بحيث لا يدرك طرفه من مكان في وسطه ويقال : ما فلان إلا بحر  
لسعة عطائه .

وقوله « فأتبعهم فرعون وجنوده بنياً وعدواً » فالاتباع طلب اللحاق بالأول :  
اتباعه إتباعاً وتبعه بمعنى . وحكى أبو عبيدة عن الكسائي انه قال : إذا أريد انه  
اتبعه خيراً أو شراً قالوا بقطع الهمزة ، وإذا أريد انه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا

(١) سورة البقرة آية ٣

(٢) سورة النساء آية ٥٠

بتشديد التاء ووصل الهمزة ، والبغوي طلب الاستعلاء بغير حق . والبغوي مذموم لقوله تعالى « فماتوا التي تبغى حتى تقي الى امر الله » . (١) و (عدوا) معناه عدواً وناظرهما وقوله « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل » اخبار منه تعالى أن فرعون حين لحقه الغرق والهلاك قال ما حكاه الله وكان ذلك ايمان إيماناً لا يستحق به الثواب كما لا يستحق بالايان الضروري .  
وقوله « بغياً وعدواً » نصب على المصدر والمراد بغياً على موسى وقومه واعتداء عليهم

### قوله تعالى :

﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩١)

آية بلا خلاف .

قرأ ابو جعفر من طريق النهر واني ، وناقم إلا ابا طاهر عن اسماعيل واحمد بن صالح عن قالون والحلو واني عن قالون من طريق الحماني « الان » في الموضعين في هذه السورة بالقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة . منها قال ابو علي النحوي اعلم ان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة تخففت الهمزة فان في تخفيفها وجهين : احدهما - ان نحذف ونلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الجر بالالف والثاني - ان يقولوا : كالجمر بالالف فيحذفون همزة الوصل ، فالذين أثبتوا الهمزة فلان التقدير باللام السكون وان كانت في اللفظ متحركة . واللغة الأخرى كما انشد الكسائي :

فقد كنت نخفي حب سمراء حقة فبح لارت منها بالذي انت بائح (٢)

(١) سورة الحجرات آية ٩

(٢) مر هذا البيت في ١ : ٣٠٠ وهو في اللسان (أين)



فأسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ، ولو لم يمتد بالحركة كما لم يعتد في الوجه  
الاول تحرك الحاء بالكسر كما يحركه في بح اليوم .

معنى ( الان ) فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع انه الى الحاضر ولهذا بني  
كما بني ( اذا ) وعرف ( الان ) بالالف واللام ( وامس ) بتضمين حرف التعريف لأن  
ما مضى بمنزلة المضمن في المعنى في أنه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في  
صحة الصورة .

واختلفوا فيمن القائل هذا القول ، فقال الجبائي ان القائل له ملك قال ذلك  
بأمر الله وقال ( غيره ) ان ذلك كلام من الله قاله له على وجه الاهانة والتوبيخ وكان  
ذلك معجزة لموسى ( ع ) ومعنى الآية حكاية ما قيل لفرعون حين قال « آمنت أنه  
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل » بانك تقول هذا في هذه الساعة « وقد عصيت  
قبل « هذا » وكنت من المفسدين » في الارض بقتل المؤمنين وادعاء الآلهية ، وغير  
ذلك من انواع الكفر !

### قوله تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ  
كثيراً من الناس عن آياتنا لَغافلون ﴾ . (٩٢) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقتيبة « ننجيك » بالتخفيف . الباقر بالتشديد .

معنى قوله « ننجيك ببदनك » نلقيك على نجوة من الارض ببदनك عريانا دون

روحك قال أوس بن حجر :

فمن بنجوته كمن بمقوته . والمستكن كمن يمشى بقرواح (١)

(١) مر هذا البيت في ١ : ٢١٨ و ٣ : ٣٢٦ تعليقة و منسوب الى عبيد بن

الابرص .

القرواح حيث لا ماء ولا مطر ، البدن مستكن روح الحيوان على صورته وكل حيوان فله روح وبدن ، والحى في الحقيقة الروح دون البدن عند قوم وفيه خلاف . ومعنى قوله « لتكون لمن خلفك آية » قيل فيه قولان :  
 احدهما - لمن يأتى بعدك ممن يراك على تلك الصفة وقد كنت تدعى الربوبية .  
 الثاني - ان بني اسرائيل قالوا ما مات فرعون فآلقاه الله تعالى على نجوة من الارض ليروه ذهب اليه ابن عباس ، وقتادة .

وقوله « وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » اخبار منه تعالى أن كثيراً من الخلق غافلون عن الفكر في حجج الله وبياناته أي ذاهبون عنها والغفلة ذهاب المعنى عن النفس وتقيضها اليقظة ، والمراد بدمهم بالغفلة عن آيات الله التعريض بأنهم تركوا النظر في آيات الله .

### قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْأَطْيَابَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٩٣) آية بلا خلاف .

قوله « ولقد بوأنا » اخبار منه تعالى أنه وطأ منزل بني اسرائيل والتبوء توطئة المنزل لصاحبه الذي يأوى اليه تقول بوأته منزلاً تبويئاً وتبوأ وبأه بالامر بوأه أي رجم .

وقوله « مَبُوءًا صَدَقَ » أي منزل صدق أي فيه فضل كفضل الصدق ، كما يقال أخو صدق وقيل انه يصدق فيما يدل عليه من جلاله النعمة .

وقوله « ورزقناهم من الطيبات » أي ملكناهم الاشياء اللذيذة . والرزق المقدم

على العطاء الجاري ، ودلت الآية على سمة ارزاق بني اسرائيل . وقوله « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » قيل في معناه وجهان :

احدهما - أنهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتى جاءهم الدليل المؤدي الى العلم من جهة الرسول والكتاب فأمن فريق ودكفر آخرون . وهو قول الحسن وابن جريج وابن زيد .

وقال قوم كانوا على الاقرار بالنبى قبل مبعثه بصفته ونعمته ، فما اختلفوا حتى جاءهم معلوم العلم به .

والمزلة الصدق الذي انزلوه قبل فيه ثلاثة اقوال :

قال الحسن هو مصر وهو منزل صالح خصب امن .

وقال قتادة هو الشام وبيت المقدس .

ونال الضحاك هو الشام ومصر .

وقوله « ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » اخبار منه

تعالى انه الذي يتولى الفصل بين بني اسرائيل في الامور التي يختلفون فيها .

### قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا لِيكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ  
الْمُتَرَدِّينَ ﴾ (٩٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد ( ص ) يقول له « ان كنت في شك »

من الذي « انزلنا اليك » والشك هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على

ما هو به ، وعلى ما ليس به .

وقيل ان هذا وإن كان خطاباً للنبي ( ص ) فان المراد به الذين كانوا شاكين

في نبوته .

وقال قوم ان معناه فان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على نبينا اليك ،  
ومثله قول القائل لعبدك ان كنت مملوكي فانتبه الى امرى . وقول الرجل لابنه ان  
كنت ابني فبرني . وقوله ان كنت والدي فتمتطف علي . وحكى الزجاج وجهاً ثالثاً  
وهو ان يكون معنى ( ان ) معنى ( ما ) والتقدير : ما كنت في شك مما انزلنا اليك  
« فاسأل الذين » اي لسنا تريد بامرئ لانك شاك لكن لتزداد بصيرة ، كما قال لبراهيم  
« اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطعن قلبي » (١) « فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من  
قبلك » قيل انما امره بأن يسأل اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته لامرين :  
احدهما - ان يكون امره بان يسأل من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام  
وكعب الاحبار وابن سوريا ذهب اليه ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك .

والثاني سلمهم عن صفة النبي ( ص ) العبد مشرب به في كتبهم ثم انظر فمن وافق فيه  
تلك الصفة . وقال البلخي ذلك راجع الى قوله « فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم  
العلم » فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلك ؟ فانهم لا يمتنعون عن الاخبار به ولم يأمره  
بان يسألهم هل هو محق فيه أو لا ؟ ولا ان ما انزله عليه صدق أو لا ؟ ووجه آخر وهو انه  
انما امره ان يسألهم ان كان شاكاً ولم يكن شاكاً فلا يجب عليه مسألتهم وهذا معنى ما  
روى عنه ( ص ) انه قال ( شككت ولا انا شاك ) .

وقوله « لقد جاءك الحق من ربك » قسم منه تعالى بأنه قد جاءك يا محمد الحق

من عند ربك لان لام لقد لام القسم .

وقوله « فلا تكونن من الممترين » اي لا تكونن من الشاكين . والامتراء طلب الشك

مع ظهور الدليل وهو من مرىء الضرع اي مصححه ليدر ، فلا معنى لمسجه بمـد  
دروره بالملب . وقال سعيد بن جبير والحسن وقتادة وابو عبد الله ( ع ) لم يسأل  
النبي ( ص ) ويقوي ان الخطاب متوجه الى النبي والمراد به غيره قوله بهد هذا « قل  
يا ايها الناس ان كنتم في شك » .

### قوله تعالى :

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ

الْخٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف

هذا الكلام عطف على قوله « فلا تكونن من الممترين . ولا تكونن من الذين  
كذبوا بايات الله » اي من جملة من يجحد بايات الله ولا يصدق بها فانك ان فعلت  
ذلك كنت من الخاسرين . والمراد بالخطاب غير النبي ( ص ) من جملة امته من كان  
شاكاً في نبوته .

والنون في قوله ( لا تكونن ) نون التأكيد ، وهي تدخل في غير الواجب لانك  
لا تقول انت تكونن ، ودخلت في القسم على هذا الوجه لانه يطلب بالقسم  
التصديق وبنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة  
مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة واقتضت حركة بناء لا لتقاء الساكنين .  
وانما شبه الكافر بالخاسر مع ان حاله اعظم من حال الخاسر لان حال الخاسر قد  
جرت بها عادة وذاق طعم الحسرة فيها فرد اليها لبيان امرها خسران النفس الذي هو  
اعظم منها .

## قوله تعالى :

﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ﴾ (٩٦) و لو  
جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ﴿٩٧﴾ ايمان عند الجميع  
قد ذكرنا اختلافهم في كلمة وكلمات وان من واحد فـلانه اسم جنس ومن جمع  
اراد اختلاف الالفاظ .

اخبر الله تعالى « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك » يا محمد اي وجب على التحقيق  
بانهم لا يؤمنون من غير شرط ولا تقييد ، تقول حق الامر يحق حقاً . وانما جاز  
وصف جملة من الكلام بالكلمة لانه لما كان في معنى واحد صار بمنزلة الكلمة الواحدة ،  
ولذلك قالوا في فصيحة من الشعر انها كلمة وقوله « حتى يروا العذاب الاليم » معناه  
انهم انما يؤمنون اذا شاهدوا العذاب فامنوا ملجئين ايماناً لا ينفعهم . والرؤية في الآية  
رؤية العين ، لانها تمدت الى مفعول واحد . والعذاب وان كان الماء وهو لا يصح ان  
يرى فلانه ترى اسبابه ومقدماته فصار بمنزلة ما يرى ، فلذلك اخبر عنه بالرؤية له  
قوله « ولو جاءتهم كل آية » اعلام بان هؤلاء الكفار لا لطف لهم يؤمنون عنده  
ايمان اختيار وانما جاز تكليفه الايمان باخبار الله تعالى انه لا يؤمن بالانعام بالمنافع في  
احوال التكليف التي لا تحصى كثيرة مع ما في ذلك من اللطف لغيره ، ولا ظلم فيه  
لاحد . وانما يظلم الكافر نفسه بسوء اختياره .

وانما اثبت قوله « جاءتهم كل آية » لانه مضاف الى الآية وهي مؤنثة كما قالوا  
ذهبت بعض اصابعه .

ومعنى الآية الاخبار عن ان هؤلاء لا يؤمنون ايماناً يستحقون به الثواب ،  
ولا ينافي ذلك قدرتهم على الايمان كما انه اذا اخبر انه لا يقيم القيامة الساعة لم يمنم

ذلك من قدرته على اقامتها في الحال . وقيل ان التقدير في الاية ان الذين لا يؤمنون  
حققت عليهم كلمة ربك .

### قوله تعالى :

فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَذَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا  
آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى  
حِينٍ (٩٨) آية بلا خلاف .

معنى (فلولا) هلا ، وهي تستعمل على وجهين :

احدهما - على وجه التحضيض .

والثاني - على وجه التأييب كقولك هلا يأتي زيد بحاجتك ، وهلا امتنعت من

الفساد الذي رغبت اليه قال الشاعر :

تعدون عمر النيب افضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمي المقنما (١)

أي هلا تعدون الشجمان . وقوله « الا قوم يونس » نصب لأنه منقطع كما قال

الشاعر :

اعيت جواباً وما بالريم من احد الا اوارى لا ياما ايدهما

والنوي كالحوض بالظلومة الجلد (٢) .

وحكى الفراء : لان ما بينهما قال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي ( لا وان وما ) وانما جاز

فلو لا كانت قرية آمنت لان المراد أهل قرية فحذف اختصاراً من غير اخلال بالمعنى .

وقوله « فذفعها إيمانها » معناه هلا كانت أهل قرية آمنت في وقت ينفعها الإيمان

(١) انظر ١ : ٣١٩ تعليقة ٥ ، ٤٣٥ تعليقة ١

(٢) مر هذا الشعر في ١ : ٤٤ ، ١٥١ ، ٣ ، ٣٢٧ ، ٤ ، ٢٥ .

وجرى هذا مجرى قول فرعون « لما ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي » (١)  
 فاعلم الله أن الايمان لا ينفع عند نزول العذاب ولا عند حضور الموت ، وقوم يونس  
 لم يقم بهم العذاب كأنهم لما رأوا الآية الدالة على العذاب آمنوا فلما آمنوا كشف  
 عنهم العذاب .

والنفع هو اللذة ، ومعناه ههنا انه وجبت لهم اللذة بفعل ما يؤدي اليها كان  
 الصلة بالمك نفع لانه يؤدي الى اللذة وكذلك اكل الطعام الشهي وتناول الكريه عند  
 الحاجة نفع لانه يؤدي الى اللذة . والخزي هو الهوان الذي يفضح صاحبه ويضع  
 من قدره .

وقال الجبائي المراد بأهل القرية على قول كثير من اهل التأويل عمود الذين  
 اهلكهم الله بكفرهم ، والتقدير هـلا اهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم ايمانهم  
 وزال عنهم العذاب كما آمن قوم يونس لما احسوا بنزول العذاب ، فكشف الله عنهم  
 عذاب الخزي في الحياة الدنيا وتمعهم وبقام احياء سالمين في الدنيا بعد توبتهم الى  
 مدة من الزمان .

وهذا الذي ذكره انما كان يجوز لو كان (الاقوم يونس) رفعا وكان يكون « الاقوم  
 يونس » صفة او بدلا من الاول لان المعنى الاقوم يونس محمول على معنى هلا كان  
 قوم قرية او قوم نبي آمنوا الاقوم يونس ، قال الزجاج لم يقرأ أحد بالرفع ، ويجوز  
 في الرفع ان يكون بدلا من الاول وان لم يكن من جنس الاول كما قال الشاعر :

وبلدة ليس لها انيس الا اليعا فيروا لا العيس (٢)

وقال ابو عبيدة (الا) ههنا بمعنى الواو ، والمعنى وقوم يونس . وقال الحسن

(١) سورة يونس آية ٩٠

(٢) مر تخريجه في ١ : ١٥١ ، ٣ : ٣٢٧



معنى الآية انه لم يكن فيما خلا ان يومن اهل قرية باجمعها حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس ، فهلا كانت القرى كلها هكذا . وقرأ طلحة بن مصرف يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من اسف وانس ، وهو شاذ . فان قيل قوله « كشفنا عنهم العذاب » يدل على نزول العذاب بهم فكيف ينفع مع ذلك الايمان ، وهل ذلك الاضد قوله « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا » (١) قلنا : ليس يجب ان يكون العذاب نزل بهم بل لا يمتنع ان يكون ظهرت لهم دلائله وان لم يروا العذاب كما ان العليل المدنف قد يستدرك التوبة فيقبل الله توبته قبل ان يتحقق الموت ، فاذا تحققت لم يقبل بعد ذلك توبته . وقد قال الله تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » (٢) ولا يدل ذلك على انهم كانوا دخلوا النار فأنقذوا منها فكذلك لا يمتنع ان يكون كشف عنهم العذاب وان لم يكن حل بهم ولا عاينوه اذا كان قد قرب منهم واستحقوه في الحكم .

### قوله تعالى :

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُنكَرُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لو شاء اراد « لآمن من في الارض كلهم جميعاً » فكلمهم رفع لأنه تأكيد ( من ) وهي مرتفعة بالايمان ( وجميعاً ) منصوب على الحال . والمشيئة والارادة والايتار والاختيار نظائر وانما يختلف عليهم الاسم بحسب مواقعها على ما بيناه في الاصول . وقيل ان الشيء مشتق من المشيئة لانه مما يصح ان

(١) سورة المؤمن آية ٨٥

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣

يذكر ويشاء ، كما اشتقوا المعنى من عنيت .  
ومعنى الآية الاخبار عن قدرة الله وأنه يقدر على أن يكون الخلق على الايمان ، كما قال « ان نشاء نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » (١) وانا اراد بذلك الاخبار عن قدرته بلا خلاف ولذلك قال بعد ذلك « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ومعناه أنه لا ينبغي ان يريد اكرامهم ، لان الله عز وجل يقدر عليه ولا يريد ، لأنه ينافي التكليف و اراد بذلك تسليمة النبي ( ص ) والتخفيف عنه مما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم .

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ، فإنه تعالى لم يزل شائئاً وأنه لا يوصف بالقدرة ايضاً ، لأنه تعالى اخبر أنه لو يشاء أقدر عليه ليكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كان شائئاً لم يزل لما جاز ان يقول ولو شاء ربك كما لا يجوز ان يقول لو شاء لقدرة لما كان كونه قادراً حاصل لم يزل .

### قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَمْلُؤُونَ ﴾ (١٠٠) آيةً بلاخلاف .

قرأ ابو بكر إلا الاعشى والبرجي ( ونجعل ) بالنون الباقون بالياء .  
من قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله فكفى عنه .  
ومن قرأ بالنون ابتداءً بالاخيار عن الله .

ومعنى قوله « وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله » انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا باطلاق الله له في الايمان وتمكينه منه ودعاه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب

لذلك . وقال الحسن وابو علي الجبائي : اذنه ههنا أمره كما قال « يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فانفوا خيراً لكم » (١) وحقيقة اطلاقه في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل معناه وما كان لنفس ان تؤمن إلا بعلم الله واصل الاذن بالاطلاق في الفعل فاما الاقدار على الفعل فلا يسمى اذناً فيه ، لان النهي ينافي الاطلاق . قال الرماني والنفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ، ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات . والنفس مأخوذة من النفاسة .

وقوله « وبجمل الرجس على الذين لا يعقلون » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال الفراء : الرجس العذاب يجعله على الذين لا يعقلون امر الله ولا نبيه

ولا ما يدعوهم اليه .

الثاني قال الحسن : الرجس الكفر اي يجعله بمعنى انه يحكم انهم اهله ذماً لهم وامما « على الذين لا يعقلون » اي كانوا لا يعقلون شيئاً ذماً لهم وعبياً . وقال ابن عباس : الرجس الغضب والسخط . وقال ابو عبيدة الرجز العذاب ومثله الرجس ومنه قوله « لان كشف عنا الرجز » (٢) وقوله « فلما كشفنا عنهم الرجز » (٣) وقوله « والرجز طاهر » (٤) معناه وذا الرجز اي الذي تؤدي عبادته إلى العذاب . وقال الحسن : الرجز بضم الراء العذاب ، وبكسرهما الرجس . وقال الفراء يجوز ان يكون الرجز بمعنى الرجس وقلبت الزاي سيناً كما قالوا اسد واُزد .

(١) سورة يونس آية ١٠٨

(٢) سورة الاعراف آية ١٣٣

(٣) سورة الاعراف آية ١٣٤

(٤) سورة المدثر آية ٥

## قوله تعالى :

﴿ قُلْ اَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْاَيَاتُ  
وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١) آية بلاخلاف .

امر الله تعالى نبيه ( ص ) أن يأمر الخلق بالنظر لانه الطريق المؤدي الى معرفة  
الله تعالى . والنظر المراد في الآية الفكر والاعتبار . وقال الرماني : هو طلب الشيء من  
جهة الفكر كما يطلب اذاركه بالعين .

ومعنى قوله تعالى « ماذا في السماوات والارض » أي ما فيها من العبر من  
مجيء الليل والنهار ومجرى البحور والافلاك ونتاج الحيوان وخروج الزرع والثمار ،  
ووقوف السماوات والارض بغير عمد ، لان كل ذلك تدبير يقتضي مدبراً لا يشبهه  
الاشياء ولا تشبهه .

وقوله « وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » قيل في معناه قولان :  
احدهما - ان تكون ( ما ) نفياً بمعنى ما يعني عنهم شيئاً يدفع الضرر ، اذا لم يفكروا  
فيها ولم يعتبروا بها كقولك وما يعني عنك المال شيئاً اذا لم تنفقه في وجوهه .  
والاخر - ان تكون ( ما ) للاستفهام كقولك أي شيء . يعني عنهم من اجتلاب  
تقع او دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها . والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة وهي  
اعلام بموضع المخافة ليقع به السلامة .

## قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَنْتَظِرُونَ اِلَّا مِثْلَ اَيَّامِ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْتَظِرُوا  
اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِيْنَ ﴾ (١٠٢) آية بلاخلاف .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) بلفظ الاستفهام والمراد به النبي لان تقديره ليس  
 ينتظر هؤلاء الكفار الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم . وإعـا قابل بين الايام المنتظرة  
 والايام الماضية في وقوع العذاب والحسرة حين لا تنفع الندامة . والانتظار هو الثبات  
 لموقع ما يكون من الحال تقول انتظرتني حتى الحقتك ولو قلت توقعني لم تكن أمرته  
 بالثبات . والمثل في الجنس ماسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته وفي غير الجنس  
 ما كان على المعنى يقر به من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب .  
 وقوله « قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين » أمر من الله لنبيه أن يقول لهم  
 انتظروا ما وعد الله به من العقاب فاني منتظر نزوله بكم مع جميع المنتظرين كما وعد  
 الله به .

### قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) آية بلاخلاف

### القرأة والحجة :

قرأ يعقوب « ثم تنجي » بالتخفيف . وقرأ الكسائي ويعقوب وحفص والكسائي  
 عن ابي بكر « تنجي المؤمنين » بالتخفيف الباقون بالتشديد فيها .  
 قال ابو علي النحوي يقال نجا زيد نفسه فاذا عديته فان شئت قلت أنجيته وان  
 شئت قلت نجيته . ومن شدد فلقوله « ونجيننا الذين آمنوا » (١) ومن خفف فلقوله  
 « فأنجاه الله من النار » (٢) وكلاهما حسن .

(١) سورة حم السجدة آية ١٨

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٤

المعنى :

أخبر الله تعالى أنه اذا أراد اهلاك قوم استحقوا الهلاك نجى رسله من بينهم وخلصهم من العقاب ، ويخلص مع الرسل المؤمنين الذين أقروا له بالوحدانية وللرسل بالتصديق .

وقوله « كذلك حقاً علينا بنجى المؤمنين » وجه التشبيه في ذلك أن نجاة من يقر من المؤمنين كنجاة من مضى في أنه حق على الله ثابت لهم . ويحتمل أن يكون العامل في « كذلك » تنجى الاول وتقديره تنجى رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يعمل فيه الثانى وكذلك حقاً علينا .

ومعنى قوله « حقاً علينا » يحتمل امرين .

احدهما - ان يكون معناه واجباً علينا تنجى المؤمنين من عقاب الكفار ، ذكره

الجبائى .

الثانى - ان يكون على وجه التأكيد كقولك مررت بزبد حقاً إلا ان علينا يقتضى

الوجه الاول .

والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك . والسلامة مأخوذة من

اعطاء الشيء من غير نقیصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالماً من غير آفة .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ

الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ

أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) آية بلا خلاف

هـ هذا خطاب من الله لنبيه (ص) ان يقول للخلق « يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني » فان ديني ان لا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي ان كنتم في شك مما اذهب اليه من مخالفتكم فاني اظهره لكم وابره مما انتم عليه واعرفكم ما امرت به وهو ان اكون مؤمناً بالله وحده وان اقيم وجهي للمدين حيقاً .

ان قيل لم قال « ان كنتم في شك من ديني » مع اعتقادهم بطلان دينه؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

احدها - ان يكون على وجه التقدير أي من كان شاكاً في أمري وهو مصمم على أمره فهذا حكمة .

الثاني - انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات الثالث - ان فيهم الشاك فغلب ذكرهم ، وانما جعل جواب ان كنتم في شك (لا اعبد) وهو لا يعبد غير الله شكوا ولم يشكوا ، لان المعنى لا تطعموا ان تشككوني بشككم حتى اعبد غير الله كهبادتكم ، كانه قيل ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله بشككم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم أي الذي احياكم ثم يقبضكم وهو الذي يحق له العبادة دون اوثانكم ودون كل شيء سواه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(١٠٥) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما قبلها والتقدير وأمرت أن اكون من المؤمنين ، وقيل لي أقم وجهك . وقيل في معناه قولان :

احدها - استقم باقبالك على ما أمرت به من القيام باعباء النبوة وتحمل أمر الشريعة

ودعاء الخلق الى الله بوجهك ، اذ من أقبل على الشي بوجهه يجمع همته له فلم يضيع فيه الثاني - ان يكون معناه أقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة .  
والاقامة نصب الشيء المنافي لاضجاعه تقول : أقام العود إذا جعله على تلك الصفة فأما أقم بالمكان فمعناه استمر به .

والوجه عبارة عن عضو مخصوص ويستعمل بمعنى الجهة كقوله : هذا معلوم في وجه كذا ، ويستعمل بمعنى الصواب كقولك هذا وجه الرأي .  
وقيل في معنى الحنيف قولان :

احدهما - الاستقامة وقيل للمايل القدم أحنف تغاؤلا .  
الثاني - الميل ، وقيل الحنف في الدين لأنه ميل الى الحق .  
وقوله « ولا تكونن من المشركين » معناه نهى عن الاشرار مع الله تعالى غيره في العبادة تصریحاً بالتحذير عن ذلك والذم لفاعله .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٦) آية بلا خلاف .

قيل في معنى قوله « ولا تدع من دون الله » قولان :  
احدهما - لا تدعه الها كما يدعو المشركون الوثن إلهاً .  
الثاني - لا تدعه دعاء الالهية في العبادة بدعائه . والدعاء ، يكون على وجهين :  
احدهما - بلفظ النداء كقولك يا زيد إذا دعوته باسمه .  
الثاني - ان تدعوه الى الفعل وتطلب منه فعله كقول القائل لمن فوقه انعمل .  
وقوله « ولا تدع من دون الله » معناه لا تدع غير الله إلهاً . وإنما قال « ما لا ينفعك



ولا يضرك » مع انه لو نفع وضر لم تحسن عبادته لامرين :  
 أحدهما - ان يكون معناه مالا ينفعك ولا يضرك نفع الاله وضره .  
 والثانى - انه اذا كان عبادة غير الله ممن يضر وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر  
 ولا ينفع أقيح وابعد من الشبهة .

وقوله « فان فعلت فانك اذا من الظالمين » معناه انك ان خالفت ما أمرت به من  
 عبادة الله كنت ظالماً لنفسك بادخال الضرر الذي هو العقاب عليها . وهذا الخطاب وان  
 كان متوجهاً الى النبي فالمراد به امته ، ويجوز ان يكون الانسان يضر نفسه بما يفعل بان  
 يؤديها الى الضرر . ولا يجوز ان ينعم على نفسه لان النعمة تقتضي شكر المنعم عليه  
 وذلك لا يمكن من الانسان ونفسه كما لا يمكن ان يثبت له في نفسه مال او دين .

### قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يَمْسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ  
 بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٧) آية بلاخلاف .

قوله « وان يمسك الله بضر » اي ان احل بك الضر ، لان المس الحقيقى لا يجوز  
 عليه ، لان حقيقةها تكون بين الجسمين ، لكن لما ادخل الباء للتمدية جرى مجرى ان  
 تقول يمسك من امسه . واما اذا لم يتعد فيكون كقوله « مسني الضر » (١) والمهامة  
 والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة . والكشف رفع الساتر المانع من الادراك .  
 فكان الضر ههنا كأنه ساتر يمنع من ادراك الانسان .

وقوله « وان يردك بخير » تقديره وان يرد بك الخير وراز على التقديم والتاخير

كما يقول القائل : فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير . والمعنى انه لا راد لما يريد الله بخلقه فان اراد بهم سوءاً لا يقدر على دفعه احد . وان ارادهم بخير فلا يقدر احد على صرفه عنهم « يصيب به من يشاء من عباده » يعني بالخير .  
وقوله « وهو الغفور الرحيم » معناه انه الغفار لكل من تاب من شره وذنبه فلا ييأس من ذلك احد في حال تكليفه . وعندنا يجوز ان يغفر الله ذنب المؤمن من غير نوبة . و ( الرحيم ) معناه انعامه على جميع خلقه .

### قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ  
فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾  
(١٠٨) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يقول للخلق قد جاءكم الحق من الله وهو الذي من عمل به من العباد نجا ، وضده الباطل وهو الذي من عمل به هلك ، فمن عمل بالحق كان حكيماً ، ومن عمل بالباطل كان سفيهاً . والمراد بالحق ههنا ما أتى به النبي ( ص ) من القرآن والشرائع والاحكام وغير ذلك من الآيات والدلالات « فمن اهتدى » بها بأن نظر فيها وعرفها حقاً وصواباً « فأنما يهتدي لنفسه » ومعناه فان منافع ذلك تعود عليه من الثواب دون غيره « ومن ضل » عنها وعاد عن تأملها والاستدلال بها والعمل بموجبها « فأنما يضل » عن منافع نفسه وهو الجاني عليها .  
وقوله « وما أنا عليكم بوكيل » معناه وما أنا عليكم بوكيل في منعكم من اعتقاد الباطل بل انظروا لانفسكم نظر من يطالب بعمله ولا يطالب غيره بحفظه كأنه قال ما أنا حافظكم من الهلاك اذا لم تنظروا انتم لانفسكم ولم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره .

## قوله تعالى :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

(١٠٩) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه ( ص ) ان يتبع ما يوحى اليه . والايحاء الفـاء المعنى في النفس على وجه خفي وهو ما يجي به الملك الى النبي ( ص ) عن الله تعالى فيلقبه اليه ويخصه به من غير ان يرى ذلك غيره من الخلق .

وقوله « واصبر » امر من الله تعالى له بالصبر وهو تجرع مرارة الامتناع من المشتهى إلى الوقت الذي يجوز فيه تناوله ، كصبر الصائم على الجوع والعطش ، وكصبر النفس عن تناول المحرمات . وانما يعين على الصبر العلم بماقبته وكثرة الفكر فيه وفي الخير الذي ينال به وبذكر ما وعد الله على فعله من الثواب وعلى تركه من العقاب .

وقوله « حتى يحكم الله » وهو خير الحاكمين « امر منه تعالى للنبي بالصبر على اذى المشركين وعلى قولهم انك ساحر كذاب ومجنون حتى يحكم فيأمرك بالهجرة والجهاد . قال الحسن وقد كان الله اعلمه انه سيفرض عليه جهاد الكفار . وقيل نسخ ذلك فيما بعد بالامر بالجهاد ، والتقدير إلى ان يحكم الله بهلاكهم وعذابهم في يوم بدر وغيره » وهو خير الحاكمين « معناه خير الحكام ، لانه قد يكون حاكم افضل من حاكم مع كونها محققين كمن يحكم على الباطن فانه افضل ممن يحكم على الظاهر ، لان الاول لا يقم إلا حقاً والاخر يجوز ان يكون حقاً في الظاهر وان كان فاسد في الباطن .



# (١٠) سورة هود

مكية في قراءة قتادة ومجاهد وغيرها

وهي مائة وثلاث وعشرون آية في الكوفي

واثنتان في المدني وواحدة في البصري وعند اسماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر . كتاب أوحى آياته ثم فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾

خيبر (١) آية بلا خلاف

روى الكسائي عن أبي بكر « من لدن حكيم » ههنا ، وفي النمل بمكون الدال  
واشتمامها الضم وكسر النون . الباقون بضم الدال واسكان النون . ولم يعد احمد بن  
القراء (الر) آية كما عد قوم (طه) و (الم) و (حم) آية لان ثانيه لا يشبه رؤس  
الاي بنفس الحرف ولا بالردف . وقد بينا في اول سورة البقرة اختلاف المفسرين في  
هذه الحروف وامثالها وان الأقوى ان يقال انها اسما لسور .

وروى عن الحسن انه قال ما ادري تأويل ( الر ) غير ان المسلمين كانوا يقولون هي اسماء السور ، ومفاتيحها . وخرجت هذه الحروف على وجه التهجي ، لا يمر ب شيء منها ، لانها حروف ولو كانت اسماء لدخلها الاعراب . وتال الفراء « الر كتاب » رفع بحروف الهجاء . وقال غيره « كتاب » رفع بانه خير المبتدأ وتقديره هو كتاب او هذا كتاب والمراد به ( كتاب ) القران .

وقوله « احكمت آياته ثم فصلت » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن احكمت بالامر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب .

الثاني - قال قتادة احكمت آياته من الباطل . ثم فصلت بالحرام والحلال .

الثالث - قال مجاهد « احكمت آياته » على وجه الجملة « ثم فصلت » اي بيذت

بذكرها آية آية . والاحكام منعم الفعل من الفساد قال الشاعر :

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم  
إني اخاف عليكم ان اغضبنا (١)

وقوله « من لدن حكيم خبير » معناه من عند حكيم عليم . وقوم يجمعون في

( لدن ) ضميراً فينصبون ما بعده فيقولون لدن غدوة . وقوم يجمعونه غاية ولا يضمرون

فيه شيئاً بعينه فيرفعون ما بعده لان ما بعد الغاية مرفوع ، فيقولون لدن غدوة .

وروي عن عكرمة انه قرأ « فصلت » يفتح الفاء والصاد وتخفيفها - وهي شاذة

لم يقرأ بها احد .

والحكيم يحتمل معنيين :

احدها - عليم ، فعلى هذا يجوز وصفه بأنه حكيم فيما لم يزل .

والثاني - بمعنى أنه محكم لافعاله . وعلى هذا لا يوصف به فيما لم يزل . والحكمة

المعرفة بما بمنع الفعل من الفساد والنقص وبها يميز القبيح من الحسن والفاسد من

الصحيح .

وقال الجبائي في الآية دلالة على أن كلام الله محدث بأنه وصفه بأنه احكمت آياته والاحكام من صفات الافعال ، ولا يجوز ان تكون احكامه غيره ، لانه لو كان احكامه غيره لكان قبل ان يحكمه غير محكم ولو كان كذلك لكان باطلا ، لان الكلام متى لم يكن محكما وجب ان يكون باطلا فاسداً ، وهذا باطل .

قوله تعالى :

﴿ اَلَّا تَعْبُدُوْا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّىْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ وَّبَشِيْرٌ ﴾ (٢)

آية بلا خلاف .

يحتمل ( ان ) في قوله « ان لا تعبدوا » امرين :

احدهما - ان يكون بمعنى المصدر كقولك كتبت اليه ان لا تخرج بالجزم ، وكان يجوز في العربية ان لا تعبدون على الوجه الاول ، وهو الاخبار بأنهم لا يعبدون كما تقول كتبت اليه ان لا تخرج اي بأنك لا تخرج . و « ان لا تعبدوا » في موضع نصب وتقديره فصلت آياته بأن لا تعبدوا او لئلا تعبدوا .

والثاني - يحتمل ان يكون المعنى امرتهم بأن لا تعبدوا ، فلما حذف الباء نصب بعدها ، ومعنى ( إلا ) في الآية ايجاب للمذكور بعدها وهو ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها من الكلام .

وقوله « انى لكم منه نذير وبشير » اخبار ان النبي ( ص ) مخوف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه مبشر بثواب الله على طاعاته واجتناب معاصيه ، والنذارة اعلام موضع المخافة ليتقى ، ونذير بمعنى منذر كأليم بمعنى مؤلم . والبشارة اعلام با يظهر في بشرة الوجه به المسرة وبشير بمعنى مبشر . وقوله « وابشروا بالجنة » معناه واستبشروا .

## قوله تعالى :

وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعِمْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما قبلها وتقديره ثم فصلت من لدن حكيم خبير بان لا تعبدوا إلا الله وبأن استغفروا ربكم بمعنى سلوا الله المغفرة ثم توبوا اليه ، وانما ذكرت التوبة بعد الاستغفار ، لان المعنى اطلبوا المغفرة بأن تجملوها غرضكم ثم توصلوا إلى مطلوبكم بالتوبة ، فالمغفرة أول في الطلب وآخر في السبب . وقيل ان المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه في المصنأ نف متى وقعت منكم المعصية ، ذكره الحلياني .

وقوله « يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى » يعني انكم متى استغفرتنوه وتبتم اليه متمكم متاعاً حسناً في الدنيا بالنعم السابقة والملاذ المختلفة الى الوقت الذي قدر لكم أجل الموت فيه .

وقوله « ويؤت كل ذي فضل فضله » يحتمل امرين :

احدهما - أن يعطي كل ذي عمل على قدر عمله في الآخرة دون الدنيا ، لانها ليست دار الجزاء .

الثاني - الترغيب في عمل الخير لانه على مقداره يجازي صاحبه .

وقوله « فان تولوا فاني اخاف عليكم » يحتمل امرين :

احدهما - فان تولوا ، إلا انه حذف للتضعيف ولذلك شدد ابن كثير في رواية الرازي عنه .

والآخر - ان يكون بمعنى فقل « انى اخاف عليكم . عذاب يوم كبير » يعني



عذاب يوم القيامة ووصف ذلك اليوم بالكبير لعظم ما يكون فيه من الالهوال والمجازاة لكل انسان على قدر عمله .

### قوله تعالى :

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) آية

بلا خلاف

قيل في معنى قوله « الى الله مرجعكم » قولان : احدهما - اليه مصيركم باعادته اياكم للجزاء . الثاني - الى الله مرجعكم باعادته الى مثل الابتداء من انه لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً سواه تعالى ، والمرجع المصير الى مثل الحال الاولى .

وقوله « وهو على كل شيء قدير » اخبار منه تعالى انه يقدر على كل شيء إلا ما اخرجه الدليل بما يستحيل ان يكون قادراً عليه او من مقدرات غيره وما يقضى وقته من الاجناس التي لا يصح عليها البقاء .

### قوله تعالى :

﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ  
ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٥)

آية بلا خلاف .

روي عن ابن عباس انه قرأ « إلا أنهم يتنون صدورهم » على وزن ( يجلون ) واراد المبالغة ومعنى ( ألا ) التنبيه ، وما بعده مبتدأ .

اخبر الله تعالى ان الكفار يتنون صدورهم . وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدهما - قال الفراء والزجاج يتنونها على عداوة النبي ( ص ) .

وقال الحسن يثنونها على ما هم عليه من الكفر .

وقال ابو علي الجبائي يثني الكافر صدره على سبيل الانحناء ، في خطابه لكافر .  
مثله ممن يختصه لثلا يعرف الله ما اضره .

وقال ابو عبد الله بن شداد ولي ظهره إذا رأى النبي (ص) وغطى وجهه بالثوب  
واصل الثني العطف تقول ثنيه عن كذا أي غطيه ومنه الاثنان لعطف احدها  
على الآخر في المعنى ، ومنه اثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لانه عطف  
عليه بالاخراج منه .

وقوله « ليستخفوا منه » فالاستخفاء طلب خفاء النفس تقول : استخفى استخفاء  
ونحى تخفياً ، ونظيره استغشى وتغشى قالت الخنساء :

ارعى النجوم وما كلفت رعيتهما وتارة انغشى فضل اطماري (١)

والهاء منه يحتمل ان تكون عائدة الى اسم الله - في قول الحسن ومجاهد  
والجبائي - جهلانهم بأن الله لا يخفى عليه خافية .

الثاني - قال ابو عبد الله بن شداد : هي عائدة على النبي (ص) .

وقوله « ألحين يستغشون ثيابهم » معناه أنهم كانوا يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون  
ما كانوا يدبرونه على النبي وعلى المؤمنين ويكتمونه عن الناس ، فبين الله تعالى أنهم وقت  
ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم عالم بما يسرون وما يعلنون ، لا انه يتجدد له  
العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأول ومعنى « ما يسرون وما  
يعلنون » أي ما يخفونه في أنفسهم وما يعلنونه أي يظهرونه « انه عليهم بذات  
الصدور » ومعناه عالم بأسرار ذات الصدور .

(١) ديوانها : ١٠٩ واللسان (رعى) ، واما البلاغة ١ : ٢٣٨ والصحاح ،  
والتاج (رعى) . الاطمار اثنيات الرثة ، لانها كانت لا تلبس الثياب الجديدة حدادا على  
أخيها (صخر) وكانت لاتنام الليل بل تبقى ساهرة ترقب النجوم حتى تغيب .

## قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا  
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه ليس في الارض دابة إلا والله تعالى متكفل برزقها . والدابة  
الحية الذي من شأنه أن يدب يقال دب يدب ديباً وأدبه ادباباً ، غير انه صار بالعرف  
عبارة عن الخيل والبراذين دون غيرها من الحيوان .

وقوله « ويعلم مستقرها ومستودعها » فالمستقر الموضع الذي يقرب فيه الشيء وهو قراره  
ومكانه الذي يأوي اليه والمستودع المعنى المجمول في القرار كالولد في البطن والنطفة التي في  
الظهر ، وقيل : مستودعها مدونها بمدموها . وقيل مستقرها في اصلاص الآباء ومستودعها  
في ارحام الامهات . وقيل مستقرها ما تستقر عليه ، ومستودعها ما تصير اليه .

وقوله « كل في كتاب مبين » خبر من الله تعالى أن جميع ذلك مكتوب في  
كتاب ظاهر يعنى اللوح المحفوظ وانما اثبت تعالى ذلك مع انه عالم انه لا يعرف عنه شيء  
لما فيه من اللطف للملائكة او يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك .

## قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ  
عَرُّهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَا تَنْفَكُوا عَنْهَا  
مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
مُبِينٌ ﴾ (٧) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه خلق السماوات والارض وأنشأهما في ستة ايام ، وانما خلقها في  
هذا المقدار من الزمان مع قدرته ان يخلقها في اقل من لمح البصر ليبين بذلك ان

الأمور جارية في التدبير على منهاج ، ولما علم في ذلك من مصالح الخلق من جهة اقتضاها ان ينشأها على ترتيب يدل على انها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الافعال المحكمة .  
وقوله « وكان عرشه على الماء ليلوكم » معناه انه خلق الخلق ودبر الامر ليظهر احسان المحسن ، لانه الفرض الذي يجري بالفعل اليه

وفي وقوف العرش على الماء ، والماء على غير قرار اعظم للاعتبار لمن امعن النظر واستعمل الفكر والمراد بقوله « في ستة ايام » ما مقداره مقدار ستة ايام ، لانه لم يكن هناك ايام تعد ، لان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها .

وقوله « ليلوكم » معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر مظهرة في العمل كالملا يتوهم انه يجازى العباد بحسب ما في المعلوم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه .

وقوله « احسن عملا » فيه دلالة على انه يكون فعل حسن احسن من فعل حسن آخر لان لفظة افعل حقيقتها ذلك . ولا يجوز ترك ذلك الا لدليل ، وليس ههنا ما يوجب الانصراف عنه .

وقوله « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » اعلام من الله تعالى لنبيه انه لو قال هؤلاء الكفار ان الله يبعثكم بعد موتكم ويجازيكم على اعمالكم لقانوا ليس هذا القول الا سحر ظاهر .

ومن قرأ ( ساحر ) اراد ليس هذا يعنون النبي ( ص ) الا ساحر مبين .

وقال الجبائي في الآية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والارض الملائكة قال ، لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكاف بمكافه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكاف . والاقوى ان يقال انه لا يمتنع ان يتقدم خلق الله لذلك اذا كان في الاخبار بتقدمه مصلحة للمكافين ، وهو الذي اختاره الرماني وكان علي بن الحسين الموسوي المعروف بالمرتضى ( ره ) ينصره .

وظاهر الآية يقتضي ان العرش الذي تعبد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل

السموات والارض ، وهو قول جميع المفسرين : كابن عباس ومجاهد وقتادة والبخاري والجبائي والرماني والفراء والزجاج وغيرهم .  
وقال ابن عباس : كان العرش على الماء ، والماء على الهواء ، وقال الجبائي ثم نقل الله العرش الى فوق السموات .

### قوله تعالى :

﴿ وَ لَئِنَّا أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ الْيَوْمَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

اللام في قوله « ولئن أخرنا » لام القسم ، ولا يجوز ان تكون لام الابتداء ، لأنها دخلت على ( ان ) التي للجزاء ، ولام الابتداء إنما هي للاسم او ماضارع الاسم في باب ( ان ) وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم ، لانه اذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تأخر او توسط النهي .

ومعنى قوله « أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة » اخر الى حين امة معدودة كما قال « وادكر بعد امة » (١) اي بعد حين . وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والزجاج والفراء وغيرهم .

وقال الجبائي معناه الى أمم بعد هؤلاء يكلفهم فيمصونه فتقتضي الحكمة اهلاكم واقامة القيامة .

وقال الرماني معناه الى جماعة معدودة بانه ليس فيها من يؤمن ، فاذا صاروا الى هذه الصفة اهلكوا بالعذاب ، كما اهلك قوم نوح في الدنيا . وأهلكوا بعذاب الآخرة

(١) سورة يوسف آية ٤٥

لكونهم على هذه الصفة .

وقوله « ليقولن ما يحبسهم » فالحبس المنع بالحصر في خباء . ويقال حبس الماء اذا منع من النفوذ . وحبس السلطان الرزق اذا منعه . وحبس عنهم العذاب اذا منع من اتيانهم الى الاجل المعلوم . والتقدير ما الذي يمنع من تمجيل هذا العذاب الذي نتوعده به ؟ فقال الله تعالى « ألا يوم ياتيهم ليس مصروفاً عنهم » ومعناه ان هذا العذاب الذي يستبطنونه اذا نزل بهم في الوقت المعلوم لا يتقدر على صرفه احد عنهم ولا يتمكنون من اذها به عنهم اذا اراد الله ان تأتيهم به .

وقوله « وحق بهم ما كانوا به يستهزئون » معناه انه نزل بهم الذي كانوا يسخرون منه من نزول العذاب ويخفوه .

### قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن آذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفٌ كَافِرٌ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

أقسم الله تعالى في هذه الآية انه لو احل تعالى بالانسان رحمة من عنده يعني ما يفعله الله تعالى بهم في الدنيا من الارزاق ، فانه يعم بها خلقه كافرهم ومؤمنهم . ثم نزعها منه وسلبها وسمى احلال اللذات بهم اذافة تشبيهاً ومجازاً ، لان النوق في الحقيقة تناول الشيء بالفم لادراك الطعم ، والانسان حيوان على الصورة الانسانية ، لأن الصورة الانسانية بانفرادها قد تكون للتمثال ولا يكون انساناً فاذا اجتمعت الحيوانية والصورة لشيء فهو انسان . قال الرماني وكما لاحياة فيه فليس بانسان ، كالشعر والظفر وغيرها .

والنزع رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكاً له ، والنزع والقلع والكشط نظائر

والبأس القطع بأن الشيء لا يكون وهو ضد الرجاء ، ويؤوس كثير اليأس من رحمة الله وهذه صفة ذم ، لأنه لا يكون كذلك الا للجهل بسعة رحمة الله التي تقتضي قوة الأمل وفائدة الآية الاخبار عن سوء خلق الانعام وقنوطه من الرحمة عند نزول الشدة وانه اذا انعم عليه بنعمة لم يشكر عليها واذا سبها منه يئس من رحمة الله وكفر نعمه وهو مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ  
السَّيِّئَاتُ عَنِّي لَأَنَّهُ لَفَرِحَ نَخُورٌ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف .

وأقسم تعالى في هذه الآية أنه لو أحل بالانسان « نعماء بعد ضراء مسته » لان الهاء كناية عن الانسان الذي مضى ذكره ، والنمء انعام يظهر أثره على صاحبه . والضراء مضرة تظهر الحال بها ، لأنها أخرجت من احوال الظاهرة ، كحمراء وعوراء مع ما فيها من المبالغة . ومعنى « مسته » نالته .

وقوله « ليقولن ذهب السيئات عني » أي يقول عند نزول النعماء به بعد أن كان في ضدها من الضراء ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه او عقله ، وهو ههنا بمعنى المرض والفقر ، ونحو ذلك .

وقوله « انه لفرح نخور » اخبار منه تعالى أن الانسان فرح نخور . والفرح انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم ، ومثله السرور والمرح . والفرح لذة في القلب أعظم من ملاذ الحواس . والفخور المتطاول بتعديده المناقب ، ونخور كثير الفخر وهي صفة ذم إذا اطلقت لما فيه من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه . وقيل للعالم أن يفخر على الجاهل بالعلم لتعظيم العلم وتحقير الجهل ولذلك تفخر النبي على الكفار .





وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه (ص) يحثه على اداء جميع ما بعثه به و اوحى اليه وينهاه عن كتمانها ويشجعه على الاداء ويقول له لا يكون لعظم ما يرد على قلبك ويضيق به صدرك من غيظهم يوهمون عليك اهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه من امر ربك ، وانك تترك بعض الوحي ويضيق به صدرك مخافة ان يقولوا او لثلا يقولوا « لو لا انزل عليه كنز » اي هلا انزل عليه كنز فينفق منه « اوجاه معه ملك » يعينه على امره بل « انما انت نذير » اي منذر مخوف من معاصي الله وعقابه « والله على كل شيء وكيل » اي حافظ يكتب عليهم افعالهم واقوالهم ومجازيهم عليها فلا تفعل اقوالهم ولا افعالهم ولا يضيق بذلك صدرك فان وبال ذلك عاند عليهم .

وضائق وضيق واحمد الا ان ( ضائق ) ههنا احسن لمشاكلته لقوله تارك ، والضيق قصور الشيء عن مقدار غيره ان يكون فيه ، فاذا ضاق صدر الانسان قصر عن معان يحتملها الواسع الصدر ، والصدر مسكن القلب ويشبهه به رفيع المجالس ورئيس القوم لشرفه على غيره ، والكنز المال المدفون لعاقبته وصار في الشرع اسم ذم في كل مال لا يخرج منه حق الله من الزكاة وغيره ، وان لم يكن مدفونا .

قوله تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ  
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) آية  
بلا خلاف .

هذه الآية صريحة بالتحدي وفيها قطع لاعتلال المشركين وبغيهم ، لانهم لما عجزوا عن معارضة القرآن قالوا ان ما فيه من الاخبار كذب اختلقه واخترعه او قرأ

الكتب السالفة ، فقال الله تعالى لهم افتروا انتم مثله وادحضوا حجته فذلك ايسر واهون مما تكلفتموه ، فمجزوا عن ذلك وصاروا الى الحرب وبذل النفس والمال وقتل الاباء الابناء . ولو قدروا على اطفاء امره بالمعارضة لعلوه مع هذا التقريع العظيم . وفيه دلالة على جهة اعجاز القران وانها الفصاحة في هذا النظم المخصوص ، لأنه لو كان غيره لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق .

وقوله « فأتوا » وان كان لفظه لفظ الامر فلراد به التهديد والتحدي . والمثل المذكور في الآية ما كان مثله في البلاغة والنظم او ما يقاربه ، لان البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز وادناها واسطها ممكن ، فالتحدي وقع بما هو في اعلا طبقة في البلاغة ، ولا يجوز ان يكون المراد بالمثل إلا الجنسية لان مثله في العين يكون حكايته وذلك لا يقع به تحدي . وانما يرجع الى ما هو متعارف بينهم في تحدي بعضهم بعضاً كمنافضات امرى القيس وعلقمه وعمر بن كلثوم والحارث بن جليزة وجريرو والفرزدق وغيرهم . ومعنى ( ام ) تقرير بصورة الاستفهام ، وتقديره بل « يقولون افتراه » وقال بعضهم ان الاستفهام محذوف ، كأنه قال أي كذبونك أم يقولون افتراه . وهذا ليس بصحيح لان ( ام ) ههنا منقطة ليست معادلة . وانما يجوز حذف الاستفهام في الضرورة .

وقوله « ادعوا من استطعتم من دون الله » اي ادعوا الى معاوتكم على المعارضة . وهذا غاية ما يمكن من التحدي والمحاجة .

وقوله « بعشر سور مثله » اي مثل سورة منه كل سورة منها . ومعنى « مفتريات » اي مختلفات يقال افتري واختلق واختق ، وخلق وخرق وخرص واخترص اذا كذب .

## قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٤) آية بلا خلاف

قيل في المعنى بقوله « فأن لم يستجيبوا لكم ، قولان :

احدهما - ان المراد به المؤمنون ، والتقدير فأن لم يطلبوا اجابتك يا محمد والمؤمنين ، ولا يأتون بمشر سور معارضة لهذا القرآن ، فليعلم المؤمنون إنما انزل بعلم الله بهذا الدليل ، وهو قول مجاهد والجبائي .

والاخر - ان يكون المراد به المشركين ، فالتقدير فأن لم يستجب لكم من تدعوهم الى المماونة ولا يهيباً لكم المماوضة ، فقد قامت عليكم الحججة .  
والاستجابة في الآية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها ، يقال : استجاب واجاب بمعنى واحد . والفرق بين الاجابة والطاعة ان الطاعة موافقة للارادة الجاذبة الى الفعل برغبة أو رهبة ، والاجابة موافقة الداعي الى الفعل من اجل انه دعا به .

وقوله « انزل بعلم الله » يحتمل امرين :

احدهما - بعلم الله انه حق من عنده اي عالم به .

والآخر - بعلم الله بمواقع تأليفه في علو طبقتة .

وقوله « وان لا إله إلا هو » اي فاعلموا ان لا إله إلا هو ، وقوله « فهل

انتم مسلمون » معناه هل انتم بمدقيام الحججة عليكم بما ذكرناه من كلام الله وانه انزله

على نبيه تصديقاً له فيما اداه اليكم عن الله مسلمون له موقنون به ؟ لان كل من سلم له

الأمر فقد استسلم له . قال مجاهد وهذا خطاب لاصحاب النبي ( ص ) من المسلمين .

## قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ ۗ

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) آية بلاخلاف .

شرط الله تعالى بهذه الآية ان « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ، وحسن بهجتها ، ولا يريد الآخرة ، فان الله تعالى يوفيه جزاء عمله فيها يعني في الدنيا ، ولا يبخسه شيئاً منه .

والزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة او حليمة او هيئة ، يقال : زانه يزينه وزينه تزيناً ، والتوفية تأدية الحق على تمام ، والبخس نقصان الحق يقال بخسه بخساً اذا ظلمه بنقصان الحق . وفي المثل ( يبخمها حمقاء ) وهي باخس .

وقيل في العمل الذي يوفون حقهم من غير بخس قولان :

احدهما - قال الضحاك ومجاهد هو ان يصل الكافر رحمه او يعطي سائلاً سألته او يرحم مضطراً او غير ذلك من افعال الخير ، فان الله تعالى يجعل له جزاء عمله في الدنيا بتوسيع الرزق ، واقرار العين فيما خول ، ودفع مكاره الدنيا .

الثاني - الغزو مع النبي ( ص ) للغنيمة دون ثوب الآخرة ، امر الله نبيه ان يوفيهم قسمهم وهذا من صفة المنافقين ، ذكره الجبائي .

وانما جاز ان يقول « من كان يريد الحياة الدنيا نواف اليهم » ولم يجوز ان تقول : من جاني اكرمه ، لأن الاجود في الشرط والجزاء ان يكونا مستقبلين او يكونا ماضيين بنية الاستقبال ، فان كان احدهما ماضياً ، والاخر مستقبلاً كان جائزاً على ضعف كما قال زهير :

ومن هاب اسباب المنايا تنلذه . ولو رام احباب السماء بسلم (١)

(١) اللسان ( سبب ) وروايتة ( المنية يلقيها ) بدل ( المنايا تنلذه )

قلنا عنه جوابان :

احدهما - قال الفراء : ان المعنى من يرد الحياة الدنيا و ( كان ) زائدة .  
الثاني - ان المعنى ان يصح انه كان ، كقوله « ان كان قبيصه قد من دبر  
فكذبت » (١) ولا يجوز مثل هذا في غير كان ، لانها ام الافعال .

قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ

مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

قوله « اولئك » كناية عن الذين ذكروا في الآية الاولى ، وهم الذين يربدون  
الحياة الدنيا وزينتها ، دون ثواب الآخرة . فآخبر الله انه ليس لهم في الآخرة  
مستقر الا النار ، وان اعمالهم كلها محبطة لا يستحقون عليها ثواباً لانهم اوقعوها  
على غير الوجه المأمور به ، وعلى حد لا تكون طاعة ، وان جميع ما فعلوه في الدنيا  
باطل لا ثواب عليه .

وقد بينا فساد القول بالاحباط (٢) على ما يذهب اليه المعزلة واصحاب الوعيد ،  
سواء قالوا الاحباط بين الطاعة والمعصية او بين المستحق عليها ، فملا معنى للتطويل  
بذكره ههنا .

وقوله « وباطل ما كانوا يعملون » بمد قوله « حبط ما صنعوا فيها » يحقق ما  
نقله : ان نفس الاعمال تبطل بان توقع على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب

قوله تعالى :

﴿ آمَنَ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ

(١) سورة يوسف آية ٢٧ (٢) انظر ٢٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥

قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في صرته منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿ (١٧) آية بلاخلاف.

الالف في قوله «أثمن كان» الفاستفهام، والمراد به التقرير، والتقدير هل الذي كان على بيئته - يعني برهان وحجة من الله - والمراد بالبيئته ههنا القرآن، والمعنى بقوله «أثمن كان على بيئته» النبي (ص) وكل من اهتدى به واتبعه .  
وقوله «ويتلوه شاهد منه» قيل في معناه أقوال :

أحدها - شاهد من الله هو محمد (ص) ، وروي ذلك عن الحسين بن علي (ع) وذهب إليه ابن زيد واختاره الجبائي .

الثاني - قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم والفراء والزجاج : جبرائيل يتلوا القرآن على النبي (ص) .

الثالث - شاهد منه لسانه ، روي ذلك عن محمد بن علي أعني ابن الحنفية ، وهو قول الحسن وقتادة .

الرابع - روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) أنه علي بن أبي طالب ورواه الرماني ، وذكره الطبري بإسناده عن جابر بن عبد الله عن علي (ع) .  
وذكر الفراء وجهاً خامساً - قال ويتلوه يعني القرآن يتلوه شاهد هو الانجيل ، ومن قبله كتاب موسى يعني التوراة . والمعنى ويتلوه في الحجّة والبيئته .

وقوله «ومن قبله كتاب موسى» الهاء في «قبله» عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدم من الكلام ، والمعنى انه يشهد به بالبشارة التي فيه .

وقوله «إماماً ورحمة» العامل فيه إحدى امرين :

أحدهما - الظرف في قوله ومن قبله .

الثاني - وشاهد من قبله كتاب موسى اماماً ورحمة وخبر ( من ) في قوله « افمن كان على بينة من ربه » محذوف والتقدير افمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرت كمن لا بينة معه قال الشاعر :

واقسم لو شيء انا نارسوله سواك  
ولكن لم نجد عنك مدفعا  
وانشد القراء :

فا ادري اذا يمت وجهاً  
اريد الخير ايها يليني  
الخير الذي انا ابتغيه  
ام الشر الذي لا يا تليني (١)

قال ايها، وانما ذكر الخير وحده ، لان المعنى مفهوم ، لان المبتغي للخير متق للشر . وقال قوم خبره قوله « من كان يريد الحياة الدنيا » وقد تقدمه ، واستغني به . وقوله « اولئك يؤمنون به » كناية عن كان على بينة من ربه انهم يصدقون بالقرآن ويعترفون بأنه حق .

وقوله « ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده » معناه ان كل من يجحده ولا يعترف به من الاحزاب الذين اجتمعوا على عداوته . وقال القراء يقال كل كافر حزب النار « والنار موعده » يعني مستقره وموعده « فلانك » يا محمد ( ص ) في شك من ذلك ، فالخطاب متوجه إلى النبي ( ص ) والمراد به جميع المكلفين .

وقوله « انه الحق من ربك » اخبار منه تعالى بأن هذا الخبر الذي ذكره حق من عند الله ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحته وصدقه لجهلهم بالله وجحدهم بذبوة بذيه ( ص ) .

وروي ان الحسن قرأ ( في مربة ) بضم الميم ، وهي لغة اسد ونميم ، واهل الحجاز يكسرون الميم وعليه القراء .

(١) مر هذا الشعر في ٢ : ١١٣

### قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ اتَّكَى بِعُرْضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُوا لَآ شَهَادَةُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لعنةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ آية بلا خلاف .

قال الحسن معنى قوله « ومن اظلم ممن افتري على الله كذباً » لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام مبالغة في انه اظلم لنفسه من كل ظالم ، وانما كان المفتري على الله كذباً اظلم من كل ظالم ، لانه يجحد نعم الله ولا يشكرها .

وقوله « اولئك يعرضون على ربهم » اخبار منه تعالى ان من هذه صفته يعرض على الله يوم القيامة . والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان ، وعرض الجند على السلطان ، ومعنى العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يرى العباد ، وقد جمعه الله تعالى للمطالبة بالاعمال ، فهو بمنزلة العرض في الحقيقة ، لأنهم لا يخفون عليه في حال من الاحوال بل هو تعالى يراهم حيث كانوا وقوله « ويقولوا لاشهاد » يعنى الملائكة ، والانبياء ، والاعلام يشهدون بما كان منهم من الكذب عليه تعالى . وقيل هو جمع شاهد مثل صاحب واصحاب ، وقيل جمع شهيد كشريف واشراف .

وقوله « الالعة الله على الظالمين » تنبيه من الله تعالى لخلقهم بأن لعنته على الظالمين الذين ظلموا وانفسهم بادخال الضرر عليها وعلى غيرهم بادخال الآلام عليهم ، ولعنة الله ابعاده من رحمته .

### قوله تعالى :

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ



## هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ آية بلا خلاف

وصف الله تعالى الظالمين الذين جعل لعنة الله عليهم بأنهم يصدون عن سبيل الله بمعنى أنهم يغرّون الخلق ويصرفونهم عن المصير اليه واتباعه بغير الحق ، ويجوز أن يكون صده عن الفساد بدعائه إلى تركه ، والصد عن الحق سبب الامتناع منه إذا صادف منه ما يهواه فيفعله من أجل ذلك الداعي ، وإنما جاز تمكين الصاد من الفساد لأنه مكلف للامتناع . وليس في منعه لطف بأن يصرّف عن الفساد إلى الصلاح ، فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف ، قال أبو علي ولو لم يكن اغواء الشيطان اضلالاً لعمل من قبل نفسه ذلك أو شرّاً منه .

وقوله « يبغونها عوجاً » معناه أنهم يطلبون لسبيل الله عدولاً عنه . والعوج العدول عن طريق الصواب ، وهو في الدين عوج بالكسر وفي العود عوج بالفتح ، فرقوا بين ما يرى وبين ما لا يرى ، فجعلوا السهل لسهل والصعب للصعب بالفتح والكسر والبغية طلبه أمر من الأمور تقول بغاه يبغيه بغية مثل طلبه يطلبه طلبية .

وقوله « وهم بالآخرة هم كافرون » اخبار منه تعالى أن هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله كافرون بالآخرة وبالبعث والنشور والثواب والعقاب أي جاحدون غير مقربين .

وقوله « وهم بالآخرة هم كافرون » كرر (هم) مرتين كما قال « يعدكم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون » (١) كرر (انكم) مرتين ووجه ذلك انه لما طال الكلام وفارق فعله كرره مرة اخرى .

### قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ  
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين  
يصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً بأنهم غير « معجزين في الأرض » أي لم يكونوا  
فائزين فيها هرباً من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو، وقد جد في  
طلبه والاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه ايقاعه وأنهم لم يكن لهم ولي يستطيع  
الدفاع عنهم من دون الله . والولي الخصيص بأن يلي بالمعاونة لدفع الاذية ، ومنه قولهم  
يولاك الله بحفظه ، فلا ولي لهؤلاء يعاونهم ويدفع العقوبة عنهم ، لان الله تعالى قد  
أبأسهم من ذلك .

وقوله « يضاعف لهم العذاب » قيل في معناه قولان :

احدهما - بحسب تضاعف الاجرام .

والاخر - كلما سر ضعف جاء ضعف ، وكله على قدر الاستحقاق .

وقوله « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » معناه انه كان يتثقل  
عليهم سماع الحق ورؤيته ، كما يقال : فلان لا يستطيع النظر الى فلان ، وحقبة  
الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ، ولذلك لا يقال في الله أنه يستطيع .  
وليس المراد بنفي الاستطاعة في الآية نفي القدرة بل ما ذكرناه ، لأنه لو لم يكن فيهم  
قدرة لما حسن تكليفهم .

وقد ذكر الفراء فيه وجهاً مليحاً ، فقال : المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا  
يستطيعون السمع ولا يعقلون ، وحذف الباء كما قال « اليم بما كانوا يكذبون » (١)  
أي بتكذيبهم وسقوط الباء جائز ، كما قال « احسن ما كانوا يعملون » (٢) ويقول

(١) سورة البقرة آية ١٠ . (٢) سورة التوبة آية ١٢٢

القائل لأجزيتك ما عملت ، وبما عملت . واختار ذلك البلخي .  
والسمع ادراك الصوت بما به يكون مسموعاً . والابصار ادراك الشيء بما به  
يكون مبصراً .

### قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

ثم اخبر عنهم بخبر آخر وهو أنهم « الذين خسروا انفسهم » من حيث انهم فعلوا  
ما يستحقون به العذاب وهلكوا بذلك في خسران انفسهم ، وخسران النفس أعظم  
الخسران ، لانه ليس عنها عوض ، وعن هلاك رأس المال عوض ، فسلامة النفس اجل  
فائدة ، وما كان بعده من نفع فهو ربح .

وقوله « وصل عنهم ما كانوا يفترون » قيل في معناه قولان :

احدهما - ذهب عنهم الانتفاع بالافتراء كما كانوا في الدنيا .

والثاني - ذهب عنهم الاوتان التي كانوا يؤملون بها الانتفاع - في قول

الحسن .

« اولئك » اشارة الى البعيد ، (وهؤلاء) اشارة الى القريب واولاء مبني على  
الكسر ، لانه اسم للجمع بمنزلة الواحد . والكاف في ( اولئك ) حرف يدل على ان الكلام  
الذي معه مخاطباً به .

ووجه اتصال ( ما ) في الاية ان ( اولئك ) اشارة الى من تقدم ذكره  
و ( الذين ) صفة لهم وهو موصول و ( خسروا ) صلته و ( انفسهم ) معمول الصلة  
و ( ضل ) معطوف على الصلة و ( كانوا ) صلة فاعل معطوف الصلة و ( يفترون )  
خير صلة فاعل معطوف الصلة ، وهو تمام ( الاسم ) .

## قوله تعالى :

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٢) آية

بلا خلاف .

معنى (لاجرم) قال الزجاج معنى (لا) نفي لما ظنوه أنه يفهم كأن المعنى لا يفهم ذلك . ثم ابتداء (جرم) أنهم أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران .  
وقال غيره : معناه لا بد أنهم ، ولا محالة أنهم . وقيل معناه حقاً أنهم .  
واصل (الجرم) المقطع فكأنه قال لا قطع من أنهم في الآخرة هم الخاسرون  
و (جرم) في قوله (لاجرم) فعل ، وتقديره لا قطع قاطم عن ذا إلا أنهم كثر في كلامهم  
حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر :

ولقد طمنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بمردها ان يغضبوا (١)

أي قطعتمهم إلى الغضب ، فرواية الفراء نصب فزارة ، والمعنى كسبهم ان يغضبوا ،  
و خسران النفس بتعاطم ، لان خسران النفس بعذاب دائم اعظم من خسرانها بعذاب  
منقطع ،

و (هم) في قوله «هم الخاسرون» يحتمل وجهين :

أحدهما - ان يكون فصلاً والأخسرون خبر (ان) و (هم) اذا كانت فصلاً لم  
تقع في النكرة . وقولهم : ما كانوا في الدرامم القائمون ، فلا يكون إلا اسماً فان جعلها  
فصلاً قلت كانوا في الدرامم القائمون .

## قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبْتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الكفار ووصف ما أعد لهم من العذاب وخسران النفس ،  
أخبر - هنا - ان الذين يؤمنون بالله وبعقوبته وهدايتته ويصدقون رسله ، وعملوا  
الاعمال الصالحة التي امرهم الله بها ورغبهم فيها « واخبتوا الى ربهم » اي خشعوا اليه  
والاخبات الخشوع المستمر على استواء فيه ، واصله الاستواء من الخبت ، وهو الارض  
المستوية الواسعة .

وقيل : ان الاخبات الانابة - ذكره ابن عباس - وقال مجاهد : هو الاطئنان الى  
ذكر الله . وقال قتادة : هو الخشوع اليه والخضوع له .

وقال الحسن : هو الخشوع للمخافة الثابتة في القلب .

وقال الجبائي : الاخبات سكون الجوارح على وجه الخضوع لله تعالى .

وليس كل عمل صالح يستحق عليه حمد او مدح ، لانه مثل الحسن في انه  
يفتسم قسمين : احدهما - يستحق عليه الحمد . والاخر - لا يستحق عليه ، كالمباح فكذلك  
الصالحات . والمراد بالصالحات - هنا - الطاعة ، لانه وعد عليها الجزاء وفي قوله « ان  
الحسنات يذهب السيئات » (١) .

وقوله « واخبتوا الى ربهم » قال قوم معناه اختبوا اليهم ، فوضع (الى) مكان  
اللام ، لان حروف الاضافة توضع بعضها مكان بعض ، كما قال « اوحى لها » (٢)  
بمعنى اوحى اليها . والآخر ان معناه عمدوا باخباتهم الى الله .

وقوله « اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » اشارة الى المؤمنين الذين وصفهم  
بأنهم يعملون الصالحات ويخبتون الى ربهم ، فأخبر عنهم انهم اصحاب الجنة اللازمون  
لها وانهم فيها مخلدون دائمون .

## قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

المثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الاول ، والامثال لا تغير عن صورتها كقولك للرجل ( اطرى انك ناعلة ) وكذلك يقال للكافر هو اعمى اصم اي هو بمنزلة الذين قيل لهم هذا القول ، ويجري هذا في كل كافر يأتي من بعد ، و ( الواو ) في قوله « كالاعمى والاصم » قيل في دخولها قولان :

احدهما - العموم في التشبيه اي حال الكافر كحال الاعمى وكحال الاصم وكحال من جمع العمى والصمم .

الثاني - ان المعنى واحد ، وانما دخلت الواو لاتصال الصفة الاولى بعلامة . وانما قال : هل يستويان ، لانه اراد الفريقين : الموصوف احدهما بالصمم والعمى ، والآخر بالبصر والسمع . وفائدة الآية تشبيه المؤمن والكافر في تباعد ما بينهما فشبها بالاعمى والبصير والاصم والسميع ، فالكافر كالاعمى والاصم في انه لا يبصر طريق الرشدا ولا يسمع الحق وانه مع ذلك على صفة النقص .

والصمم عبارة عن فساد آلة السمع ولو كان معنى يضاد السمع لتعاقبا على الحي ، والاصم بخلافه ، لانه قد يفتني حال الصمم ولا يكون سامعاً ، وكذلك العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الابصار ، لان الصحيح ان الادراك ايضاً ليس بمعنى ، ونو كان معنى لما وجب ان يكون العمى ضده ، لانه لو كان ضده لتعاقبه على حال الحي وكان يجوز ان يحضر المرئي من الاجسام الكثيفة من غير سائر فلا يرى مع حصول شروط الادراك لاجل وجود الضد ، وكذلك الصمم لا يلاضدله لانه ليس هناك حال يعاقبه على حال مخصوصة كما عاقبة العجز القدرة على حال الحياة .

وقوله « هل يستويان مثلاً » وان كان بصورة الاستفهام فهو لضرب من التوبيخ والتقريع .

وقوله « افلا تتفكرون » معناه افلا يتفكرون في ذلك فيعلموا صحة ما ذكرنا

### قوله تعالى:

﴿ وَآتَيْنَا نُوحًا مِنْ قَوْمِهِ إِتْيَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تُعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلَمِ ﴾ (٢٦) آيتان بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمة (إني) بكسر الهمزة . الباقرن بفتحها . قال ابو علي النخوي من فتحها حملاً على (أرسلنا) اي ارسلناه بأني لكم ، ولم يقل انه لانه انتقل عن الغيبة الى الخطاب ، ومثله كثير قال الله تعالى « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة » ثم قال بعده « نخذها بقوة » (١) فكذلك الآية . ومن كسر يضم القول قبلها كأنه قال أرسلنا نوحاً الى قومه فقال اني لكم نذير ومثله كثير قال الله تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » (٢) اي يقولون سلام عليكم ، وقوله تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زانين » (٣) اي قالوا ما نعبدهم ويكون الكلام على ظاهره لم يرجع من الغيبة الى الخطاب ، وليس لأحد ان يرجع القراءة بالفتح من حيث ان ما بعده من قوله « أن لا تعبدوا إلا الله » محمول على الارسال فاذا فتحت كان أشكل بما بعده . حملها جميعاً على الارسال . وذلك أن من كسر حمل قوله « إني لكم » وما بعده على

(١) سورة الاعراف ١٤٤ (٢) سورة الرعد آية ٢٥ - ٢٦

(٣) سورة الزمر آية ٣

الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده ، كما أن قوله « ان الهدي هدى الله »  
اعتراض بينها في قوله « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدي هدى الله ان  
يؤتى احد مثل ما أوتيتم » (١) فكذلك قوله « إني لكم نذير مبين » لان التقدير ولقد  
أرسلنا نوحاً لا نذار أن لا تمبدوا الا الله اني انذركم لتوحيدوا الله وأن تتركوا  
عبادة غيره .

اقسم الله تعالى في هذه الآية أنه أرسل نوحاً وأمره أن يقول لهم اني مؤد  
عن الله ومخوفكم من عقابه وترك طاعته ، لأن اللام في قوله « لقد » لام القسم وهي  
تدخل على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل مما يصح معناه معه ، ولام الابتداء للاسم  
خاصة . ومعنى ( قد ) وقوع الشيء على وجه التقريب من الحال تقول : قد ركب الامير  
- لقوم يتوقعون ركوبه - .

وقوله « ان لا تعبدوا الا الله » يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب  
نصباً ، والمعنى ان لا تعبدوا الا الله ، ويجوز أن يكون موضعه جزماً على تقدير أي  
لا تعبدوا . ويحتمل أن يكون متعلقاً بقوله « أرسلنا » وتقديره أرسلنا بأن لا تعبدوا  
الا الله على ما بيننا من الاعتراض ، وحملها جميعاً على الارسال .

وقوله « اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » اي مؤلم عذابه وانما قال عذاب يوم  
اليم بالجر ومعناه مؤلم ، لأن الألم يقع في اليوم ، فكأنه سبب الألم . ولو نصبته على ان  
يكون صفة للعذاب كان جائزاً ، ولم يقرأ به احد ،

وانما بدى بالدعاء الى العبادة دون سائر الطاعات ، لأنها اهم ما يدعى اليه من  
خالف الحق فيه ولانه يجب ان يفعل كل واحدة من الطاعات على وجه الاخلاص  
والعبادة فيها لله . وانما قال « اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » مع ان عذاب الكافر  
معلوم ، كأنه يخاف ما لم يعلم ما يؤل اليه اسرهم من ايمان او كفر ، وهذا لطف في



الاستدعاء واقرب الى الاجابة في غالب امر الناس .

### قوله تعالى :

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا  
مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ وَمَا نَرَى  
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) آية بلاخلاف .

قرأ أبو عمرو « باديء الرأي » بالهمز في بادي . الباؤون بلاهمز .

قال أبو علي حدثنا محمد بن السدي ان اللحياني قال : يقال : انت بادي الرأي

تريد ظلمنا لا يهمز ( بادي ) وباديء الرأي مهموز .

فن لم يهمز اراد انت اول الرأي وبمبتدؤه وهما في القرآن . وقال أبو علي من  
قال ( بادي الرأي ) بلاهمز جعله من بدأ الشيء وهو ظهوره ، وما اتبعك الا اراد  
فيما ظهر لهم من الرأي اي لم يفعلوه بنظر فيه ولا بتبين له ، ومن همز اراد اتبعوك في  
اول الامر من غير فكر فيه ولاروية ، والقراءتان متقاربتان ، لان الهمز في اللام منها  
ابتداء الشيء واوله وابتداء الشيء يكون ظهوراً ، وان كان الشيء الظاهر قد يكون  
مبتدأً وغير مبتدأ ، فلذلك يستعمل كل واحد منها مكان الآخر يقولون . انا بادي  
بدا ، وباديء بدي ، فاني احمد الله .

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن جماعة الرؤساء من قوم نوح الذين كفروا  
وجحدوا نبوته انهم قالوا له « ما تراك الا بشراً مثلنا » والبشر مأخوذ من ظهور  
البشرة لان الغالب على الحيوان غير الانسان ان يلبس البشرة منه بالصوف او الشعر  
او الريش او الصدف ، والانسان مأخوذ من النسيان لانهم يصغرونه انيسيان ، ويجوز  
ان يكون من الانسان الا انهم زادوا الياء في التصغير . والمثل ما سد مسد غيره في  
الجنس بمعنى انه لو ظهر للمشاهد لسد مسده ، كما يسد الاسود مسد الاسود في الجنس

من غير فضل .

وقوله « ما تراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا » حكاية ايضاً عما قاله قوم نوح من أنه ما نرى من اتبعك الا انه رذل خسيس حقير من جماعتنا ، تقول : رذل ، وجمعه اراذل ، وجمع الجمع اراذل مثل كلب واكلب واكالب .

والعامل في ( الذين ) قوله « اتبعك » كأنه قال ما اتبعك الا الذين هم اراذلنا وتراك ملغى ، ذكره الفراء . قال ابو علي النحوي : هو نصب على الحال ، والعامل فيه ( اتبعك ) واخر الظرف واوقع بعد ( الا ) ولو كان غيره لم يجز لان الظرف اتسع فيه في مواضع .

ومعنى « بادي الرأي » اول الرأي ما نراه . والرأي والرؤية من قوله « يرونهم متلبهم رأي العين » (١) وهو نصب على المصدر كقولك ضربته اول الضرب . وقال الزجاج نصبه بـ ( اتبعوك اول الرأي ) من غير فكر كأنه قيل اتبعوك رأياً غير سديد ، ومن قرأ « بادي الرأي بلا همز اراد ظاهر الرأي قال الشاعر .

وقد علتني ذرارة بادي بدي      وريشة تنهض في تشددى (٢)  
وقال آخر .

اضحى لخالي شبيهي بادي بدي      وصار للفحل لساني ويدي (٣)

(١) سورة آل عمران آية ١٣ (٢) مجاز القرآن ١ : ١٨٨ واللسان والتاج ( بدي ، ذراً ) وتفسير الطبري ١٢ : ١٧ وسيبويه ٣ : ٥٤ ورواية اللسان ( بالتشدد ) بدل ( في تشدد ) وقد روى هذا الشعر مرارا وفي احدها رواه والذي بعده على انه شعر واحد (٣) اللسان ( بدا ) وقد جمع هذا الشعر مع الذي قبله - هنا - على انها شعر واحد ونسبه الى ابو نخله .

يقول الشاعر ظاهري في الشبه لخالي أى خرجت عن شرح الشباب الى حال الكهولة التي معها الرمي الصائب والحجا فصرت كالفحل في كلامي وبطشي .

وقوله « وما نرى لكم علينا من فضل ، تمام الحكاية عن كفار قوم نوح وانهم قالوا لنوح انا لا نرى لك ولا لمثالك علينا زيادة خير ، لان الفضل هو زيادة الخير ، وانما قالوا ذلك ، لانهم جهلوا في طريقة الاستدلال .  
وقوله « بل نظنكم كاذبين ، ايضاً تمام الحكاية عن كفار قومهم انهم قالوا له ولمن آمن معه هذا القول .

### قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِنَ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتُ عَلَيْكُمْ ۖ أَنْزَلْنَا مُكْرَاهًا لِّهَا كَارِهُونَ ﴾  
(٢٨) آية بلاخلاف .

قرأ حمزة والكسائي وحفص « فعميت » بضم العين وتشديد الميم . الباقر بن تخفيف الميم وفتح العين .

وقال ابو علي من قرأ « فعميت » بالتخفيف لقوله « فعميت عليهم الابناء يومئذ » (١) وهذه مثلها ويجوز في قوله (فعميت) امران :

احدهما - ان يكون عموا هم ، الا ترى ان الرحمة لا تعمى وانما يعمى عنها ، فيكون هذان المقلوب ، كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي وادخلت الخاتم في اصبعي ونحو ذلك مما يقرب اذا زال الاشكال . والآخر - ان يكون معنى عميت خفيت كقول الشاعر :

ومعه اطرافه في مهمه اعشى الهدى في الحائر من العمه (٢)

(١) سورة القصص آية ٦٦ (٢) قائله رؤبة بن العجاج ديوانه : ١٦٦

وتفسير الطبري ١ : ٣١٠ وقد مر في ١ : ٨١

اي خفي الهدى ألا ترى ان الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الآفة ، وقد قيل للمصحاب العمى خلفاءة ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن ذلك قول زهير :

ولكنني عن علم ما في غد عمى (١) .

ومن شدد اعتبار قراءة الاعمش فإنه قراها فعمها عليهم .

وروى ذلك الفراء عن أبي ، والمعنيان متقاربان . قال الفراء يقال عمى علي الخبر وعمي بمعنى واحد .

حكى الله تعالى عن قوم نوح ما قاله لقومه جواباً عما قالوه لهم مما حكيناه ، فإنه « قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة ، اي برهان وحجة من المعجزة التي تشهد بصحة النبوة . وخصهم بهذا اذ هو طريق العلم بالحق لا ما التمسوا من اختلاف الخلق . وقوله « اناني رحمة من عنده » يرد عليهم ما ادعوه من انه ليس له عليهم فضل ، فبين ذلك بالهداية الى الحق من جهة البرهان المؤدي الى العلم .

وقوله « فعميت » يحتمل اسهين :

احدهما - خفيت عليكم ، لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدي اليها .

والاخر - ان يكون المعنى عميت عنها ، واذن العمى الى البينة لما عموا عنها لضرب من المجاز ، لان المعنى ظاهر في ذلك ، كما يقال : ادخلت الخاتم في يدي والقلمسوة في راسي ، والمراد ادخلت يدي في الخاتم ورأسي في القلمسوة .

ومن قرأ بتشديد الميم وضم العين اضاف التعمية الى غيرهم ممن صدم عن النظر فيها واغواهم في ذلك من الشياطين والمضلين عن الحق .

وقوله « انلزمكوها وانتم لها كارهون » انضطر كم الى موجب البينة مع العلم مع كراهتكم لذلك فيبطل تكليفكم الاستدلال بالبينة المؤدية الى المعرفة اي اضطر كم الى حال الضرورة .

ووجهه آخر وهو ان يكون المراد ان الذي علي ان ادل بالبينة ، وليس علي ان اضطر كم الى المعرفة .

وفي قوله « انلزمكوها » ثلاث مضمرات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب ، وهو احسن ترتيب بدأ بالتكلم ، لانه اخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ، ولو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده عن العامل بمافرق بينه وبينه فأشبهه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا أنت . واجاز الفراء « انلزمكوها » بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد . ولا يجوز ذلك عند البصريين ، لان الاعراب لا يلزم فيه النقل كما يلزم في بناء الكلمة ، وانما يجيزون مثل ذلك في ضرورة الشعر كقول امره القيس :

فاليوم اشرب غير مستحقب      إنما من الله ولا واعل (١)  
وقال اخر .

وناع بخبرنا بمهلك سيد      تقطع من وجد عليه الانامل (٢)  
وقال اخر .

اذا اخرجت قات صاحب قوم (٣)

يريد صاحب قوم

قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ  
وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا قَوَارِرَ بِهِمْ وَلُكِنِّي أَرَاكُمْ  
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما قال نوح لقومه اي لا اطلب منكم مالا أجراً على الرسالة

(١) ديوانه : ١٣ و تفسير القرطبي ٩ : ٢٦ (٢) مجمع البيان ٣ : ١٥٥

(٣) مجمع البيان ٣ : ١٥٥ ، صاحب بسكون الباء

ودعائكم الى الله فتمتنعون من اجابتي بل اجري وثوابي في ذلك على الله .  
 وقوله « وما انا بطارد الذين امنوا » معناه « ابي لست اطرده المؤمنين من عندي  
 ولا ابعدهم على وجه الالهانة .  
 وقيل انهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا انفسهم ان يكونوا معهم على سواء ذكره  
 ابن جريج والزجاج .  
 وقوله « انهم ملاقوا ربهم » اخبار بأن هؤلاء المؤمنين ملاقوا جزاء ربهم بعقاب  
 من طردهم في قول الزجاج .  
 وقوله « ولكني اراكم قومًا تجهلون » معناه اراكم تجهلون انهم خير منكم لايمانهم بربهم وكفركم به  
 وقال قوم : انهم قالوا له ان هؤلاء اتبعوك طمعاً في المال على الظاهر دون الباطل  
 فقال لهم نوح انهم ملاقوا جزاء اعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم ، وليس لي  
 الا الظاهر احملهم على ظاهر الايمان فانتم تجهلون ذلك .

### قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُ أَفَلَا تَدْعُرُونَّ ﴾

(٣٠) آية بلا خلاف .

ثم قال لهم نوح ( ع ) « يا قوم » و اراد به الجماعة الذين يقومون بالأمر  
 و ( قوم ) اسم جمع لا واحد له من لفظه . و « من ينصرني من الله » اي من يمنعي من  
 الله ، يقال نصره من كذا يعني منعه منه ، ونصره عليه بمعنى اعانه عليه حتى يغلب ،  
 ونصره الى كذا بمعنى نصره معه ، ومنه قوله « من انصاري الى الله » ( ١ ) ويجوز ان  
 يقدر الله الكافر على الكفر ، ولا يجوز ان ينصره عليه ، لان النصره على الشيء زيادة  
 في القوة ليقوم ذلك الشيء ، وهذا لا يجوز على الله . والقدرة تصلح للضدين على منزلة

سوا ولا دليل فيها على ارادة احدهما .

وقوله « افلا تذكرون » معناه افلا تتفكرون ، فتعلمون ان الامر على ماقلته .  
وفرق الطبري بين التذكر والتفكر بأن قال : التذكر طلب معنى قد كان حاضراً  
للنفس و ( التفكر ) طلب معرفة الشيء بالقلب وان لم يكن حاضراً للنفس .  
و ( النصره ) المذكورة في الآية ليست من الشفاعة في شيء ، لان النصره هي  
المنع على وجه المعالجه والقهر . والشفاعة هي المسأله على وجه الخضوع .

### قوله تعالى :

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا  
أُقُولُ إِنَّي مَلِكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدَّرِي أَهْنِكُمْ لَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ  
اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (٣١) آية  
بلا خلاف .

في هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه وحاجهم به ، وهو أن قال لهم  
مضافاً الى ما مضى حكايته « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول  
انني ملك ، والمعنى اني لا ارفع نفسي فوق قدرها ، فادعي ان عندي خزائن الله من  
الأموال فأعطيكم منها واستطيل عليكم بها ، أو اقول اني اعلم الغيب ، أو اقول لكم اني  
ملك روحاني غير مخلوق من ذكر وانثى بخلاف ما خلقني الله ، بل انا بشر مثلكم وانما  
خصني الله بالرسالة وشرفني بها .

وقيل معنى خزائن الله مقدوراته لأنه يوجد منها ما يشاء . وفي وصفها بذلك

بلاغته .

وقيل « لا اقول لكم عندي خزائن الله » فادعوكم الى ان اعطيكم منها ، ذكره

ابن جريج .

و ( الغيب ) ذهب اب الشيء عن الادراك ، ومنه الشاهد خلاف الغائب . واذا قيل علم الغيب معناه علم من غير تعلم ، وهو جميع الغيب ، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلا الله تعالى .

وقوله « ولا أقول للذين تزدرى اعينكم » اي است أقول للذين احتقرتهم اعينكم . و ( الازدراء ) الافتعال من الزرابة ، يقال : زريت عليه إذا عبته ، وازريت عليه إذا قصرت به ، والازدراء الاحتقار .

وقوله « لن يؤتيهم الله خيراً » معناه لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتهم أنهم لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً من اعمالهم ، ولا يثيبهم عليها ، من حيث لا علم لي بباطنهم بل الله اعلم بما في انفسهم هل هم مؤمنون في باطنهم ام لا ، ومتى قلت لا يعطيهم خيراً كنت اذا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم وغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ قالوا يا نوح قد جادلنا فأكثرت جدالنا فأنتنا بما تعدنا

إن كنت من الصادقين ﴾ (٣٢) آية .

في هذه الآية حكاية عما قال قوم نوح لنوح جواباً عما قاله لهم فيما تقدم « يا نوح قد جادلنا ، اي خاصمتنا وحاجبتنا فأكثرت مجادلنا ، وروي فأكثرت جدالنا - والمعنى واحد ، فلسنا تؤمن لك « فأنتنا بما تعدنا » من العذاب « ان كنت من الصادقين » فيما تقوله على الله تعالى .

وحقيقة المجادلة المقابلة بما يقبل الخصم من مذهبه بالحجة او شبهها ، وهو من الجدل لشدة الفتل ، ويقال للصقر اجلد ، لأنه اشد الطير . و ( الاكثار ) الزيادة على مقدار الكفاية . و ( الاقلال ) النقصان عن مقدار الكفاية .



والفرق بين الجدال والحجاج ان المطلوب بالحجاج ظهور الحججة ، والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب .  
والمراد مذموم لانه مخاصمة في الحق بعد ظهور الحق ككري الضرع بعد دروره ،  
وليس كذلك الجدال .

وفي الآية دلالة على حسن الجدال في الدين ، لانه لو لم يكن حسناً لما استعمله  
نوح مع قومه ، لان الانبياء لا يفعلون إلا ما يحسن فعله .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٣٣)

آية بلا خلاف .

فاجابهم نوح ( ع ) عما قالوه فقال انما يأتي بالمعذاب الله تعالى دون غيره ، يأتي  
به متى يشاء ، ولستم تقوتونه هرباً ،

ومعنى ( انما ) اختصاص ما ذكر لمعنى دون غيره ، تقول : انما زيد كريم أي  
هو كريم دون غيره ، وانما دخل ( انما ) بمعنى الاختصاص بالذكور دون غيره ، لأنها  
لتحقيق المعنى ، ومن تحقيقه أن يكون لها دون غيره إذ المشترك لم يحقق على شيء  
بمعينه ، واذا دخلت ( انما ) هذه على ( اسم ) كان الاسم مرفوعاً ، لأن ( ما ) كافة  
للعامل ، ولولا ذلك لما دخلت على الفعل ، والاعجاز هو الفوت بالهرب .

وفي الآية دلالة على أن المجادلة تقوم بها الحججة على مخالف الحق ، لأنه لو لم تقم  
بها الحججة ما جادلهم نوح ولما قال الله تعالى للنبي (ص) « وجادلهم بالتي هي احسن (١) »

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ »

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) آية بلا خلاف .  
هذه الآية عطف على قول نوح إنما يأتيكم بالعذاب الله ان شاء ولستم تقوتونه ،  
« ولا ينفمكم نصحي » .

ويحتمل قوله « يريد ان يغويكم » امرين :

احدهما - ان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه ، ويعاقبكم  
لكفركم به ، ولا ينفمكم نصحي يقال : غوى يغوي غياً ، ومنه قوله تعالى « فسوف  
يلقون غياً » (١) اي خيبة وعذاباً وقال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يقول لا يعدم على النفي لأعما (٢)

فلما كان الله قد خيب قوم نوح من رحمته ونوابه وجنته أعلم نبيه نوحاً بذلك في قوله  
« لن يؤمن من قومك الا من قد آمن » (٣) وانهم سيصيرون الى خيبة وعذاب ،  
اخبرهم الله بذلك على لسان نبيه ، فقال « ولا ينفمكم نصحي » مع اتيانكم ما يوجب  
خيبتكم والعذاب الذي جره عليكم قبيح أفعالكم ، ويريد الله اهلاككم وعقوبتكم على ذلك ،  
وحكي عن طي انها تقول اصبح فلان غاوباً اي مريضاً . وحكي عن غيرهم سماعاً منهم  
أغويت فلاناً اهلكته ، وغوى الفصيل اذا نقد اللبن فثات ، بكسر الواو في الماضي ، وفتحها  
في المستقبل ، ومنه قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » (٤) اي خاب من الثواب الذي  
كان يحصل له بتركه .

والوجه الثاني - ان يكون جرى على عادة العرب في تسمية العقوبة باسم الشيء  
المعاقب عليه ، فيكون المعنى ان كان الله يريد عقوبتكم على اغوائكم الخلق واضلالكم  
اياهم ، فسمى عقوبته اياهم على اغوائهم اغواء كما قال « وجزاء سيئة سيئة » (٥) « ومكروا

(١) سورة مريم آية ٥٩ (٢) سر تخريجه في ٢ : ٣١٢ وهو في مجمع البيان ٣ : ١٥٤

(٣) سورة هود آية ٣٦ (٤) سورة طه آية ١٢١ (٥) سورة الشورى آية ٤٠

ومكر الله (١) و«الله يستهزى بهم» (٢) ونظائر ذلك كثيرة . ومثله قوله حكاية عن ابليس « بما اغويتني » (٣) فإنه يحتمل هذين الوجهين ، الاول يحتمل ان يكون فباخيبتني ، والثاني فيما جازيتني على اغواء الخلق عن الهدى ، ولا يجوز أن يكون المراد بذلك ان يجعلهم كفاراً على ما يذهب اليه المجبر ، لان الاغواء بمعنى الدماء الى الكفر أو فعل الكفر لا يجوز عليه تعالى لقبه كفتح الامر بالكفر .

والنصح اخلاص العمل من الفساد على الاجتهاد فيه . والنصح نقيض الغش . وكان نصح نوح لقومه بإعلامهم موضع الفي ليتقوه ، وموضع الرشد ليتبعوه . وانها شرط النصح بالارادة - في قوله « ان اردت ان انصح » مع وقوع هذا النصح - استظهاراً في الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح ، فقال لو كان نصحاً ما نفع من لا يقبله .

وقوله « هوربكم واليه ترجعون » اخبار من نوح ان الله الذي عذبكم وخيبكم من رحمته هو الذي خلقكم ويميتكم ثم يردهم بان يحييكم ليجازيكم على افعالكم ويعاقبكم على كفركم بنعمه حيث لا ينفعكم استدراك ما فات ، ولا ينفعكم الندم على ما مضى .

وقال الحسن معنى الآية ان كان الله يريد ان يعذبكم وينزل بكم عذابه فانتم عند ذلك لا ينفعكم نصحي لان الله تعالى لا يقبل الايمان عند نزول العذاب . وقال بعض العلماء : ان قوم نوح كانوا يمتقدون ان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه ، فقال نوح على وجه الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وتمتقدونه ، حكى ذلك البلخي .

(١) سورة آل عمران آية ٥٤ (٢) سورة البقرة آية ١٥

(٣) الاعراف آية سورة ١٥ و سورة الحجر آية ٣٩

## قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتِرَاءَهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَعَلِيَّ بِإِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرُمُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

معنى قوله « أم يقولون » اخبار من الله تعالى بان هؤلاء الكفار الذين ليس يقبلون ما أتاهم به من عند الله يقولون ليس هذا القرآن من عند الله بل افتراء ونخرصه وكذبه على الله ، بمعنى ( أم ) في الآية ( بل ) ، فأمر الله تعالى نبيه ( ص ) أن يقول لهم إن افتريته ، فعلى اجرامي .  
وقيل في معناه قولان :

احدهما - انه وعيد ، باني ان كنت افتريته فيما أخبرتك به من الخبر عن نوح فعلى عقاب جرمي ، وان كانت الأخرى فعليكم عقاب تكذبي ، وستعلمون صدق قولي واينا الاحق .

الوجه الثاني - انه قال ذلك على وجه الاحتجاج بصحة أمره بأن لا يتقول مثل هذا مع ما فيه من العذاب في الآخرة والعار في الدنيا مع انه ذو امانة وصيانة . وهو في خطاب محمد ( ص ) .

وقوله « وانا بريء مما تجرمون » معناه ليس علي من اجرامكم ضرر وانما ضرر ذلك عليكم فاعملوا بحسب ما يقتضيه العقل من التفكير في هذا المعنى .

والفرق بين افتراء الكذب وبين قول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد من الانسان لغيره ، واما افتراؤه فهو افتعاله من قبل نفسه .

ومعنى اجرم اذنب ومثله جرم قال النميري حار الزبرقان :

طريد عشيرة ، ورهين ذنب      بما جرمت يدي وجنى لعاني (١)

(١) تفسير الطبري ١٢ : ١٨ والقرطبي ٩ : ٢٩ واللسان والتاج ( جرم ) ومجاز

ومعنى اجرم افترف السيئة بفعلها لأنه من القطع ، وأذنب اي تشبه بالذنب في  
المعقود ، وجرم واجرم في الماء ثم اكثر ، قال الشاعر :

كذا الناس مجروم عليه وجارم

### قوله تعالى :

﴿ وَآوَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن

قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه اوحى الى نوح ، وقال له انه لن يؤمن احد  
من قومك في المستقبل اكثر من الذين آمنوا ، فلا تبتئس أي لا تنقم ولا يلحقك حزن  
لاجلهم ، يقال ابتأس ابتأساً فهو مبتئس ، وقد يكون البؤس النفر ، والابتأس حزن  
في الاستكانه انشد ابو عبيده .

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كرىناعم الببال (١)  
واصله البؤس وهو الفقر والمسكنة . ولما اعلم الله نوحاً ( ع ) أن احداً من  
قومه لا يؤمن فيما بعد ، ولا من نسلهم قال « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً  
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » (٢) ذكره قتادة وغيره . والعقل  
لا يدل على أن قوماً لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع ، وقد يغلب في  
الظن ذلك مع قيام التجويز ، ألا ترى انه يغلب في ظنوننا أن الروم مع كثرتهم  
لا يؤمنون جملة إلا انه ليس بمنعم مع ذلك أن يؤمنوا ، لان الله كلفهم الايمان ، فلولم  
يكن ذلك جائزاً لما كلفهم .

(١) قاله حسان ديوانه ٣٢٦ ﴿ شرح البرقوقي ﴾ واللسان (باس) وجمع البيان ٣ : ١٥٦

(٢) سورة نوح آية ٢٦ - ٢٧

## قوله تعالى :

﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بَأْ عَيْنُنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا  
إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴾ (٣٧) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار من الله تعالى عما أمر به (عز وجل) نوحاً (ع) - حين  
أبأسه من ايمان قومه فيما بعد ، وانه مهلكهم بالطوفان - بأن يتخذ الفلك ويصنعها  
والصنع جعل الشيء موجوداً بعد أن كان معدوماً ، ومثله الفعل ، وبفصلان من  
الحدوث من حيث أن الصنعة تقتضي صانعاً ، والفعل يقتضي فاعلاً من حيث اللفظ .  
وايس كذلك الحدوث ، لانه يفيد تجدد الوجود لا غير .

## اللغة :

والصناعة الحرفة التي يكتب بها والفلك السفينة ويكون ذلك واحداً وجمعاً ،  
كما قيل في أسد و اسد قالوا في فلك وفلك ، لان ( فعلا وفعلا ) جمعها واحد ، وبأ تيان  
بمعنى واحد كثيراً يقال : عجم وعجم وعرب وعرب ، ومثله فلك وفلك . والفلك والفلكة  
يقال لكل شيء مستدير او شيء فيه استدارة ، وتفلك تدي المرأة إذا استدار ،  
ومنه الفلك .

وقوله « باعيننا » معناه بحيث نراها وكأنها ترى بأعين على طريق المبالغة والمعنى  
بمحافظة إياك حفظ من براك ويملك دفع السوء عنك .

## المعنى :

وقال الجبائي باعين اوليائنا من الملائكة الذين يعلمونك كيفية عملها ، والموكلين بك.  
وقيل معناه بعلينا . وقوله « ووحينا » اي على ما اوحينا اليك من صفتها وحالها .  
قال ابن عباس امره الله تعالى ان يبنيتها على هيئته جوَّ جوَّ الطائر ويجوز ان يكون

المراد بوحينا اليك ان اصنعها .

وقوله « ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون » نهي لنوح (ع) ان يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله في امرهم بأن يعاقبهم ، ويؤخر إهلاكهم ، لأنه حكم بأهلاكهم واخبر بأنه سيفرقهم ، فلا يكون الامر بخلاف ما اخبر به . ويجوز الامر بما علم انه لا يكون ، ولا يجوز ان يدعوا بما يعلم انه لا يكون ، لان في ذلك ايها ما بأنه لا يرضى باختياره ، وليس كذلك الامر ، لأنه يتناول من يجوز عليه هذا المعنى . وكسر ( انهم ) على الابتداء .

### قوله تعالى:

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْعَاهُ عَلَيْهِ مَلَأَهُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالُوا إِنَّا نَسْخَرُوهُ وَمَنْ عِندَنَا نَسْخَرُوهُ مِنْكُمْ كَمَا نَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ (٣٩)

آيتان بلاخلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن نوح انه اخذ في عمل السفينة ، قال الحسن كان طولها الف ذراع ومئتي ذراع وعرضها سمانه ذراع . وقال قتادة كانت طولها ثمانه ذراع وعرضها خمسين ذراع وارتفاعها ثلاثين ذراعا وبابها في عرضها . وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات : طبقة للناس ، وطبقة للطير وطبقة للدواب والوحش .

وقوله « وكلمنا مرعاه عليه ملاء من قومه سخروا منه » اخبار من الله عن اشرف قومه ورؤسائهم انهم كلما اجتازوا به وهو يعمل السفينة هزوا من فعله . وقيل إنهم كانوا يقولون : يا نوح صرت نجاراً بعد النبوة على طريق الاستهزاء .

وقال الرماني: السخرية اظهار خلاف الباطن على جهة يفهم منها استضعاف العقل

ومنه التسخير : التذليل استضعافاً بالقهر .

والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصاً ، ولا يكون الا لحيوان ، وقد يكون اللعب بمجاد لانه طلب الفرجة من غير مراعاة لما يعقب ، كعمل الصبي وانما كانوا يسخرون من عمل السفينة ، لانه كان يعملها في البر على صفة من الهول ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضحكون ويتعجبون من عمله .

وقوله « انا نسخر منكم كما تسخرون » جواب من نوح لهم بأنا نسخر منكم يعني نذمكم على سخريتكم ، وسماه سخرية ، كما قال « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١) وقوله « ومكروا ومكر الله » (٢) واطلق عليه اسم السخرية على وجه الازدواج . وقال قوم معناه ان تمتجهلونا في هذا الفعل فاننا نستجهلكم ، كما تستجهلون ، ذكره الزجاج .

وقوله « فسوف تعلمون » (سوف) ينقل الفعل عن الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور .

وقوله « من يأتيه عذاب » قيل في معنى ( من ) قولان :  
احدهما - ان يكون بمعنى اي ، كما انه قال فسوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه .  
الثاني - ان يكون بمعنى الذي ، والمعنى واحد .

و ( من ) اذا كانت استفهاماً استغنت عن الصلة ، واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة ، كما استغنت ( كم . وكيف ) لان البيان مطلوب من المستعمل دون السائل .

الخزي العيب الذي يظهر فضيحته والعار به ، ومنه الذل والهوان .  
وقوله « ويحل عليه » معناه ينزل عليه . وقال الرماني الحلول النزول المقام وهو من الحل خلاف الارتحال . وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيز .



وقوله « عذاب مقبم ، اي دائم لا يزول .

### قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلِكْ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « من كل زوجين » بتنوين في اللام هنا ، وفي المؤمنون . وقال ابو الحسن يقال للثنتين هما زوجان ، قال الله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين (١) » يقال للمرأة زوج ، وللرجل زوجها قال الله تعالى « وخلق منها زوجها » (٢) وقال « امسك عليك زوجك » (٣) وقال بعضهم زوجة . قال الاخطل :

زوجة اشمط مرهوب بوادره قد صار في رأسه التخويم والنزع (٤)

وقال ابو الحسن يقال للثنتين هما زوج . قال ابو علي الفارسي يدل على أن الزوج يقع للواحد ، قوله « ثمانية أزواج من الضان اثنتين ومن المعز اثنتين » الى قوله « ومن الابل اثنتين ومن البقر اثنتين » (٥) وقال الكسائي اكثر كلام العرب بالهاء وقال القاسم بن معن : انه سمعها من العرب من اسد شنوءة ، وليس في القرآن بالهاء ، وهو أفصح من اثباتها عند البصريين .

ومن قرأ بالاضافة كان قوله « اثنتين » مفعول الحمل . والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنتين اثنتين زوجين ، فالزوجان من قوله « من كل زوجين » يريد بها الشيع ،

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ (٢) سورة النساء آية ١

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٧ (٤) ديوانه ٦٩ . الشمط : البياض مع السواد ،

وإذا بدا في رأسه البياض قيل : خوصه الشيب . والنزع : الصلع .

(٥) سورة الانعام آية ١٤٣ - ١٤٤

ولا يراد به الناقص من الاثنين ، ومنه قول الشاعر:

فما لك بالامر الذي لا تستطيع بدار

ومن نون حذف المضاف من ( كل ) والمعنى من كل شيء أو من كل زوج زوجين اثنين ، فيكون انتصاب اثنين على أنه صفة لزوجين ، وذكرنا كيداً كما قال «الهيذانين» (١) . اعلم الله نوحاً في هذه الآية أن وقت هلاك قومه الكفار فور التنور ، وفي (التنور) اقوال :

منها ان الماء اذا طار من التنور الذي يخبز فيه .

وقيل التنور عين ماء معروفة ، وتنور الخابزة وافقت فيه لغة العرب لغة المعجم .

وقيل ان التنور وجه الارض ، ذكره ابن عباس ، واختاره الزجاج .

وقيل التنور تنور الصبح ، روي ذلك عن علي (ع) .

و ( حتى ) متعلقة بقوله « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . . حتى » .

اخبر الله تعالى انه لما جاء امره باهلاك قوم نوح (ع) لاستحقاقهم ذلك

بالكفر ، وفار التنور يعني خروج الماء من موضع لم يمهّد لخروجه منه علامة لنوح (ع)

وهو تنور الخبز - في قول ابن عباس والحسن ومجاهد - وقيل هو تنور آدم (ع) ويقال ،

فار اذا ارتفع ما فيه ، كما يفور القدر بالغليان ، فار ، يفور ، فوراً . وقال ابن عباس :

فار إذا نبع .

وقوله « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » اخبار منه تعالى انه امر نوحاً ان

يحمل معه في سفينته من كل جنس زوجين ، والزوج واحد له شكل إلا انه قد كثر على

الرجل الذي له امرأة ، قال الحسن في قوله « من كل شيء خلقنا زوجين » فالسماه

زوج والارض زوج والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى

يصير الامر الى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء . قال الأعشى :

وكل زوج من الديباج تلبسه أبو قدامة محبوباً بذلك معاً (١) وقوله « واهلك » معناه واحمل معك « اهلك » إلا من سبق عليه القول بالاهلاك . قال الضحاك وابن جريج هو ابنه وامراته .

وقوله « ومن آمن » تقديره واحمل من آمن . ثم اخبر تعالى فقال « وما آمن معه الا قليل » . قال ابن جريج القليل الذين نجو معه كانوا ثمانية وقال الاعمش كانوا سبعة ، وقال ابن عباس كانوا ثمانين ، وكان فيهم ثلاثة : بنيه : يافث وسام وحام ، وثلاث كذائن له ، ويافث جد الترك ، والروم والصقالبة ، واصناف البيضان . وحام جد المودان وهم الحبش والنوبة والزنج وغيرهم . وسام ابو فارس واصناف المعجم .

### قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا اِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤١) آية .

القراءة والأعراب والحجة :

قرأ حمزة والكسائي « مجراها » بفتح الميم . الباقون بضمها ، وكلهم ضم ميم مرساها . ومن ضمها قابل بينها وبين مرساها لما بينها من المشاكلة . ومن فتح ، فلانه قال بدمه « وهي تجري » ومن اختار الاول ، قال التقدير اجري فجرت .

قال ابو علي الفارسي يجوز في « بسم الله مجراها ومرساها » ان يكون حالاً من شيئين :

احدهما - ان يكون من الضمير الذي في ( اركبوا ) ومن الضمير الذي في ( فيها ) ، فان جعلت « بسم الله مجراها » خبر مبتدأ مقدم في قول من لا يرفع بالظرف ، (١) ديوانه ٨٦ وتفسير القرطبي ٩ : ٣٥ . ومعنى البيت ان ابا قدامة يعطى كل ما تعطاه .

او جعلته مرتعماً بالظرف ، ولم يكن قوله « بسم الله مجراها » إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في ( فيها ) ولا يجوز ان يكون الضمير في قوله « اركبوا فيها » لانه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير الا ترى ان الظرف في قول من يرفع به ارتفع به الظاهر ، وفي قول من رفع مثل هذا بالابتداء قد حصل في الظرف ضمير للمبتدأ ، فاذا كان كذلك خلت الجملة من ضمير يعود من الحال الى ذي الحال . واذا كان كذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذي في ( فيها ) .

ويجوز ان يكون قوله « بسم الله » حالا من الضمير الذي في ( اركبوا ) على ان لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الذي هو ( مجراها ) على ما كان في الوجه الأول ، ويكون المعنى اركبوا الآن متبركين بسم الله في الوقتين الذين لا ينفك الراكبون فيها منها من الارساء والاجراء ، وليس يريد اركبوا في وقت الجري والرسو ، فوضع مجراها نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه على المعنى . وفي الوجه الاول رفعه بالابتداء وبالظرف .

ومن فتح الميم فلانه قال « وهي تجري » ومن ضم ، فلان جرت بهم واجري بهم متقاربان في المعنى ، ويقال جرى الشيء وجريت به واجريته ، وانما ضموا الميم من ( مرساها ) لقوله « ايان مرساها » (١) وقوله « والجبال ارساها » (٢) ومن امال او ترك الامالة ، فكلاهما حسنان .

### المعنى واللغة

اخبر الله تعالى عما قال نوح حين دنا ركوبهم السفينة « اركبوا فيها » يعني في السفينة ، والركوب العلو على ظهر الشيء فمنه ركوب الدابة وركوب السفينة ، وركوب البر وركوب البحر .

(١) سورة الاعراف آية ١٨٦ وسورة النازعات آية ٤٢ (٢) سورة النازعات آية ٣٢

والعامل في « بسم الله » يحتمل ثلاثة اشياء : احدها ( اركبوا ) ، والثاني أبتدؤا  
 بيسم الله . والثالث - أجزاها وأرساها .  
 والمجري يحتمل ثلاثة اوجه : احدها - ان يكون موضع الاجراء . والثاني وقت  
 الاجراء . والثالث - نفس الاجراء .  
 وقيل كان اذا اراد أن تجرى قال « بسم الله » فجزت ، فاذا اراد أن ترسو قال  
 « بسم الله » فرست ذكره الضحاك قال ليبيد :

عمرت حين ثلاثاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود (١)

والارساء امسك السفينة بما تقف عليه ، ارساها ارساء ورست ترسو قال عنتره :

فصرت نفساً عند ذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلم (٢)

وقوله « ان ربي لغفور رحيم » اخبار منه تعالى حكاية عما قال نوح لقومه

« ان ربي لغفور رحيم » اي سائر عليهم ذنوبهم رحيم بهم منعم عليهم .

ووجه اتصال الآية بما قبلها انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت

النعمة بالمغفرة والرحمة ليجتلب الطاعة كما اجتلب النجاة .

### قوله تعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي

مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرَكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٢) آية

بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن حال السفينة بعد الفرق انها كانت تجري على الماء في امواج

(١) ديوانه : ٢٥ واصلاح المنطق : ١٨٦ واللسان والتاج ( جرى ) وبجاز القرآن

٢٨٨ وغيرها .

(٢) ديوانه طبع ( دار بيروت ) : ٢٩ والدار المنشور ٣ : ٣٣٨ وروية الديوان

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسوا إذا نفس الجبان تطلم

كالجبال .

والجري مسريرع كمر الماء على وجه الارض . والسفينة تجري بالماء والفرس يجري في عدوه ، ويقال هذه العاة تجري في احكامها اي تمر فيها من غير مانع منها . والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير ، ومنه امواج البحر واعظم ما يكون اذا اشتدت به الريح ، وشبه الله تعالى الامواج بالجبال في عظيمها ، والجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الارض هو لها كالوئد في عظمه ، وجمعه اجبال وجبال وقوله « ونادى نوح ابنه وكان في معزل » فالعزل موضع منقطع عن غيره . وكان ابن نوح في ناحية منقطعة عنه حين ناداه وقراً عاصم « يا بني اركب » بفتح الياء الباقون بكسرها . وفي قوله « يا بني » ثلاث ياءات ، ياء التصغير ، وياء الاصل ، وياء الاضافة . وفي قوله « يا بني ان الله اصطفى لك الدين » (١) يا آن ، ياء الجمع وياء الاضافة .

قال ابو علي الفارسي : الوجه كسر الياء ، لان السلام من ( ابن ) ياء او واو ، وحذفت من ( ابن ) كما حذفت من ( اسم ) فاذا حقرت ألحقت ياء التحقير ، لزم أن ترد اللام الذي حذفت لانك لو لم تردها لوجب ان تحرك ياء التصغير بحركات الاعراب ، وهي لا تحرك أبداً بحركات الاعراب ولا غيرها ، فاذا أضفته الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات : ، الاولى التي للتحقير ، والثانية لام الفعل ، والثالثة هي التي للاضافة تقول بني ، فاذا ناديت جاز فيه وجهان : اثبات الياء وحذفها ، فمن قال يا عبادي فأثبت الياء فقياسه أن يقول يا بني ، ومن قال يا عباد يقول يا بني حذفت التي للاضافة ، وابقيت الكسرة دلالة عليها . وهذا هو الجيد عندهم . ومن فتح الياء اراد الاضافة كما ارادها في قوله يا بني اذا كسر الياء التي هي آخر الفعل ، كأنه قال يا بني ثم أبدل من الكسرة الفتح ، ومن الياء الالف ، فصار ( يا بني ) كما قال :

يا بنت عمالا تلومي واهجمي (١) .

ثم حذفت الالف كما كانت تحذف الياء في يابني انها ، وقد حذفت الياء التي للاضافة  
اذ ابدلت الالف منها قال ابو الحسن :

فلست بمـدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني (٢)

كذلك سمع من العرب ، فقوله بلهف انما هو بلهفا ، فحذفت الالف . قال ابو  
عثمان ووضع الالف مكان الياء في الاضافة مطرد وأجاز يزيد اقبل اذا اردت الاضافة  
قوله تعالى :

﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَمْعَصِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ  
مِنَ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالٍ بَيْنَهَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِبِينَ ﴾  
(٤٣) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجاب ابن نوح أباه ( ع ) فانه « قال سأوي الى  
جبل يعصمني من الماء » اي سأرجع الى مأوى من جبل يعصمني من الماء اي يعنني  
منه ، يقال أوى يأوى أوياً إذا رجع الى منزل يقيم فيه و ( العصمة ) المنع من الآفة  
والمعصوم في الدين الممنوع باللطف من فعل القبيح لاعلى وجه الخيلولة .  
فان قيل كيف دعا نوح ابنه الى الركوب معه في السفينة مع أن الله تعالى نهاه  
ان يركب فيها كافراً ؟

قلنا : فيه جوابان : احدهما - أنه دعا الى الركوب بشرط أن يؤمن . الثاني - قال  
الحسن والجبائي انه كان ينافق باظهار الايمان .

فان قيل : هلا كان ما صار اليه ابن نوح من تلك الحلال الهائلة الجاه ؟

(١) بجمع البيان ٣ : ١٦٢ (٢) بجمع البيان ٣ : ١٦٢ . واللسان ( لهف ) ومعنى  
البيت ان الذي فات لا يدرك بقول : والهفا ، وقول لو أني فعلت كذا لما صار كذا

قلنا : لا . لان الالجاه لا يكون إلا بأحد شيئين :

احدهما - بأن يخلق فيه العلم بأنه متى رام خلافه منع منه .

الثاني - تتوفر الدواعي من ترغيب او ترهيب ، ولم يحصل له واحد من الأمرين ،

لأنه جوز أن يكون من عجائب الزمان ، وأنه وقع الى نوح علم به ، فتقدم فيه .

وقوله « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » حكاية لما قال نوح لولده حين

« قال سأوى الى جبل يعصمني من الماء » بأنه لا مانع اليوم من امر الله واستثنى من

رحم ، وقيل فيه ثلاثة اقوال :

احدهما - انه استثناه منقطع ، كأنه قال من رحم فإنه معصوم .

الثاني - لا عاصم إلا من رحمتنا برحمة الله سبحانه لنا كأنه قال لا عاصم إلا الله

فنجاء ، وهو نوح ( ع ) ، وهو اختيار ابي علي النحوي . وقال لانه يحتمل أن يكون

( عاصم ) بمعنى معصوم مثل دافق بمعنى مدفوق ، فيكون الاستثناء متصلا .

وقال ابن كيسان لما قال ( لا عاصم ) كان معناه لا معصوم ، لان في نفي العاصم

نفي المعصوم ثم قال « إلا من رحم » فاستثناه على المعنى ويكون متصلا .

وقوله « وحال بينها الموج » اخبار منه تعالى انه حال بين نوح وولده الموج ،

« فكان من المفرقين » .

### قوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ

وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾

(٤٤) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية قصة نوح وقومه بأوجز لفظ وأبلغه ، وبلوغ الغاية



التي لا تدانيها بلاغة ولا تقاربها فصاحة ، لان قوله « وقيل يا ارض ابلعي ماءك » اخبار منه عن اذهاب الماء عن وجه الأرض في اوجز مدة فجرى ذلك مجرى ان قال لها ابلعي فبلعت .

والبلع في اللغة انتزاع الشيء من الحلق الى الجوف ، فكانت الارض تبلع الماء هكذا حتى صار في بطنها الغراء ، يقال بلعت وبلعت يفتح اللام وكسرها .

وقوله « وباسماء اقلعي » اخبار ايضاً عن اقشاع السحاب ، وقطم المطر في اسرع وقت ، فكأنه قال لها اقلعي فأقلعت .

والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يبقى منه شيء . واقلم عن الأمر اذا تركه رأساً .

وقوله « وغيض الماء » اي اذهب به عن وجه الارض الى باطنها ، يقال غاض الماء يغيض غيضاً اذا ذهب في الارض .

وقوله « وقضى الامر » معناه اوقع الهلاك بقوم نوح على تمام . والقضاء وقوع الأمر على تمام واحكام .

وقوله « واستوت على الجودي » جبل معروف قال الزجاج بناحية امد ، وقال غيره بقرب جزيرة الموصل ، قال زيد بن عمر بن نفيل :  
وقبلنا سمح الجودي والجد .

وقيل : ارست على الجودي شهراً ، وقال قتادة اهبطوا يوم عاشوراء .  
وقوله « وقيل بعنا للقوم الظالمين » معناه ابعدهم الله من الخير بعداً ، على وجه الدعاء . ويجوز ان يكون الله تعالى قال لهم ذلك . ويجوز ان يكون المؤمنون دعوا عليهم بذلك ، وهو منصوب على المصدر .

وقيل في هذه الآية وجوه كثيرة من عجيب البلاغة :

منها انه خرج مخرج الامر على جهة التعظيم من نحو « كن فيكون » (١) لانه  
من غير معاناة ، ولا لغوب .

ومنها حسن تقابل المعنى . ومنها حسن ائتلاف الالفاظ . ومن ذلك حسن  
البيان في تصوير الحال .

ومنها الايجاز من غير اخلال ، ومنها تقبل الفهم على اتم الكمال الى غير ذلك مما  
عليه هذا الكلام في الحسن العجيب واللفظ البديع .

### قوله تعالى :

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ  
وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤٥) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن نوح أنه حين رأى قومه قد اهلكهم الله تعالى « فقال يارب  
ان ابني من اهلي وان وعدك الحق » لأنه تعالى كان وعده بأنه ينجيه وأهله ، وامره  
بأن يحملهم معه في الفلك في قوله « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك » فسأل  
نوح ربه ان ابنه إن كان ممن وعده بنجاته ان ينجيه ، فسأله بهذا الشرط ، لانه لا يجوز  
ان يسأل نبي من انبياء الله امراً لا يجاب اليه ، وخاصة على رؤس الملاء ، لان ذلك ينفر  
عنهم . وانما يجوز ان يسأل بما يظهر له بشرط مقترن بالكلام وحال يدل عليه ، فيعرف  
انه لم يحصل الشرط .

والرب والمالك واحد . وقيل إن الرب المالك للشيء من كل وجه يصح ان  
يملك به ، وهو اسم الملك ، ولا تصح الصفة به على الاطلاق إلا لله تعالى . والانسان قد  
يكون مالكا بالاطلاق .

(١) سورة البقرة آية ١١٨ وآل عمران : ٤٧ ، ٥٩ والانعام : ٧٣ والنحل : ٤٠

ومريم : ٣٥ ويس : ٨٣ والمؤمن : ٦٣

وقوله « وانت احكم الحاكمين » يعني في قولك وفملك ، لأنه حق تدعو اليه الحكمة ، فقال نوح ذلك على وجه الاعتراف تعظيماً لله تعالى .

### قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾  
(٤٦) آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي وبمعقوب « انه عمل غير صالح » على الفعل ، ونصب ( غير ) الكسائي .  
الباقون « عمل » اسم مرفوع منون ( غير ) رفع .  
وقرأ ابن كثير ( تسألن ) بالتشديد ، وفتح النون ، وافقه نافع في التشديد إلا انه كسر النون . الباقون بالتخفيف والكسر من النون إلا ان ابا عمرو يثبت الياء في الاصل .  
قال ابو علي النحوي ( سالت ) فعل يتمدى الى مفعولين وليس مما يدخل على المبتدأ وخبره ، ويمتنع ان يتمدى الى مفعول واحد .  
فن قرأ بفتح اللام ، ولم بكسر النون عداه الى مفعول واحد في اللفظ . والمعنى على التعدي الى ثان .

ومن كسر النون دل على انه عداه الى مفعولين ، احدهما - اسم المتكلم والاخر - الاسم الموصول ، وحذف النون المتصلة بياء المتكلم ، كما حذف من قولهم ( انى ) كراهة اجتماع النونات .

ومن ائبت الياء فهو الاصل ، ومن حذفها اجتزأ بالكسرة الدالة عليها .  
في هذه الآية حكاية عما اجاب الله به نوح حين سأله نجاة ابنه بأن قال له « يا نوح انه ليس من اهلك . . . » وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين : انه ليس من اهلك الذين وعدتكم بنجاتهم معكم ، وانه كان ابنه لصلبه بدلالة قوله « ونادى نوح ابنه ، فأضافه اليه اضافه مطلقة .

والثاني - انه اراد بذلك انه ليس من اهل دينك ، كما قال النبي (ص) ( سلمان منا اهل البيت ) وانما اراد على ديننا .

وثالثها - قال الحسن ومجاهد انه كان لغيره ، وولد على فراشه فسأل نوح على الظاهر فأعلمه الله باطن الأمر فنفاه منه على ما علمه ، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح ، كما يقولون : الشعر زهير ، وهذا الوجه ضعيف ، لان في ذلك طعنا على نبي وإضافة ما لا يليق به اليه . والمعتمد الاول .

وقال ابن عباس ما زنت امرأة نبي قط ، وكانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون . والخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضيافه .  
وروي عن علي (ع) انه قرأ ، ونادى نوح ابنها فنسبه الى المرأة ، وأنه كان يريه .

وروي عن محمد بن علي ابن الحسين (عليه السلام) وعروة بن الزبير انها قرأ « ونادى نوح ابنه ، بفتح الهاء وترك الالف كراهة ما يخالف المصحف ، وأرادا أن ينسبها الى المرأة ، وأنه لم يكن ابنه لصلبه .

وقال الحسن كان منافقاً يظهر الايمان ويستر الكفر .

وقوله « انه عمل غير صالح ، فمن قرأ على الفعل ، فعناه انه ليس من اهلك ، لانه عمل غير صالح ، وتقديره انه عمل عملا غير صالح ، وحذف الموصوف واقام الصفة مقامه ، وذلك يستعمل كثير ، وهذه القراءة تقوي قول من قال إن ابنه لم يكن على دينه ، لأن الله تعالى علل كونه ليس من اهله بأنه عمل عملا غير صالح .

واما من قرأ على الرفع والتنوين على الاسم فتقديره انه ذو عمل غير صالح فجاه على المبالغة في الصفة كما قالت الخنساء :

ترتم ما رتمت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار (١) .

قال الزجاج تقديره ، فانما هي ذات اقبال وادبار ، تصف الناقة في حنينها الى ولدها . وقيل ان للمنى ان سؤالك اياي هذا عمل غير صالح ذكره ابن عباس ومجاهد وابراهيم ، وهذا ضعيف ، لأن فيه اضافة القبيح الى الانبياء ( ع ) وذلك لا يجوز عندنا على حال ، فالاول هو الجيد .

ويحتمل ان يكون المراد ان كونك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معي عمل غير صالح .

« وقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم ، معناه لا تسألني ما لا تعلم انه جائز في حكمي ، لان هذا من سؤال الجاهلين . نهاء عن ذلك ، ولا يدل على ان ما نهى عنه قد وقع ، كما ان قوله « لئن اشركت ليحبطن عملك » (٢) لا يدل على وقوع الشرك وقوله « اني اعظك ان تكون من الجاهلين » فالوعظ الزجر عن القبيح عن ما يدعو الى الجهل على وجه الترغيب والترهيب . والصحيح ان الجهل قبيح على كل حال . وقال الرماني انما يكون قبيحاً إذا وقع عن عمد ، فانما إذا وقع غلطاً او سهواً لم يكن قبيحاً ولا حسناً ، وهذا ليس بصحيح ، لأن استحقاق التمس عليه يشترط بالعمد فانما قبحه فلا ، كما نقوله في الظلم سواء .

### قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾

(١) مر تجريره في ٢ : ٩٥ وهو في تفسير الفرطبي ٩ : ٤٩

(٢) سورة الزمر آية ٦٥

وَأَلَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار عما قاله نوح ( ع ) حين عرفه الله حال ولده ، وانه لا يستحق الغفران ، ووعظه بأن يكون من الجاهلين ، فانه قال « إني أعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم ، فالعبادة طلب النجاة بما يمنع من الشر يقال : عاذ يعوذ عوذاً وعباداً ، فهو عاوذ بالله والعباد الاعتصام بما يمنع من الشر . والمعنى إني اعتصم بك ان اسألك ما لا أعلمه ، وانما اعتصم من ذلك لان ما يعلمه الانسان يجوز ان يكون حسناً ، ويجوز كونه قبيحاً ، ولا يحسن أن يسأل ما يجوز كونه قبيحاً وان شرط حسن السؤال . وينبغي أن بشرط ان كان ما سأله حسناً فيحسن السؤال حينئذ .

قال الرماني ولا يحسن ان تسأل فتقول : اللهم احبي افاربي في دار الدنيا على ما يصح ويجوز ، لأنه قد دل الدليل على ان ذلك لا يحسن في الحكمة ، فلا يجوز ان يسأله بحال ، وانما جاز اطلاق ما ليس لك به علم مع انه قد علمه سؤالا ، لان هذا العلم لا يعتد به لان المراد علم ماله ان يسأله اياه .

وانما حذف ( يا ) من قوله « رب إني أعوذ بك » واثبتته في قوله « يا نوح » لان ذلك نداء تعظيم ، وهذا نداء تقيبه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه . وقوله ( به )  
يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون كقوله « وكانوا فيه من الزاهدين » (١) و « إني لك من الناصحين » (٢) و « انا على ذلكم من الشاهدين » (٣) قال ابو الحسن انما يجوز في حروف الجزاء ذلك ، لان التقدير فيه ، والتعلق بمضمرة تفسيره هذا الذي يظهر بعد ، وان كان لا يجوز تسليطه عليه . ومثله « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ

(١) سورة يوسف آية ٢٠ (٢) سورة القصص آية ٢٠

(٣) سورة الحج آية ٥٦

للمجرمين» (١) فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ، ولا يجوز فيما بعد (لا) هذه ان يتسلط على يوم وكذلك « ما ليس لك به علم ، يتعلق بما دل عليه (علم) المذكور وان لم يجز ان يعمل فيه .

والثاني - ان يكون متعلقاً بالمستقرو هو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني ، كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون ( به ) في الآية بمنزلة ( فيه ) .

### قوله تعالى :

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ  
مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُنَّ ثُمَّ يَمَسُّهُنَّ مِنْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٨)

آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما أمر الله تعالى به نوحاً حين استوت السفينة على الجبل ، وأنه قال له « اهبط » اي انزل من الجبل ، فلهبوط نزول من اعلى مكان في الارض إلى ما دونه من السماء .

وقوله « بسلام منا » قيل في معناه وجهان :

احدهما - بسلامنا ونحية منا ، قال لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليك كما  
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر (٢)

قيل انه بمعنى السلام عليك .

والثاني - قيل معناه بتسليم منا عليك ، وقوله « وبركات عليك » معناه ونعم دائمة وخير ثابت حالا بعد حال ، وأصله الثبوت ، فنه البروك والبركة لثبوت الماء

(١) سورة الفرقان آية ٢٢ (٢) ديوانه ٢ : ١ واللسان (عذر) . يخاطب

الشاعر ابتداءً .

فيها قال الشاعر :

ولا ينجى من الغمرات إلا  
براكاه القتال أو الفرار (١)  
اي الثبوت للقتال . ومعنى تبارك الله ثبت تعظيم ما لم يزل ولا يزال .  
وقوله « وعلى امم ممن معك ، فالامة الجماعة الكثيرة على ملة واحدة متفقة ،  
لأنه من ( أمه ، يؤمسه أما ) اذا قصده او الاتفاق في المنطق على نحو منطق الطير .  
والمأكل والمشرب والمتكح ، حتى قيل ان الكلاب أمه . وقيل في معناه هنا قولان :  
احدهما - انه اراد الامم الذين كانوا معه في السفينة فأخرج الله أممًا من نسلهم  
وجعل فيهم البركة .

والثاني - قال قوم يعني بذلك الامم من سائر الحيوان الذين كانوا معه ، لان  
الله تعالى جعل فيها البركة ، وتفضل عليها بالسلامة حتى كان منها نسل العالم .  
وقوله « وائم سئمتمهم ثم يمسه منا عذاب اليم » معناه انه يكون من نسلهم  
ائم سئمتمهم الله في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون نعمه ويحدون ربو بيته ،  
فيهلكهم الله . ثم يمسه بعد ذلك عذاب مؤلم موجه ، وإنما رفع ( ايم ) لأنه استأنف  
الاخبار عنهم .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ  
وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٩) آية

بلا خلاف .

(١) قائله بشر بن ابى خازم اللسان ( برك ) ومعنى البيت انه لا ينجى من غمرات  
الموت إلا الثبات في الحرب او الفرار . ومعنى براكاه - هنا - ساحة القتال . ويقال براك  
بمعنى ابركوا .



الإشارة بقوله « تلك » إلى ما تقدم ذكره من أخبار نوح وقومه وما أحل الله لهم من الإهلاك ، والتقدير تلك الأنبياء من أنبياء الغيب ، ولو قال ذلك كان جائزاً ، لأن المصادر يكتفى عنها بالتأنيث نارة وبالتذكير أخرى يقولون : قدم فلان ففرحت بها وفرحت به ، أي بقدمه أو بقدمته . والغيب ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له بخلاف السهو ، لأنه ذهاب المعنى عن النفس بحال ينافي الذكر .

وقوله « نوحياً اليك » أي نوحياً اليك تلك الأخبار .

وقوله « ما كنت تعلمها أنت ولا قومك » معناه أنت هذه الأخبار التي أعلمناك إياها لم تكن تعلمها قبل وحينما اليك ولا قومك من العرب يعرفونها قبل إخبارنا اليك .

وقوله « فأصبر إن العاقبة للمتقين » أمر للنبي ( ص ) بأن يصبر على اذى قومه وجهلهم به وضعه ، كما صبر نوح مثل ذلك على قومه ، وهو أحد الوجوه التي لا جلتها كرر الله تعالى قصص الأنبياء في الاعراف ، وهود ، والشعراء ، ليصبر النبي ( ص ) على اذى قومه حالاً بعد حال .

وقوله « إن العاقبة للمتقين »

أخبار منه تعالى بأن العاقبة

المحمودة لمن اتقى معاصي

الله وتحرز من

عقابه

تم المجلد الخامس

ويليه المجلد السادس

وأور قوله تعالى

والى عاد اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا

الله ما لكم من إله غيره . . . . .

آية ( ٥٠ ) من سورة هود

# الفهارس

## ١ - فهرس الآيات المستشهد بها

آية	الصفحة	آية	الصفحة
		(٢) سورة البقرة	
٦٢	٣٦١	٢٥	فويل للذين يكتبون الكتاب
١٧٧	٣٦٦	بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله	٧٩
١٩٤	٤٤	٢٧	فأمسك بعروف
٧٢	٤٠٥	٢٢٩	
		٤٩ / ٧٨ / ١٢٨ / ٥٤٩	الله يستهزي
٢١٣	٤٠٩	١٥	ويعدهم في طغيانهم يعمهون
١٦٦	٤٢٣	٩٢	من السماء من ماء
٢٣١	٤٤١	١٦٤	
٢٢٦	٤٤١	٢١٠	هل ينظرون إلا أن
١٩٨	٤٦٠	٢١٨	وتركهم في ظلمات لا يبصرون
١٩١	٤٨٢	٢٧٦	فمن جاءه موعظة
٦١	٤٨٤	٢٩٣	ثم عفونا عنكم
٢٨٢	٤٨٥	٣٤٠	علم الله انكم كنتم تختافون
٣	٤٨٩	٣٤٨	الذي جعل لكم الارض فراشاً
٢٦٠	٤٩٤	٣٥٢	من ذا الذي يقرض الله
١٠	٥٣٢	٣٦٠	وعسى ان تكرهوا شيئاً

آية	الصفحة	آية	الصفحة
(٤) سورة النساء		يا بني ان الله اصطفى لكم	٥٦٠
وما ارسلنا من رسول الا يطلع	٤٤	كن فيكون	٥٦٤
١٤١ يخادعون الله وهو خادعهم	٤٩	(٣) سورة آل عمران	
ان امرؤ هلك ليس له ولد	٢٠٥	٢٢ / ٤٨٤ ضربت عليهم الذلة	
يحرفون الكلام عن مواضعه	٤٥	٢٧ وتؤمنون بالكتاب كله	١١٩
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٣٣٦	٣١ هب لي من لدنك ذرية	٣٨
فأنتك مع الذين انعم الله عليهم	٦٨	٤٢ انما نعلمي لهم ليزدادوا إنما	١٧٨
٥٥٥ وبث منها رجالا كثيرا	٤١٢	٤٩ / ٥٤٩ / ٥٥٤ والله خير الماكرين	٥٤
فكيف اذا جئنا من كل امة	٤٠٩	١٠١ امانة نعاسا ينشى	١٥٤
ليجمعنكم الى يوم القيامة	٨٦	١١٢ / ٣٥٢ ثا وهنوا لما اصابهم	١٤٦
كفى بالله	٤٥٨	١٦٠ اذا قالت الملائكة	٤٥
١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٣١ ، ٨٠		٣٦٢ لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا	٨
واولى الأمر منهم	٨٢	٣٧٩ حسبنا الله ونعم الوكيل	١٧٣
من قبل ان نطمس وجوها	٤٦	٤٠٥ فادروا عن انفسكم الموت	١٦٨
يؤمنون بالجبت	٥٠	٤٩٩ وكنتم على شفى حفرة من النار	١٠٣
(٥) سورة المائدة		٥٣٨ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم	٧٣
فكلوا مما امسكن	٢٧	٥٤٤ من انصاري الى الله	٥٢
يحرفون الكلام عن مواضعه	١٤٤	٥٦٤ كن فيكون	٤٧ ، ٥٩
فلا خوف عليهم	٢٢		
أأنت قلت للناس	١١٩		

آية	الصفحة	آية	الصفحة
		(٦) سورة الانعام	
١٣٣	٥٠١	١١٨	ولوردوا العادوا لما نهوا عنه ٢٨
١٣٤	٥٠١	١٨٠ / ٤١٩	قله عشر امثالها ١٦٠
١٤٤	٥٣٧	٣٩٨	ثم قضى اجلا وأجل مسمى ٢
١٥	٥٤٩	٤١٢	قل سيروا في الارض ١١
١٨٦	٥٥٨	٤٢١	وهذا كتاب أنزلناه ٩٢ ، ١٥٥
		٤٣٠	هذا الله بزعمهم وهذا شركائنا ١٣٦
(٨) سورة الانفال		٤٣٧	ولا تزروا زرة وزر أخرى ١٦٤
٢٨	١٢١	٤٤٣	ليجمعنكم الى يوم القيامة ١٢
٤١	١٢٧	٥٥٥	ثمانية ازواج من ١٤٣ - ١٤٤
٤١	١٢٧	٥٦٤	كن فيكون ٢٣
٣٥	٣٣٦		(٧) سورة الاعراف
		٧	ومن خلقنا أمة يهدون ١٨٠
(٩) سورة التوبة		٧	من يهد الله فهو المهتدي ١٧٧
٨٠	٤٩	٤٤	ونادى اصحاب الجنة اصحاب ٤٣
٧٤	٧٤	٢٨٨	لربهم يرهبون ١٥٣
٣٦	١٤٠	٣٨٦	يمرشون ١٣٦
٦٤	١٤٦	٤٢٤	وبلونا نعم بالحسنات ١٦٧
٦	١٧٦	٤٨٥	ان تقولوا يوم القيامة ٩٧١
١٢٣	٢٦١		
٨٥	٣١١		
٨٩	٣٥٤		
١٠٧	٣٦٤		

آية	الصفحة	آية	الصفحة
(١٢) سورة يوسف		٣٩١ والله ورسوله أحق أن	٦٣
٤ والشمس والقمر رأيتهم لي	٦٨	٤٢٨ وكلمة الله هي العليا	٤١
١٠٠ نزع الشيطان بيني وبين	٧٥	٤٥٥ فرح الخلفون بمقدم	٨٢
٨٥ حتى تكون حرضاً	١٧٩	٥٣٢ احسن ما كانوا يعملون	١٢٢
٢٤ ولقد همت به وهم بها لولا	٣٠٣	(١٠) سورة يونس	
١٠٢ وما كنت لديهم اذا جمعوا	٤٦٨	٤٢ ربنا انك آتيت فرعون	٨٨
٤٥ وادكر بعد امة	٥١٩	٦٤ هو الذي يسيركم في البر والبحر	٢٢
٢٧ ان كان قبضه قد من دبر	٥٢٧	١٠٢ كانوا اغشيت وجوههم	٢٧
٢٠ وكانوا فيه من الزاهدين	٥٦٨	٤٥٨ كفي بالله	٢٩
(١٣) سورة الرعد		٤٩٢ اذا ادركه الفرق قال آمنت	٩٠
٣٠ وتطمئن قلوبهم بذكر الله	٩١	٥٠١ يا ايها الناس قد جاءكم الحق	١٠٨
٤٥ كفي بالله	٤٥٨	(١١) سورة هود	
٢٦ - ٢٥ والملائكة يدخلون عليهم	٥٣٧	١٦٦ وما من دابة في الارض الا	٦
(١٥) سورة الحجر		٤٥٥ انه لفرح نخور	١٠
٣٩ بما اغويتني	٥٤٩	٤٥٨ من اله غيره ، ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٣	
(١٦) سورة النحل		٤٦٩ ذلك يوم مجموع له الناس	١٠٤
٢٠ / ٥٦٤ انما قولنا لشيء اذا اردناه	٤٠	٥٣٥ ان الحسنات يذهبن	١١٥
		٥٤٨ لن يؤمن من قومك الا من	٣٦

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٩	٢٧٥	٧٨	٣٥
٨٠	٢٨٤	٦٨	٣٨٦
١١١	٣٧٨	٧٣	٤٣١
٤٣	٤١٤	٦٢	٤٧٣
٤٨	٤٤٣	٦٨	٤٨٣
١٠٠	٤٤٣	١٢٥	٥٤٧
١٩	٤٤٤		( ١٧ ) سورة الاسرى
	( ١٩ ) سورة مريم	٣	٣١
٨٤	٢٢	١٥	١٨٤
٥٩	٢٤	٦٤	٢٧٤
٤	٣١	٨١	٢٧٩
٦	٣١	١١	٣٩٧ / ٣٩٩
٢٨	٣٢٩	٧١	٤٢٤
٢٣	٣٩٥	١٤	٤٢٤
٥٩	٥٤٨	١٥	٤٣٧
٣٥	٥٦٤	٩٦	٤٥٨
	( ٢٠ ) سورة طه		( ١٨ ) سورة الكهف
١٢٤	٤٤٣	٤٦	٣٢
١٢٤	٤٤٣	٣٥	٢٥٩

آية	صفحة	آية	صفحة
٨٩	١٥٧	١٢١	٥٤٨
١١٣	٤٤٤	( ٢١ )	سورة الانبياء
٣٢ ، ٢٣	٤٥٨	٧٣	٤٨
٣٥	٥٣١	٤٠	٤٨
( ٢٤ )	سورة النور	٦٣	٦٨
٤	٦٤	١٠٣	٩١
٣٩	١١٥	٦٢	٩٢
٤٣	١٤٠	١٠٧	٢٨٧
٢٩٤	٢٩٤	١٨	٣١٦
٥٦	٣٣٦	٩٧	٣٦١
( ٢٥ )	سورة الفرقان	٥٦	٥٦٨
٥٠	٤٤	٨٣	٥٠٧
٢٤	٢٢٥	( ٢٢ )	سورة الحج
٦٥	٣٢٩	٤	٣٧
٤١	٤٤٢	٧٨	٣٣٦
٢٢	٥٦٩	٦٠	٤١٥
( ٢٦ )	سورة الشعراء	( ٢٣ )	سورة المؤمنون
٢٠٢	٤٨	٥٦	٧٨



آية	صفحة	آية	صفحة
٢٠	٥٦٨ أني لك من الناصحين	٢٢	٦٨ وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
	( ٢٩ ) سورة العنكبوت	١١٩	٤١٣ في الفلك المشحون
٢	١٧١ احسب الناس ان يتركوا	٤	٥٠٠ ان نشأ نزل عليهم من السماء
٤	١٧٢ ام حسب... ألساء بما يحكون		( ٢٧ ) سورة النمل
٣٣	١٧٨ انا منجوك واهلك	٦٤	٦٨ هانوا برهانكم إن كنتم صادقين
٢٠	٤١٢ قل سيروا في الارض	٣٦	٧٨ اتعدوني بال
٥٢	٤٥٨ كفي بالله	١٨	١٢٢ يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
٢٤	٥٠٣ فأنجاه الله من النار	٧٢	٢٨٨ ردف لكم
	( ٣٠ ) سورة الروم	٢٨	٢٧٨ فآلقه اليهم ثم نول عنهم
٣٠	٣٥٣ فطرة الله التي فطر الناس عليها	٤٤	٣٣٤ صر حمرد من قوارير
٤٧	٣٦١ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين	٨٨	٣٥٣ صنع الله الذي اتقن
٣٦	٤١١ وان تصبهم سيئة باقدمت ايديهم	٦٩	٤١٢ قل سيروا في الارض
٤٢	٤١٢ قل سيروا في الارض	٩	٤٥٩ إنه انا العزيز الحكيم
٥-٤	٤٥٥ ويومئذ يفرح المؤمنون		( ٢٨ ) سورة القصص
	( ٣١ ) سورة لقمان	٨	٤٨٥ / ٤٢ فالتقطه آل فرعون
٣٤	٥٥ ان الله عنده علم الساعة	٩	٤٢ فرة عين لي ولك لا تقتله
١٥	٢٢٨ وانجاهدك على ان تشرك	٤١	٢١٤ وج. الم. ائمة يدعون
١٩	٣٣٦ / ٣٣٧ لصوت الحمير	٧٦	٤٥٥ ان الله لا يحب الفرحين
		٦٦	٥٤١ فعميت عليهم الانبياء

آية	صفحة	آية	صفحة
	( ٣٦ ) سورة يس		( ٣٢ ) ألم السجدة
٩	١٠٢ فأغشيناهم فهم لا يبصرون	١٢	١٦١ ولو ترى اذ المجرمون
٤١	٤١٣ في الفلك المشحون		( ٣٣ ) سورة الاحزاب
٨٢	٥٦٤ كن فيكون	٢٧ / ٥٥٥	٣٧ امعك عليك زوجك
	( ٣٧ ) سورة الصافات	١٥	١٥ ان الذين يؤذون الله ورسوله
١٢	٣٣٧ بل عجبت ويسخرون	٣٥	٢٤٦ والذاكرين الله كثيراً
٣٧١	٤٢٨ وانكم لتعمرون عليهم	٢٣	٣٦٦ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
	( ٣٨ ) سورة ص	٤٨٠٣	٤٥٨ كفى بالله
٤٧	٣٨ المصطفين الاخير		( ٣٤ ) سورة سبأ
٣٢	٦٣ حتى توارت بالحجاب	٦	١٣٢ ويرى الذين اوتوا... هو الحق
٢٢	٤١٥ بنى بعضنا على بعض		( ٣٥ ) سورة فاطر
	( ٣٩ ) سورة الزمر	٤٣	٤١٥ ولا يحيق المكر السبيء الا بأهله
٣	٥٣٧ والذين اتخذوا من دونه اولياء	١٤	٤٣١ ان تدعوم لا يسمعوا دعاءكم
٧	٤٣٧ ولاتزر وازرة وزرى اخرى	١٨	٤٣٧ ولاتزر وازرة وزرى اخرى
	( ٤٠ ) سورة المؤمن		
٧	٣٨٦ الذين يحملون العرش ومن حوله		
٨٣	٤٥٥ فرحوا بما عندهم من العلم		

آية	صفحة	آية	صفحة
	( ٤٤ ) سورة الدخان	٨٥	٤٩٩ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
٣٢	ولقد اخترناهم على علم	٦٨	٥٦٤ كن فيكون
	( ٤٧ ) سورة محمد		( ٤١ ) سورة حم السجدة
٤	فاما منأ بعد واما فداء	١١	٢٠ اتيا طوعاً او كرها قالتا
	( ٤٨ ) سورة الفتح	١٧	٢٣٠ واما تمود فهديناهم فاستجبوا
٩ - ٨	انا ارسلناك شاهداً	٤٠	٢٧٤ اعملوا ما شئتم
٢٧	ولولا رجال مؤمنون ونساء	١٨	٥٠٣ ونحينا الذين امنوا
٢٧	لتدخلن المسجد الحرام		( ٤٢ ) سورة الشورى
١٢	وظننتم ظن السوء	١٦	٣٧٢ والذين يحاجون في الله
١٠	فمن نكث فاننا ينكث على نفسه	٢٢	٤٤٢ وترى الظالمين مشفقين
٢٦	والزمهم كلمة التقوى	٤٠	٥٤٨ / ٥٥٤ وجزاء سيئة سيئة
٢٨	كفى بالله		( ٤٣ ) سورة الزخرف
	( ٤٩ ) سورة الحجرات	٦٦	٩٥ هل ينظرون الا الساعة ان
١٤	قالت الاعراب	٧٦	١٣٢ ولكن كانوا هم الظالمون
٩	فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء	١٩	٢٥٨ وجعلوا الملائكة اناثاً
	( ٥١ ) سورة الذاريات	٣٠	٣٨٣ ولما جاءهم الحق قالوا هذا
٥٦	وما خلقت الجن والانس إلا	٥١	٣٩٥ أليس لي ملك مصر
١٣	يوم هم على النار يفتنون	٨٠	٤٢٤ ورسلنا لديهم يكتبون

آية	صفحة	آية	صفحة
	(٥٨) سورة المجادلة	٥٥٥	ومن كل شيء خلقنا زوجين ٤٩
١٣	٣٣٦ / ٣٤٠ فأقيموا الصلاة وآتوا		(٥٢) سورة الطور
٢١	٤٢٨ كتب الله لأغلبن انا ورسلي	٧٨	وأمددناهم بغاكة ٢٢
	(٥٩) سورة الحشر	٣٢٩	من مغرم مثقلون ٤٠
٧	١٤٣ ما أظاه الله على رسوله من اهل		(٥٣) سورة النجم
	(٦١) سورة الصف	٩٢ / ٤٠٣	وما ينطق عن الهوى ٤-٣
٥	٣٦٢ فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم	١٠٢	فغشاها ما غشى ٥٤
	(٦٣) سورة المنافقون	٢٩٨	واؤتفكات اهوى ٥٣
١٠	٥٤ / ٤٥٩ فأصدق واكن		(٥٤) سورة القمر
٦	٣١٠ سوا عليهم استغفرت لهم ولم	٤٤٣	افتربت الساعة ١
	(٦٤) سورة التغابن		(٥٥) سورة الرحمن
١٥	١٢١ انما هو الكم واولادكم فتنة ١٥	٣٩٧	سنفرغ لكم ٣١
	(٦٥) سورة الطلاق	٢٤٩	الشمس والقمر بحسبان ٥
٣	٢٧٣ ومن يتوكل على الله فهو حسبه		(٥٧) سورة الحديد
٢	٤٤١ فاذا بلغن اجلهن	٤٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ٢٥
	(٦٦) سورة التحريم	١٩٢	ما اصاب من مصيبة في الارض ٢٢
٩	٧٤ واغلظ عليهم		



## ٢ - فهرس الامهات

	صفحة
عن ابي جعفر ( ع ) في تفسير « آتيناها آياتنا فانملخ منها . . . »	٣٨
عن النبي ( ص ) : ان جبرائيل قال له : معنى « واسر بالمعروف » تصل من قطعك وتعطي من حرمك وانفوا عن ظلمك . . .	٧٤
عن ابي جعفر و ابي عبد الله ( ع ) : ان ( الاتقان ) كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال ، وميراث من لا وارث له . . .	٨٦
عن النبي ( ص ) : ايما سرية خرجت بغير اذن امامها فأصابت من شيء فهو غول .	٨٨
عن النبي ( ص ) في حديثه مع اصحابه عند ما بلغه ان قريش خرجت لحماية العير ، وانه قال : سيروا على بركة الله وابشروا . . .	٩٧
عن ابي جعفر ( ع ) « ان شرّ الدواب » نزلت في بني عبد الدار .	١١٧
عن ابي عبد الله ( ع ) - في معنى « يحول بين المرء وقلبه » قال لا يستيقن القاب ان الحق باطل ابدأ ولا يستيقن ان الباطل حق ابدأ .	١٢٠
حديث مبيت علي ( ع ) على فراش رسول الله ( ص ) .	١٢٩
عن النبي ( ص ) ايما امرأة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل .	١٤٢
عن النبي ( ص ) ان ذوي القربى بنو هاشم وبنو عبد المطلب .	١٤٥

	صفحة
عن النبي ( ص ) احلت لي الغنيمة ولم تحل لني قبلي .	١٨٤
عن ابي جعفر ( ع ) حديث النبي ( ص ) مع العباس وهو اسير يوم بدر	١٨٥
عن ابي جعفر ( ع ) ان المؤمنيز كانوا يتوارثون بالهجرة .	١٨٩
عن النبي ( ص ) . لا هجرة بعد الفتح .	١٩١
حديث عن ابي عبد الله ( ع ) في اول الاشهر الحرم ، واخرها .	١٩٧
عن النبي ( ص ) انه قال : لا يبلغ عني إلا رجل مني .	١٩٨
عن علي ( ع ) و ابي جعفر ( ع ) ان « ائمة الكفر » نزلت في اهل الجمل	٢١٤
عن ابي جعفر و ابي عبد الله ( ع ) ان « اجعلتم سقاية الحاج و عمارة	٢٢٣
المسجد الحرام كمن آمن بالله . . . » نزلت في العباس ، وعلي ( ع ) .	
عن ابي عبد الله ( ع ) لا يجوز دخول المشركين المسجد إلا ان يكون	٢٣٥
عبداً او احداً من اهل الذمة .	
عن ابي جعفر ( ع ) في ان « ليظهره على الدين كله » يكون ذلك عند	٢٤٤
خروج القائم ( ع ) . . .	
عن علي ( ع ) : كلما زاد عن اربعة آلاف فهو كثر ادبت زكاته او لم	٢٤٧
تؤد وما دونها فهو تقمة .	
عن النبي ( ص ) انه سئل اي مال يتخذ فقال : لساناً ذاكراً و قلباً	٢٤٧
شاكراً و زوجة تعين احدكم على دينه .	
عن النبي ( ص ) تراصوا في الصفوف لا يتخلكم اولاد الخذف .	٢٦٩
عن النبي ( ص ) ليس المسكين الذي ترده الأكلة . . . وانا . . .	٢٨٣
عن ابي جعفر ( ع ) ان سهم المؤلفة كان خاصاً على عهد رسول الله ( ص )	٢٨٤

	صفحة
عن ابى جعفر (ع) ان الغارمين هم الذين ركبتهم الديون في غير معصية .	٢٨٤
عن ابى جعفر و ابى عبد الله (ع) ان لقاسم الزكاة ان يضعها في اي الاصناف شاء .	٢٨٥
عن النبي (ص) انه قال : من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل .	٢٨٩
عن النبي (ص) من اطاع الله ورسوله هدى ومن عاصها فقد غوى	٢٨٩
عن النبي (ص) : والذي نفسي بيده لتقبعنهم حتى لو دخل احدكم جحر . . .	٢٩٧
ما روي عن النبي (ص) في الاستغفار للمنافقين انه قال : لا زيدن على السبعين .	٣١٠
روي عنه (ص) انه قال : لو علمت اني لو زدت على السبعين مرة لغفر لعلت .	٣١١
عن النبي (ص) انه قال - في خطبة الجمعة لرجال - اخرجوا فانكم منافقون .	٣٣٤
روي عن النبي (ص) ان الصدقة قد تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل .	٣٣٩
في الخبر أن اعمال العباد تعرض على النبي (ص) في كل اثنين وخميس فيعلمها وكذلك تعرض على الائمة فيمرفونها .	٣٤٠
قصة كعب بن مالك وما قال رسول الله (ص) فيه عندما تخلف وافر بان لا عذر .	٣٤٢



	صفحة
حديث أمر النبي (ص) بهدم مسجد ضرار وحرقه .	٣٤٤
عن النبي (ص) انه قال لاهل قبا: ماذا تعملون في طهركم فان الله احس عليكم الثناء .	٣٤٦
عن النبي (ص) سياحة امتي الصوم .	٣٥٤
خبر ابي خيثمة ، وما قال النبي (ص) فيه - عند تخلفه ولحوقه بالمجاهدين	٣٦٢
عن النبي (ص) انه قال : ( نظر الله الى اهل الارض فمقتهم إلا بقيسة من اهل الكتاب ) .	٤٠٩
عن ابي جعفر (ع) في معنى « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » انه قال : ما أعطاهم اياه في الدنيا لا يحاسبهم فيه في الآخرة .	٤١٩
عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى « إن اناكم عذابه . . . » انه ينزل في آخر الزمان على فسقة اهل القبلة .	٤٤٨
روي انه قيل لرسول الله (ص) ما يغنيهم اسرار الندامة ؟ قال يكرهون شمانية الاعداء .	٤٥١
عن الحسين (ع) حديث طويل في وصف اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	٤٦١
عن النبي (ص) انه قال في قتلى بدر : أولئك الملائكة من قريش . .	٤٧٣
عن النبي (ص) شككت ولا انا شاك .	٤٩٤
عن علي (ع) و ابي جعفر (ع) والحسين بن علي (ع) في معنى قوله تعالى « ويتلوه شاهد . . . »	٥٢٨
عن النبي (ص) : سلمان منا اهل البيت .	٥٦٦

### ٣ - فهرس الردود

	صفحة
رد على من يقول : لا يهدي الى الحق إلا الله .	٧
رد على من يروي عن سليمان ابن بشار او مسلم بن بشار : من أن الله اخرج من ذرية آدم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالنر .	٣٤
رد على من يفسر « آتيناها آتنا فانسلخ منها » بأنه نبي عصى .	٣٨
رد على المجبرة في قولهم : يستدرج الله العباد الى الضلال والكفر .	٤٨
رد على الجبائي في استدلاله بـ « انما علمها عند الله » على بطلان قول الرافضة بالنص على الأئمة المعصومين .	٥٧
رد على المجبرة في تفسيرهم « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » .	٥٨
رد على من يقول لا تكون القدرة إلا مع الفعل .	٥٩
٦٠ - ٦٥ اخذ ورد حول تفسير آية ١٨٨ من سورة الاعراف ، ورد بعض الروايات ، ورد على من يقول ان آدم وحواء اشركا ابليس وغير ذلك .	
رد على المجبرة في قولهم : كل ما في الارض من سفه وباطل وفتق فآله يريد .	٩٦
رد على الغلاة القائلين ان الله حل بمحمد . وعلى من يقول الفعل من الله بالايجاد ومن العبد بالاكْتساب .	١١١

	صفحة
رد على من يجوز ان يكون في مقدور الله لطف لو فعله بالكافر لآمن	١١٨
رد على المجبرة في تفسيرهم « ان الله يحول بين المرء وقلبه » بأنه يحول بين الكافر والايمان .	١٢٠
١٣٥ / ٢٠٥ / ٢٦٦ رد على من يقول : المعارف ضرورية . وجواب من يسأل كيف الجعم بين آيتين .	١٣٥
رد على المجبرة في قولهم : يجوز أن يعاقب الله البريء بجرم السقيم	١٦٤
جواب من يسأل : اذا جاز مهادنة الكافر فهل يجوز المهادنة في الامامة ؟	١٧٥
استدلال على ان « وان جنحوا للسلم » غير منسوخة .	١٧٦
رد على المجبرة في قولهم باتحاد إرادة الله وإرادة العبد	١٨٣
رد على الجبائي في استدلاله - بان النبي ( ص ) وقع منه معصية - بالاجتماع .	١٨٤
يستدل على ان اليهود والنصارى غير عارفين بالله	٢٣٦
جواب من يسأل كيف اخبر عن اليهود بانهم يقولون « عزيز بن الله » مع انكارهم ذلك	٢٣٩
رد على من يتوهم ان « إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » فيها دلالة على الفضيلة .	٢٥٩
رد على من يقول : ان المنسوخ ما لا يجوز فعله	٢٦١
رد على من يقول ان « عفا الله عنك لم اذنت لهم » يدل على وقوع الذنب من النبي ( ص )	٢٦٣
جواب من يسأل اي الجهادين افضل : جهاد الصيف ام العلم ؟	٢٦٥

	صفحة
جواب سؤال : ما الفائدة من كتب ما يكون قبل كونه ؟	٢٧٣
رد على المجبرة في قولهم ان الله يريد الكفر	٢٧٩
رد على من يستدل بآية النفر على حجية الخبر الواحد	٣٧١
رد على من يستدل بـ « ما يكون لي أن ابدله . . . » على عدم صحة نسخ القرآن بالسنة .	٤٠٣
رد على الكافرين بالنبي (ص) وإقامة البرهان على صدق النبوة .	٤٠٦
جواب من يسأل كيف ذم الله المشركين على عبادة الوثن لانه لا يتفهم ولا يضر مع انه لو ضر وتقم لم يجز عبادته	٤٠٧
رد على من يدعي ان المعارف ضرورية	٤١٠
رد على من لا يصدق بالقرآن	٤٣٥
استدلال على ان الله لا يظلم ، ورد على من ينسب له الافعال القبيحة	٤٤٠
استدلال على ان المؤمن منصور ابداً .	٤٨٠
رد على المجبرة في المشيئة	٥٠٠
رد على البلخي في استدلاله على ان كلام الله محدث	٥١٣
رد على المشركين وكل من يشك في نزول القرآن من الله	٥٢٤
رد على من يقول بالاجباط	٥٢٧
رد على المجبرة في مذهبهم ان الله يجعل الكافر كافراً	٥٤٩
جواب من يسأل كيف دعا نوح ابنه مع ان الله نهاه أن يركب فيها كافراً	٥٦١
رد على الرماني في قوله انما يكون الجهل قبيحاً اذا كان متعمداً	٥٦٧

## ٤ - فهرس المباحث اللغوية:

	صفحة
١٧ - ١٨ بحث في ( بؤس ، ويس ) وامثالها	١٨ - ١٧
٢٤ بحث في ( خلف ) بتحريك اللام واسكانه	٢٤
٢٧ بحث في ( ميثاق ، وموآبق ، ومياثبق وميزان وموازبن ) وامثالها	٢٧
٣٢ / ٤٨١ بحث في ( ذرية ) واشباهها	٣٢ / ٤٨١
٣٩ بحث في ( خلد ، واخذ )	٣٩
٤٥ - ٤٦ بحث في ( لحد وألحد ) وامثالها	٤٥ - ٤٦
٧٨ الفرق بين ( مد ، وأمد )	٧٨
١١٩ الفرق بين الدعاء الى الفعل والامر به	١١٩
١٤٨ بحث في اشتقاق ( دنيا ) وامثالها	١٤٨
١٧٤ - ١٧٥ بحث في ( السلم ) بالتحريك والاسكان	١٧٤ - ١٧٥
١٨٢ بحث في ( اسير ، واسرى ، واساى ) وما يتعلق بذلك	١٨٢
٢١٣ بحث في ( أئمة ) ونظائرهما	٢١٣
٢١٥ بحث في ( ألا ، لا ، ليس )	٢١٥
٢٢٦ - ٢٢٧ بحث في معنى ( ابد ) والفرق بينه وبين الخلود	٢٢٦ - ٢٢٧
٢٤٣ متى يجوز دخول ( إلا ) في الايجاب ومتى لا يجوز	٢٤٣
٢٥١ - ٢٥٢ بحث في ( النسي ، والنسيه ) وامثالها	٢٥١ - ٢٥٢

	صفحة
بحث في ( أذن ، إذن ) وامثالها	٢٨٦
الفرق بين لام الابتداء ، ولام القسم	٣٠٥
بحث في ( لما ، إذا ، متى ، لو ) والفرق بينها	٣٠٦
بحث في ( احد ) في حالي النفي والايجاب	٣١٥
بحث في ( فواعل ) مثل خوالف وفوارس وهوالك	٣١٨
بحث في ( السؤ ) بالضم والفتح وامثالها	٣٢٩
بحث في ( قربة ، وقربات )	٣٣٠
الفرق بين ( الآخر ، والآخر )	٣٤٢
بحث في ( تقوى ) وامثالها	٣٤٥
بحث في ( جرف ) وامثاله	٣٤٨
بحث في تأنيث الفعل وتذكيره	٣٦٠
بحث في ( غلظة ) بسكون اللام ونحريكها ، وفتح الغين وكسرها	٣٧٢
٣٨٩ - ٣٩٠ بحث في ( فعل ، فعلاه )	٣٨٩
٤٠٤ - ٤٠٥ بحث في ( ادراكم به ، وادراكوه ) وامثالها واشباهاها	٤٠٤
الفرق بين ( الامر والدعاء )	٤١٨
الفرق بين القاسط والمقسط	٤٤٥
الفرق بين الجمل والفعل والتغيير	٤٦٥
بحث في ( تعملان ) . و ( قيراط . ودينار )	٤٨٨
الفرق بين الاجابة والطاعة	٥٢٥
بحث في ( عوج ) بالفتح والكسر	٥٣١

	صفحة
بحث في العمى والصمم والسمع والبصر والادراك	٥٣٦
٥٣٩ ، ٥٤٠ بحث في ( بادي ) و ( بادىء ) وفي ( انسان ) و ( مثل )	
٥٤٠ بحث في ( رذل ) وجمه وجمع جمه	
٥٤١ / ٥٤٢ بحث في ( عميت ) بالتخفيف والتشديد	
٥٤٣ بحث في ( انلزمكوها ) واشباهها	
٥٤٧ الفرق بين الجدل والحجاج	
٥٥٢ بحث في ( فَعَلٌ . وَفُعُلٌ )	
٥٥٥ بحث في زوج وزوجة	
٥٦٠ بحث في ياء المتكلم في حال النداء مثل ( يا بني )	

## ٥ - فهرس الاصطال

آخر الداء الكي	٢٤٨
بؤ بشمع كليب	٤٨٤
يبخصها حمقاء	٥٢٦
اطرى انك ناعة	٥٣٦

## ٦ - فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صوابه	صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٢١٦	٤	بأيديكم وينصركم بأيديكم	بأيديكم وينصركم بأيديكم	٥	١٨	وانما	وانما
		وينخزبهم وينصركم	وينخزبهم وينصركم	٧	٩	ولا ذلالة	ولا ذلالة
٢٤١	١	صوف	صوف	٧	١٧	يهدية	يهدية
٢٦٩	٧	القائلون	القائلون	٩	٩	اتي	اتي
٢٧٤	١٥	واستقرز	واستقرز	٩	١٨	فرقة	فرقة
٢٨٩	١٩	يعصمها	يعصمها	١١	١٦	الجبائي وغير	الجبائي وغير
٤٦٠	١	في عرقات	من عرقات	١٢	١١	بمنزلة	بمنزلة
٤٨٥	١٨	وقولهم	وقوله	١٤	١٤	فأني	فأني
٤٩٣	٨	المزل	المزل	١٥	٦	أخذه	أخذه
٥٣٤	١٦، ١٧	في الدراهم في الدارم	في الدراهم في الدارم	١٥	١٢	معدبهم	معدبهم
		ملاحظة: وقع تقديم وتأخير في		٢١	١	الانزلة	الانزلة
		صفحة ٤٦٥ سطر ١٠ وصوابه:		٥٤	٨	وقيل	وقيل
		وانه خلقة ليزول التعب والكلان		٥٦	٨	نحفي	نحفي
		بالسكون فيه . وجعل « النهار . . . »		٦٦	١٦	لنفسه	لنفسه
		استدر كنا خطأ الايات المستشهد بها في		٨٥	١٠	لا انفال	لا انفال
		فهرسها .		١٤٣	١٦	بعضه	بعضه



## ٧ - فهرس المواضع

### (٧) سورة الاعراف

رقم الآية	الصفحة
١٥٧	٥ قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً
١٥٨	٦ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
١٥٩	٨ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً . . . .
١٦٠	١٠ واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية واكلوا منها
١٦١	١٢ فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم
١٦٢	١٣ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
١٦٣	١٥ واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم
١٦٤	١٧ فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينفون عن السوء
١٦٥	١٩ فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
١٦٦	٢١ واذ تأذن ربك لبيعثن عليهم اليه يوم القيامة
١٦٧	٢٢ - ٢٣ وقطعناهم في الارض أمماً منهم الصالحون ومنهم
١٦٨	٢٤ نخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
١٦٩	٢٧ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع
١٧٠	٢٨ واذ نقمنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع
١٧١ - ١٧٢	٣١ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم

رقم الآية	الصفحة
١٧٣ - ١٧٤	٣٦ وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم يرجعون واتل عليهم نبأ
١٧٥	٣٨ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض
١٧٦	٤٠ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا
١٧٧	٤١ من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل
١٧٨	٤٢ ولقد ذأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب
١٧٩	٤٥ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
١٨٠	٤٧ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
١٨١ - ١٨٢	٤٨ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
١٨٣ - ١٨٤	٥١ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو الا نذير
١٨٥	٥٣ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم
١٨٦	٥٤ يسألونك عن الساعة أيانا مرساها قل انما علمها عند ربي
١٨٧	٥٧ قل لا أملك لنفسي نقماً ولا ضراً إلا ما شاء الله
١٨٨ - ١٨٩	٥٩ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
١٩٠ - ١٩٢	٦٥ ايشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون
١٩٣	٦٧ إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
١٩٤	٦٩ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها
١٩٥ - ١٩٦	٧١ ان وايي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
١٩٧	٧٢ وإن تدعوهم الى الهدى لا يسמעوا وتراهم ينظرون اليك
١٩٨	٧٣ خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
١٩٩	٧٤ وإما يترغذك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله

رقم الآية	الصفحة
٢٠٠	٧٥ ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
٢٠١	٧٧ واخوانهم يمدونهم في النفي ثم لا يقصرون
٢٠٢	٧٨ واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى
٢٠٣	٨٠ واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون
٢٠٤	٨١ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر
٢٠٥	٨٢ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته

### (٨) سورة الانفال

١	٨٥ يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
٢ - ٤	٨٩ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
٥ - ٦	٩٢ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً
٧ - ٨	٩٥ وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين انهما لکم وتودون
٩	٩٧ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف
١٠	١٠٠ وما جعله الله إلا بشرى ولننظمن به قلوبكم وما النصر
١١	١٠١ إذ يغشيك النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء
١٢	١٠٣ اذ يوحى ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
١٣	١٠٥ ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
١٤	١٠٦ ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار
١٥	١٧ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً
١٦	١٠٨ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال

رقم الآية	الصفحة
١٧	١١٠ فلم تعلموهم ولكن الله قلمهم وما رميت إذ رميت
١٨	١١٢ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين
١٩	١١٣ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير
٢٠	١١٤ يا أيها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تتولوا
٢١	١١٥ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
٢٢	١١٦ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
٢٣	١١٧ ولو علم الله فيهم خيراً لاسمهم ولو اسمهم لتولوا
٢٤	١١٨ يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول اذا دعاكم
٢٥	١٢١ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
٢٦	١٢٣ واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
٢٧	١٢٤ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله .
٢٨	١٢٥ واعلموا أنما اموالكم واولادكم فتنة وأن الله
٢٩	١٢٦ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً
٣٠	١٢٧ واذ يكفروا بك الذين كفروا ليشبتوك او يقتلوك
٣١	١٢٩ واذ تنلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
٣٢	١٣٠ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
٣٣	١٣٢ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
٣٤	١٣٣ وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
٣٥	١٣٥ وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاهاً وتصدياً
٣٦	١٣٧ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله

رقم الآية	الصفحة
٣٧	١٣٩ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
٣٨	١٤٠ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
٣٩ - ٤٠	١٤١ وقائلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
٤١	١٤٣ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
٤٢ - ٤٣	١٤٧ اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
٤٤	١٤٩ اذ يريدكم الله في منامك قليلا ولو اراكم كثيرا لفشلتم
٤٥	١٥٢ واذا يركوهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم
٤٦	١٥٣ يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
٤٧	١٥٤ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
٤٨	١٥٥ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً
٤٩	١٥٦ واذا زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم
٥٠	١٥٨ اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء
٥١	١٥٩ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
٥٢	١٦٠ ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام لاعبيد
٥٣	١٦٢ كذا اب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله
٥٤	١٦٣ ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى
٥٥	١٦٥ كذا اب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
٥٦	١٦٦ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
٥٧ - ٥٨	١٦٧ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
٥٩	١٦٩ واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا

رقم الآية	الصفحة
٦٠	١٧١ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون
٦١	١٧٣ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
٦٢	١٧٤ وان جرحوا لاسلم فاجنح لها وتوكل على الله
٦٣	١٧٦ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
٦٤	١٧٧ يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
٦٥	١٧٨ يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم
٦٦	١٨٠ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً
٦٧	١٨١ ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يتخذن في الارض
٦٨	١٨٣ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
٦٩	١٨٥ فاكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله
٧٠	١٨٦ يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في
٧١	١٨٧ وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم
٧٢	١٨٨ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم
٧٣	١٩٠ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تعلموه تكن فتنة
٧٤	١٩١ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
٧٥	١٩٢ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم

### (٩) سورة التوبة

١	١٩٥ براءة من الله ورسوله الى الذين هادتهم من المشركين
٢	١٩٧ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله

رقم الآية	الصفحة
٣	١٩٩ واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله
٤	٢٠٠ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم
٥	٢٠٢ فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
٦	٢٠٣ وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
٧	٢٠٦ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
٨	٢٠٧ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولاذمة
٩	٢٠٩ اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله
١٠	٢١٠ لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة واولئك هم المعتدون
١١	٢١١ فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم
١٢	٢١٢ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
١٣	٢١٤ ألا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول
١٤ - ١٥	٢١٦ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزبهم وينصركم عليهم
١٦	٢١٨ ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
١٧	٢٢٠ ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين
١٨	٢٢١ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
١٩	٢٢٢ أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن
٢٠	٢٢٤ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
٢١	٢٢٥ يدشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
٢٢	٢٢٦ خالدين فيها ابدأ ان الله عنده اجر عظيم
٢٣	٢٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء

رقم الآية	الصفحة
٢٤	٢٢٨ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
٢٥	٢٣٠ لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين
٢٦	٢٣٢ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
٢٧	٢٣٣ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور
٢٨	٢٣٤ يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
٢٩	٢٣٦ قاتلون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
٣٠	٢٣٨ وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
٣١	٢٤١ اتخذوا اخبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله
٣٢	٢٤٢ يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله
٣٣	٢٤٣ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
٣٤	٢٤٤ يا ايها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان
٣٥	٢٤٧ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
٣٦	٢٤٨ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً
٣٧	٢٥١ انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا
٣٨	٢٥٤ يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم اتقوا
٣٩	٢٥٦ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم
٤٠	٢٥٧ إلا تنصروه فقد نصره الله اذا اخرجه الذين كفروا
٤١	٢٦٠ اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم
٤٢	٢٦١ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبغوك
٤٣	٢٦٣ عفا الله عنك لما اذنت لهم حتى يتبين لك



رقم الآية	الصفحة
٤٤	٢٦٤ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
٤٥	٢٦٥ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
٤٦	٢٦٦ ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن
٤٧	٢٦٨ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأ وضعوا
٤٨ - ٤٩	٢٧٠ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور
٥٠	٢٧١ ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا
٥١	٢٧٢ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
٥٢	٢٧٣ قل هل تربصوا بنا الا إحدى الحسنيين ونحن
٥٣	٢٧٤ قل انفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم
٥٤	٢٧٦ وما منهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا
٥٥	٢٧٧ فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم إنما يريد الله ليعذبهم
٥٦	٢٧٩ ويخلفون بالله أنهم لم تكف وما هم منكم ولكنهم
٥٧	٢٨٠ لو يجدون ماجاً او مغارات او مدخلا لولوا
٥٨	٢٨١ ومنهم من يلزمك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا
٥٩	٢٨٢ ولو انهم رضوا بما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
٦٠	٢٨٣ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
٦١	٢٨٦ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن
٦٢	٢٨٩ يخلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق
٦٣ - ٦٤	٢٩٠ ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
٦٥ - ٦٦	٢٩٢ واثن سألهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب

رقم الآية	الصفحة
٦٧	٢٩٤ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرسون بالمنكر
٦٨	٢٩٥ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
٦٩	٢٩٦ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً
٧٠	٢٩٧ ألم يأتيهم نبياً الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
٧١	٢٩٨ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرسون بالمعروف
٧٢	٣٠٠ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
٧٣	٣٠١ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
٧٤	٣٠٢ يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
٧٥	٣٠٤ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
٧٦	٣٠٦ فلما آتاهم من فضله بخلوها به وتولوا وهم مرضون
٧٧	٣٠٧ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه
٧٨	٣٠٨ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب
٧٩	٣٠٩ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
٨٠	٣١٠ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
٨١	٣١١ فرح المخلفون بمعدتهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا
٨٢	٣١٢ فليضحكوا قليلاً وليبكيوا كثيراً بما كانوا يكسبون
٨٣	٣١٣ فإن رجعت الله طائفة منهم فاستأذنوك للخروج
٨٤	٣١٤ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره
٨٥	٣١٦ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها
٨٦	٣١٧ وإذا أنزلت سورة أن امنوا بالله وجاهدوا مع

رقم الآية	الصفحة
٨٧	رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٣٦٨
٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم ٣٦٩
٨٩ - ٩٠	اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ٣٢٠
٩١	ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ٣٢٢
٩٢	ولا على الذين اذا ما اتواك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ٣٢٣
٩٣	انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء ٣٢٤
٩٤	يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا ان تؤمن لكم ٣٢٥
٩٥	سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم اتمرضوا عنهم ٣٢٦
٩٦ - ٩٧	يخلفون لكم لترضوا عنهم . . . . . الاعراب اشد كفراً وفاقاً ٣٢٧
٩٨	ومن الاعراب من يتخذ ما يفتق بمغزماً و يتربص بكم الدوائر ٣٢٨
٩٩	ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ٣٣٠
١٠٠	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين ٣٣١
١٠١	ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة ٣٣٣
١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر ٣٣٥
١٠٣	خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ٣٣٦
١٠٤	الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ٣٣٩
١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ٣٤٠
١٠٦	وآخرون مرجون لأمر الله اما يمدبهم واما يتوب عليهم ٣٤١
١٠٧	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً ٣٤٣
١٠٨	لا تقم فيه ابداً لمسجد أسس على التقوى من اول يوم ٣٤٥

رقم الآية	الصفحة
١٠٩	٣٤٧ افن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير
١١٠	٣٥٠ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
١١١	٣٥١ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
١١٢	٣٥٣ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
١١٣	٣٥٥ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
١١٤	٣٥٦ وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة
١١٥	٣٥٨ وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هدام حتى بين لهم
١١٦	٣٥٩ ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
١١٧	٣٦٠ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
١١٨	٣٦٣ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
١١٩	٣٦٦ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
١٢٠	٣٦٧ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
١٢١	٣٦٩ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً
١٢٢	٣٧٠ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
١٢٣	٣٧٢ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
١٢٤	٣٧٣ واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً
١٢٥	٣٧٤ واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم
١٢٦	٣٧٥ اولاً يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
١٢٧ - ١٢٨	٣٧٧ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم ٠٠٠٠ لقد جاءكم رسول
١٢٩	٣٧٨ فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت

## ( ١٠ ) سورة يونس

١	٣٨١	أر . تلك آيات الكتاب الحكيم
٢	٣٨٣	أكان للناس عجيباً أن اوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس
٣	٣٨٥	ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض
٤	٣٨٧	اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً انه يبدأ الخلق ثم يعيده
٥	٣٨٩	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
٦ - ٧	٣٩٢	ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله
٨	٣٩٣	اوائك مأواهم النار بما كانوا يكسبون
٩	٣٩٤	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
١٠	٣٩٥	دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
١١	٣٩٦	ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي
١٢	٣٩٩	واذا مس الانحسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً
١٣ - ١٤	٤٠١	ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاهتهم رسلهم
١٥	٤٠٢	واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
١٦	٤٠٤	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اذاركم به فقد لبثت
١٧	٤٠٦	فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته
١٨	٤٠٧	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
١٩	٤٠٨	وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلقوا

رقم الآية	الصفحة
٢٠	٤١٠ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله
٢١	٤١١ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم
٢٢	٤١٢ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
٢٣	٤١٤ فلما أنجأهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق
٢٤	٤١٦ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
٢٥	٤١٨ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء
٢٦	٤١٩ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم فتر
٢٧	٤٢٠ والذين كهبوا الصيئات جزاء سيئة بمثلها
٢٨	٤٢٢ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم
٢٩	٤٢٣ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم
٣٠	٤٢٤ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله
٣١	٤٢٥ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السم
٣٢	٤٢٧ فذلكم الله ربكم الحق فإذا بعد الحق إلا الضلال
٣٣	٤٢٨ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون
٣٤	٤٢٩ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله
٣٥	٤٣٠ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق
٣٦	٤٣٢ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً
٣٧	٤٣٣ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
٣٨	٤٣٤ أم يقولون افتراه قل فأتوا بصورة مثله
٣٩	٤٣٥ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله

رقم الآية	الصفحة
٤٠	٤٣٦ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم
٤١	٤٣٧ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون
٤٢	٤٣٨ ومنهم من يستمعون اليك افأنت تسمع الصم
٤٣	٤٣٩ ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدي العمي
٤٤	٤٤٠ ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون
٤٥	٤٤١ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار
٤٦	٤٤٤ واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
٤٧	٤٤٥ لكل امة رسول فاذا جاء رسوهم قضي بينهم بالقسط
٤٨	٤٤٦ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
٤٩	٤٤٦ قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ماشاء الله
٥٠	٤٤٧ قل ارايتم ان اتاكم عذابه بيا نكاً وانهاراً ماذا يستعجل
٥١	٤٤٨ أم اذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون
٥٢	٤٤٩ ثم قيل للذين ظلموا ذرّفوا عذاب الخلد هل تجزون الا
٥٣ - ٥٤	٤٥٠ ويستنبؤنك احق هو . . . ولو ان لكل نفس ظلمت
٥٥	٤٥١ الا ان الله ما في السماوات والارض الا ان وعد الله حق
٥٦ - ٥٧	٤٥٢ هو بحبي رحمت . . . يا ايها الناس قد جاءكم موعظة
٥٨	٤٥٣ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
٥٩	٤٥٦ قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً
٦٠	٤٥٧ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة
٦١	٤٥٨ وما تكون في شأن وما تلو منه من قرآن

رقم الآية	الصفحة
٦٢	٤٦٠ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
٦٣	٤٦١ الذين آمنوا وكانوا يتقون
٦٤	٤٦٢ لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل
٦٥	٤٦٣ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله . . .
٦٦	٤٦٤ الا ان لله من في السموات ومن في الارض . . .
٦٧	٤٦٥ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً
٦٨	٤٦٦ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني . . .
٧٠-٦٩	٤٦٧ قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا
٧١	٤٦٨ واتلوا عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر
٧٢	٤٧٠ فان توليتم فما سألتكم من اجر ان احدى الا على الله
٧٣	٤٧١ فكذبوه فنجيناها ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
٧٤	٤٧٢ ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فجاءهم بالبينات
٧٥	٤٧٣ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون . . .
٧٧-٧٦	٤٧٤ فلما جاءهم الحق . . . قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا
٧٨	٤٧٥ قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا
٧٩	٤٧٦ وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم
٨٠	٤٧٧ فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
٨١	٤٧٨ فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
٨٢	٤٧٩ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون
٨٣	٤٨٠ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون



رقم الآية	الصفحة
٨٤	٤٨١ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعمليه توكلوا
٨٥ - ٨٦	٤٨٢ فقالوا على الله توكلنا . . . . . ونجنا برحمتك من القوم
٨٧	٤٨٣ واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً
٨٨	٤٨٤ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة
٨٩	٤٨٦ قال قد اجيبت دعوتكما فاستجبنا . . . . .
٩٠	٤٨٨ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر، فأتبعهم فرعون . . .
٩١	٤٩٠ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
٩٢	٤٩١ فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلقت آية
٩٣	٤٩٢ ولقد بوءنا بنى اسرائيل مبعوثاً صدق ورزقناهم
٩٤	٤٩٣ فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل
٩٥	٤٩٥ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
٩٦ - ٩٧	٤٩٦ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية ٩٦ - ٩٧
٩٨	٤٩٧ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
٩٩	٤٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً
١٠٠	٥٠٠ وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
١٠١ - ١٠٢	٥٠٢ قل انظروا ماذا في السماوات و . . . . . فهل ينتظرون الا مثل ١٠١ - ١٠٢
١٠٣	٥٠٣ ثم نتجني رسولنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا
١٠٤	٥٠٤ قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا تعبدون
١٠٥	٥٠٥ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين
١٠٦	٥٠٦ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك . . .

رقم الآية	الصفحة
١٠٧	وان يسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
١٠٨	قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه
١٠٩	واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله

### ( ١١ ) سورة هود

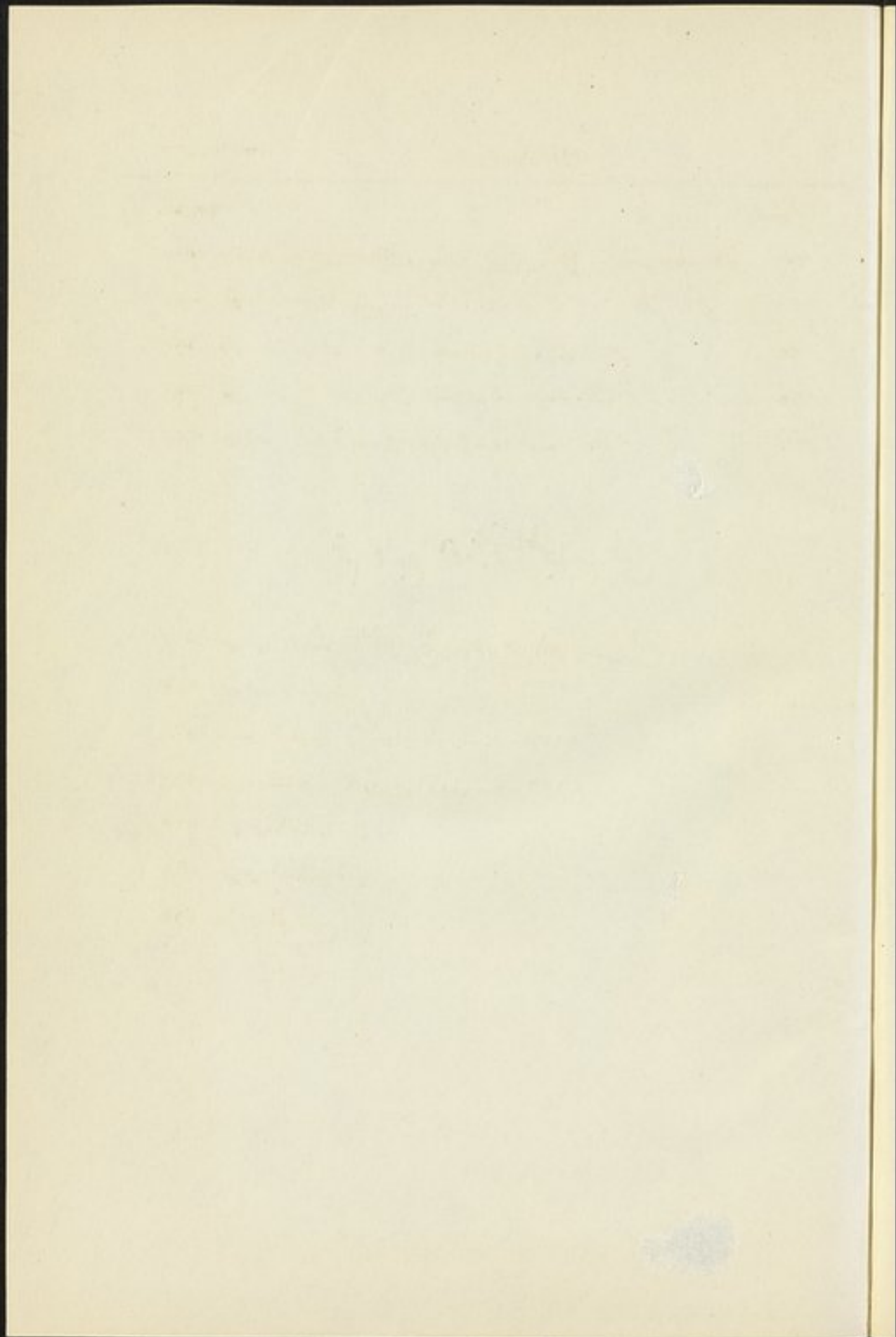
١	٥١١	آر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
٢	٥١٣	ألا تعبدوا الا الله اتى لكم منه نذير وبشير
٣	٥١٤	وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم
٤ - ٥	٥١٥	الى الله مرجعكم . . . . . الا انهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه
٦ - ٧	٥١٧	وما من دابة في الارض الا على الله رزقها . . . وهو الذي خلق
٨	٥١٩	ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن
٩	٥٢٠	ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس
١٠	٥٢١	ولئن اذقناه نعماء بعد ضرا مسته ليقولن ذهب السمات
١١ - ١٢	٥٢٢	الا الذين صبروا . . . . . فلملك تارك بمض ما يوحى اليك
١٣	٥٢٣	ام يقولون افتراه قل فأتوا بمشر سور مثله مفتريات
١٤	٥٢٥	فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
١٥	٥٢٦	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
١٦ - ١٧	٥٢٧	او ائلك الذين ليس لهم في الآخرة . . . . . افن كان على بينة
١٨ - ١٩	٥٣٠	ومن اظلم ممن افترى . . . . . الذين يصدون عن سبيل الله
٢٠	٥٣١	او ائلك لم يكونوا معجزين في الارض . . . . .

رقم الآية	الصفحة
٢١	٥٣٣ اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
٢٢ - ٢٣	٥٣٤ لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ، ان الذين آمنوا
٢٤	٥٣٦ مثل الفريقين كالأعمى والاصم ، والبصير والسميع
٢٥ - ٢٦	٥٣٧ ولقد ارسلنا نوحاً ٠٠٠٠ ان لا تعبدوا الا الله
٢٧	٥٣٩ فقال للملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً
٢٨	٥٤١ قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
٢٩	٥٤٣ ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله
٣٠	٥٤٤ ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون
٣١	٥٤٥ ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
٣٢	٥٤٦ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا
٣٣ - ٣٤	٥٤٧ قال انما يايتكم به الله ٠٠٠ ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
٣٥	٥٥٠ ام يقولون افتراء قل ان افتريته فعلى اجرامي
٣٦	٥٥١ واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
٣٧	٥٥٢ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
٣٨ - ٣٩	٥٥٣ ويصنع الفلك وكلامر عليه ملا ٠٠٠ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
٤٠	٥٥٥ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
٤١	٥٥٧ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها
٤٢	٥٥٩ وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه
٤٣	٥٦١ قال ساوى الى جبل يعصمي من الماء قال لا عاصم
٤٤	٥٦٢ وقيل يا أرض ابلعي ماء كي ويا سما اقلعي وغيض الماء

رقم الاية	الصفحة
٤٥	٥٦٤ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
٤٦	٥٦٥ قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تأمني
٤٧	٥٦٧ قال رب اني اهوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم
٤٨	٥٦٩ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم
٤٩	٥٧٠ تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كذت تعلمها

## فهرس الفهارس

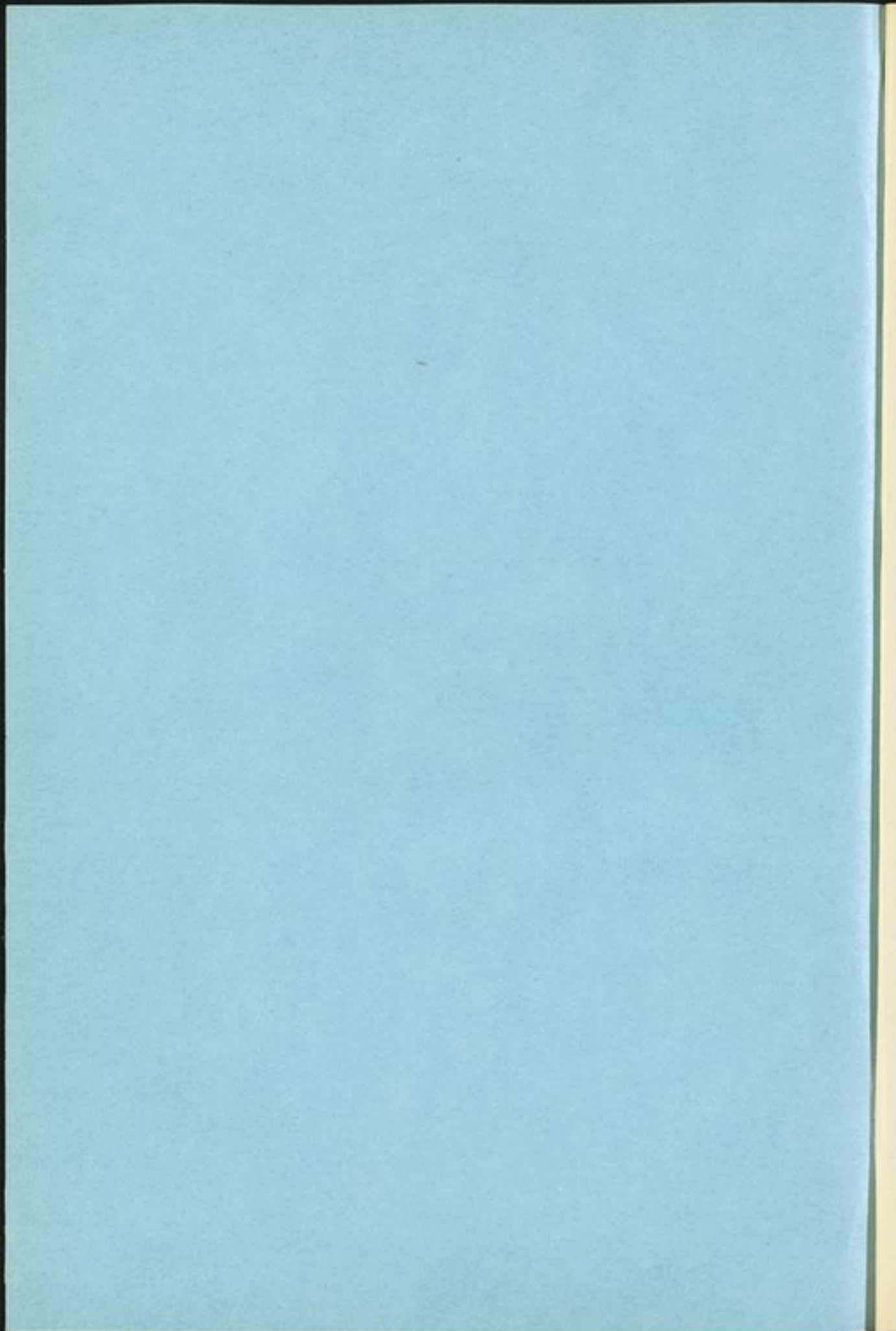
٥٧٣	فهرس الآيات المستشهد بها في غير موضعها
٥٨٤	فهرس الاحاديث
٥٨٨	فهرس الردود
٥٩١	فهرس المباحث اللغوية
٥٩٣	فهرس الامثال
٥٩٤	فهرس الخطأ والصواب
٥٩٥	فهرس للمواضيم



تم طبع هذا المجلد في  
مطبعة النعمان - النجف الاشرف

جماد الاول سنة ١٣٨٠ هـ

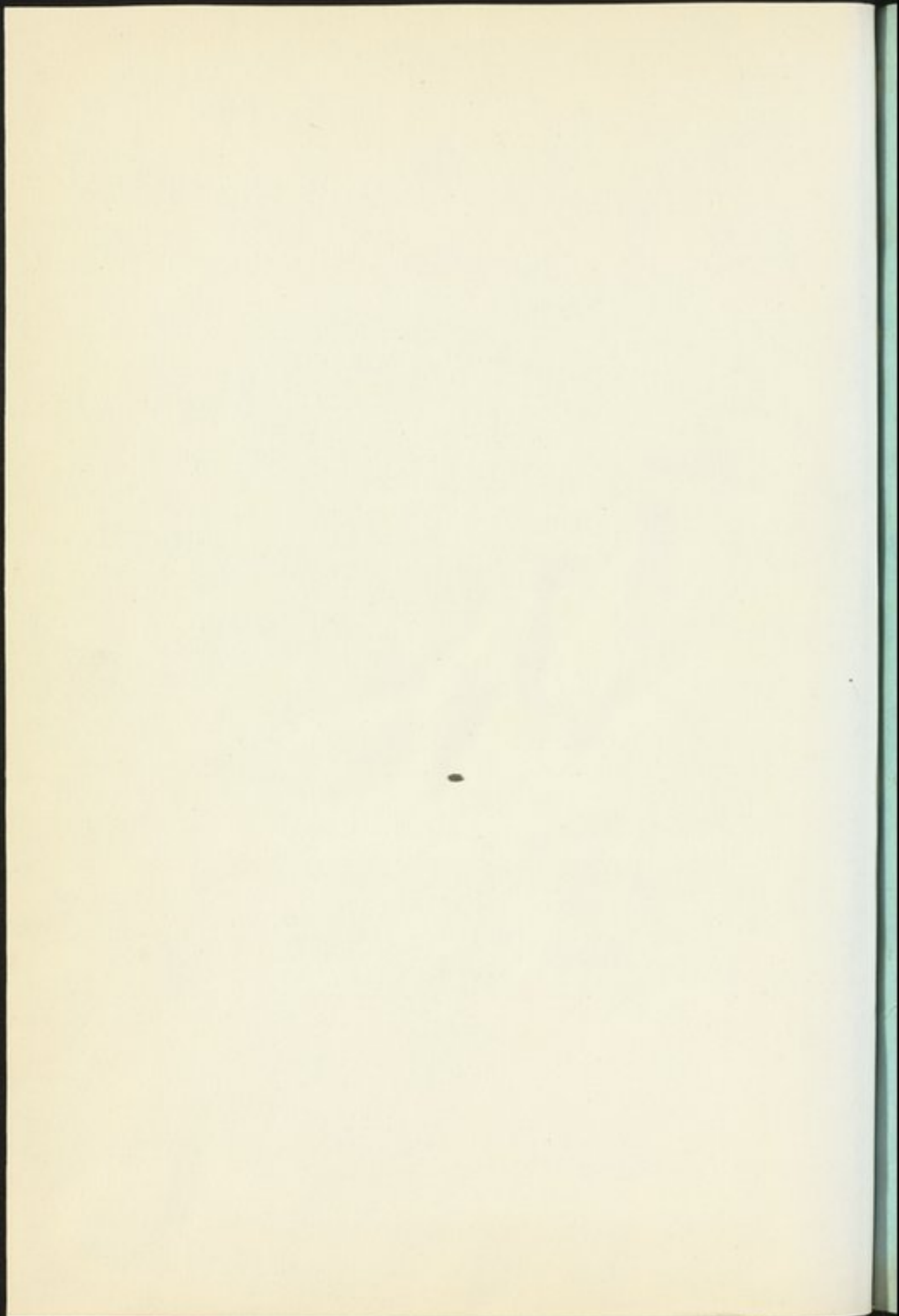
نشرين الاول سنة ١٩٦٠ م

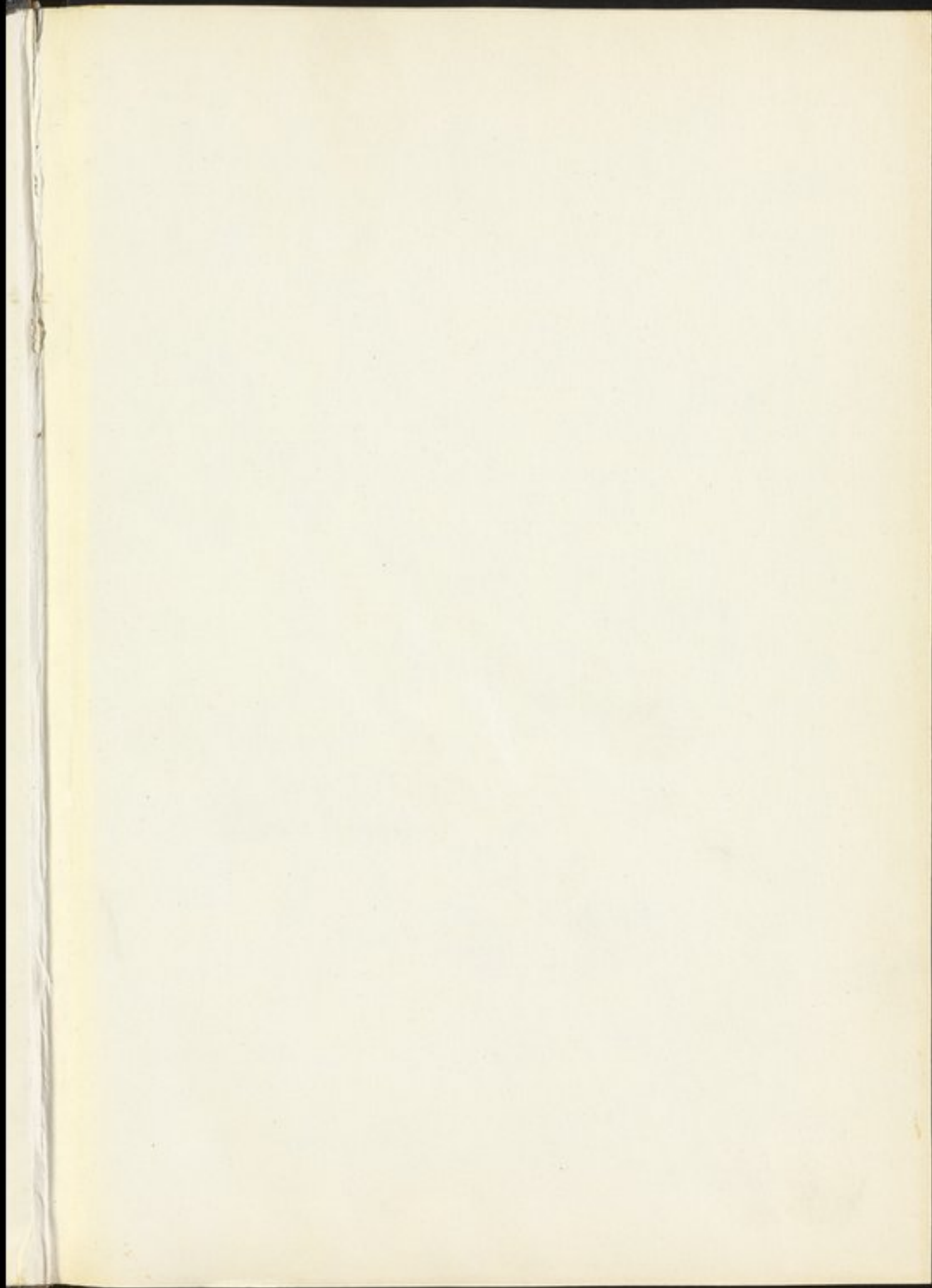




١٠٠٠ قرش لبناني







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0045777942

BP  
L30.4  
.T8  
v. 3

JUN 7 1973

